سر مذكرات الجورية الحمراء

The Mystery of the Red Rose Diaries

الأبواب المغلقة

Closed Doors

فجر سليمان

FAJER SULIMAN

نوفا

ساحر الكتب

العنوان

The Mystery of The Red Rose Diaries 3

Closed Doors

سر مذكرات الجورية الحمراء 3

الأبواب المغلقة

تأليف

فجر سليمان

الطبعة

الأولى 2025

ردمك:

978-9921-811-32-2

رقم الإيداع: 2025/1991

تصميم وإخراج

نوفا بلس للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

www.novapluskw.com

WARNING
تحذير
لا تجعل من نفسك ضحيةً للفضول وتفسد الأمر
بتقليب صفحات هذا الكتاب بتهوّر، فقد تقع
عيناك على حَدَث قبل أوانه، وتذكّر أنهُ لا
أفضل من كشف الحقيقة في وقتها المُناسب.

دليل قرائة
هذا الكتاب
الكلام ما بين الأقواس
"مثال"
تم اقتطاعه من
مُذكرات كيتلين
الشخصية.
اسطر الحوارات المائلة
مثال
تعني أن الحوار تم
استرجاعه من ذكريات
الشخصيات.
فقاعات الحديث باللون
الأسود
مثال
تعني أن الحوار من مشهد من
الماضي.

هذه الرواية مزيجٌ من الواقع والخيال؛ قد أذكر بعض الأماكن الحقيقية، لكنك ستجد فيها أيضًا عوالم نسجتها مخيلتي. أما أسماء الأشخاص والعائلات، فهي لا تمتّ للواقع بصلة، وأي تطابقٍ قد يحدث، فهو محض مصادفةٍ من مفارقات هذا الكون الغريب.

NOTES

DATE: S M T W T F S

عائلتي آل

والدي: إبراهام

والدتي: كارمن

إخوتي: راين، دانيال، سامي

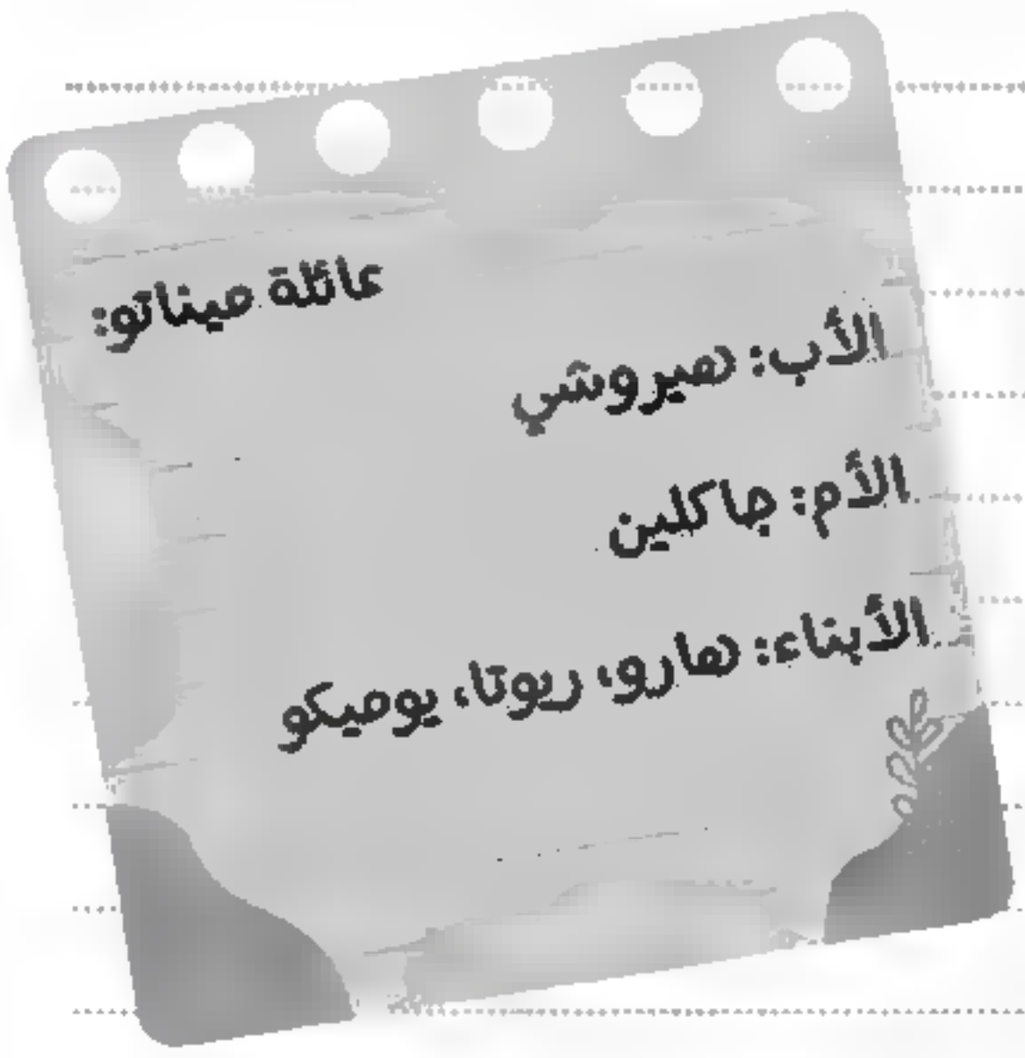

عائلة آل جونسون:

الأب: الدكتور لوغان

الأم: أوليفيا

الأبناء: إلها ، ماتيو

NOTES

D S M T W T F S

ابناء كيليب بيتفورد
كما وصفهم راينر:

* فيكتور: الأخ الأشقر، عريض المنبة، وذو اللحية الخفيفة.

* هيلين: أخت فيكتور التوءم.

* إدوارد: الابن الثالث، ذو العينان الرماديتان.

* ستيفان: الشاب الأسمر ذو الملامح اللاتينية.

* تايلور: القصير ذو الملامح الآسيوية.

* توماس: صاحب الوجه الطفولي والعينين الناعستين.

* أليكس: بهي الطلة، والذي أشارت إليه إيما بالمنحرف.

* ميغان: ذات الشعر البني.

* جيسيكا: الشقراء، والابنة الصغرى لكيليب.

* إريك: الابن الذي لم يكن حاضرا أثناء مراسم دفن كيليب.

NOTES

DATE: S M T W T F S

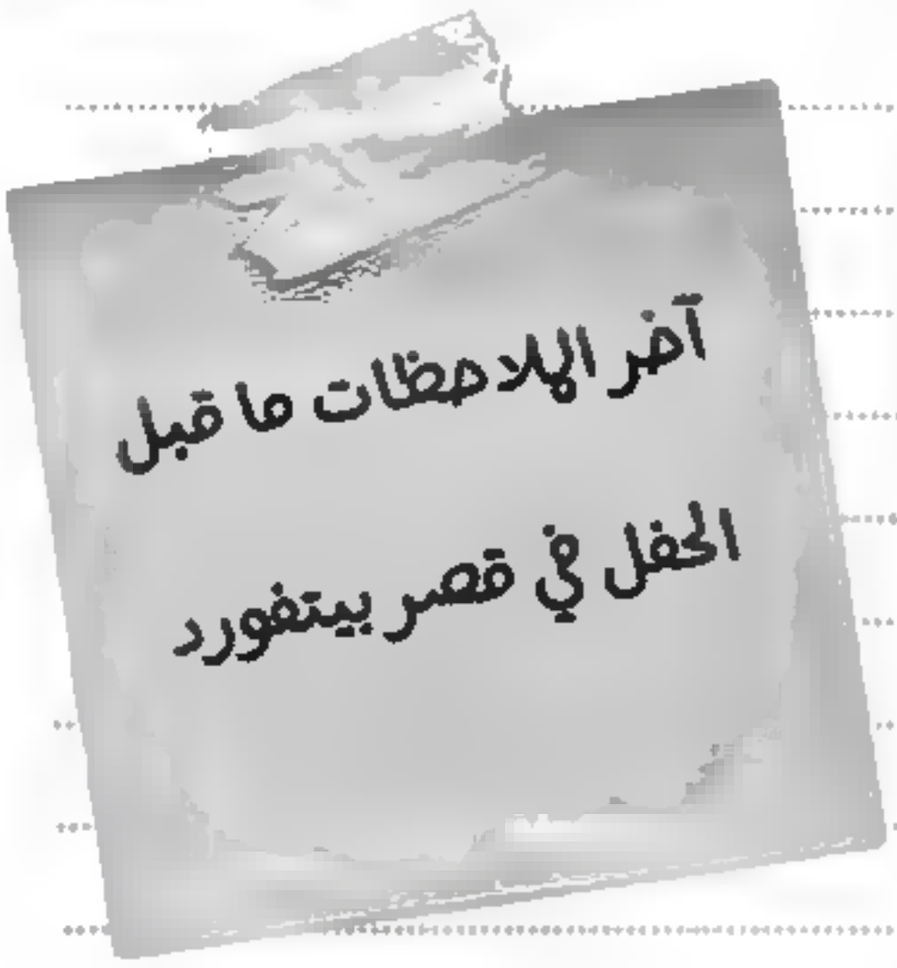

عقد من زهرة الجوري الحمراء ظهر

أمامي في عدة مناسبات، ارتدته نساء

مختلفات، لكن القاسم المشترك بينهن

هو انتماؤهن إلى عائلة بيتفورد.

عثرت على مجموعة من المذكرات المختلفة في غرفة مكتب والدي، لكنها لا تعود له

وجدت إليا ألبوم صور قديما يعود لأبي وأصدقائه من أيام الدراسة، والفترة التي قضوها

في منزل البحيرة.

اكتشف ماتيو نوتات موسيقية وبيانو في قبو منزلهم، والذي تبين لاحقا أنه ملك ماريا.

أما النوتة الموسيقية، فما هي إلا تهويدة كتبتها ماريا بنفسها.

NOTES

DATE: S M T W T F S

• تحققنا من ماضي آبائنا بالذهاب إلى منزل البحيرة، حيث كانوا يقضون العطلات معا، وهناك، وجدنا مجموعة من أشرطة الفيديو التي صورها جوناثان لوالدي وبقية أصدقائه.

• اكتشفنا أن راين هو الشخص الغريب الذي اقتحم المنزل القديم لعائلة هيروشي، لكننا لم نتمكن من معرفة هوية رفيقه؟ والأهم من ذلك، ما زلنا نجهل السبب وراء فعلته تلك؟!

• بدأ ريوتا يتذكر بعض اللمحات الضبابية لما قبل الحادث، لكنه لم يستعد ذاكرته بالكامل حتى الآن.

• عثرنا على العم هيروشي في المستشفى.

• وفاة الشخص الذي كنت أعمل على قضيته في المستشفى بطريقة مريبة، والمخيف أكثر هو ما قاله لحظة لقائنا.

• أخبرني توماس عن وضع عائلته، كما سرد لي ملابسات الحريق الذي وقع في حفل عائلتهم داخل الفيلا الخاصة بهم.

• تلقينا دعوة لحضور الحفل في قصر عائلة بيتفورد، حيث سنقضي ليلتين هناك.

• غادر ريوتا نعمل تاون دون أن يخبرنا بمكان وجهته، وفقدنا الاتصال به تماما.

المقدمة

"لا مزيد من المقدمات، فلا شيء يمكن قوله لتمهيد الكارثة"..

تابع الفصل السابع

باب الأرض وباب السماء

(5)

الجورية الحمراء

Red Rose

قُبيل الغروب بلحظات، وجدت النساء الثلاث لأنفسهن بقعةً مريحة

وسط حقل أزهار البنفسج، أدرن ظهورهن للمنزل الأبيض، وراقبن الأطفال من بعيد، واستمعن إلى صيحات الصغار وهم يلهون مفعمين بالطاقة والحياة، وبعد أن خفتت الأصوات، أشارت السيدة قصيرة الشعر إلى الأطفال وقالت مبتسمةً:

- أنظرن كيف يحدّق بها الأولاد.

لم تتمالك ماريا نفسها فضحكت هي الأخرى مُعلقةً على ما قالته جاكلين:

- يبدو منظرهم مُبهجًا، إلا أنهم سيجعلونها تبكي في النهاية.

وهي تراقب المشهد بقلب يغمره الفرح، قالت كارمن دون أن تحوّل نظراتها عن الأولاد:

- لنرى كيف سيتصرفون.

على الجانب الآخر، تجمع الأطفال حول عربة الطفلة الصغيرة، يحدقون فيها وكأنها المرة الأولى التي يرون بها طفلةً في مثل هذا العمر، اقترب بوب أكثر وسأل:

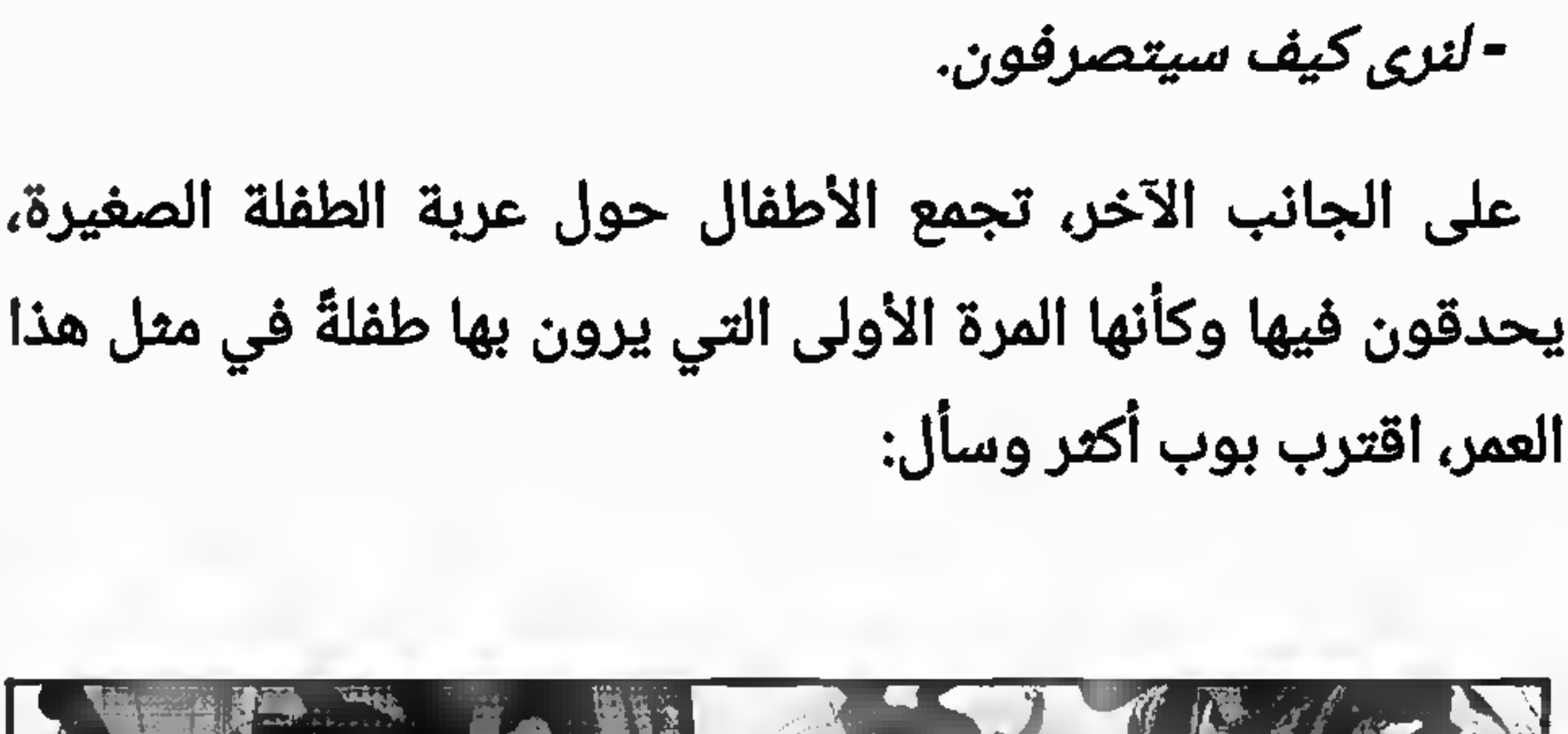

زجرته هيلين بصوتٍ خافت:

-أخفض صوتك يا بوب وإلا أيقظتها.

واقِفًا إلى جانب هيلين، أمسك الصغير ريوتا بحافة العربة بكلتا يديه، اقترب بجسده ليُلقي نظرة مليئة بالفضول على الطفلة:

- هل يُمكنني لمسها؟

وقبل أن يتمكن من فعل أي شيء، وبخته أخته هارو:

-لا.. ستبكي الطفلة إن فعلت.

تدخّل إدوارد ليقول وهو يُربّت على رأس ريوتا مُتعاطفًا معه:

-لا تُبالي بما قالته أختك.

ثم التفت إدوارد برأسه، مناديًا على الشخص الوحيد الذي كان يقف منفردًا وبعيدًا عن المجموعة:

-اقترب يا راين.. ما الذي تفعله عندك هناك؟

دون أي مقدمات، فتحت الصغيرة عينيها بانزعاج وبدأت بالبكاء، ولم تكد تمضي لحظة حتى توجهت هارو باللوم إلى أخيها:

-أرأيت كل هذا بسببك.

وهو يبتعد عن العربة بخطواته الصغيرة أجاب ريوتا مُدافعًا عن موقفه:

- ولكنني لم ألمسها.

وسط ارتباك الأولاد بسبب بكاء الطفلة، تقدم إدوارد بخطوات

هادئة ومد ذراعيه ليحملها برفق، ضمها إليه بإحكام وبدأ يهزها بلطف، حتى هدأت أنفاسها وتوقف بكاؤها.

عندها نطق بوب بدهشة واضحة:

- لقد هدأت!

قالت هيلين مبتسمةً بفخر وهي تشيد بأخيها إدوارد:

- إدوارد رائع في التعامل مع الأطفال، فهو من يعتني بـ جيسيكا دائمًا في المنزل.

بينما كان يهز الصغيرة بين ذراعيه برفق، لاحظ إدوارد أن راين لا يزال واقفًا في مكانه، يراقب المشهد بقلق واضح ينعكس جليًا في عينيه، اقترب إدوارد بخطوات هادئة نحو رفيقه، ووقف أمامه وهو يحمل الطفلة التي تحولت دموعها إلى ابتسامة مشرقة، ثم قال بلطف:

- ألا ترغب في حملها؟

تأمل راين حركات الصغيرة بعيون حائرة، مد يده بتردد، لكنه

سرعان ما تراجع، مختبئًا خلف أعذاره:

-كلا... ستبدأ بالبكاء بمجرد أن أحملها.

ومن خلف كتف إدوارد، أطلت هارو برأسها بخفة، تحته بابتسامة ماكرة:

-كف عن التصرف بسخافة... هيا، احملها!

على الجانب الآخر، راقبت كارمن المشهد بصمت، وقلبها مُثقل بالمشاعر التي عصفت به، أضاء بريق أشعة شمس المغيب عينيها الدامعتين، وبروحها المليئة بالحنان تحرّكت شفتيها تهمس للصبي برجاء:

وسط إصرار وإلحاح الأطفال، وجدت الصغيرة طريقها أخيرًا إلى ذراعي راين، تجمد الصبي في موضعه مرتبكًا حين لاحظ علامات الانزعاج تتسلل إلى ملامحها الصغيرة، لكن سرعان ما تبددت تلك العلامات، لتحل محلها ابتسامة مشرقة لم يرَ لها مثيلًا من قبل،

فتحت كيتلين عينيها الزرقاوين، ولامست ببراءتها أعماق روحه، لتبدد جزءًا من الظلام الذي كان يُثقل قلبه، قبل لحظات فقط لم يكن يرغب حتى في لمسها، أما الآن فلا يريد في أن يفلتها من بين يديه، يخشى عليها من نسمات الهواء من حولها، وفي النهاية، شقت ابتسامة طريقها إلى وجهه العابس رغمًا عنه، لتبرز غمازته الطويلة على خده الأيمن، كشاهد صامت على هذه اللحظة الفريدة.

من مكانها، زفرت كارمن بارتياح وهي تضع يدها على صدرها، مستشعرة السكينة التي غمرتها، كم كانت تخشى ألا يتقبل راين كيتلين كجزء من العائلة! لسنواتٍ كافحت بحب وصبر لتنتشل الصبي من قوقعته وتملأ فراغ غياب والديه.

كانت تراه يخطو خطوات متعثرة نحو الحياة، حتى جاءت القفزة الأكبر عندما تعرّف على إدوارد وبقية الأولاد، لهذا حرصت وبكل حب على تنظيم مثل هذه التجمعات بشكل دوري بمساعدة ماريا وجاكلين، واليوم فقط شعرت ولأول مرة بقرب الصبي لبهجة الحياة

وأضوائها.

في تلك اللحظة، كان بوب قد انفصل عن المجموعة، متوغلًا بين أزهار البنفسج التي تناثرت كلوحة حالمة، تنقّل الصبي بينها بنظرات شاردة، وكأنه يبحث عن شيء يخصه وحده، لاحظت هارو ذلك، فغلبها الفضول ونادته:

- *ما الذي تفعله؟*

لم يرفع بوب رأسه، وظل مستمرًا في بحثه، قبل أن يجيب بصوت مليء بالعزم:

- *سأجمع بعض الأزهار كهدية لأمي، فبعد الغد يوافق يوم الأم.*

رفعت هارو حاجبيها بدهشة بسيطة وقالت بتفكير:

- *ولكن.. ألا تتلف إذا جمعتها الآن؟*

بعد أن استمعت إلى حوار الاثنين، تقدمت هيلين بابتسامة لافتة لتقترح على بوب:

-*لماذا لا تطلب من الخالة ماريا أن تعلمك كيفية صنع الأزهار من المحارم الورقية؟ إنها بارعة جدًا في هذا!*

متحمسًا للاقتراح، انطلق بوب نحو ماريا ليسألها بلهفة، رحبت ماريا بابتسامة دافئة، ولم تتردد في تلبية طلبه، تناولت بعض المحارم الورقية من سلة الطعام بجانبها وبدأت بتعليمه كيفية تشكيل الأزهار، كانت أزهارها دقيقة ومُتقنةً إلى درجة جذبت انتباه هارو وهيلين وريوتا، الذين اصطفوا حولها بوجوه مفعمة بالفرح،

يراقبون مهارتها بانبهار، لكن سرعان ما انسحبوا للعب مجددًا، ولم يبقَ إلا ريوتا، أمسك الصغير بإحدى الأزهار الورقية بين يديه وتأملها بعمق، ثم قارنها بأزهار الحقل المحيطة به قبل أن يقول بتساؤل:

- *إنها مُختلفة.*

ابتسمت ماريا بحرج، وهي تعتذر للصغير بصوتها الرقيق:

- *هه.. أعذرني يا عزيزي، لكنني للأسف لا أُجيد صنع زهرة البنفسج.*

ومن خلفه، جذبته والدته برفق لتجلسه في حضنها، تعانق جسده الصغير بحنان وهي توبخه بلطف:

- *لا تُزعج الخالة ماريا.*

لكن ماريا لم تُظهر أي انزعاج من ملاحظة الصغير، بل ابتسمت له وأثنت عليه بحب:

- *أنت طفل ذكي يا ريوتا.*

ثم انحرف نظرها جانبًا لترصد راين وإدوارد، اللذين لم يُظهرا أي حماس لصنع الأزهار كما فعل بقية الأولاد، وقفا على مسافة وعلامات العبوس ترتسم على ملامحهما، تقدمت ماريا بابتسامة مشجعة وسألتهما بنبرة لطيفة:

- *ألا ترغبان في صنع واحدة؟*

استدار راين ناحية ماريا، ووجه نظراته الغاضبة إليها ليُجيب بصوتٍ مُتحدٍ:

- ما الفائدة من تعلم ذلك؟... فلمن سأهديها على أي حال؟

رمى بكلماته ومضى مبتعدًا بخطوات سريعة، بينما بقي إدوارد خلفه، يركل الحشائش تحت حذائه متجنبًا النظر إلى ماريا، قبل أن يهمس معتذرًا:

- أنا آسف... لكن راين محق هذه المرة.

وكما فعل صاحبه، انطلق مبتعدًا محاولًا الهروب من الموقف، أما ماريا، فقد ظلت مبتسمة برقة، دون أن تتأثر، قبل أن تعود إلى ريوتا، انحنت نحو الصغير بابتسامة دافئة وهمست بلطف:

- ريوتا، هل لي بطلبٍ صغير منك؟

أومأ الصغير موافقًا، فبدأت ماريا في طي المناديل الورقية بأصابعها الماهرة، لتصنع زهرتين متقنتين أمامه، سلمته الزهرتين بينما ترمق راين وإدوارد من بعيد وكلها تحدٍ، ثم قالت ببهجة:

انطلق ريوتا بخطى سريعة، وحماسة تملأ وجهه، ممسكًا بالزهرتين بيديه الصغيرتين يضمهما إليه، وهو ينادي بصوت عالٍ:

- راين..!..

تبددت تلك الذكرى كضباب منقشع من أمام عيني راين، رمش

للحظة قبل أن يُجيب هارو وكأنه أفاق من غفوته للتو:

- ماذا؟

رمقه ستيف بنظرة قلقة وسأله بصوتٍ هادئ:

- هل أنت بخير؟ تبدو شارد الذهن منذ اللحظة التي عبرنا فيها البوابة.

خلفهم، كان بهو الاستقبال يغص بالحاضرين، وقد امتلأ بأسماء لامعة من مشاهير مرموقين من جميع ولايات الدولة.

هيمنت أناقتهم وحضورهم الطاغي على مجموعة راين المتواضعة والمؤلفة منه هو وزميله المحقق ستيف، بالإضافة لـ هارو وبيانكا العضو الجديد في الفريق.

وسط زحام الحضور، برزت هيلين، الابنة الكبرى لـ كيليب، بخطوات واثقة اقتربت من راين ومن معه لترحب بهم:

- راين... هارو، يُسعدني أنكما تمكنتما من الحضور.

وبنبرة تهكمٍ صريحة ردّت عليها هارو:

لكن هيلين حافظت على هدوئها وردت بابتسامة صادقة مليئة بالود:

- بالطبع... تعالوا معي، سأرافقكم بنفسي إلى غرفكم.

***

في بقعة مظلمة أخرى من هذا القصر الكئيب، جلس العجوز بينجامين بيتفورد وحده في إحدى الغرف البعيدة عن صخب المدعوين، أمامه قطع حجارة الشطرنج مصطفة بدقة على اللوح الرخامي، وكأنها كتيبة جيش ترقب أوامر قائدها لخوض المعركة، انطلقت عيناه الحادتان في سبر عتمة الظلام الذي احتل زوايا الغرفة، غارقًا في التفكير مستغلًا لحظات الهدوء النادرة التي لم تدم طويلاً، فجأة، اقتحمت مارثا، أرملة ابنه المكان وهي تفيض

بالشكوى والتذمر حول تفاصيل صغيرة تتعلق بترتيبات الحفل، كانت على وشك الانفجار لولا أن أوقفها بينجامين بصوت حازم قائلاً:

- كفاكِ تذمرًا... لقد قطعتِ حبل أفكاري.

استدارت مارثا نحوه غاضبة، وقد ارتسمت على وجهها نظرة تحدٍ، وردت بنبرة ساخطة:

- أي حبل أفكارٍ هذا الذي تتحدث عنه؟ لا أراك تفعل شيئًا سوى الاسترخاء واللعب طوال الوقت.

توقفت للحظة، محاولةً تهدئة أنفاسها المتسارعة، قبل أن تستأنف بسخط مكبوت:

- ألم تخبرني بأنك ستتولى أمر الدعوات؟ هل تدرك الفوضى التي سببتها دعوة أشخاص غرباء؟

رفع بينجامين عينيه إليها ببرود، وأجاب وهو يقلب قطعة شطرنج بأصابعه:

- لقد أوكلت تلك المهمة لإدموند.

ثم انحنى إلى الأمام ببطء، شابكًا أصابع يديه في حجره، قبل أن يضيف بنبرة صارمة تخترق الهدوء:

ردت مارثا باستغراب وشيء من التوجس:

- متى حدث ذلك؟

أسند بينجامين ظهره إلى الكرسي وأجابها بنبرة هادئة تحمل مكرًا:

- تقابلا قبل عدة أيام، من برأيك سلّم راين بطاقة الدعوة؟ إنه إدوارد... لا يوجد دليل على أن هناك تعاونًا بينهما، لكنني غير مرتاحٍ لتوقيت رحلة عمل إدوارد، عليكِ أن تتحققي من هذا بأسرع وقت.

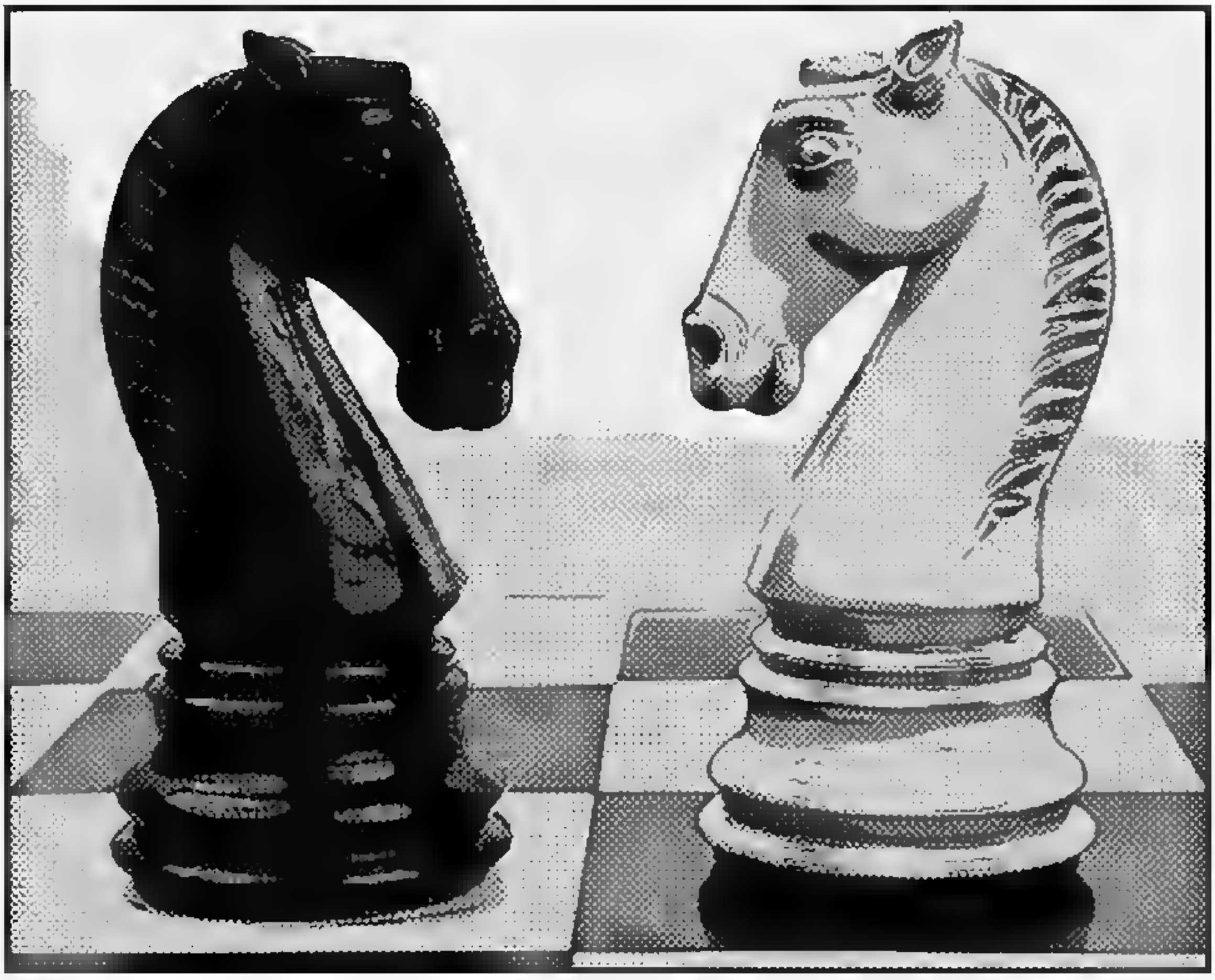

غادرت مارثا الغرفة بخطوات ثابتة، تصارع مخاوف بينجامين التي حاولت التسلل إليها، أمسكت هاتفها بحزم وفتحت محادثة مع أحدهم لتكتب بتركيز:

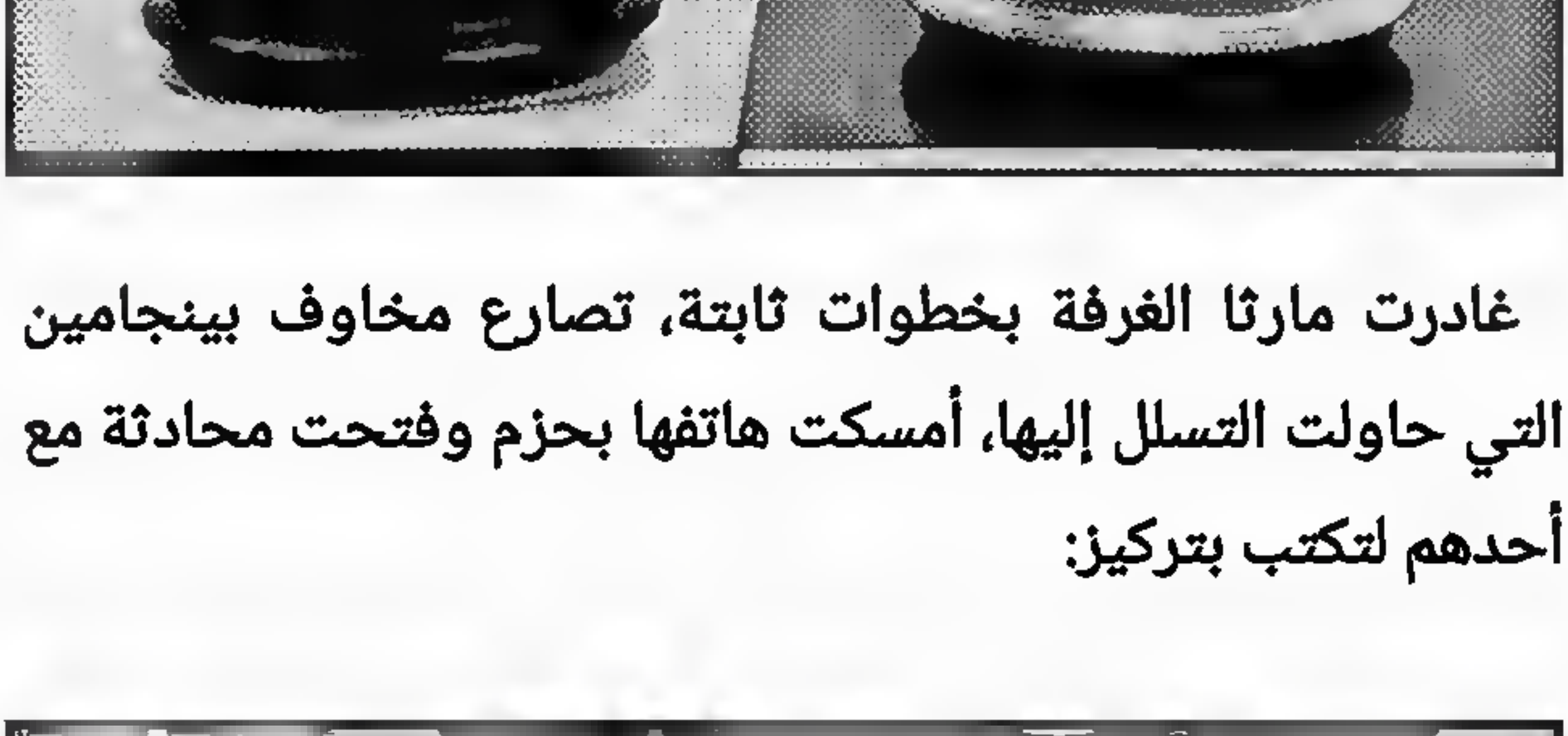

(أريد إجابةً الآن.. هل تواصل إدوارد معكم؟).

انتظرت لحظات وهي تُحدق في شاشة جهازها، ظلّ وجهها يحمل

نظرة حازمة لا تعكس أي ضعف، وكأنها تعلن تحديًا داخليًا لكل شكوكها، بعد برهة جاء الرد:

(لا، لم يفعل).

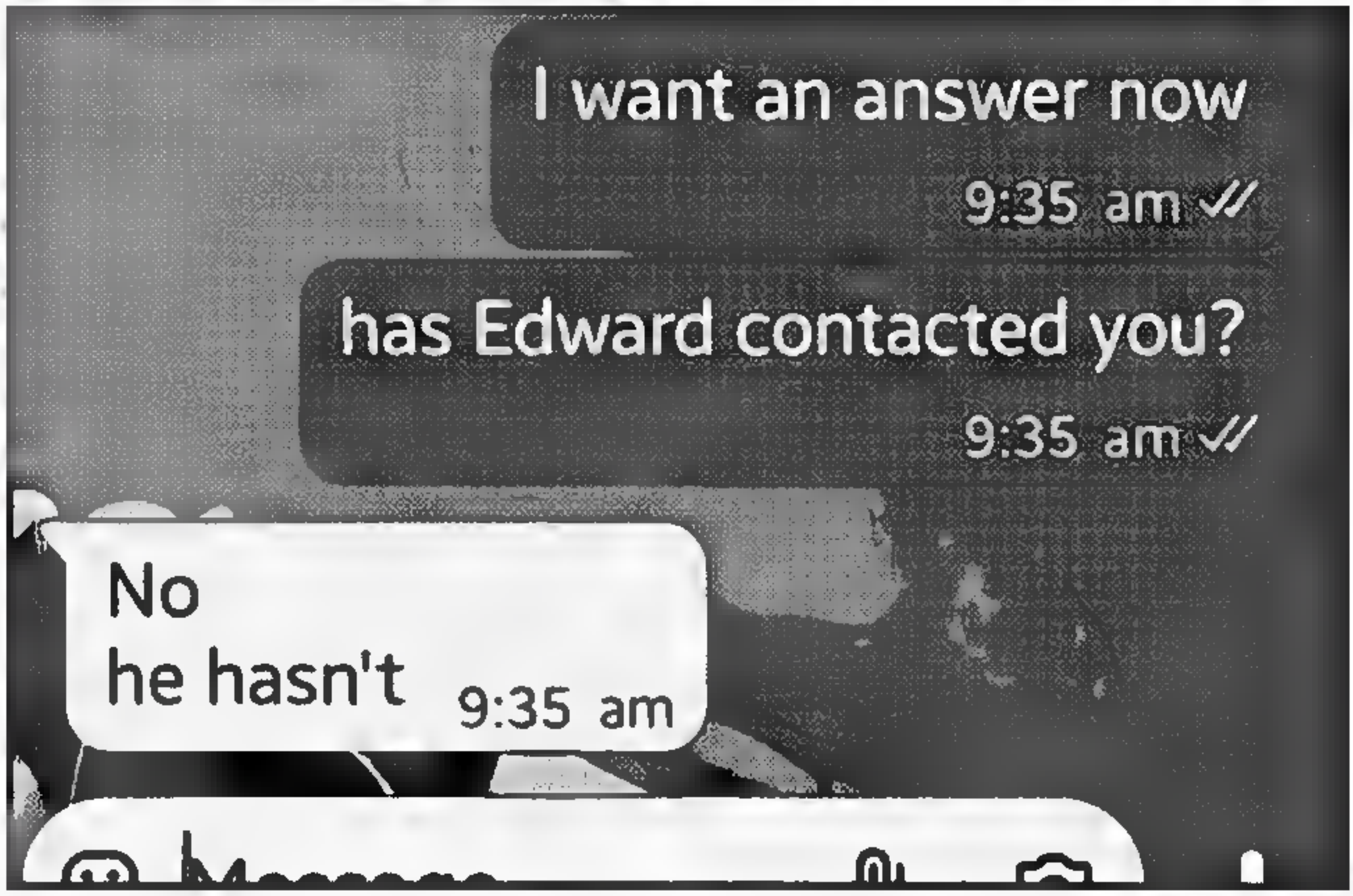

ابتسمت مارثا ابتسامة صغيرة، لم تكن تعبيرًا عن رضاها الكامل، إنما سخرية واضحة إلى صراعٍ غير مُعلن كان يغزو فكرها.

***

بعيدًا في قلب الجبال العالية التي اكتست قممها الشاهقة رداءً

ناصع البياض، انسحبت كارمن إلى غرفتها بعد تفسيرٍ طويل وشاق، جلست على حافة سريرها، حيث التقطت عيناها هاتف هيروشي المحمول الملقى على طاولةٍ قريبة، امتدت يدها نحوه بتردد، قبل أن تقطع خلوتها ابنة أختها التي دفعت الباب على مهل، ظهرت كيمبرلي من خلفه بابتسامة خفيفة لتسأل:

أذنت لها خالتها بكل سرور، فاندفعت الفتاة لتجلس إلى جانبها وقد لاحظت الهاتف المحمول، فسألت بفضول:

- أليس هذا جهاز العم هيروشي؟

أومأت كارمن مؤكدة، وقالت بصوت يعلوه القلق

- نعم إنه هاتفه.. لم يشأ أخذه معه حتى لا يُكتشف أمره..

توقفت وقد سمحت للقلق بأن يتسلل إليها كظل ثقيل، لكنها تابعت بعد لحظة من الصمت:

- لا أعرف ما الذي توصّل إليه حتى هذه اللحظة.. ولا أدري إن كان سينجح في الأمر الذي ذهب لأجله.

راغبةً بأن ترفع من معنويات خالتها، أجابت كيمبرلي بنبرة تفيض بالحياة:

- لا تقلقي يا خالتي فالعم هيروشي يُجيد التصرّف..

ثم أضافت وهي تلتفت نحو الباب لتشير إلى المشكلة بنبرتها المازحة:

- بدلًا من ذلك، علينا القلق على المجموعة التي معكِ الآن... فلا أعتقد بأنهم تقبلوا ما قلتهِ بشكلٍ جيد.

تنهدت كارمن بصوت خافت، ثم أومأت موافقة:

- معكِ حق، الأجواء أصبحت أكثر هدوءًا بعد أن صارحتهم بكل شيء.

- وما الذي سيحدث الآن يا خالتي؟

مُحاولةً تخيل المنظر لما خلف بابها المغلق أجابت كارمن على تساؤل ابنة أختها:

- لقد فعلتُ ما باستطاعتي.. والآن القرار بيد ريوتا.

على الجانب الآخر من باب غرفة كارمن، وبالقرب من الباب المُغلق في نهاية الرواق نفسه، كان ريوتا جالسًا على ألواح الأرضية الخشبية الباردة، يقلب المفتاح المعدني بين يديه، وعيناه مركّزة على الباب المقابل.

كان مُنغمسًا في أعماق أفكاره، منهمكًا في تركيب الصورة الكاملة ومستعينًا بجميع قطع الأحجية التي جمعها حتى الآن، ومع ذلك، ما تبقى من القطع يبدو أنه موجود خلف ذلك الباب، تردد صوت كلمات كارمن كالصدى في ذهنه عندما ناولته المفتاح قبل لحظات:

ثم أضافت وهي تسلمه المفتاح:

-لستَ مُجبرًا على فتح ذلك الباب.

امتزجت كلماتها مع صورة ماريا التي ملأت أحلامه:

ثم طفت ذكرى غائمة ليوم الاحتفال وساعة اندلاع الحريق:

وفي تلك اللحظة فقط، بدأ يدرك المشاعر التي اجتاحته لحظة لقائه الأول بـ كيتلين، رؤيته لها، مقرونة بوجوده داخل الفيلا نفسها، بعثت ذكرياته التي ظلت راقدة في أعماقه، لتطفو على السطح من جديد وتغمره كتيار جارف، عاد وجه ماريا ليظهر من بين ثنايا حلمه، ليحضر معه الكلمات التي لا تزال عالقةً تنتظره:

فثجيب والدته بابتسامتها البشوش من يوم الاحتفال:

- ريوتا كن ولدًا مُطيعًا واستمع لكلام راين، فهو بمثابة أخيك الأكبر، اتفقنا.

راين، الصبي الذي أمسك بيده يومها وقاده إلى القاعة قائلًا:

- تعال معي سأعرفك على صديقٍ آخر.

الصديق الذي اتضح بأنه إدوارد، الصبي الذي حمل السلاح وأطلق على ذلك الشاب المجنون وسط ألسنة اللهب في تلك الليلة المشؤومة.

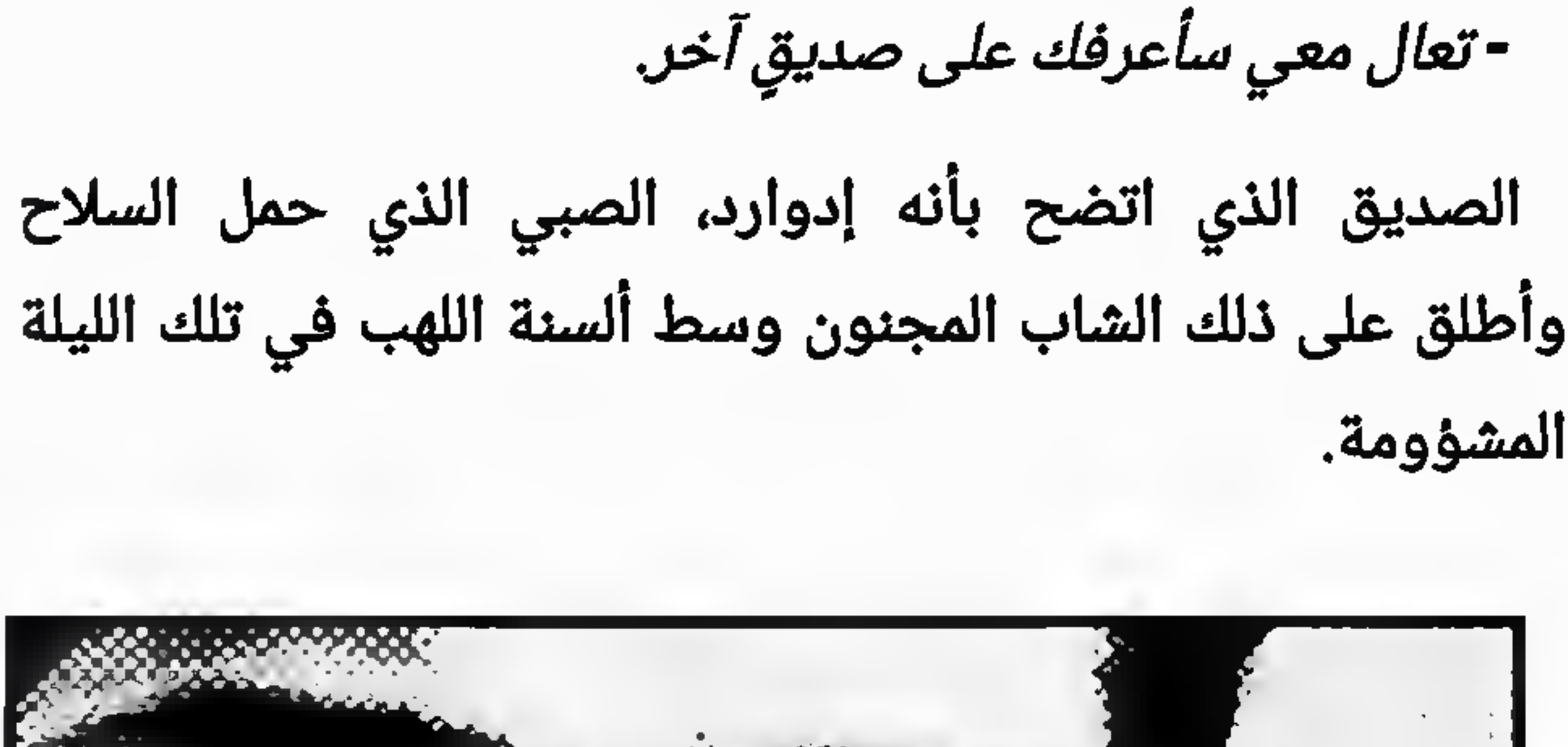

ما زالت هنالك القليل من القطع المفقودة، اختفت بعض التفاصيل

خلف ستارٍ من الغموض، ما الذي كانت ماريا تحاول قوله؟

حتى مع تفسير كارمن، ظلت الصورة ناقصة، مما دفع ريوتا

لاسترجاع كلماتها التي قالتها قبل لحظات:

- السبب الذي يدعوني لأخبرك بأمر ماريا لأنها.. لأنها كانت معكما أنت ووالدتك في السيارة.

مُتجاهلةً وقع الخبر عليهم، وأكملت كارمن بصوتٍ يحمل الكثير من البؤس:

- تفاجأنا جميعًا عندما علمنا بأنها كانت معكما في السيارة... فأنت ووالدتك كنتما في طريق العودة من المدرسة.

مُلتمسًا المزيد في بريق عينيها، سأل ريوتا دون تردد:

- هنالك المزيد، أليس كذلك؟

- نعم..

أوطأت كارمن رأسها بعد أن تمكن الحزن من شق طريقه لقسمات وجهها، فقالت:

- لا أعرف كيف أقول ذلك.. ولكن..

تدخل إدوارد، محافظًا على هدوء أعصابه، ليقول واثقًا من استنتاجه:

- على الأرجح لم يكن مجرد حادثٍ عادي... أهذا ما أردتِ قوله؟

ردت كارمن على الفور، وكأن الغضب هو من يقودها للحديث:

- لا يا إدوارد، ليس من المرجح... بل بكل تأكيد، ذلك لم يكن حادثًا عاديًا، جاكي وماريا لم تموتا بسبب اصطدام السيارة..

رفعت كارمن رأسها، ونظرت مباشرة في عيني ريوتا، لتكمل:

تابعت كارمن حديثها، وهي تراقب الفراغ الذي غزا عيني ريوتا:

-أنت تعلم جيدًا ما الذي يعنيه هذا.

ذكرها لطلقات النار كان كافيًا لتفسير ردّة فعله عندما سمع صوت الطلقات في اليوم الذي هرع لإنقاذ أخته في منزلهم القديم، تجمد في مكانه حينها، عاجزًا عن الحركة، وكأن الزمن توقف عند تلك اللحظة، صوت الرصاصتين كان بمثابة الشرارة الأولى التي أيقظت شيئًا دفينًا في أعماقه، نعم، الآن بات يعرف تمامًا ما الذي يعنيه كل هذا.

بالعودة إلى الحاضر، وبعد انسحاب كارمن إلى غرفتها، ظلت ميغان وإدوارد في الغرفة وحدهما، بدت ميغان شاردة، تغرق في بحر من الحقائق الثقيلة التي ألقتها كارمن قبل لحظات، وبينما كانت تهم بفتح فمها لطرح سؤالها على إدوارد، وجدته يهمّ بمغادرة السرير، فاندفعت بسرعة لإيقافه:

- توقف... إلى أين تظن نفسك ذاهبًا؟

غير مُكترثٍ بجرحه أو بأي شيء آخر، أجابها إدوارد وكله عزم:

- إما أن تُعاونيني يا ميغان... أو تنحي جانبًا.

تجاوزها بخطوات حاسمة نحو الرواق، وإلى حيث كان ريوتا ما يزال غارقًا بالتفكير في خياراته، وما إن وقع بصره على إدوارد حتى وقف على الفور بقلق:

رد إدوارد بنبرة مشحونة بالمشاعر المتضاربة:

- بل ما الذي تفعله أنت هنا؟... ما فائدة قدومنا إلى هنا إن كنت لن تفتح هذا الباب؟

بنبرة كانت أقرب إلى العتاب تابع إدوارد حثّ ريوتا على المضي قدمًا، لكن صوته لم يمر دون أن يصل إلى مسامع دانيال، الذي تدخّل بغضب:

- ما هذا الهراء الذي تتفوه به يا إدوارد؟

وقبل أن يزيد من توتر الوضع، تدخلت ميغان بسرعة وأمسكته لتشده بعيدًا:

- لا تتدخل، لا يا دانيال.

ورغم ذلك، أشار دانيال بعناد نحو ريوتا وإدوارد، ليقول مُوضحًا رأيه:

- لا يمكنه أن يُجبر ريوتا على فتح ذلك الباب.

غير أن ميغان ردت بهدوء يكاد يخفي حدة كلماتها:

- أتعلم يا دانيال؟ ربما لهذا السبب لم يخبرك ريوتا بأمر هذه الرحلة.

تردد دانيال للحظة، صمته حمل في طياته علامات الاستفهام للمعانى الخفية خلف ما قالته الفتاة، أدارت ميغان رأسها نحو أخيها واستأنفت بنبرة واثقة:

- أنا نفسي لم أدرك في البداية، لكن أعتقد أنني فهمت الأمر أخيرًا... أنت يا دانيال لا تعرف إدوارد جيدًا، لطالما كان الداعم الأكبر لي ولـجيسيكا، في الأوقات التي كنت أقع فيها في المشاكل، كان الوحيد من بين إخوتي الأكبر سنًا الذي يقف إلى جانبي، وعندما كنت أتخاذل عن أداء أي شيء، حتى لو كان فرضًا مدرسيًا، كان هو من يدفعني لإنجازه، ولو اضطره الأمر إلى توبيخي.

توقفت ميغان لوهلة، ثم نقلت نظرها من أخيها إلى ريوتا وقالت بحقة:

- ريوتا يُجيد الحكم على الآخرين، لذلك يمكنني القول بحقة إنه أدرك هذا الجانب من إدوارد... ربما كل ما أراده ريوتا هو شخص يدفعه للأمام، وهذا بالضبط ما كان إدوارد يفعله وما زال.

على الجهة الأخرى، كان إدوارد قد هدأ قليلًا، وتراجعت الحدة عن

صوته المرهق، قال بمحاولة أخيرة:

- لم نقطع كل هذه المسافة فقط لتتوقف الآن... أليس كذلك؟.. أنا لا أحاول أن أفرض رأيي عليك... لكن... هناك أمرٌ لم تذكره الخالة كارمن، وأعتقد أنه عليك أن تعرفه قبل أن تقرر.

وبعينين غارقتين في حزنٍ عميق، لفظ إدوارد بسره الثقيل:

كانت تلك هي القطعة الأكبر من الأحجية، الصبي الذي رآه ريوتا في حلمه لم يكن سوى إدوارد، ابن ماريا، الفتاة التي كانت إحدى ضحايا كيليب بيتفورد، تحملت المأساة الأعمق؛ فلم يُسمح لها برؤية ابنها، كحال جميع ضحاياه، ومع ذلك، تحدّت ماريا قسوة قدرها لتلتقي بابنها في الخفاء، وفي إحدى تلك اللحظات النادرة، ترجاها الصغير باكيًا:

ابتسمت له بحنان يُخفي ألمها، وقالت بصوتٍ دافئ:

- أعدك يا صغيري بأننا سنراقب النجوم معًا في المرة القادمة.

اعترض الصغير، وكأن بكلمات والدته لا تكفي لتهدئته:

- ولكن..

وسط نسمات المساء التي زادت من برودة المشهد، جلست ماريا على ركبتيها أمامه، واحتضنت وجهه بكفيها، ثم قالت برجاء:

- سيغضب والدك إن لم تعد الآن..

انهمرت الدموع من عيني الصبي، وحاولت مسحها بإبهامها، بينما ظلت الابتسامة الحنونة لا تفارق وجهها، لتضيف بلهجة مليئة بالوعد:

- لا تحزن يا صغيري... أعدك بأن أجد حلًا لهذا الوضع.

وها هو إدوارد اليوم يقف أمامهم، يحمل في قلبه وعد والدته الذي لم تُكتب له الحياة ليصبح حقيقة، وسط صدمة الجميع، تابع كلامه بنبرة تخفي خلفها ألمًا دفينًا:

- بسبب والدي، لم أتمكن من أن أعيش معها أو حتى أن أناديها بـ "أمي"، كنت أختلق شتى أنواع الأعذار لزيارتها، وفي كل لقاء، كانت تعدني بأنها ستجد حلًا يضمن لنا أن نعيش معًا بعيدًا عن نفوذ أبي.

تنهد إدوارد وهو يستحضر ذكرى حادثة الحريق ودخول كيليب بيتفورد في غيبوبة، ثم واصل حديثه:

- ولكن حتى بعد خروج والدي من الصورة، لم يتغير الكثير، سطوة عائلة بيتفورد لا تقتصر عليه وحده... لذلك، واصلت لقاءاتي معها كما اعتدت، ومع مرور الوقت، أصبحتم جميعًا تأتون أيضًا.

ابتسم إدوارد بمرارة تُثقِل ملامحه، وأردف:

- هه، يمكنك أن تتصور كيف أصبح الوضع.. أشبه بلقاءٍ عائلي، ولكنني لا أعنيها بطريقة سيئة، كانت تلك أقرب صورة للعائلة حظيت بها على الإطلاق... حتى ذهب كل شيء مع ذلك الحادث.

عاد مشهد السيارة لغزو أفكاره، فواصل بنبرة محبطة:

- عشت مُعتقدًا طوال هذه السنوات أنه مجرد حادث، ولهذا حاولت تجاوز الأمر برمته..

لكن وطأة الخبر الذي ألقته كارمن كان أكبر من قدرته على التحمل، وكأن بها أيقظت كل مشاعره التي سعى جاهدًا لدفنها، نظر إدوارد نحو الباب ليتابع:

- أما الآن، وقد عرفتُ الحقيقة، أشعر بأن الدماء بدأت تفور في داخلي... أريد أن أعرف إن كانت والدتي قد ماتت بسبب ذلك الوعد السخيف.

وللمرة الأخيرة أدار الشاب رأسه ناحية ريوتا، وقال بنظرات راجية:

مدّ ريوتا ذراعه ناحية إدوارد، وفتح راحة يده التي تحمل المفتاح وهو يقول:

- يمكنك أن تفتح الباب.

- هل أنت متأكد؟

ابتسم ريوتا واثقًا وهو يضع المفتاح في يد إدوارد، ليُجيب:

وفي تلك اللحظة، فُتِح باب غرفة كارمن، لتخرج كيمبرلي بحماسة لم تستطع كبحها وهي تقفز قائلة:

- وأخيرًا! اعتقدت أنني لن أرى ما يوجد خلف ذلك الباب.

ابتسم دانيال بخفة وهو يعلق على حماسها:

- تبدين سعيدةً جدًا.

أجابته كيمبرلي بلهجة أقرب إلى المزاح، إلا أنها تحمل حماسًا متقدًا:

- أتمزح معي؟ منذ اللحظة الأولى التي أتيت بها للعيش هنا، والفضول يكاد يقتلني لمعرفة ما يخفيه العم هيروشي خلف هذا الباب.

وسط توتر وترقب يملأ المكان، أدخل إدوارد المفتاح في قفل الباب، أداره ليصدر صوت تحرر القفل المعدني الصدئ.

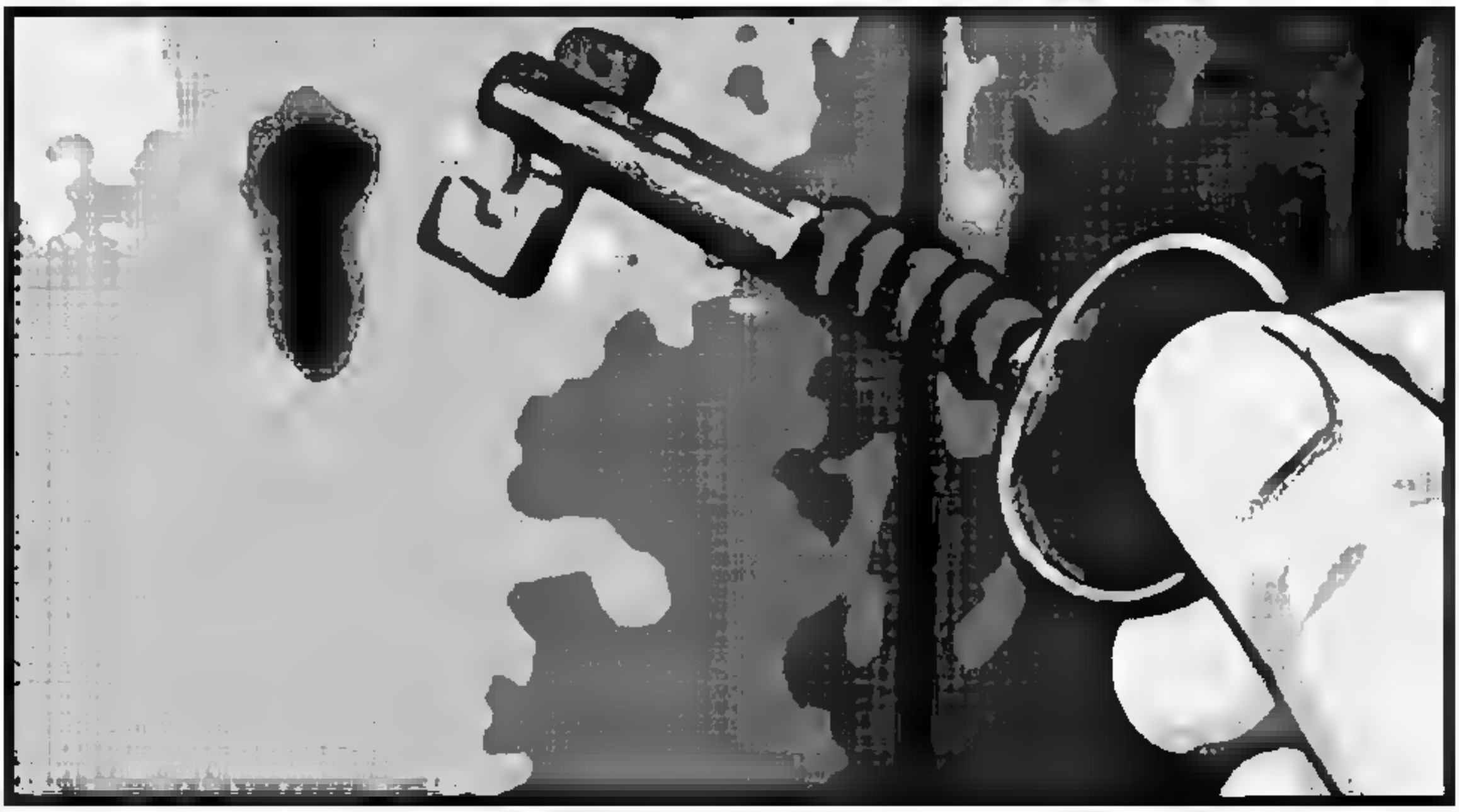

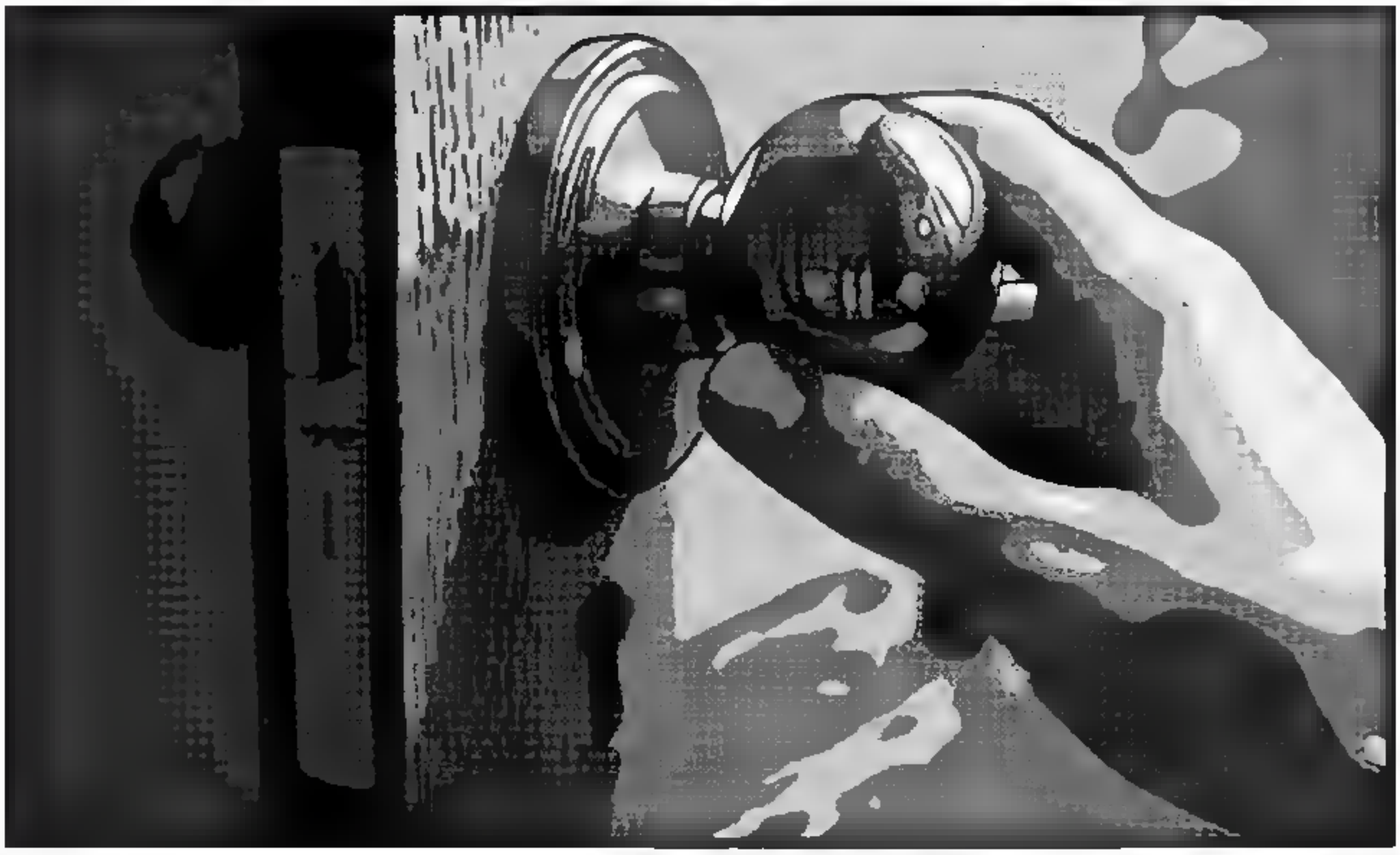

ذلك الصرير الذي أشار إلى أنه لم يُستخدم منذ وقت طويل، دفع الشاب بدرفة الباب إلى الداخل ببطء، ليبتلعها الظلام القابع هناك قبل أن يسمح نور الرواق بالتسلل تدريجيًا، كاشفًا المعالم المُخبأة في الداخل، ومع انسحاب الظلام واستسلامه للنور، بدأت ملامح المكان تتضح تدريجيًا، اتسعت عينا ريوتا في دهشة مفاجئة، وقال مُشيرًا إلى ما يراه أمامه:

- أيُعقل أن تكون هذه...؟

أومأت كارمن برأسها، مجيبةً سؤاله المبتور:

- نعم، إنها هي... لقد بحث والدك طويلاً عنها حتى وجدها، ثم أخفاها هنا.

تقدم الجميع خلف إدوارد بخطوات حذرة، ليتكشف لهم المرآب الشاحب الفغبر، يتوسطه حطام سيارة جاكلين، السيارة ذاتها من يوم الحادث المأساوي، كان التحدي الأكبر لـ هيروشي منذ البداية هو العثور على تلك المركبة المحطمة، وعندما تمكن من ذلك، قرر تفكيكها تمهيدًا لنقلها وإعادة تجميعها هنا.

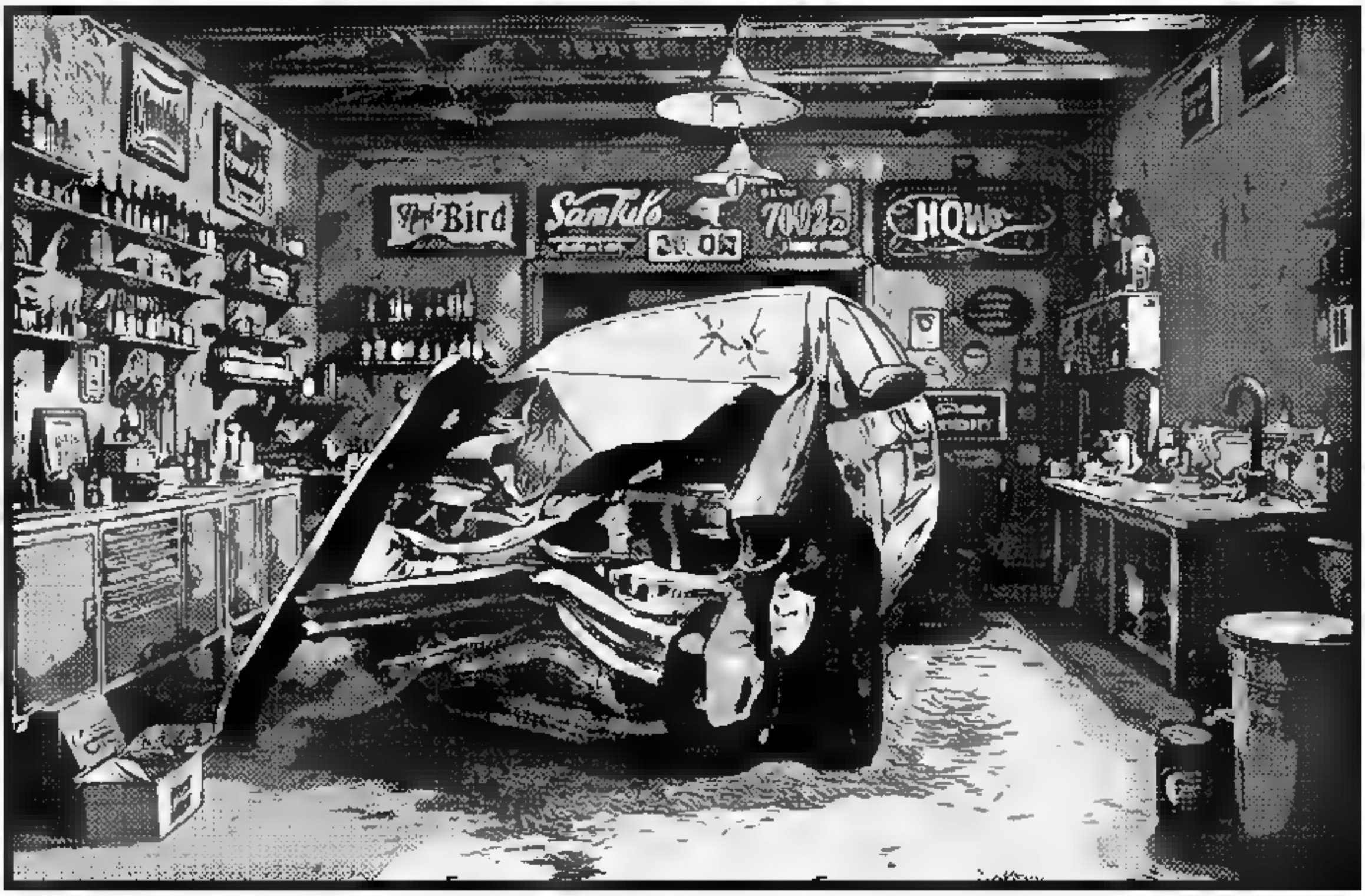

في ذلك اليوم، وقف هيروشي إلى جانب كارمن أمام الدليل الوحيد الذي امتلكه، قرر حينها بكل عزم أن يحافظ عليه مهما كان الثمن، وقبل أن يغلق الباب، سألته كارمن بصوتٍ يحمل القلق والتساؤل:

- ألن تخبره الآن وقد وجدتها؟

ثبتت نظرات هيروشي على حطام سيارة زوجته الراحلة، وكأنه يبحث في الصمت عن إجابات عالقة، رد بنبرة حازمة، غير قابلة للنقاش:

- لا... لن أفعل ذلك.

غير مُدركةٍ لما يخطط له عادت كارمن لتسأل باستنكارٍ لموقفه:

- إذًا، لماذا تكبدت كل هذا العناء إن كنت لا تنوي إخباره؟

أبقى هيروشي عينيه على مقدمة السيارة المحطمة، متأملاً تفاصيلها التعيسة حتى أجابها بصوت واثقًا من خياره:

- ريوتا كان واضحًا عندما قال إنه لا يريد أن يتذكر شيئًا... لذلك سأحترم رغبته وأنتظر... سأنتظر حتى يأتي إليّ بنفسه.

بإحباطٍ يُثقل كلماتها، ردت كارمن وهي تهز رأسها وكأنها تتوقع الأسوأ:

- وإن لم تقده قدماه إليك؟

حينها، ارتسمت على وجه هيروشي ابتسامة مفعمة بالأمل، تعكس إيمانًا راسخًا:

- *عندها، سأجد حلًا آخر.*

كان قرار هيروشي مجازفة لا يمكن الاستهانة بها، وما كان ليقدم على أي شيء من ذلك إلا لعلمه بأن تلك الأفكار لا تنتمي لابنه، ولهذا السبب أيضًا، قرر المضي قدمًا في السعي وراء الدكتور لوغان بطريقته الخاصة.

لم يكن لدى هيروشي أي دليل قاطع يدين الدكتور لوغان، ومع ذلك، لم يكن مستعدًا لتجاهل تلك الإشارات مهما بدت ضعيفةً وباهتة، كان شغفه بالحقيقة هو الدافع الذي قاده إلى الاقتراب من المشتبه به، من نافذة غرفته في المستشفى، ألقى نظرة خاطفة،

ورصد بعينيه تحرك أغصان الأشجار الجافة التي بدت وكأنها تعكس تغير اتجاه رياح الخريف.

***

في مكان ما تحت أرض قصر عائلة بيتفورد، وضعت كيتلين يدها على الباب في نهاية القاعة الشاسعة التي اصطفت على جانبيها الأعمدة الرخامية الضخمة، كان الصمت يلف المكان، عندما أدارت إيمّا رأسها لتتأمل تفاصيله، وقالت بنبرة مشوبة بالتوتر:

- الأمور تزداد غرابة.

ردت عليها كيتلين، متسمرةً أمام الباب وعاجزة عن الإشاحة بنظرها:

غير مدركة للمعنى الحقيقي لكلامها، قالت إيمّا:

- أفهم ما تعنين، فكل الأبواب هنا متشابهة.

هزت كيتلين رأسها سريعًا، وأجابت بحزم:

- لا يا إيمّا، ليس هذا ما قصدته.

توقفت كيتلين قبل أن تتمكن من تفسير أي شيء بعد أن سمعت صوت وقع خطواتٍ على الجهة الأخرى للباب، التقطت يد إيمّا بسرعة، وسحبتها إلى الخلف وهي تهمس بانفعال:

- أحدهم قادم!

هربت الصديقتان بقلوب تخفق بتوتر شديد، وعادتا من حيث أتيتا، وبحذر شديد، أرجعتا الخزانة الخشبية إلى مكانها لتغطية مدخل القاعة، ثم غادرتا المكان، وفي طريق العودة إلى جناح الضيوف، توقفت إيمّا، تلهث محاولةً التقاط أنفاسها، لكنها لم تستطع كبح ضحكة فرحة:

- الحمد لله أننا خرجنا قبل أن يرونا!

رغم ذلك، قوبلت كلماتها بنبرة جادة ومُتجهمة من كيتلين:

- ما كان علينا أن نهرب بهذه الطريقة.

- ماذا!

سألتها إيمّا مُستنكرة، فردت كيتلين بإصرار، وكلها خيبة أمل:

- كان من الأفضل أن نختبئ لمراقبة من كان هناك.

تخصرت صديقتها، وأجابت بلهجة تُظهر تهكمها:

- أوه، نعم، كما لو أننا سنعرف من كان هناك! كيتي، نحن لا نعرف أحدًا هنا سوى مارثا وأبنائها المختلين و... راين!

- راين!

وفي لحظة، تغيرت ملامح إيمّا وهي تشير نحو الرواق خلف كيتلين بذهول:

كان راين يسير برفقة هيلين والمجموعة في طريقهم إلى جناح الضيوف، وقبل أن يتمكن من ملاحظة الفتاتين، دفعت كيتلين بإيما نحو ممرٍ جانبي وهي تهمس بسرعة:

- لنبتعد قبل أن يرونا!

استمرت المجموعة في اجتياز الرواق، حتى توقفت بهم هيلين أمام جناح الضيوف، مُشيرةً إلى غرفتين وقالت:

- يمكنكم استخدام هاتين الغرفتين... وستجدون جدول الحفل في الداخل.

شكرها ستيف نيابة عن الجميع، وانتظر راين حتى ابتعدت هيلين قبل أن يبادر بالكلام بحذر شديد:

- سنلقي نظرة على جدول الحفل الآن، ثم ننتظر وصول الطرد.

وافق الجميع على ما قاله، وتوزعوا بين الغرفتين، دخل راين وستيف إحدى الغرف، بينما توجهت هارو وبيانكا إلى الغرفة الأخرى، اقتربت بيانكا، قصيرة الشعر، من السرير حيث وجدت

جدول الحفل لتلتقطه، فاقتربت منها هارو لتلقي نظرة بدورها:

- يبدأ الحفل في الساعة التاسعة مساء اليوم... اعتقدت أنه سيعقد في الليلة الثانية!

في الغرفة الثانية، لاحظ راين وستيف التفاصيل نفسها التي أثارت استغرابهما، بادر ستيف بطرح تساؤله، نبرة صوته تحمل مزيجًا من الفضول والحذر:

- هذا غريب... لماذا قد يُقيمون الحفل في ليلتين متتاليتين؟

رد عليه راين وهو يحك ذقنه ببطء، وعيناه متسمرة نحو الجدول، وكأنه يحاول فك شيفرة خفية:

- ربما كان هذا بهدف التمويه.

***

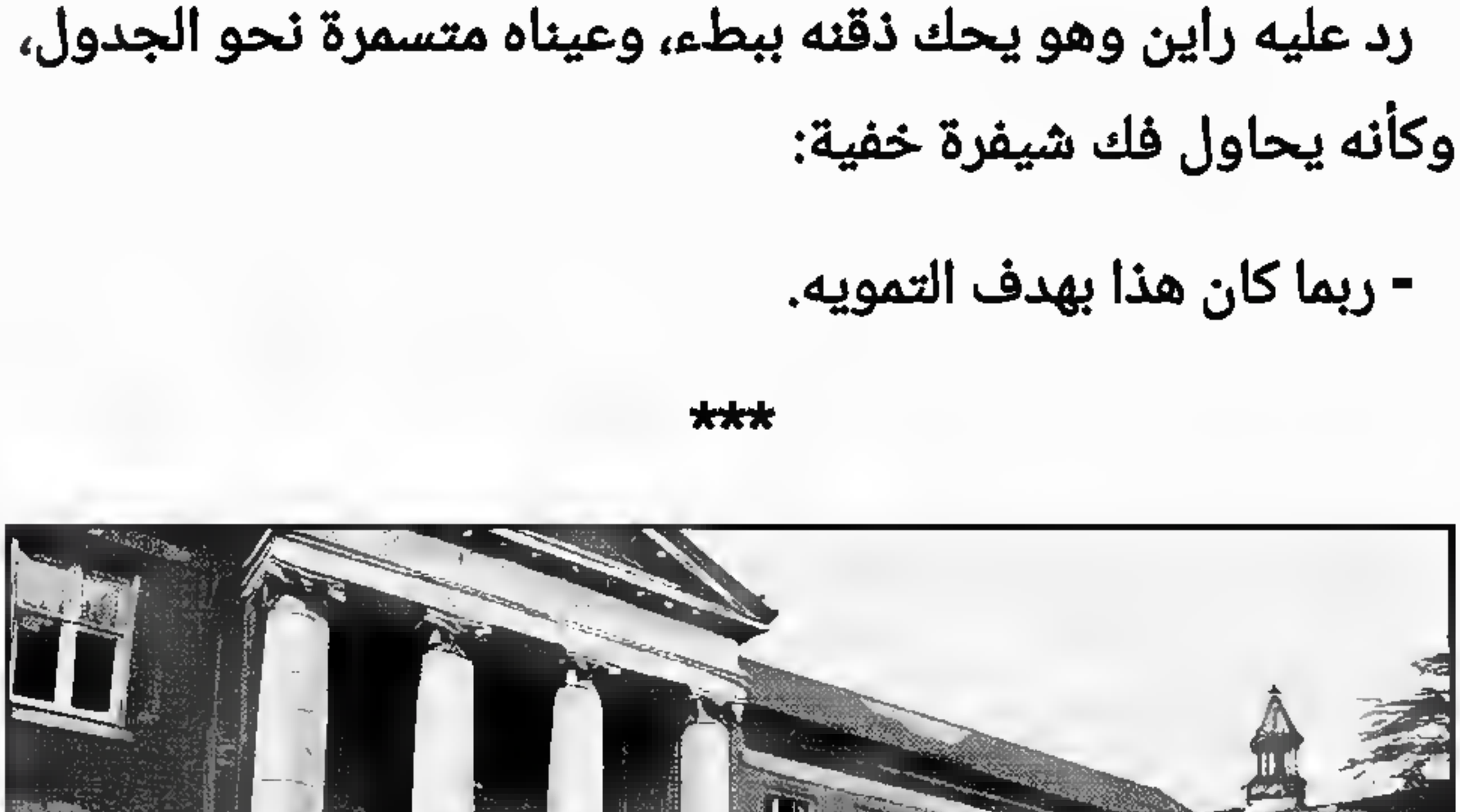

انتهى لقاء ماثيو ويوميكو بالأستاذ براون، وخرج الاثنان من مبنى الجامعة تحت سماء شاحبة تُنذر بتغير الأحوال، بينما وصلا إلى

السيارة، وقفت يوميكو عند الباب، وأمسكت بمقبضه. لكن قبل أن تفتحه، ترددت للحظة وقالت مُقترحة:

- ربما من الأفضل أن نذهب إلى الحفل.

على الجانب الآخر للسيارة، نظر إليها ماثيو بتمعن وسأل:

هزّت يوميكو رأسها بسرعة، نافية الفكرة وقالت بتنهيدة قصيرة:

- لا، أعتقد أنه من الأفضل تأجيل هذا الموضوع، لا أرغب في أن أصدمها بأمر كهذا..

ثم تابعت بنبرة أكثر جدية، تشير إلى سوء الوضع:

- كل ما أفكر فيه الآن هو ما قاله الأستاذ براون عن ذلك الحفل..

مُستعيدةً حديث الأستاذ براون، والذي أشار به إلى حفل الهالوين والتغير الغريب الذي طرأ على المجموعة بعد عودتهم منه، شدّت يوميكو على مقبض الباب، وقد بدا القلق واضحًا في ملامحها،

نظرت إلى ماثيو، وخرجت كلماتها بصوتٍ يكاد يخنقه التوتر رغم ثباتها:

***

بالعودة إلى الغرفة، راحت كيتلين تسير جيئة وذهابًا بقلق واضح، تقضم أظافرها وهي تتمتم بنبرة متوترة:

- إنه هنا.. راين موجودٌ هنا...

من على السرير، تابعت إيڤا حركاتها بعينيها، بينما كانت تحتضن الوسادة التي استندت ذقنها عليها، وقالت:

- ما الذي جرى لعقلكِ؟ ألستِ من أخبرني أنه سيحضر الحفل؟

توقفت كيتلين فجأة، وكأن كلمات إيڤا أيقظتها، لتلتفت إليها وتقول:

- أعلم، لكنني لستُ مستعدة لمواجهته... لا أستطيع حتى النظر إلى عينيه.

رفعت إيمّا حاجبيها بدهشة طفيفة قبل أن تقول:

- حالتكِ أسوأ مما توقعت... تعالي.

رمت إيمّا الوسادة جانبًا ونهضت عن السرير، متوجهة نحو الباب، مما دفع كيتلين للسؤال:

- إلى أين؟

- لنذهب ونُجري بعض التحريات، هكذا لن تجدي وقتًا للتفكير في راين.

ثم أضافت إيمّا بابتسامة خفيفة وغمزة ماكرة:

***

أمام نافذة غرفته، كان توماس يراقب توافد المدعوين، مرتديًا ملابس النوم، يحتسي قهوته بهدوء وكأنه غير معني بما يجري، لم يدم هذا المشهد طويلًا، إذ انفتح الباب بعنف، ودخلت مارثا دون أن تكلف نفسها عناء الطرق، انتظرته حتى يترك موقعه في الشرفة ويعود إلى الداخل، ثم ألقت مجموعة من الصور على سريره لتسأله بحدة:

- ما تفسيرك لهذا؟

جلس توماس على السرير ببرود، وضع ساقًا فوق الأخرى، والتقط الصور متظاهرًا بعدم معرفته بأمرها، قلّبها واحدة تلو الأخرى وقال بلا اكتراث:

- وما المشكلة؟ ليست أول فتاة أواعدها.

انفجرت مارثا به غاضبة:

- ألم تجد إلا هذه الفتاة؟

رفع توماس عينيه ناحية والدته، ورمقها بنظراتٍ حملت بين طياتها تحدٍ صامت:

- وما هو الخطب بمواعدة هذه الفتاة؟

مُتفاديةً الإجابة أشارت مارثا إلى الصور لتأمره:

- ستنفصل عنها فورًا.

رد توماس بجرأة متحديًا:

- لن أفعل، لا يوجد سبب يدعوني لذلك.

اقتربت مارثا منه، صوتها يفيض بالتهديد:

- لا تختبر صبري لأكثر من ذلك يا توماس.. فأنت من سيندم في النهاية.

نهض توماس غاضبًا، وارتفع صوته بعد أن فقط هدوء أعصابه:

- سببٌ واحد.. كل ما أحتاجه هو سببٌ واحد وسأنفذ رغبتكِ بكل سرور.

تجاهلت مارثا طلب ابنها بعد أن أدركت مراده، أدارت ظهرها وسارت نحو الباب، وقبل أن تغلقه، التفتت وقالت ببرود:

- لِعلمك فقط... الفتاة وصلت إلى القصر.

اجتاحت توماس رغبة مفاجئة لرؤية كيتلين لحظة سماعه بخبر وصولها، إلا أنه لم يتمكن من تجاوز الباب، إذ وقفت مارثا في طريقه، تخاطبه بنبرة صارمة:

- لا تتحمس كثيرًا، لن تغادر هذه الغرفة.

وباعتراضٍ أجابها:

- لست طفلًا لتمنعيني من مغادرة غرفتي.

ردت مارثا بحدة:

- إذًا أثبت لي عكس ذلك وانفصل عنها.

- أخبرتكِ بأنني سأفعل إن أعطيتني سببًا مقنعًا.

لم يُدرك الشاب بأن عناده كان الوقود الذي يُغذي إصرار والدته، وهنا حدجته مارثا بنظرةٍ مرعبة لتقول:

ثم أغلقت الباب خلفها، واستدعت كبير الخدم ألفريد:

- أبلغ الجميع أن توماس سيبقى في غرفته لليومين القادمين، وأي شخص يسمح له بالمغادرة سيُعاقب.

***

بالقرب من جناح العائلة، على بعد رواقٍ واحد، كانت كيتلين وإيمّا تسيران بحثًا عن توماس، وبعد بحثٍ طويل عقيم، بدأت إيمّا بالتذمّر، كعادتها:

- ما هذا الهراء! لا أثر لأي أحد من عائلة بيتفورد، يظهرون لنا فقط عندما لا نحتاج إليهم.

لم تكد تُنهي جملتها حتى لمحت مارثا تبتعد عن غرفة توماس وتتقدّم نحوهما، تجمّدت الفتاتان في مكانهما، وفجأة، فُتِحَ بابٌ قريب وسحبهما أحدهم إلى الداخل عنوة، ليُغلق الباب قبل أن تنتبه مارثا.

استدار الشاب الذي جرّهما بابتسامةٍ عريضة، وكأن شمس يومه قد أشرقت للتو، فقفزت إيمّا لتهتف بفرح:

- أليكس! لم أكن أعتقد أنني سأقول هذا أبدًا، لكنني سعيدة

برؤيتك!

رتّع أليكس ذراعيه واتكأ على الباب خلفه بسخرية:

- وما كان حديثكِ قبل قليل عن ظهورنا في الوقت غير المناسب؟

- هل تحاول افتعال شجار الآن؟

تدخّلت كيتلين سريعًا لتوقف النقاش قبل أن يتصاعد، شكرت أليكس أولًا، ثم سألته بجدية:

- أيمكننا الوثوق بك يا أليكس؟

ودون أن تنتظر إجابته، ألقت إيما بطلبهما:

- نحن لم نلبّ الدعوة لأننا أردنا الاحتفال، بل للتحقيق بأمر عائلتك.

أطلق أليكس صفيرًا يدلُّ على مدى دهشته وقال:

- واو جميلة وجريئة، أقدر صراحتكما، ولكن احذرا، ولا تثقا بأحد.. حتى أنا.

عقدت إيما حاجبيها مُنزعجة من جوابه:

- أيعني هذا بأنك ستشي بنا؟

أشار أليكس إلى الباب خلفه مُجيبًا:

- لو أردتُ أن أشِيَ بكما لكان من الأسهل لي تركككما في الرواق قبل قليل.. كل ما في الأمر أنني أحاول تجنب المشاكل، فلا نية لدي لأعلق بصراع هذه العائلة.

لم تكن لامبالاة أليكس وليدة لسذاجته، بل كانت أسلوبًا ماكرًا، مكّنه من مراقبة الجميع دون إثارة الشبهات، كل من حوله أرخوا دفاعاتهم أمامه، فأصبح العين التي شهدت بصمت، والأذن التي أصغت إلى الأسرار، هذا ما أدركته كيتلين التي بادرت لتقول:

- نحن لا نرغب في جرّك إلى مشاكل مع عائلتك، لكن أيمكنك على الأقل أن تخبرنا عن سبب إقامة هذا الحفل بعد انقطاع طويل؟

تمهّل أليكس لبرهة قبل أن يُفضي بأي شيء للفتاتين، انتقى كلماته جيدًا، ثم قال:

- حسنًا، سأساعدكما إلى هذا الحد فقط...

اقترب منهما، ومال بجسده ليهمس وكأنه يخشى أن تصغي الجدران إلى حديثه:

- قبل أيام قليلة، سمعت والدتي تتحدث عبر الهاتف عن اختيار وريث للعائلة، كان أبي هو الوريث المسؤول، رأس العائلة إن صح التعبير، ورغم ما حدث له، ظل محتفظًا بمنصبه، بينما شغلت والدتي موقعه مؤقتًا، والآن، بعد موته، يجب اختيار شخص آخر.

وقبل أن تقاطعاه، أكمل قائلاً:

- أعلم ما الذي تفكران فيه "ما علاقة الضيوف بهذا؟"..

ابتلعت إيما ريقها وهي تحاول استيعاب حجم الأمر:

- بإشارتك إلى الجميع، هل تعني كل المدعوين إلى الحفل؟

- تمامًا.

خطت إيما بعيدًا، غير قادرة على استيعاب مدى ضخامة هذا الحدث لتقول:

- لكن هناك الكثير من الغرباء! ولا صلة تجمعهم بعائلتكم.

"كُنت أستمع إليه دون أن أمتلك جرأة إيما على مجادلته، لأن عقلي كان يعيد ربط الخيوط بتلك القضية... قضية الرجل المجنون في المستشفى".

"كانت الأدلة ضعيفة، لكنها أشارت إلى تحسن الوضع المالي لعائلته دون مبرر منطقي. ومع هذا التحسن، توترت علاقته بزوجته، حتى وصلت الأمور إلى حد الطلاق، وانتهى به المطاف إلى فقدان عقله تمامًا".

قطب أليكس حاجبيه وقال:

- أتملكين يا إيڤا أدنى فكرة عن حجم ثروتنا؟ أو عن الطريقة التي جمعناها بها؟

نقر الشاب بإصبعه على زجاج النافذة مُشيرًا إلى الناس خارجًا، وقال مُتابعًا:

- هؤلاء الغرباء ساهموا بتكوين هذه الثروة على مدى عقود طويلة.

"بطريقة ما، ذكرتني تلك القضية بشيء آخر.. لم أشأ التفكير بهذه الطريقة، لكن.."

بعد صمتٍ طويل ألقت كيتلين بسؤالها:

- أليكس.. هل أبي.. من..

"تبعثر سؤالي، وتهاوت حروفه أرضًا لحظة مغادرته فمي، فداس عليه أليكس بإجابته الثقيلة".

- عائلة ميلر..

ثم أدار الشاب رأسه نحو إيڤا:

- وعائلة آل جونسون، وحتى عائلة ميناتو وغيرهم الكثير، جميعهم جزء من كل هذا، في مرحلة ما، كانت لهم أمانيهم الخاصة، والتي ما كانوا ليُحققوها لولا مساعدة عائلتنا..

بدأت الصورة تتضح أمام كيتلين، قفزت أمامها ذكرى لقطات شريط التسجيل من منزل البحيرة، وبالأخص عندما سأل جوناثان المجموعة عن أحلامهم، حينها أجابته أوليفيا:

وها هي قد نالتها، أصبحت أوليفيا عازفة كمان مشهورة في ليلة وضحاها، أما إبراهام، فقد شغل منصب قاض هيل تاون بسنٍ صغيرة، بينما تدفقت الأموال وتساقطت على عائلته كقطرات مطر الخريف، تداخلت صور الواقع المر مع صوت أليكس الذي تابع:

- ربما كانت الأماني والأحلام مجانية، لكن تحقيقها على أرض الواقع يأتي بثمنٍ باهظ..

"وأي ثمنٍ كان... إنه دينٌ لم يتمكن أيٌ منهم من سداده، فاتورة نمت وتضاعفت كلما أتى عليها الحول حتى أصبحت أكبر من أن يتم تسديدها... وفي مرحلة ما سنرث نحن هذا الدين لا محالة".

ووسط ضياعها لمعت كلمات ذلك الرجل المجنون أمامها:

***

مثقلًا بالدين الذي أثقل كاهله، فتح إبراهام ألبوم الصور القديم، يبحث بيأس عن بصيص أمل بين صفحاته العتيقة، اجتاحه الحنين والشوق إلى الماضي، لكنه لم يدم طويلًا، فقد كان هناك شيء ما بجانبه يفسد نقاء ذكرياته السعيدة - بطاقة الدعوة التي حاول جاهدًا تجاهلها، نظر إليها بطرف عينيه للحظات، وكأنها تهمس له ساخرة منه، تملكه الغضب تدريجيًا حتى تغلّب عليه، نهض من مكانه بحركة حازمة، التقط البطاقة من فوق المنضدة، وغادر مكتبه بخطوات سريعة، نزل درجات السلم باندفاع، حتى وصل إلى باب المنزل حيث كانت سلة المهملات تنتظره بصمت، دون تردد، رمى البطاقة بها، وكأنها رمز لكل ما أراد التخلص منه، ثم خرج من المنزل تاركًا وراءه عبء تلك الدعوة وآلامها.

***

كان صوت هدير الماء المتدفق من المغسلة هو النبض الوحيد للحياة في منزل عائلة آل جونسون، وقفت أوليفيا بذهن شارد،

تغسل الأطباق محاوِلة بكل جهدها صرف ذهنها عن الاحتفال القادم، بين يديها طبق أوشكت على كسره، وأظافرها كادت أن تتهشم تحت ضغط يديها الممسكة بإسفنجة الغسيل، وعلى طرف عينها، ظلت بطاقة الدعوة الممزقة تُطاردها من سلة المهملات القريبة.

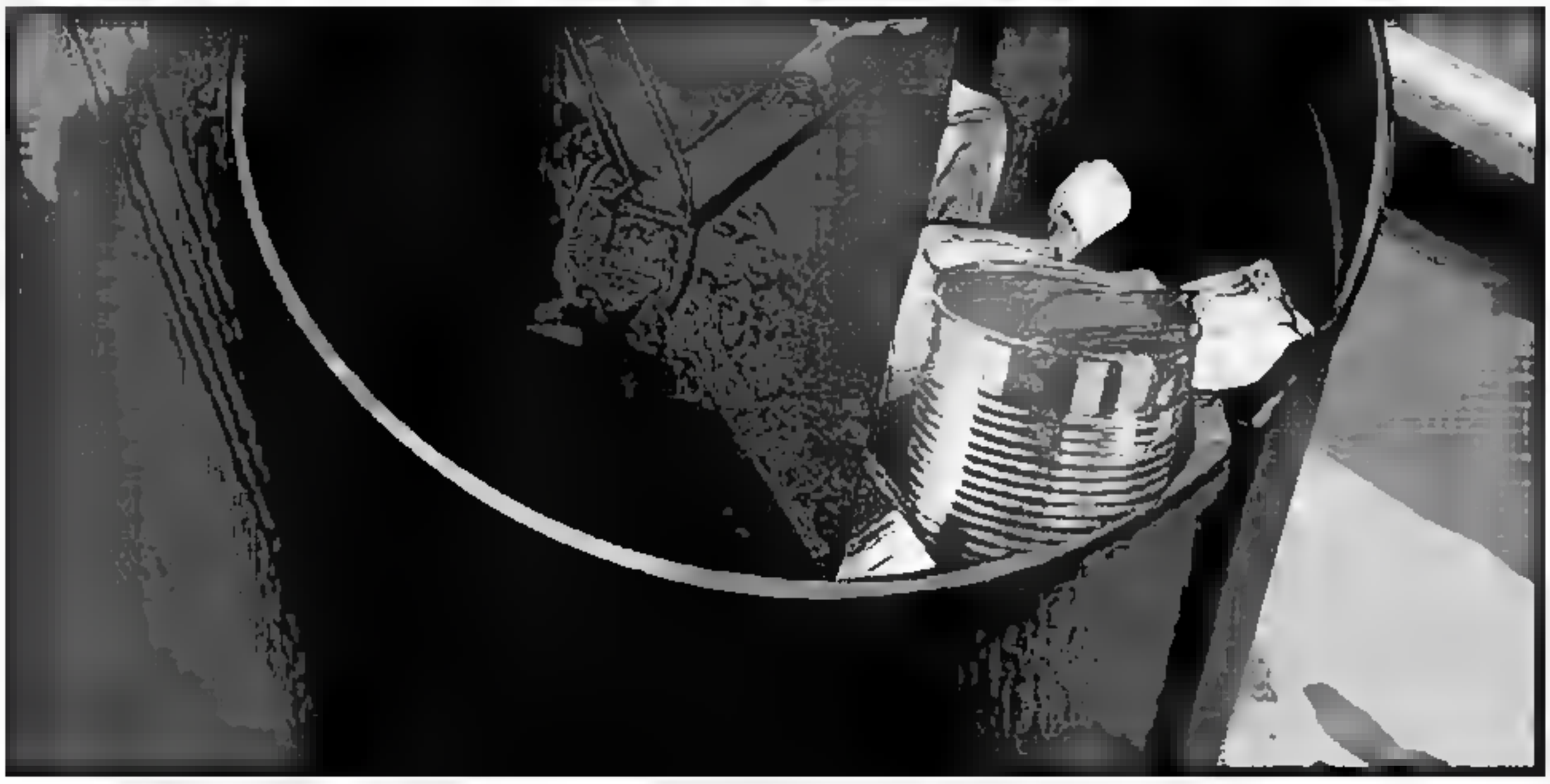

عاد الدكتور لوغان إلى المنزل لتوه، اقترب من زوجته بصمت واحتواها بذراعيه من الخلف، أسند ذقنه على كتفها وهمس:

- إذاً.. قررتِ عدم الذهاب في نهاية المطاف.

توقفت أوليفيا، وأفلتت الصحن ينزلق برفق إلى بقية الأطباق المتكدسة في المغسلة، ثم أجابت بصوت يحمل بين طياته الحيرة:

- لم أعد واثقة يا عزيزي، ولا أعتقد بأن قراري سيُغيرُ أي شيء.

أفلتها لوغان بلطف، فقط ليُديرها ناحيته، نظر إلى عينيها مباشرة، وصوته انساب كلمسة دافئة:

- سبق وأخبرتكِ.. أنتِ بأمانٍ يا عزيزتي.

بقلبٍ غير مطمئن لهدوء زوجها المبالغ سألت أوليفيا:

- هل هناك ما تخفيه عني يا لوغان.

ابتسم الرجل ابتسامة طفيفة، ثم أزاح خصلة من شعرها الذهبي خلف أذنها وقال بنبرته الحنون ذاتها:

- كيف لي أن أخفي عنكِ شيئًا؟... كل ما في الأمر أنني لن أدع أحدًا يمسكِ أو الأولاد بأي سوء.

صمت لوغان للحظة لينصت إلى السكون الذي أدركه للتو فقط، فسألها:

- بالمناسبة.. أين الأولاد؟

***

في قلب العاصمة، بأحد الأدوار العليا لناطحة سحابٍ تُطلُّ على متنزه صغير، جلس الرجل وراء مكتبه، بينما يحيط به الزجاج الممتد كأنما يحتضن المدينة بأكملها، خصلات الشيب الفضية على جانبي رأسه أضفت على مظهره هيبةً تزيده وقارًا وحكمة، وكأن الزمن ترك بصمته كتاجٍ للخبرة.

وسط انشغاله بعمله، اقتحم أحد أعوانه الغرفة دون استئذان، شابٌ في نهاية عقده الثاني، سمح الملامح، ولكن مرتبك الخطوات، نسي حتى أن يطرق الباب، وكأن أفكاره تسبق أفعاله، من موقعه على المكتب لم يتفوه الرجل بكلمة واحدة، واكتفى برفع ذقنه في إشارة تنم عن صبرٍ مهيب، فتحدث الشاب المندفع:

- أخبارٌ هامة يا سيدي.

- هات ما عندك.

أجابه الرجل ببرود متزن، فجلس الشاب أمامه دون تكلّف، وباشر قائلًا:

- إنها وحدة الاستخبارات الفيدرالية... لقد..

قاطعه الرجل، وكأنه استشف ما سيُقال، وسأل بصوت هادئ ينم عن خبرة طويلة:

- هل اكتشفوا أمر بيانكا؟

تراجع الشاب قليلاً، وكأن الإجابة ثقيلة على لسانه:

- ليس تمامًا... لكنهم أدركوا أنها لا تعمل معهم، بما أنهم لم يجدوا أي ملفات باسمها.

تنهد الرجل بعمق، محاولًا كتم غضبه الذي بدا جليًا في نظراته الصارمة، عاتبه بنبرة هادئة تخفي وراءها استياءً مكبوتًا:

- ألم أخبركم أن تتأكدوا من إدراج ملف لها في خادمهم قبل إرسالها في المهمة؟

رد الشاب بنبرة اعتذار يملؤها الحرج:

دون أي تعليقٍ من ناحيته، دفع الرجل بكرسيه للخلف ونهض بخطوات مهيبة نحو الزجاج، متأملًا أفق المدينة، وكأنه يبحث عن إجابة في صمتها، ثم قال بنبرة هادئة وقاطعة:

- ما حدث قد حدث، قم بتحذير بيانكا فورًا.

امتثل الشاب على الفور، واعتدل واقفًا، ليرد بنبرة مطيعة ممزوجة بالجدية:

- بالتأكيد، سأتولى هذا الأمر بنفسي.

قبل أن يغادر، أوقفه الرجل بنظرة صارمة ونبرة تحمل تحذيرًا جادًا:

- انتبه يا سكوت... لا أريد أي أخطاءٍ أخرى.

رفع سكوت ذراعيه بتحية احترام لسيده ومعلمه، قائلاً بثقة تحمل ولاءً لا يتزعزع:

***

في منتصف ساعة الظهيرة، كان معظم المدعوين قد استقروا في غرفهم بجناح الضيوف، وبدأ الخدم في تقديم الضيافة التي تليق بمستوى عائلة بيتفورد، تحركت عربات التقديم محملةً بمختلف أنواع المشروبات والحلويات، إلى جانب الفاكهة وباقات الأزهار التي أضفت لمسة من الأناقة.

دفعت الخادمة غابي عربتها نحو غرفة كيتلين وإيفا، حيث استقبلتها كايلي التي كانت هناك بمفردها، من خلف غابي المنشغلة تحرّك خادمٌ مع عربته على مهلٍ ليقطع ممرًا آخر متجهًا نحو إحدى الغرف، وقف أمام الباب وطرقه بهدوء، ففتح له ستيف الباب، متفحصًا الخادم بعناية من رأسه حتى أخمص قدميه قبل أن يسمح له بالدخول، ثم أغلق الباب من خلفه بعد أن تأكد من خلو الممر. داخل الغرفة، ترك راين ما كان يشغله واستدار ليواجه الخادم، وسأله بنبرة حذرة:

- هل انتبه لك أحد؟

ابتسم الخادم وهو يشذب شاربه الطويل قائلاً:

- أصدقني القول أولاً... هل يناسبني الشارب الطويل؟

من خلفه، تقدم ستيف نحو العربة وسكب لنفسه بعض الشراب، قائلاً بنفاد صبر:

- كفاك عبثًا يا بوب... أين الطرد؟

ضحك بوب بسذاجة وهو ينحني ليُخرج الطرد المطلوب من تحت الأغطية على رف العربة السفلي، سلّم الصندوق ل راين وستيف:

- ها هو.

غمز لهما مودعًا، ثم غادر متجهًا نحو غرفة زوجته وبيانكا، طرق بوب على الباب بطريقة مميزة، فقفزت هارو لتفتح له الباب بسرعة، انفرجت أسارير وجهها لحظة رؤيته يقف أمامها باسمًا بشنبه المضحك، كانت قلقة من أنه لن يتمكن من الدخول بأمان، فسألته بلهفة:

- ماذا عن الطرد؟

غمز لها بوب وأجاب بثقة:

- تم تسليمه بأمان يا سيدتي.

رغم سير خطتهم بسلاسة حتى الآن، لم يمنع ذلك القلق من أن يغزو قلب هارو المضطرب، لاحظ بوب انزعاجها، فخاطبها بلطف وهو على علمٍ بمصدر قلقها:

- أنتِ تفكرين بابنتنا فيث، أليس كذلك؟

أومأت برأسها مؤكدةً، فعاد ليطمئنها قائلاً:

- لا حاجة للقلق على فيث، هي بأمان مع أخي وزوجته.. لهذا دعينا نركز فيما نفعله هنا، إن نجحنا، لن نضطر للعيش مع كل هذه الهواجس مجددًا، والآن، أخبريني... ما رأيك بشاربي؟ ربما من

الأفضل أن أتركه ينمو.

رفعت هارو حاجبيها مُجيبةً بحدة:

- لا تُفكر حتى في ذلك يا بوب.

مسّد بوب طرف شاربه ليغيظها مازحًا:

تراجعت هارو إلى الخلف وهي تجيبه متجهمة:

- سنتناقش بهذا بعد عودتنا إلى المنزل.. والآن، اذهب قبل أن يُلاحظك أحد.

قبل أن يبتعد مع العربة، نادت عليه هارو:

- أيها الخادم...

أدار رأسه نحوها، فوجدها تحرّك شفتيها باسمة دون أن تصدر صوتًا:

- أنا أحبك.

رد عليها بوب برفع أصبعيه المتقاطعين كقلب صغير من تحت رف العربة.

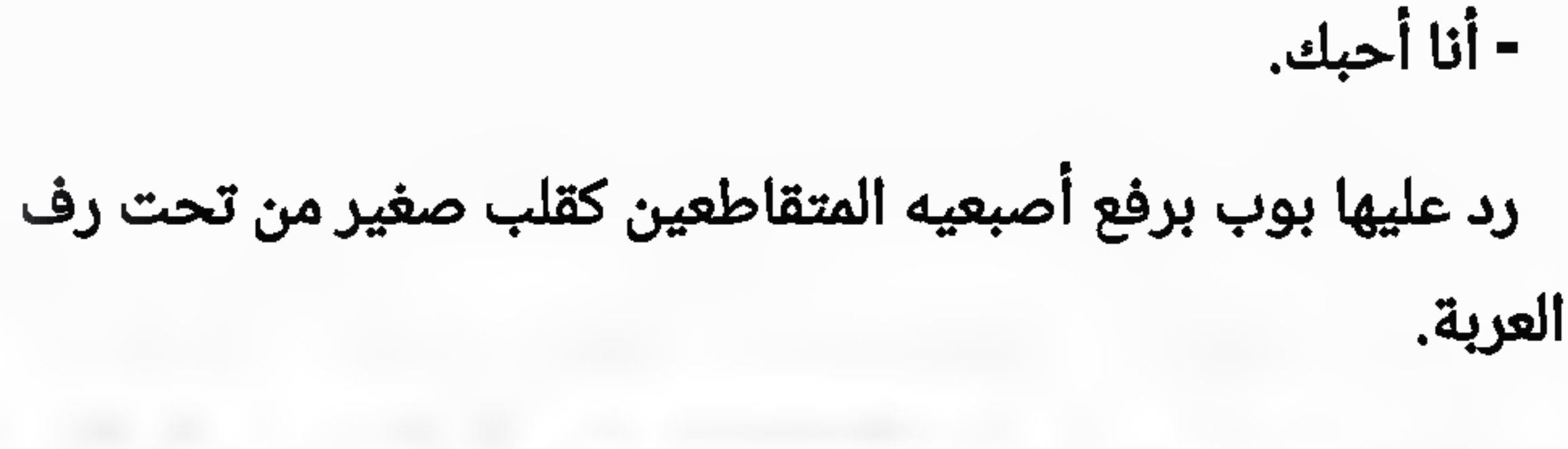

بقلب يخفق فرحًا، عادت هارو إلى داخل الغرفة، لتجد بيانكا منهمكةً في قلب محتويات حقيبتها، تبحث عن شيء ما، سألتها هارو:

- هل أضعتِ شيئًا؟

دفعت بيانكا الحقيبة جانبًا وأجابت:

- لا تهتمي.. أعتقد أنني نسيت علبة ظلال العين.

ثم أشارت إلى ساعة يدها وقالت:

- علينا أن نستعد للحفل.

وافقتها هارو، فأخرجت فستانها ودخلت إلى غرفة التبديل، علّقت الفستان هناك، لكنها انتبهت إلى أنها نسيت البطانة السفلية في حقيبتها، لهذا عادت لإحضارها، ولكن ما إن أصبحت ملاصقةً للباب حتى سمعت همسات بيانكا على الجانب الآخر، فتحت هارو الباب بحذر لتصعق برؤية بيانكا تتحدث عبر هاتف محمول، وقبل أن تتمكن من سماع أي شيء كانت بيانكا قد انتبهت لوجودها فأغلقت الخط بسرعة، منتفضةً من موقعها، بادرت الفتاة بتفسير الموقف قبل أن يُساء الظن بها:

- مهلاً يا هارو، يمكنني الشرح.

دفعت هارو الباب وهي تشير إلى الهاتف بارتياب وسط صدمتها:

- كيف تمكنتِ من اجتياز التفتيش؟

دفعت بيانكا بالهاتف جانبًا وأجابت:

- كما تعلمين أنا عميلة في مكتب التحقيقات الفيدرالية، شاركت سابقًا في الكثير من القضايا التي تطلّبت مني العمل متخفية، لهذا لم يكن الأمر صعبًا.

- ولماذا لم تخبرينا بأنكِ تملكين خطة مغايرة؟

ابتسمت بيانكا بسذاجة وأجابت:

- في الحقيقة، لم أكن واثقة بأنني سأنجح.

بشكل غير متوقع، بادلتها هارو الابتسامة وقالت مطمئنةً:

- هذا جيد، من حسن حظنا أنكِ نجحتِ بذلك، على الأقل نملك الآن وسيلةً للتواصل مع الخارج.. والآن، سأذهب لتبديل ملابسي.

عادت هارو إلى غرفة التبديل مجددًا، وأغلقت الباب خلفها، أسندت ظهرها إليه، وقد تبدلت ملامحها كليًا، وضعت يدها على فمها وهي تحاول كتم أنفاسها المضطربة.

مثّلت هارو ببراعة أمام بيانكا، رغم أن الشك قد صفعها بطريقة موجعة، كان عليها إبلاغ راين بأقرب فرصة ممكنة، دون أن تُثير شكوك بيانكا.

***

في الممر ذاته، كان أليكس يسير بصحبة الفتاتين، محبطتين من الحقيقة التي ألقاها عليهما قبل قليل، راقب الشاب حالهما بشيء من الندم، وكأن كلماته أثقلت على قلبيهما، وبينما يسير، استدار ليخفف من وطأة الموقف قائلاً:

- لا أعلم إن كان في الأمر عزاءً لكما، لكن والديكما لم يُلبيا الدعوة حتى الآن، ربما كان هذا...

وفجأة، اصطدم ظهر أليكس بتلك الفتاة التي ظهرت فجأة، استدار غاضبًا، ولكن غضبه تبدّد حين وقعت عيناه عليها:

- كايلي! ما الذي تفعلينه هنا؟

وقفت كايلي أمامه بحقة، أمالت رأسها ناحيته، لتقول مزهوةً

بنفسها:

بسرعة، أشارت إيما بإصبعها نحو كايلي، موجّهةً سؤالها لـ أليكس:

- أنت تعرف هذه الوقحة؟

أطلق أليكس نخرةً ساخرة مُعبرةً بذلك عن مدى سذاجة الموقف، فقال لـ إيما:

- ويحكِ، لا تقفزي إلى الاستنتاجات بهذه السرعة.

ثم التفت نحو كايلي وأجابها بنبرةٍ تحمل شيئًا من السخرية:

- أنا أعيش هنا، فما الغريب في وجودي بالقصر؟

كايلي، وبابتسامة ماكرة، رفعت حاجبًا وقالت:

- وماذا عن مشروع شواطئ فلوريدا؟ كنتُ أعتقد أنك تركب

أمواج البحر على لوح التزلج، متباهيًا أمام الفتيات على الشاطئ.

رفعت إيمّا يديها في الهواء بطريقة مسرحية، وقالت بسخرية بعد أن استفزها ما قالته كايلي:

- لا أعتقد أنني بحاجة للقفز إلى أي استنتاجات، بل إلى القفز بعيدًا عنك أيها المنحرف.

تجاوزته إيمّا مُتابعةً طريقها بغضب نحو الغرفة، ولحقت بها كيتلين، تاركتين أليكس وكايلي في الممر، فقالت الأخيرة وهي تُشير إلى إيمّا:

- هل كانت هذه صديقتك؟

أجابها أليكس بتهكم واضح:

- كان من الممكن أن تكون كذلك.. لو لم تتدخلي لتفسدي كل شيء.

- إن أردت، يمكنني أن أشرح لها.

هز أليكس كتفيه بلامبالاة وهو يستدير مبتعدًا:

- لا بأس، ستهدأ من تلقاء نفسها.

لم تتركه كايلي، بل تبعته وسارت إلى جانبه، بعد لحظات، سألها الشاب ما بين فضولٍ واهتمام:

- إذًا، ما أخباركم؟ وكيف هو حال عمي فيليب؟

شبكت كايلي يديها خلف ظهرها وراحت تُجيب ابن عمها:

- نحن بأحسن حال.. أما أبي، فهو يلهو في مكانٍ ما وسط السافانا

في أفريقيا. وربما أصبح في دبي الآن، لستُ متأكدة، إذ ذكر شيئًا عن الصحراء والجِمال، المهم أنه طلب مني إيصال سلامه للجميع.

تنهد أليكس بعمقٍ، ونظر بعيدًا، قائلاً بنبرة خافتة تحمل شيئًا من الغبطة:

- لو تعلمين كم أحسد هذا الرجل.

مُخالفةً لرأيه أجابت كايلي:

- افتح عينيك يا أليكس وانظر إلى الصورة الأكبر، ما الذي جلبه لنا والدي بترحاله المتواصل؟

- لا شيء..!

- تمامًا، لا شيء..

ثم أضافت وهي تشير بيديها إلى المكان من حولهما، وقد وصلا إلى قاعة كبيرة:

- انظر من حولك، ثم أخبرني... من هو المحظوظ هنا؟

***

في غرفة الفتيات، انفتح باب حجرة التبديل، وخرجت كيتلين مرتدية فستانًا حريريًا أحمر قاتمًا كدم الغزال، ينساب على جسدها بخفة، تقدمت وهي ترفع طرفه الطويل، وخطت خطوات واثق، ورغم ذلك سألت:

بعيني ثاقبة كآلة مسح ضوئي، أجابت إيمّا بجفاف يخفى تحته انزعاجًا خفيًا:

- بل هو ملائمٌ تمامًا.. ملائم لهذا القصر المبالغ فيه، وهذه العائلة التي تبالغ في كل شيء.

جلست كيتلين إلى جانب إيمّا، التي ما زالت حقيبتها مغلقة وكأنها ترفض المواجهة، وبنبرة قلقة، سألتها:

- أنتِ غاضبة بسبب ما قالته كايلي عن أليكس؟

انتظرت إجابةً من صديقتها، لكنها لم تأتِ، زفرت كيتلين، وأردفت محاولة كسر الصمت:

- لا ينبغي أن تغضبي، ألستِ أنتِ من كانت تصدّه منذ البداية؟

فجأة، انفجرت إيمّا، واستقامت من موضعها:

- نعم، لأنه وقح ومنحرف و...

لم تترك لها كيتلين المجال لإكمال قائمة عيوبه، قاطعتها بسرعة، وعينيها تشعّان بالفضول:

- إذًا لماذا هذا التغيير المفاجئ؟

وقفت إيمّا كالبلهاء في مكانها بعد أن أصابها سؤال كيتلين في صميمها، تحركت عيناها الخضراوان يمينًا وشمالاً، تبحث عبثًا عن إجابة تهرب بها من هذا المأزق، فأتاها الرد من كايلي التي دخلت الغرفة لتوها:

- هذا يا عزيزتي ما يُسمى بالغيرة.

بابتسامتها المستفزة التى تُجيد إثارة الغضب، تقدمت كايلى بخطوات هادئة نحو عربة الضيافة، سحبت كأسًا وسكبت فيه الشراب بنظرة واثقة، ثم وجهت كلامها لـ إيمّا:

ثم دفعت بالشراب في حلقها لتفرغ الكأس بالكامل، بعد أن وضعت الكأس من يدها، توجهت نحو كيتلين بابتسامة ماكرة:

- فستانٌ جميل، يليق بهذا الحفل...

وقبل أن تجتاز كيتلين، خفضت صوتها وهمست:

- لكنه لافت للأنظار، فكوني حذرة.

بعد أن تجاوزتها، التقطت كايلي فستانها واتجهت نحو حجرة التبديل، بنبرة متحمسة، أعلنت:

- عليّ أن أستعد أنا أيضًا.

راقبتها كيتلين وهي تغلق الباب، ثم تقدمت نحو عربة الضيافة، التقطت الكأس الذى شربت منه كايلى وقرّبته من أنفها، تستنشق بقايا الشراب في قعره، فهمت إيمًا تصرفها، فتقدمت نحوها وقالت بنبرة جادة:

- علينا أن نكون أكثر حذرًا هذه المرة.

أعادت كيتلين الكأس إلى مكانه، وأبقت عينيها على أصناف الحلوى والفاكهة أمامها، ثم قالت بهدوء يحمل قرارًا لا يقبل التفاوض:

- لن نتناول أي شيء هنا سوى الفاكهة، ستكون الخيار الأكثر أمانًا، لا أريد تكرار ما حدث في جنازة كيليب.

توقفت الفتاة للحظة، وعيناها تحدقان في باقة الأزهار المزينة للعربة، انتقت زهرة جوري حمراء، تأملت جمالها برقة لتقول:

ومررت كيتلين أصابعها على ساق الزهرة الطويلة، فجأة، انغرست شوكة في طرف إبهامها، فانسابت الدماء بقطرة صغيرة:

- مهما كانت جميلة ومغرية، فهي ستجرحك إذا اقتربت منها.

ثم أسندت الزهرة برفق على سطح العربة، لكن عيناها انحرفتا نحو سكين الفاكهة المستقرة هناك.

"شيء ما تغير بداخلي ذلك اليوم، كان قرارًا متهورًا اتخذته في لحظة غضب".

***

"لكنني لم أكن الوحيدة التي سمحت لنفسها بالانجراف إلى الجانب الآخر".

بينما كانا على وشك الانتهاء، مدّ ستيف يده ليعطي راين علبة العدسات الملونة، متردّدًا وهو يقول:

وقف راين أمام المرآة، يضع العدستين بعناية، وأجاب بنبرة واثقة تحمل شيئًا من التحدي:

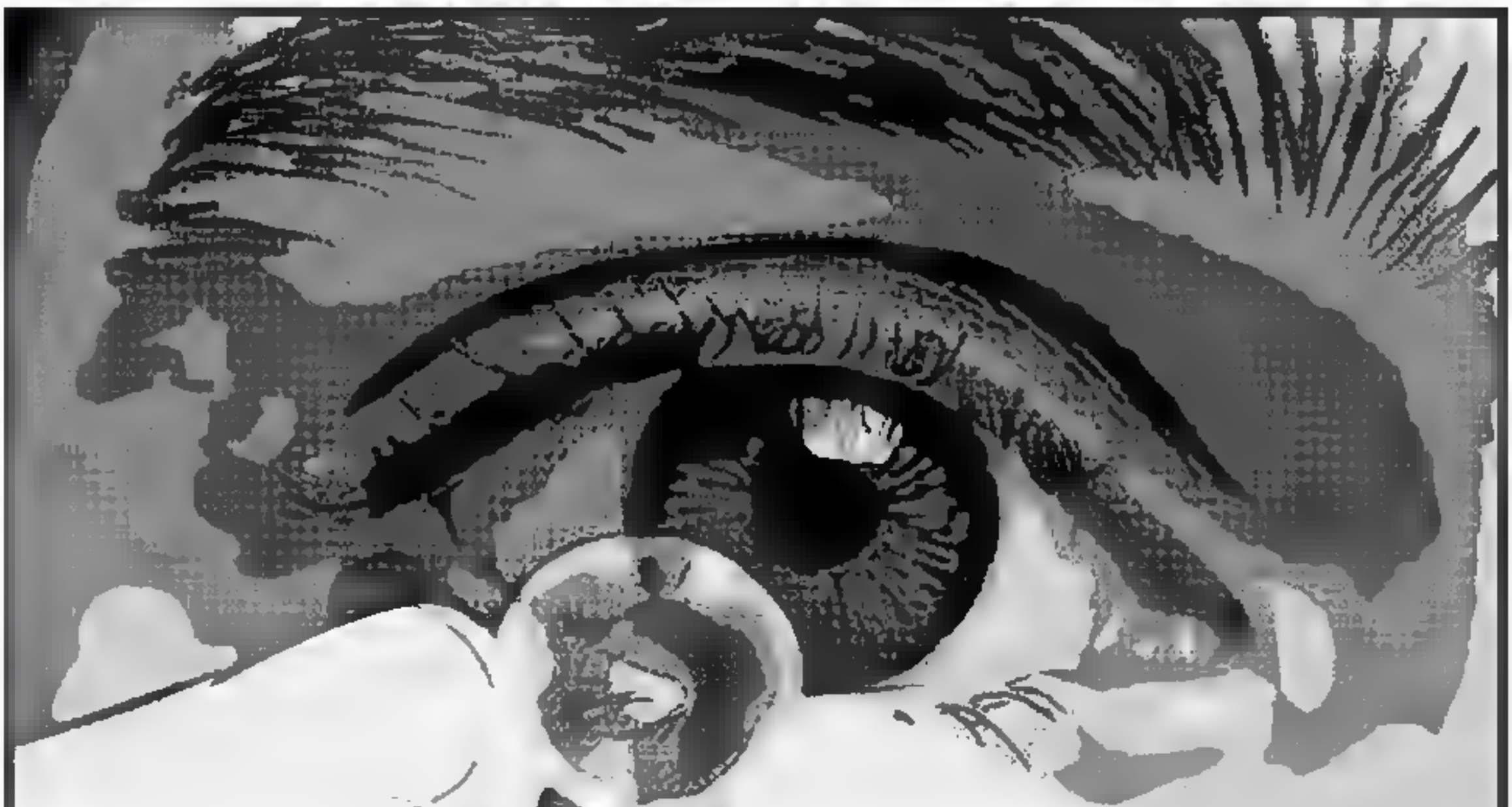

راقبه ستيف بقلق:

- بالتأكيد هذا حفلٌ تنكري، ولكن..

راحت عينيه تتابعان التغيير الذى طرأ على وجه زميله، تأمل عينى راين اللتين اصطبغتا باللون الأخضر الزيتي بفعل العدسات، وقال بصوت خافت تعيس:

- أصبحت تشبهه تمامًا... أعني والدك.

ابتسم راين وهو يودّع انعكاسه في المرآة، اتجه إلى المنضدة والتقط قناعه الخاص من على سطحها، رفع رأسه بثقة وهو يقول:

ما تلى حديثة إلا صمتٌ ثقيل خيّم على أجواء الغرفة بفعل ثقل تلك الكلمات.

***

"هنالك الكثير ممن سبقني وعبر إلى الجانب الآخر منذ زمن".

أنهت بيانكا وضع أحمر الشفاه بعناية، ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيها وهي تتأمل انعكاسها في المرآة، ولكنها تغيّرت عندما لاحظت هارو تقف خلفها بصمت، عيني هارو تحملان من الترقب والقلق الكثير، وكأنها تقرأ شيئًا خفيًا وراء الوجه البريء الذي أمامها، فكسرت بيانكا الصمت المريب لتقول بحيوية مصطنعة:

- بما أننا انتهينا، هل نسبق راين وستيف إلى القاعة؟

***

"لكل منهم سببه الخاص، فمنهم من أتى إلى هذه الحياة ليجد نفسه في منتصف العاصفة".

في رواق طويل تغمره أنوار الشموع المتراقصة على الجدران، استدارت هيلين ببطء، وشعرها الأشقر ينساب على كتفيها، لتواجه

أخيها التوأم فيكتور، في قرارة نفسها لم تكن تشعر بالارتياح لهذا الحفل حتى قبل أن يبدأ، فسألت أخاها وعايناها تبحثان يمنة ويسرة:

- أين هما جوليا وكاثرين؟

توقف فيكتور عن السير للحظة، ورفع عينيه نحوها، ليُجيبها:

- ستلحقان بنا فيما بعد.

***

"بينما كان هنالك من جُرّ إلى الهاوية بغفلة منه".

في غرفتها، جلست جوليا أمام التسريحة، عيناها متعبة وبشرتها شاحبة، وكأن الظلال قد اختارت أن تحيطها، لم يكن وجهها الهادئ سوى غطاء لما يعتمل في داخلها من حزن وتوتر.

جرت الصغيرة كاثرين نحوها بخفة، دون أن تدرك الثقل الذي يحيط بوالدتها، توقف انسياب أفكار جوليا حين شعرت بيد ابنتها الصغيرة تمسك بيدها برفق، فنظرت إليها وهي تحاول التظاهر بالقوة، فشعرت الصغيرة باختلاف نظراتها، لتسأل:

- هل هنالك خطبٌ ما يا أماه؟

أخذت جوليا نفسًا عميقًا لتدفع بحزنها بعيدًا، رسمت ابتسامة على وجهها كانت أقرب لقناعٍ يحجب هشاشة روحها، وبصوت مكسو بالحنان، أجابت:

- لا يا صغيرتي، والدتكِ بخير.

***

"وبالتأكيد كان هناك ممن اختار جانبه ليتناسب مع مصالحه".

في وسط القاعة الضخمة، كانت مارثا تقف كأيقونة للأناقة والجاذبية، فستانها المرصع بالجواهر يلمع بانعكاس الإضاءة الخافتة، وكأنها نجمة تتوسط عالمًا من الظلال، ومن خلف قناعها الشيطاني، نظرت إلى ابنها إريك بنظرة تحمل قوة وسيطرة، وقالت بنبرة آمرة رغم هدوئها:

- اتصل بـ آلفريد وتأكد من حضور جميع الضيوف إلى أمسية الليلة.

لكن، حتى قبل أن يُجري إريك الاتصال، بدأت القاعة تعج بالضيوف الذين توافدوا دون تأخير، لا أحد كان ليفوّت مثل هذا الحدث، فالجشع والفضول بالإضافة للجهل كانت الدافع لعدم تخلّفهم.

وفي خضم الحشود، وصل راين وستيف إلى القاعة، يسيران بخطوات واثقة، كان راين مرتديًا قناعه، يُلقي التحية ببساطة كلما سنحت له الفرصة، وأحيانًا ينزع القناع لوهلة وكأنه يختبر ردود أفعال من حوله، تصرفاته لم تكن عشوائية، لكنها كانت كافية لإثارة مارثا، لاحظت تصرفاته الواضحة من طرف القاعة، لكنها كانت مشغولة بالترحيب ببعض الضيوف المهمين، لم تكن لتدع الأمر يمر، فأشارت لإريك بنظرة واضحة تعني: "تقصّ الأمر".

تحرك إريك بخطوات هادئة وانسيابية بين الحشود، متقنًا فن الاندماج دون لفت الأنظار، اقترب من راين بما يكفي ليراقب سلوكه، لكنه لم يجد شيئًا يدعو للشك، مجرد تحيات عابرة وأحاديث مقتضبة، ومع ذلك، لم يتراجع الشاب، اقترب أكثر، وسأل بشكلٍ مباشر:

- ما الذي تحاول فعله؟

- لا شيء محدد، فعلى حد علمي، لن يبدأ الأمر إلا بعد منتصف

الليل، لهذا أردت الاستمتاع قليلاً.

نظر إريك نحو والدته من بعيد، متفحصًا رد فعلها، ثم عاد ليخاطب راين بصوت خافت:

- هل تتعمد إغاظتها لـ..

توقف إريك فجأة، وكأن الكلمات خانته، ثم غيّر رأيه، وقد أعلن الاستسلام أمام راين:

- أتعلم، هذا لم يعد مهمًا... استمتع بوقتك.

عاد إريك ليقف إلى جانب والدته دون أن يحمل إجابة كافية ترضي فضولها، تاركًا راين ليواصل لعبته الصامتة.

على الجانب الآخر من القاعة، اقترب شاب مختبئ خلف قناعه من هارو، التي كانت تراقب الأجواء بحذر، ابتسم الشاب بود زائف، وألقى التحية عليها:

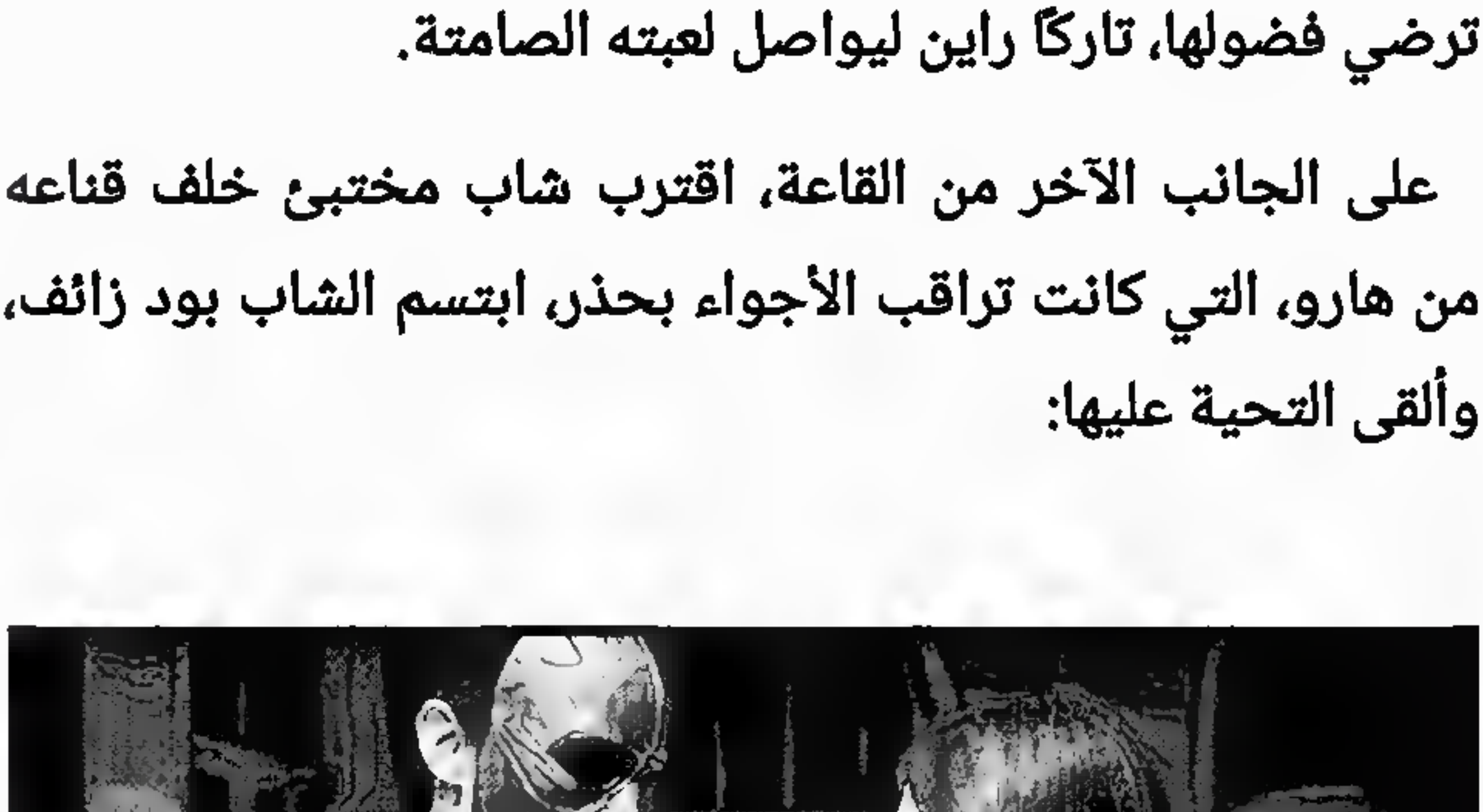

باغتها حضوره غير المتوقع، فتراجعت خطوتين بردة فعل

طبيعية، لاحظ الشاب ترددها وابتسم بسخرية، قائلاً:

- هل فاجأتكِ؟

رفع قناعه ببطء، ليكشف عن وجهه المستفز، كان تايلور، وملامحه تحمل الجرأة المستفزة نفسها، سأل بنبرة تبحث عن المشاكل:

- كيف كان لقاؤكم العائلي؟

نزعت هارو قناعها لتواجهه بنظراتها الحادة، وقالت بصوت منخفض يكاد يغلي بالغضب:

- يا لوقاحتك، ستدفع ثمن فعلتك عاجلاً أم آجلاً.

ضحك تايلور بخفة، وكأن تهديدها كان أقرب إلى مزحة:

- تهديد ظريف يا أختاه.

رغم محاولتها كتم غيظها، إلا أن أنفاسها الثقيلة خانتها، لاحظ تايلور ذلك وهو يعيد قناعه بابتسامة مستفزة، وبينما كان يهم بالمغادرة، ألقى تعليقًا ساخرًا أخيرًا:

- ما زال الليل في بدايته يا هارو.. لا تفقدي أعصابك سريعًا، فـ بوب ليس هنا ليسندك كما يفعل دائمًا.

ما لبث تركها تايلور غارقة في غضبها المكتوم، بينما مضى إلى أعماق القاعة.

وصلت الصديقتان أخيرًا إلى الحدث الذي طال انتظاره.

"وطأت قدمي قاعة الاحتفال لأجد كل شيء يتلألأ من حولي

بطريقة شاعرية، وكأن ما أراه قد خرج من قلب كتابٍ يحكي قصةً خيالية عن أمراء وأميراتٍ من عصورٍ غابرة، يقضون أمسياتهم الحالمة ببذخ وترف، دون اكتراث لما يحمله الغد".

كادت دهشة إيمّا أن تُسقط فكّها من جمال وسحر القاعة، عيناها كانتا تبرقان كطفلة ترى عالمًا جديدًا لأول مرة، فقالت بصوت مفعمٍ بالذهول:

"لم أرغب بأن تنجرف إيمّا كثيرًا، وأن يُسيطر عليها سحر هذا المكان، فتصبح هدفًا سهلاً كما حدث مع آبائنا، كان عليّ أن أكون صوت العقل وأعيدها إلى رشدها، إلا أنني، وبدوري، لم أتمكن من منع نفسي أيضًا، كُنت أسير على حافة الجرف ذاته، صوتي الداخلي يهمس لي بأنه لا بأس من الاستمتاع ولو قليلاً، لهذا وجدتني أحيد عن هدفي، وأمسح المكان بنظراتي بحثًا عنه، وعوضًا عن ذلك، عثرتُ على شيءٍ آخر...".

"مزّت من أمامي كنفحة هواء عابرة، عينانِ بزرقة أحجار اللازورد(1) كعيناي تمامًا، تترصداني من بعيد، فتهمس لي بلغتها الخاصة..".

"ومرةً أخرى، اعتمدت على حدسي، تتبعت تلك الفتاة التي كانت تتمهل في سيرها وكأنها تعلم بأنني أسير خلفها".

وبغفلةٍ من إيمَا، انسلّت كيتلين على مهل من جانبها لتختلط مع الحضور، أصبحت إيمَا وحدها، كزهرة تجتذب الشبّان من حولها، اقترب أحدهم، محاولًا إقناعها بمرافقته، فأجابته بحدة، مستخدمةً لسانها السليط:

- أغرب عن وجهي قبل أن أجعلك تندم يا هذا.

شعر الشاب بالإهانة، فاقترب أكثر، والغضب يتصاعد في صوته:

- من تظنين نفسكِ يا فتاة؟

وفجأة، امتدت يدٌ من خلفه وسحبته بعيدًا عن إيمَا، كان أليكس، الذي خاطبه بنبرة ساخرة:

- من الأفضل أن تبحث عن غيرها يا صديقي، هذه الفتاة تملك لسانًا أكثر حدّة من نصل السيف، وستجرحك به دونما اعتبار.

ابتعد الشاب عن أليكس، لكن ليس قبل أن يرمي إيمَا بنظرات ازدراء، تعبيرًا عن استيائه، فردّت إيمَا على أليكس:

- أقترح عليك أن تعمل بنصيحتك، وتغرب عن وجهي أنت الآخر.

لكن بدلًا من أن يغضب أليكس من طريقتها، ظهر على وجهه تعبير من الرضا والفرح، قال بارتياح:

- هذا جيد.

نظرت إليه إيمَا بحيرة، غير قادرة على تفسير ردّ فعله، بينما اتسعت ابتسامته في المقابل، وقال بثقة:

- من الجيد أنكِ لا تزالين ممتعضة مما قالته كايلي، غضبك هذا يعني أنكِ تهتمين لأمري.

عقدت إيما حاجبيها، وردّت بتحدٍ:

- لا تغتر بنفسك كثيرًا، فلا يهمني ما ستفعله على شواطئ ميامي، اذهب وامرح كما تشاء.

أجابها أليكس فورًا:

- هذا ما كنت على وشك فعله قبل...

- قبل ماذا؟

بنظرات أكثر جدية، جعلته يبدو شخصًا مختلفًا، أجاب الشاب:

للمرة الأولى، اختفى أليكس اللعوب، وظهر جوهره الحقيقي، دون أي حواجز أو أقنعة، قال باعترافٍ فاجأ إيما:

- كنتُ أخطط لترك العائلة، أردت أن أبدأ من جديد في مكانٍ

مختلف، كان كل شيء جاهزًا بعد جنازة والدي، حتى أنني حجزت التذكرة وكل شيء، لكن خططي بدت في غير محلها بعد أن رأيتكِ ذلك اليوم... لم أتمكن من المضي بها.

مُحاولةً إنكار الواقع، رفضت إيمَا التسليم باعترافه، ثم نهرته غاضبة:

- كفاك عبثًا معي، لا تقنعني بأنك تعلقت بي بعد لقاءٍ واحد..

أشاحت بنظرها بعيدًا، وأضافت:

- أمور كهذه لا تحدث إلا في الأفلام الرخيصة.

إلا أن أليكس أجابها بهدوء:

- لأنكِ كنتِ مختلفة... أنتِ الفتاة الأولى التي تصدني من البداية.

وأخيرًا، وجدت كلماته منفذًا لها لتتسلل إلى قلبها، فتابع قائلاً:

- معظم الفتيات يتقربن مني إما لمظهري، أو طمعًا بالأموال، لكنكِ كنتِ مختلفة يا إيمّا... أعتقد أنني بدأت بالوقوع في حبك.

انتزعت إيما قناعها، وعادت لتنظر إلى عيني الشاب الذي اعترف لتوه بحبه لها.

تمكنت منها الصدمة، شعرت وكأن كلمات أليكس قد سلبت منها سلاحها الوحيد، لسانها السليط، وتركها عاجزة عن الرد.

***

وسط الحشد المزدحم، أطلت كايلي متأخرة بعض الشيء، تشق طريقها بين الضيوف بعفوية حتى رصدت عمتها فيكتوريا وابنها وليام في زاوية قريبة، ألقت تحية خفيفة قبل أن ينسحب وليام تاركًا المجال لهما، شقَّ الشاب طريقه نحو النوافذ، حيث كانت الصغيرة كاثرين تقف وحيدة، مستندة إلى الحائط، اقترب منها ليقول بنبرة مرحة:

- مساء الخير، أنا أبحث عن أحدهم، فهل يمكنكِ مساعدتي؟

رفعت كاثرين عينيها نحو الحضور بأعين تراقب الوجوه المقنّعة، وقالت بابتسامة خافتة:

- سيكون الأمر صعبًا، فجميعهم يرتدون الأقنعة.

ابتسم وليام بخفة، أمال رأسه موافقًا، ثم قال بأسلوب جذاب:

- معكِ حق، لكن الفتاة التي أبحث عنها لها من الجمال ما لا يمكن لقناع أن يخفيه...

ثم رفع يده قليلاً وأضاف على وصفه:

- إنها بهذا الطول تقريبًا، واسمها كاثرين، ستعرفينها حالما تلمحين ابتسامتها الساحرة.

لمعت عينا كاثرين بدهشة طفولية، نزعت قناعها بهدوء، ثم أمسكت بيده بحركة عفوية لتعدل ارتفاعه قليلًا:

- هي لم تعد بهذا الطول.

- لكنني كنت محقًا بشأن ابتسامتها الساحرة.

أجابته الفتاة بثقة تفيض باللطافة:

- هذا لأنك تملك عينين ثاقبتين يا سيدي.

- أيتها الصغيرة الشقية، متى أصبحت بارعة في الحديث هكذا؟

غير بعيد عنهما، التقطت جوليا صوت ضحكات ابنتها كاثرين ووليام، فتقدمت نحوهما بخطوات حازمة وعلى وجهها إماراتُ الغضب، استدارت كاثرين مرتبكة حين سمعت صوت والدتها تنادي عليها لتطلب منها:

- كاثي... لقد نسيت عقدي على المنضدة، عودي إلى الغرفة وأحضريه لي.

امتثلت الفتاة لأمر والدتها وغادرت على عجل، بينما أشارت جوليا

لـ وليام بيدها أن يتبعها بعيدًا عن أعين الفضوليين، وفي زاوية معزولة خارج القاعة، انفجرت به:

- أهذا تصرفٌ ينم عن جهلٍ منك؟ أم أنك تتعمد إثارة المشاكل؟

تنهد وليام بإحباط وأجاب:

- هل هو الموضوع القديم ذاته؟ جديًا يا جوليا، كيف تحتملين العيش مع شخصٍ مثله؟

- نحن نحب بعضنا، وهذا يكفيني وابنتي.

اشتعل الغضب في عيني وليام من تبرير جوليا، ورد بصوتٍ مرتفع:

- إن كان يحبك كما تدّعين، فلماذا لا يثق بك؟

- أرجوك يا وليام، لا تسبب لي المزيد من المتاعب، ليس الآن.

علم وليام أن النقاش لن يجدي نفعًا، فاستدار للمغادرة، إلا أن جوليا أستوقفته بصوت مثقل بالجدية:

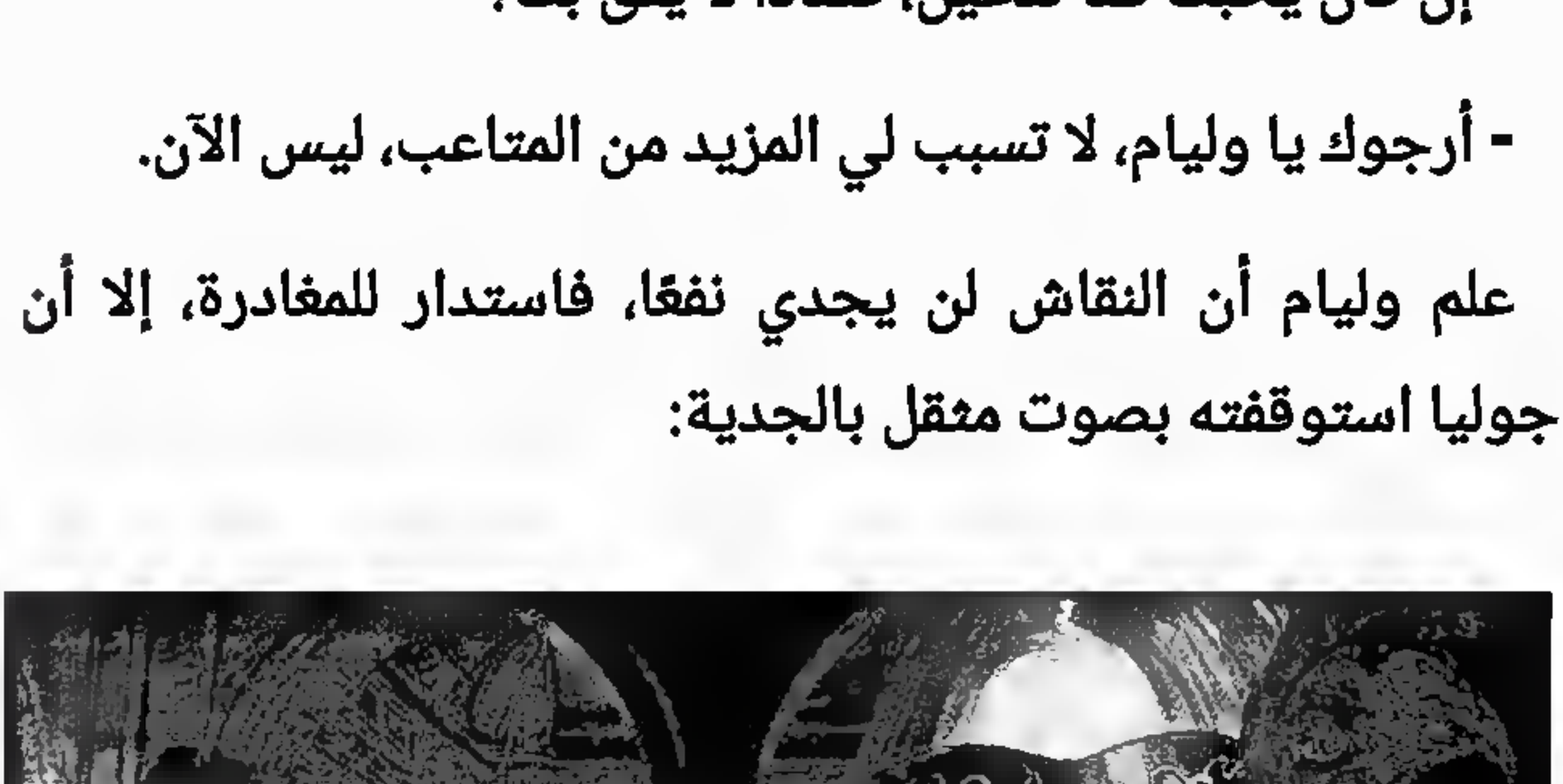

في الوقت ذاته، اجتمع أبناء كيليب الذين حضروا الحفل معًا؛ فيكتور وهيلين وستيفان وتايلور، إضافةً إلى الأخت الصغرى جيسيكا، حافظ الإخوة على مسافة مناسبة من عمتهم فيكتوريا، دون أن يُكلف أحدهم نفسه عناء التحية، مكتفين بالنظر إليها بتذمر واضح، فقالت هيلين:

- يا للجرأة! لم تكلف نفسها حضور جنازة أبي، لكنها هنا تحتفل بكل بساطة، بل لم تنسَ حتى ارتداء عقدها!

نظر ستيفان بطرف عينه نحو عنقي هيلين وجيسيكا، قبل أن يوجه إليهما حديثًا يحمل بين طياته العتب:

- كان يجدر بكما ارتداء العقد على الأقل.

لكن الأخ قوبل بتذمرت جيسيكا، التي قالت دون أدنى محاولة لإخفاء استيائها:

- كنت لأرتديه، لولا بشاعته.

وعلى الجانب الآخر من تلك المواجهة الباردة، تجاهلت فيكتوريا

أبناء أخيها كيليب متعمدةً، لكنها لم تتردد في التعبير عن استيائها من غياب شقيقها فيليب، توجهت إلى ابنته كايلي بالسؤال:

- إلى متى يظل والدك يتصرف بلا مسؤولية؟ كان بوسعه أن يتولى المنصب بعد كيليب بسهولة.

- لا فائدة من التذمر الآن.

أجابت كايلي عمتها بفتور، بينما ترفع رأسها ناحية الشرفة العلوية، شأنها شأن بقية المدعوين الذين بدأوا بتحويل أنظارهم نحو مارثا، التي ظهرت لتلقى خطابًا مهمًا.

بنغمة عذبة نقرَت الأرملة بكأسها الزجاجية باستخدام ملعقة

معدنية، وكأن بها ألقت تعويذة صمت على الحضور، بهتت الأصوات حتى زالت من شدّة التركيز. من موقعها المرتفع، فتحت مارثا فمها لتتحدث بصوتٍ جهوري وصل صداه إلى كل الآذان الصاغية:

ألقت مارثا نظرةً خاطفة إلى ساعة يدها قبل أن تعود لإكمال خطابها:

- لم يبق إلا القليل حتى نبدأ المرح، لكن قبل ذلك اسمحوا لي بتقديم مضيفكم الحقيقي لهذه الأمسية.

في تلك اللحظة، كانت كيتلين قد تاهت بين الحضور، تبحث عن صاحبة العينين الزرقاوين، لكنها كحال الجميع توقفت لتراقب خطاب مارثا وظهور المضيف الحقيقي لهذا الحدث.

"مظهر مارثا المخيف لا يُقارن بهيئة هذا الرجل، ظهرت كالحمل الوديع مُقارنةً به، كل هذا وهو لم ينطق بحرفٍ واحدٍ حتى الآن".

سبقه صوت وقع خطواته الثقيلة، وظهر لهم من خلف الستار الأحمر يرتدي قناعًا بشعًا لشيطان أسود، مُحاطًا بهالةٍ سوداء قاتمة، نزل الدرجات بتمهل، ورافقته مارثا جنبًا إلى جنب، ما إن فارقت قدمه آخر درجة في السلّم حتى انتزع القناع من على وجهه ليكشف بينجامين بيتفورد عن نفسه أخيرًا.

- جدي بينجامين!

وضعت جيسيكا يديها على فمها في محاولة لكبت صدمتها، بينما أختها هيلين بدت جامدة المشاعر، تراقب ردود فعل المدعوين، ثم قالت مخاطبةً إخوتها:

- يبدو أن بعض الحضور كانوا يتوقعون ظهور جدي بينجامين.

أما وليام، فقد عاد لينضم إلى والدته وكايلي، قائلاً:

- كُنتِ مُحقة يا أمي.

ردت عليه فيكتوريا والقلق يسيطر على ملامحها:

- آمل ألا أكون مُحقةً أيضًا بأمر تعاون جدك ومارثا.

- ما الذي سيحدث الآن؟

سألت كايلي عمتها التي سرحت تراقب والدها من بعيد بإحباط، فأجابت:

- لا فكرة لدي.

التصقت إيما بـ أليكس بعد أن شعرت بحدة الموقف، فقال لها الشاب مُشيرًا إلى بينجامين:

- هذا جدي يا إيما.

أجابته إيما بسخرية رغم جديتها:

- ألا يُفترض بالجد أن يكون شخصًا ودودًا ومحببًا؟... تبًا، أين هي كيتي؟

تقابل بينجامين وجهًا لوجه مع مجموعة راين، فهمس الأخير لرفاقه بعد أن شعر بمقدار التوتر النابع منهم:

ودون ذرة تردد، رفع راين يده ليخلع قناعه، كسر بذلك الحاجز الرمزي بينه وبين خصمه اللدود، مرسلًا إليه رسالة صامتة فحواها:

"كنتُ بانتظارك"، لم يتأخر بينجامين في الرد، فأعاد إلى راين الرسالة ذاتها وأضاف عليها ابتسامته الكريهة ليقول وهو يخاطب المحتفلين:

- شكرًا لكم جميعًا، ما كنت لأتمكن من الوقوف هنا لولا جهودكم، ولكي أعبر عن امتناني، حضّرت لكم مفاجأة صغيرة.

رفع بينجامين ذراعه عاليًا مُفرقعًا اصبعيه بإشارةٍ منه في الهواء، وعلى إثرها بدأ الخدم بالتوافد حاملين صوانٍ فضية لامعة، عليها أظرف صغيرة سوداء مختومة بالشمع الأحمر، تقدّموا بخفة بين الحضور، يتوزعون بانسيابية محسوبة، فأُعطي لكل شخصٍ ظرفه الخاص الذي حمل اسمه المنقوش بالحبر الذهبي.

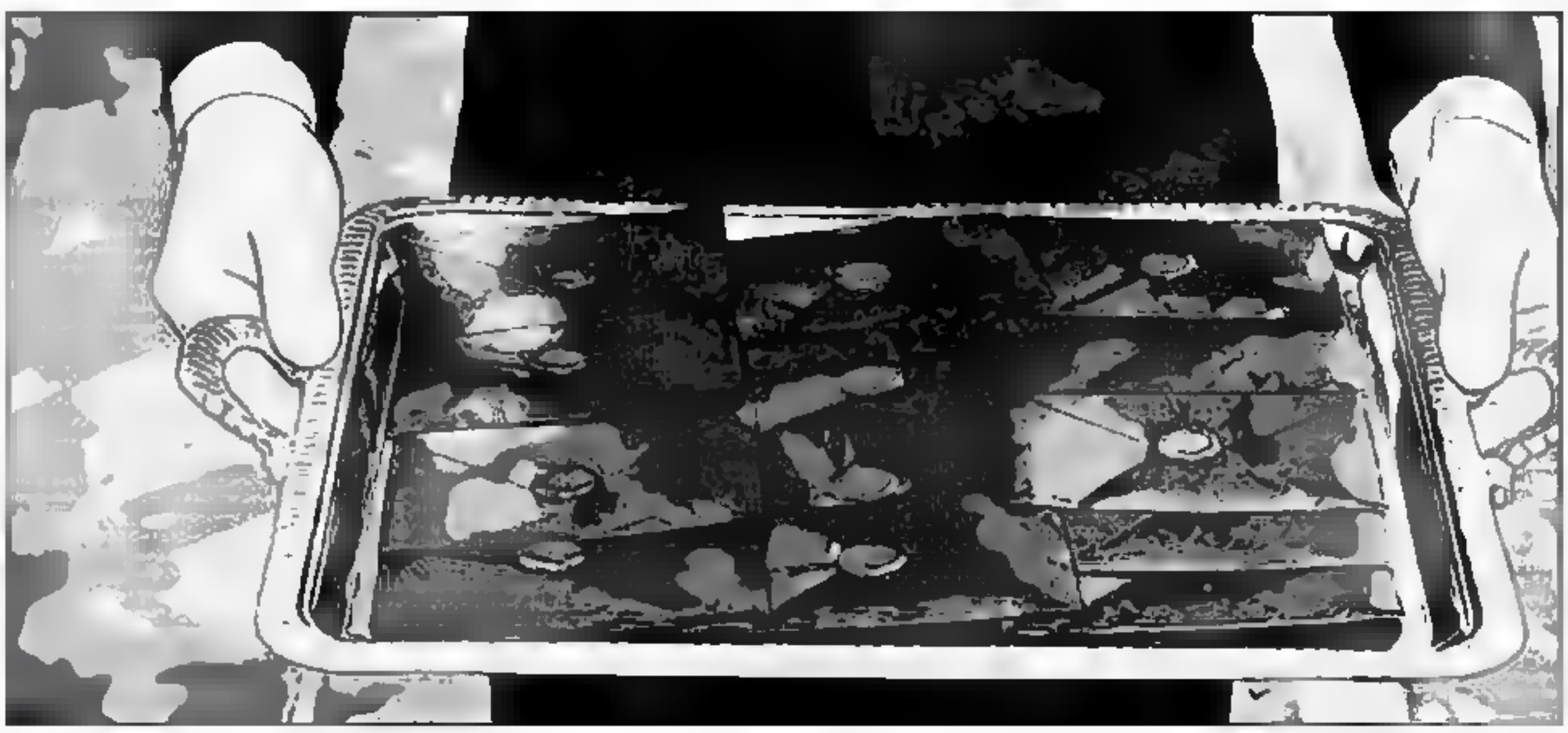

استلمت فيكتوريا ظرفها الذى حمل اسمها، وانتبهت إلى أن الجميع قد حصلوا على واحدة باستثناء والدها بينجامين ومارثا فكان هذا هو التأكيد على تساؤلها.

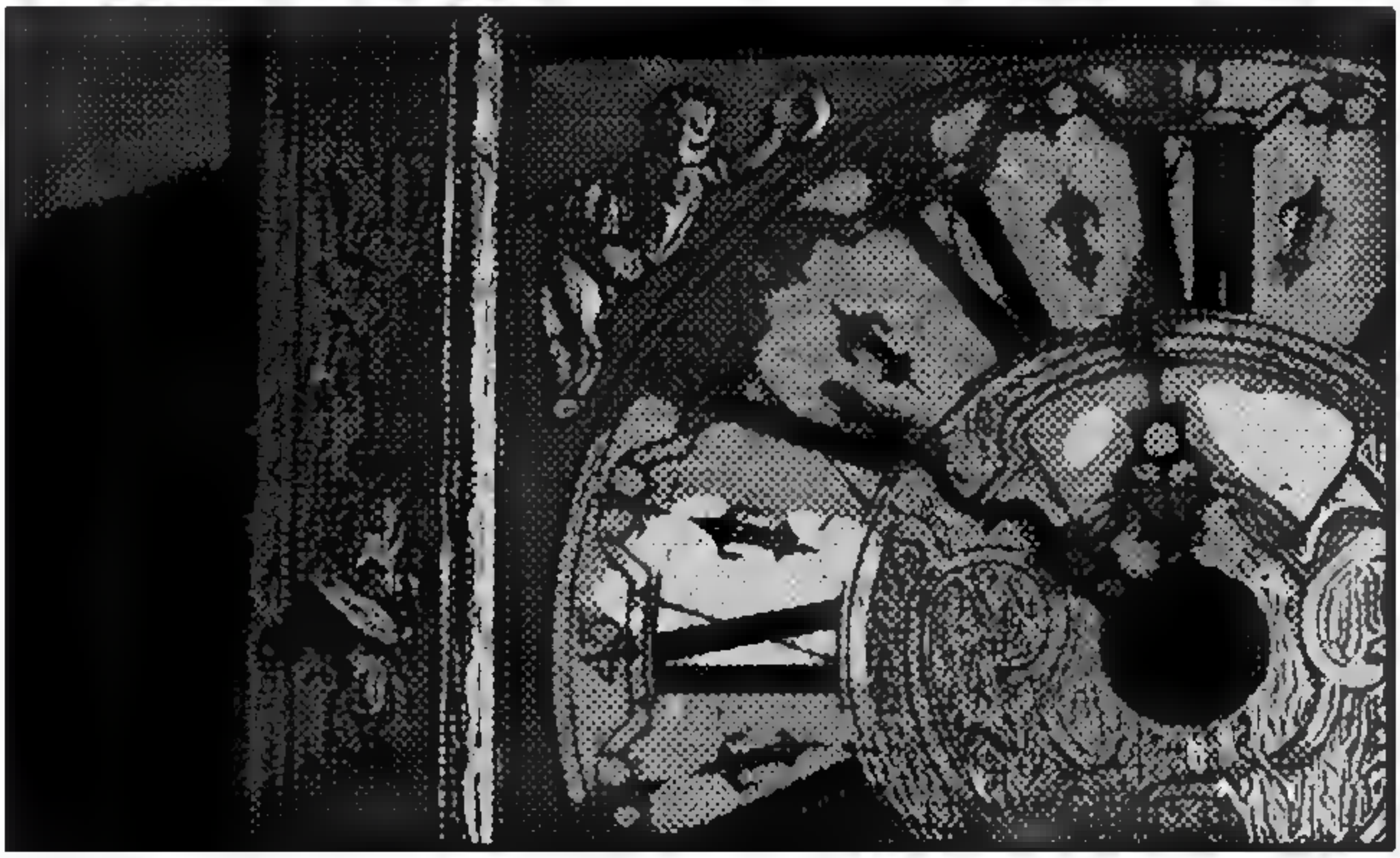

عقربا الساعة الكبيرة يقتربان من نقطة اللقاء في أعلى نقطة لهما، انتظر بينجامين حتى بلغ التوتر بين الحضور ذروته، ثم أضاف قائلًا:

- لا تتسرعوا في فتح الأظرف الآن، لأنها ليست المفاجأة الموعودة، فالهدية الحقيقية هي فرصة في..

"مدّ الشيطان يده المصبوغة بحمرةٍ قاتمة نحونا، هذا ما تراءى لي في البداية، قبل أن تتضح معالم ما يحمله في راحة يده... زهرة جوري حمراء".

"امتلأت مقلتاه المخيفتان خبثًا وهو يرصد ردود الفعل من حوله، وقبل أن يُدرك أيّ منا ما يعنيه تصرفه المريب، كانت القاعة قد اكتظت بالهمسات، كلمتان ولم يُسمع غيرهما.. الجورية الحمراء - The Red Rose".

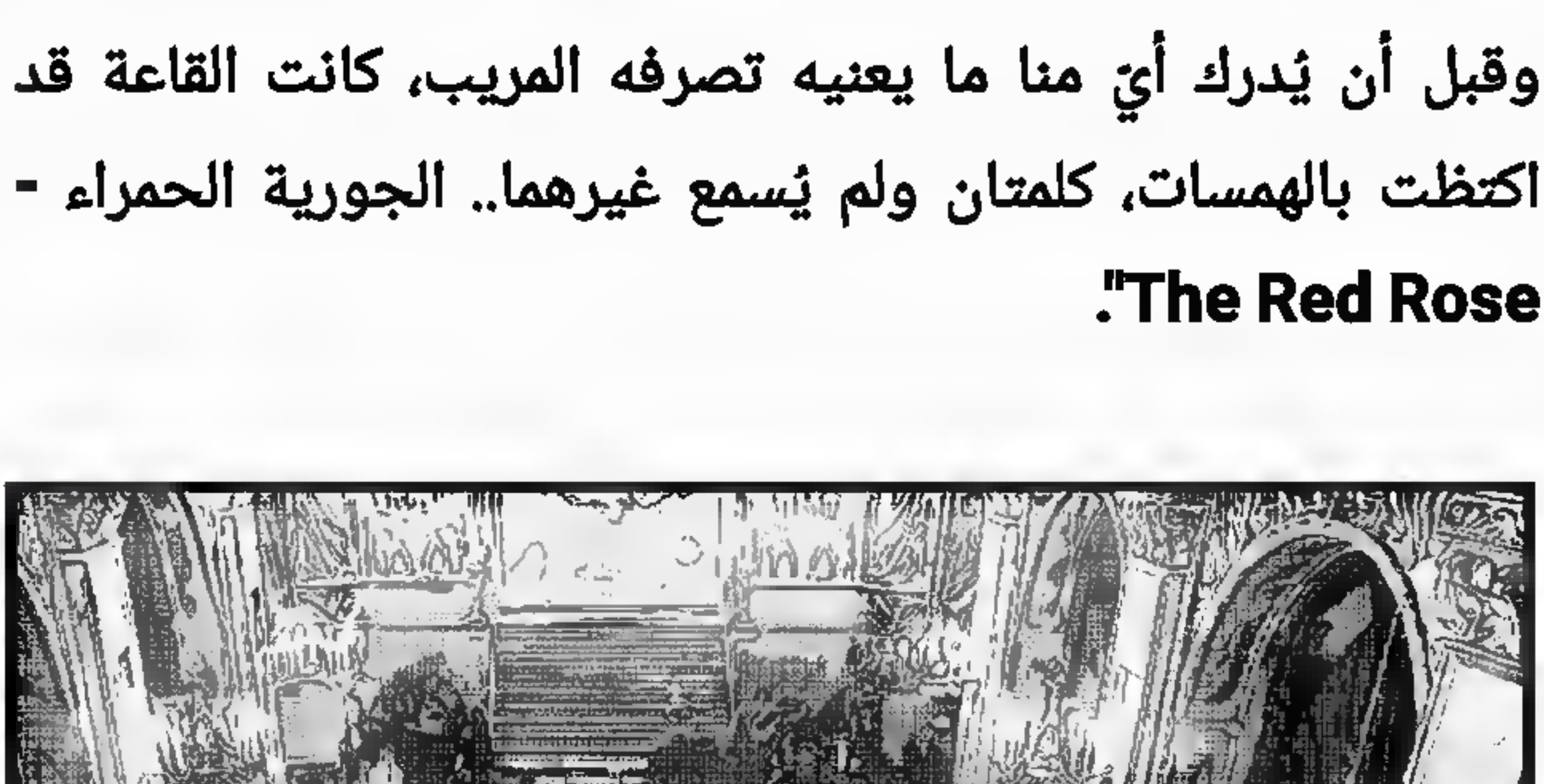

"ومع كل أسف، لم أكن الوحيدة التي وقعت في دوامة الجهل وسط هذا الحدث".

راقبت جيسيكا الضيوف عن يمينها ويسارها، دون أن تتمكن من إخفاء نظرتها الساخرة:

- الجورية الحمراء! إما أن جدي قرر أن يصبح شاعرًا، أو أنه يتمتع بروح دعابة سيئ.

على العكس من أختها، وضعت هيلين يدها على صدرها حيث كان من المفترض أن يتدلى عقدها هناك، ارتفع صدرها وانخفض بالتزامن مع تسارع أنفاسها المضطربة، تملكها الخوف بشكلٍ مفاجئ، فسألها ستيفان وقد لاحظ توترها:

- هيلين! هل تعرفين ما الذي يعنيه جدي؟

انتفضت شفتا هيلين وهي تهمس اسم أخيها التوأم الذي استشعر حالتها دون شرح:

- فيكتور..

عقد فيكتور حاجبيه بتعبير صارم، ثم خاطب إخوته بنبرة قاطعة:

- لا وقت للشرح الآن، سأبحث عن جوليا وكاثرين، أما أنتم فاسبقوني بمغادرة القاعة فورًا.

تركهم فيكتور ليذهب للبحث عن زوجته وابنته، بينما بدأت هيلين تتقدم بخطوات حثيثة، تحث إخوتها على اللحاق بها:

- اتبعوني.

سارت الأخت الكبرى بخطى سريعة، وتبعها كل من جسيكا وستيفان، في حين بقي تايلور واقفًا مكانه دون أي حركة، ورغم

نظرات هيلين التحذيرية، أصر الشاب على رفض المغادرة قائلاً:

- أيها الجبناء.

ما كان منهم إلا تجاهله واكمال طريقهم خارج القاعة، تخطت هيلين البوابة وهي تمسك بطرفي فستانها لتقول لأخويها:

- جيسي، ستيفان، ليذهب كل واحدٍ منكما إلى غرفته ولا يغادرها حتى طلوع الشمس، سأذهب أنا لأتأكد من موقع الآخرين.

لكن جيسيكا، التي لم تقبل هذا الإجراء دون تفسير، أسرعت لتعترض طريق هيلين، وأوقفتها بحزم:

- لن أتحرك إلى أي مكان حتى تشرحي لنا، ما الذي يحدث؟

انتفضت يدا هيلين وهي ترى الإصرار والعناد في عيني أختها، فما كان منها إلا الاستسلام وإلقاء الحقيقة:

- الجورية الحمراء... ليست مجرد رمز للعائلة، إنها شعار طائفة قديمة.

***

داخل القاعة، لم تتمكن فيكتوريا من كبح غضبها، فشتمت غاضبة:

- تبًا لكِ يا مارثا... أهذا ما يجمعكِ بأبي؟

من جانبه علّق ابنها وليام:

- الجورية الحمراء!.. إذًا الإشاعات صحيحة.

هزّت فيكتوريا رأسها تأكيدًا، ثم وجهت حديثها إلى ابنها وكايلي،

بنبرة تحمل ثقل الذكريات:

- حدثٌ كهذا شهدته مرتين من قبل، يُستخدم لإضافة أعضاء جدد إلى العائلة أو الـ...

أو "الطائفة"، كلمة خشيت فيكتوريا استخدامها أمام الشابين بما أنه مصطلح حُرّم استخدامه لقرون طويلة، ومنذ اللحظة التي أريقت بها الدماء للمرة الأولى.

تابعت فيكتوريا لتقول بصوتٍ خافت بينما عيناها على الظرف الأسود الذي تحمله بيدها:

- سئراق الدماء هذه الليلة، لذا، احذرا.

رفعت فيكتوريا رأسها مجددًا، لتوجه نظراتها نحو والدها بينجامين ومارثا، وقالت بنبرة مشوبة بالاستياء:

- لم أعتقد أن أبي سيلجأ إلى هذه الطريقة، خاصة وهو بمفرده مع مارثا... متى أصبحت تلك الأفعى في هذا الموقع؟

سألت كايلي عمتها بفضول:

- أي موقع تتحدثين عنه يا عمتي؟ أنت لا تعنين رأس العائلة، أليس كذلك؟

أجابتها فيكتوريا وقد بدأت بالتحرك إلى خارج القاعة:

- ليس رأس العائلة، بل مـ...

***

- مجلس الوجهاء...

كانت هذه الإجابة التي نطقت بها هيلين، قبل أن تضيف بنبرة مشوبة بالقلق:

- أنا وفيكتور شهدنا أحد هذه الطقوس من قبل، لكنها كانت بحضور جميع أعضاء مجلس الوجهاء... إذا كان جدي جادًا فيما يفعله، فسُراق الكثير من الدماء هذه الليلة، ونحن لسنا في مأمن من ذلك.

في تلك اللحظة، ظهر الخادم ألفريد من خلف الأخت الكبرى، بخطوات هادئة تشي بمدى جدية الموقف، انحنى للجميع باحترام، ضامًا يديه معًا، ثم وجه حديثه إلى هيلين بصوت منخفض يحمل نبرة رسمية:

- سيدتي، هنالك رسالة لكِ.

***

بمكرٍ وخبث شديدين، نسج بينجامين خيوط هذا الحدث بعناية،

مستغلًا رغبة الجميع الملحة في كشف هوية الوريث، قال بصوت جهوري يحمل بين طياته الإغراء والغموض:

- الكثير منكم يبحث عن هذه الفرصة الذهبية للانضمام إلى عائلتنا، كل أحلامكم ستصبح حقيقة؛ المال، الشهرة، المنصب، الانتماء، والحماية... لكن هناك اختبار بسيط.

توقف بينجامين، تاركًا الكلمات تتردد في الأجواء بثقل، ليتيح لـ مارثا فرصة استكمال الحديث، تقدمت أرملة ابنه بابتسامة تحمل خبثًا لا يمكن إخفاؤه، وقالت بصوتٍ ملؤه التحدي:

- إنه لمن الصعب أحيانًا التمييز بين الصديق والعدو، ومع ذلك، قمنا بالترحيب بكم جميعًا، لكن كرمنا الفائض أتاح للكثير من الغرباء بالتسلل بيننا، لذا، سنلعب لعبة صغيرة، ستكون أشبه بلعبة القط والفأر، إن أمسك أحدكم فأرًا واحدًا على الأقل، فسيضمن مكانه بيننا.

أشارت مارثا إلى الساعة الكبيرة المنتصبة في القاعة، وأضافت بحسم:

- لديكم وقتٌ حتى طلوع الشمس.

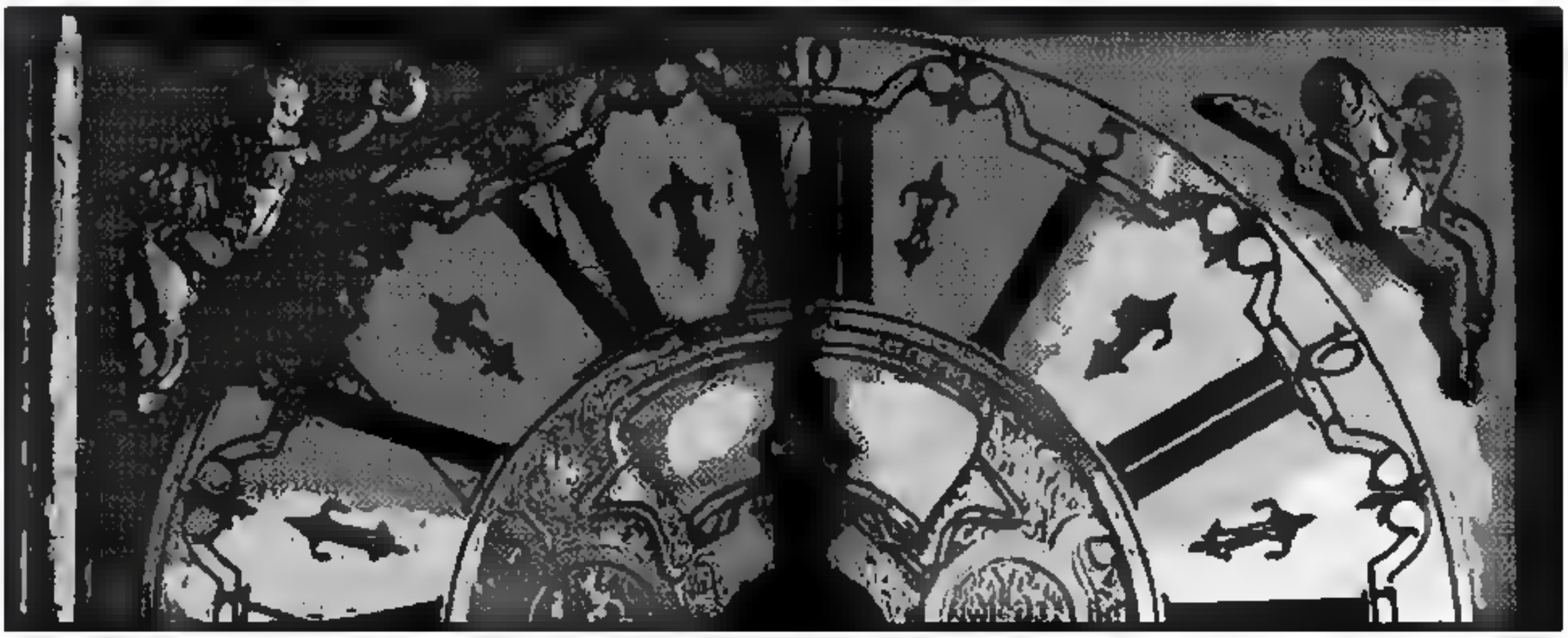

دقت الساعة مع نهاية حديثها مُعلنةً بداية الرعب الحقيقي.

"اعتقدت أن الفوضى ستعم القاعة بعد هذا الخطاب، لكن ما أفزعني أكثر هو السكون الثقيل الذي خيم على المكان، إنه السكون المعتاد لما قبل العاصفة".

ثم صرّحت مارثا بلهجة آمرة:

- الآن يمكنكم فتح الأظرف... إنها تحوي تلميحات صغيرة قد تفيدكم.

انسحبت مارثا ومعها بينجامين، تاركين القاعة تغرق في توتر مشحون، تحولت الابتسامات المزيّفة إلى وجوه متجهمة، واختفى الهدوء لتحل مكانه حرب باردة، انزوى كل ضيف في ركنه، يفتح الظرف بحذر، متفحصًا محتوياته بعناية لتنفيذ مهمته.

"وسط هذه المهزلة، وجدت نفسي أفتح الظرف على مضض، كسرت ختم الشمع الأحمر، وأخرجت ما بداخله رغم أنني كنت أرفض المشاركة".

"صورة! كانت لي ولم تكن في الوقت نفسه".

سقط الظرف من يد كيتلين ليستقر بجوار قدمها، حملقت في تفاصيل الفتاة في الصورة؛ الشفتان والأنف الصغير، العينان الزرقاوان الواسعتان، الشعر البني، ودبوس الشعر ذاته، فجأة، ارتجفت يداها، وأسقطت الصورة، بينما استرجعت ذكرى عتاب والدها لها عندما ارتدت ذلك الدبوس في جنازة كيليب.

"انحنيت نحو الأرض لالتقاط الصورة مجددًا، متشبثة بأمل أنني أخطأت، أو أن عقلي يلعب خدعةً ما".

لكن قبل أن تصل يدها إلى الصورة، سقطت زهرة مصنوعة من المحارم الورقية أمامها، تجمدت يدها وعقلها معًا بفعل المفاجأة.

"ألم تكن الصورة كافية؟ تذكرت رؤيتي الأولى لهذه الزهرة المصنوعة من المحارم الورقية في منزل البحيرة، حينها، ظننت أن ريوتا هو من صنعها، بناءً على ما قالته لي يوميكو، لكنني كنت مخطئة، لأنني وبحساب بسيط نسيت أننا ما كنا لوحدنا بالمنزل تلك الليلة".

رفعت كيتلين رأسها نحو الزهرة المرتمية على بعد خطوات قليلة منها، فظهرت خلفها الفتاة الغريبة ذات العينين الزرقاوين، نظرت إليها الفتاة بنظرة كئيبة، ثم استدارت ببطء لتغادر القاعة، لم يكن لدى كيتلين وقت للتردد، شعرت في أعماقها أن هذه الفتاة تحمل مفتاحًا لكشف سر كبير، نهضت على الفور لتتبعها، مدفوعة بحس لا يقبل الانتظار.

***

على الطريق المؤدية إلى قصر بيتفورد، كانت سيارة ماثيو تنطلق بأقصى سرعة، كان الثنائي في سباق مع الوقت، يسعيان لتحذير رفاقهما قبل فوات الأوان، ألقت يوميكو نظرة سريعة على الساعة الرقمية بجانب المذياع، تملّكها القلق وهمست بنبرة متوترة:

- لقد تأخرنا كثيرًا.

شدّ ماثيو قبضتيه على عجلة القيادة، وعيناه مثبتتان على الطريق أمامه، ثم أجابها بثبات لا يخلو من التوتر:

- لا تقلقي... سنصل قريبًا.

***

على قمة الجبل، وفي المرآب الذي فُتح أخيرًا بعد طول انتظار، أسندت ميغان ظهرها إلى أحد الجدران، وقد اكتفت بالمراقبة من بعيد، تحاول جاهدة تجاهل الذكريات المؤلمة التي أعادها منظر السيارة المهشمة، أشاحت برأسها محاولةً الهروب من شبح الماضي، ثم تأملت المكان بصوت مهتز:

- مر اليوم بطوله وما زال جسدي يرتعش كلما نظرت إليها.

رد دانيال، الذي كان يقف بجوارها، بنبرة هادئة لكنه لم يُخف قلقه:

- منظرها مرعب بحق.

لم تفوّت كيمبرلي الفرصة لوكزه بحدة، محاولةً إسكات صراحته غير المرغوبة، ثم همست وهي تشير نحو إدوارد وريوتا اللذين كانا يقفان بجانب السيارة:

- إن كان هذا ما تشعران به، فمن يعلم ما الذي يدور في خلد هذين الاثنين.

اقترب إدوارد من حطام السيارة، ومرر يده بتردد فوق هيكلها، ناحية باب المقعد الأمامي بجانب كرسي السائق، المكان الذي ماتت به والدته تحديدًا.

انحنى قليلاً لينظر داخلها، ليرى البقع الداكنة على الكرسي، رغم معرفته الإجابة، همس الشاب بسؤال لا يخلو من الألم:

- هل هذه البقع... آثار دمائها؟

لم تجد كارمن سوى أن تقترب منه، تربت على كتفه المثقل بعبء الذكريات، لكن إدوارد أدار رأسه نحو الزجاج الأمامي، حيث يمكن ملاحظة الثقبين، ليعلّق بنبرة تنضح بالقهر:

- أي محقق مغفل كان ليستنتج أن موتهما كان بسبب إطلاق النار، من فعل هذا يمتلك السلطة الكافية لتحويل جريمته إلى مجرد حادث مروري تافه.

اعتصر الشاب قبضته وقد استعرت النيران في قلبه حقدًا، فأضاف قائلاً:

- مهما كان الفاعل فسأمزقه بأسناني.

ضغطت كارمن على كتفه بشدة، محاولةً أن تمنحه قوة تمنعه من الانجراف في نفس الحفرة التي وقع فيها راين من قبله، إلا أن إدوارد يملك من المقدرة على ضبط النفس ما يفوق صاحبه، عادت ملامحه الهادئة ورفع رأسه مُعتذرًا للجميع:

- آسف، لم أقصد إخافتكم هكذا...

مدّ يده نحو ياقته ليسحبها بضيق، ثم نظر حوله قائلاً:

- المكان خانق هنا، سأخرج قليلاً لاستنشاق بعض الهواء.

وقبل أن يغادر، ألقى بقلادته على المقعد الأمامي، تاركًا القاعة في

صمت ثقيل، فقررت ميغان، التي لم تطق تركه وحيدًا، أن تلحق به:

- سأذهب لتفقده.

راقبت كارمن ميغان وهي تجتازها لتلحق بـ إدوارد، ثم خاطبت ابنة أختها لتطلب منها:

- أيمكنكِ أن تُحضِّري لنا بعض القهوة يا كيم؟

- في الحال.

أسرعت الفتاة بتلبية طلب خالتها بكل حيوية، غير أنها وقبل ذهابها سحبت معها دانيال:

- أيمكنك أن تساعدني يا داني؟

لحق بها دانيال على مضض، وعندما وصلا إلى المطبخ فتح إحدى الخزائن وسأل مُتكاسلًا:

- كيف يمكنني مساعدتكِ؟

أغلقت كيمبرلي الخزانة، واستندت على بابها وهي تنظر نحو الرواق بنظرات قلقة، قبل أن تقول:

- يمكنك أن تساعدني بالانتظار هنا بهدوء.

رفع دانيال حاجبيه بحيرة واضحة، فربّعت الفتاة ذراعيها مُفسرة:

- طلب خالتي لتحضير القهوة لم يكن إلا لإبعادنا... يبدو أنها ترغب في التحدث مع ريوتا على انفراد.

عند الدكة الأمامية للكوخ، جلس الأخوان ينظران إلى السفح

الممتد تحت سماء الليل الصافي، ضمت ميغان ركبتيها وأسندت ذقنها فوقهما وهمست بصوت يحمل مرارة دفينة:

- أتعتقد أن ما حصل كان بفعل عائلتنا؟

أومأ إدوارد برأسه وهو يجيب بصراحة ثقيلة:

- ومن غير عائلتنا يملك السلطة لفعل شيء كهذا؟

تنهدت ميغان وأغمضت عينيها، قبل أن تضيف بسخرية مُرة:

- ذكرني ألا أغضب أحدًا من العائلة في المستقبل.

نظر إدوارد إليها بابتسامة تعيسة، وربت على رأسها بلطف قائلاً:

- أعتقد أن الأوان قد فات لذلك يا أختاه.

فتحت ميغان عينيها لتبادله النظرة، بابتسامة بائسة وسخرية لا تخفي يأسها:

- هه... معك حق. نحن هالكون بلا شك.

في هذه الأثناء داخل المرآب، وقفت كارمن تحدق بهيكل السيارة المتهشم، شعرت بأنه من الأنسب الحديث مع ريوتا على انفراد، لاحظت الصمت المطبق عليه، فهو لم يُبدِ أي ردة فعل تُذكر تجاه حطام سيارة والدته، اقتربت منه بخطوات هادئة:

- لم تقل أي شيء منذ أن دخلنا إلى هنا.

أجابها ريوتا ببرود، وهو يحدق في السيارة دون أن يرمش:

- ربما لأنه لا يوجد ما يُقال.

لم تتمالك كارمن نفسها، ابتسمت لا شعوريًا، ولم تفارق عينيها وجه ريوتا، فقالت بشيء من الحنين:

- ألم يخبرك أحدٌ من قبل.. أنك تتحدث مثلها تمامًا.

بإمكان كارمن سماع صوت جاكلين يعمل كتسجيل عتيق في ذاكرتها، ومع ذلك التسجيل تعبر صور صديقتها الشاحبة أمامها فتختلط بتفاصيل ابنها الواقف هنا الآن:

- حركاتك، تصرفاتك، وحتى أبسط إيماءاتك، كلها تحاكي والدتك، ومع ذلك، تبدو خائفًا من تذكرها... ريوتا..

اقتربت منه أكثر لتكمل:

- والتك وماريا كانتا أعزّ صديقتين حظيت بهما بعد زواجي، وآلمني كثيرًا رحيلهما بتلك الطريقة.. لكن أتعلم أين أجد عزائي بين كل هذه الأنقاض؟

أثناء حديثها، وقعت عيناها على العقد الفضي الذي تركه إدوارد على المقعد الأمامي، التقطته بينما أكملت:

مع نهاية حديثها كانت قد وضعت العقد في يد ريوتا، وأغلقت أصابعه عليه برفق، انسحبت كارمن بعد أن أفضت بكل ما لديها، لقد فعلت ما باستطاعتها وألقت بكل أوراقها دون أن تعلم إن كانت قد أصابت الهدف أم لا، خفق قلب الشاب لكن ما كان لشيء قالته، بل لتصرّف صدر منها دون قصدٍ أو حسبان، انتفضت راحة يده إثر إحساس المعدن البارد، وهبطت عيناه على الحلقة الأخيرة في العقد المكسور، عرف فورًا أنه قطعة من قلادة ماريا التي كانت ترتديها يوم الحادث.

خارجًا كان إدوارد قد استعاد بعضًا من طاقته، انتصب الشاب من موقعه وهو يحدّث ميغان:

- لنعد إلى الداخل.

فتبعته أخته إلى الكوخ، سارت خلفه حتى وصلا إلى المرآب، هناك عند بابه المفتوح انقطعت خطوات إدوارد فسألته:

- لم توقفت؟

انزاح إدوارد قليلًا، ليريها ما أوقفه، تجمدت ميغان في مكانها، إذ كان ذلك مشهدًا لم يسبق لها أن رأته؛ كانت دموع ريوتا تنساب بصمتٍ على وجنتيه، وثُبلل العقد الفضي الذي كان يضمه إلى صدره، قبض عليه بيده المرتعشة بينما ارتجفت أنفاسه المكتومة في صراع مع الألم الذي يعتصر قلبه، فشعرت ميغان بمقدار الحزن المتدفق من جرحه القديم، اندفعت نحوه دون تفكير، لكن إدوارد أوقفها، وسحبها بهدوء إلى الخارج وهمس لها:

- دعيه يا ميغان..

كانت على وشك الاعتراض، إلا أن إدوارد أردف قائلاً:

- هذا ما كان يجب أن يحصل منذ البداية، دعيه يخرج كل ما في صدره.. سيشعر بالتحسن بعد ذلك.

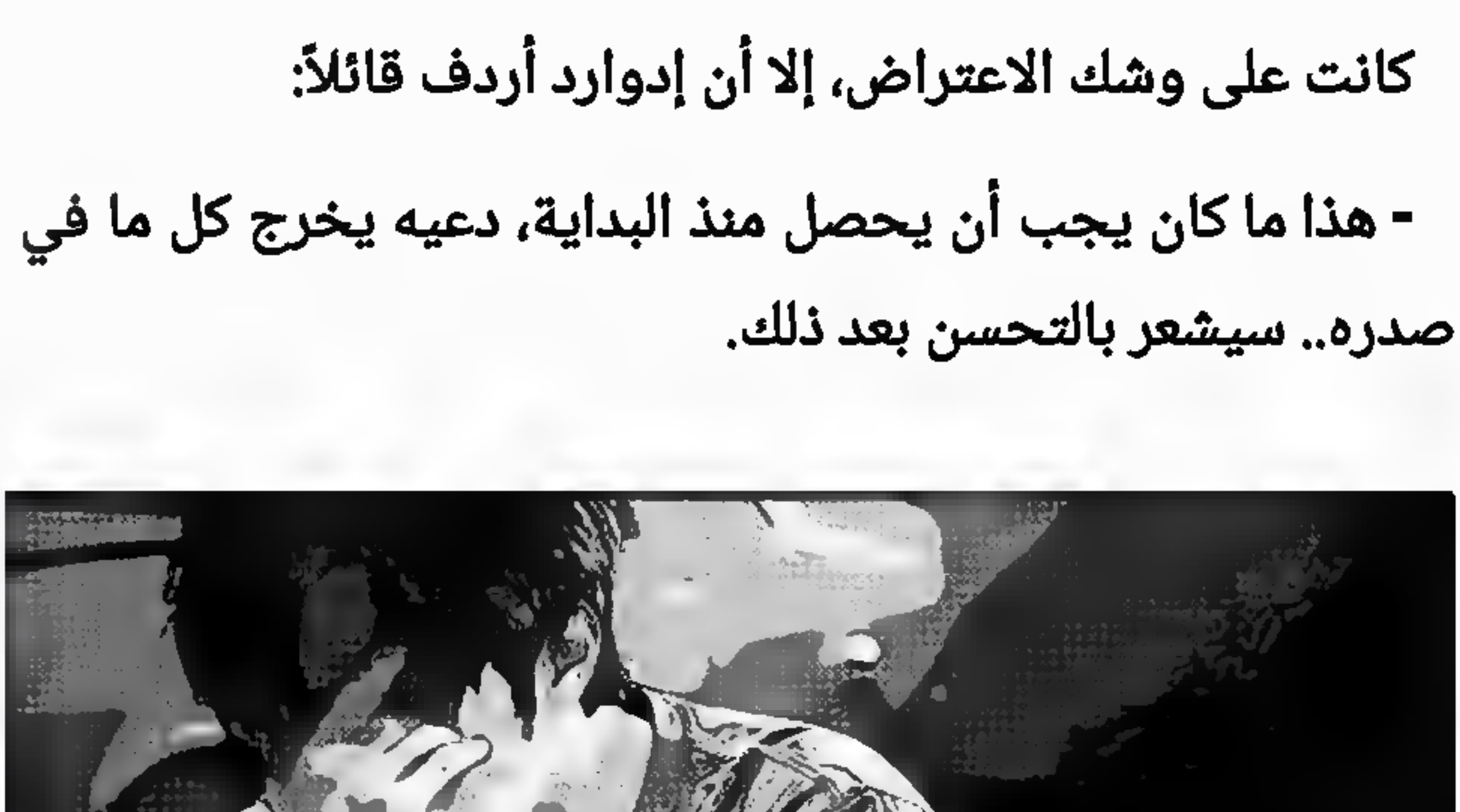

نظر إدوارد إلى ريوتا كما لو كان ينظر إلى مرآة تعكس ماضيه،

وتعيد إليه مشاعر يوم تلقى خبر وفاة والدته ماريا، قبضت الذكريات على قلبه بقوة، وابتعد بصمت، خشية أن تفيض عيناه أمام أخته، عندما وصل إلى حيث البقية، وضعت كارمن كوبين ساخنين أمامه وأمام ميغان، ثم قالت:

- لقد شُغلنا طويلًا، ونسيت أمر العشاء، سأبدأ الآن بالإعداد..

قُطِعَ حديث كارمن بغتةً لدى اقتحام ريوتا للمكان، جرى الشاب بسرعة البرق إلى حيث كانت الحقائب، دفع بها جانبًا وأخرج حقيبته من بينها، فالتقط هاتفه وهو يمسح آثار الدموع من على وجهه بذراعه الأخرى، أعاد تشغيل هاتفه المغلق بينما تجمع البقية من حوله لا يملكون أدنى فكرة عما جرى، بتوتر وصل إلى عنان السماء ضغط الشاب على زر الاتصال بأخته الكبرى هارو رغم علمه بأنها لم تأخذ هاتفها معها إلى ذلك الاحتفال، مجرد أملٍ ضئيل يحمله معه هو ما دفعه للمحاولة، فكُتِبَ لمحاولته بالفشل كون الجهاز مغلق، وهنا جرّب الاتصال على خياره الثاني، يوميكو والتي لم تقل بأنها ستذهب إلى الاحتفال.

***

في أثناء ذلك، اجتاز ماثيو ويوميكو بوابة قصر عائلة بيتفورد الجانبية، بعد أن سلما هاتفيهما عند حاجز التفتيش، سُمح لهما بالدخول رغم تأخرهما، وبينما كانت يوميكو تسير خلف أحد الخدم، سمعت صوت رنين هاتفها من بعيد، فتوقفت لتلتفت ناحيته مخاطبة الخادم:

- هل يمكنني العودة للإجابة عن المكالمة؟

نظر الخادم إليها بنظرة مريبة، وقبل أن يرد، همس ماثيو لها:

- أخشى أن يُطردونا إن حاولنا العودة من أجل الهاتف.

***

على الجانب الآخر لتلك المكالمة انتظر ريوتا إجابة أخته بيأس إلى أن استسلم أخيرًا وألغى الاتصال، بعينين تائهتين راح ينظر إلى يديه والهاتف يرتجُّ من انتفاضة كفه اليسرى، فارتمت ميغان إلى جانبه، جلست إلى جواره، دفعت مخاوفها جانبًا، وأمسكت بيده

بقوة، سألته:

ابتلع إدوارد ريقه بتوتر منتظرًا ما سيفضي به ريوتا، فأجاب الأخير دون أن تحيد عيناه عن يده:

- لقد كانت في يدي.. كانت معي..

- ما الذي تتحدث عنه؟

سأل إدوارد بانفعال. رفع ريوتا رأسه ونظر مباشرة إليه، ثم قال:

- قلادة والدتك.

في لحظاتها الأخيرة، تجاهلت ماريا جراحها وآلامها التي كانت تنهش جسدها، حافظت على ابتسامتها أمام ريوتا، وكأنها تحاول أن تخفف عنه وطأة اللحظة، بيدين مرتعشتين، نزعت القلادة الفضية من عنقها، انكسرت الحلقة الأخيرة للسلسلة وسقطت، لتنفصل عن قلب العقد الذي وضعته برفق بين راحتي الصبي وهي تقول:

نظرت إليه بعينين مليئتين بالرجاء، وقبل أن تسيطر عليها سكرات الموت، همست بصوت خافت:

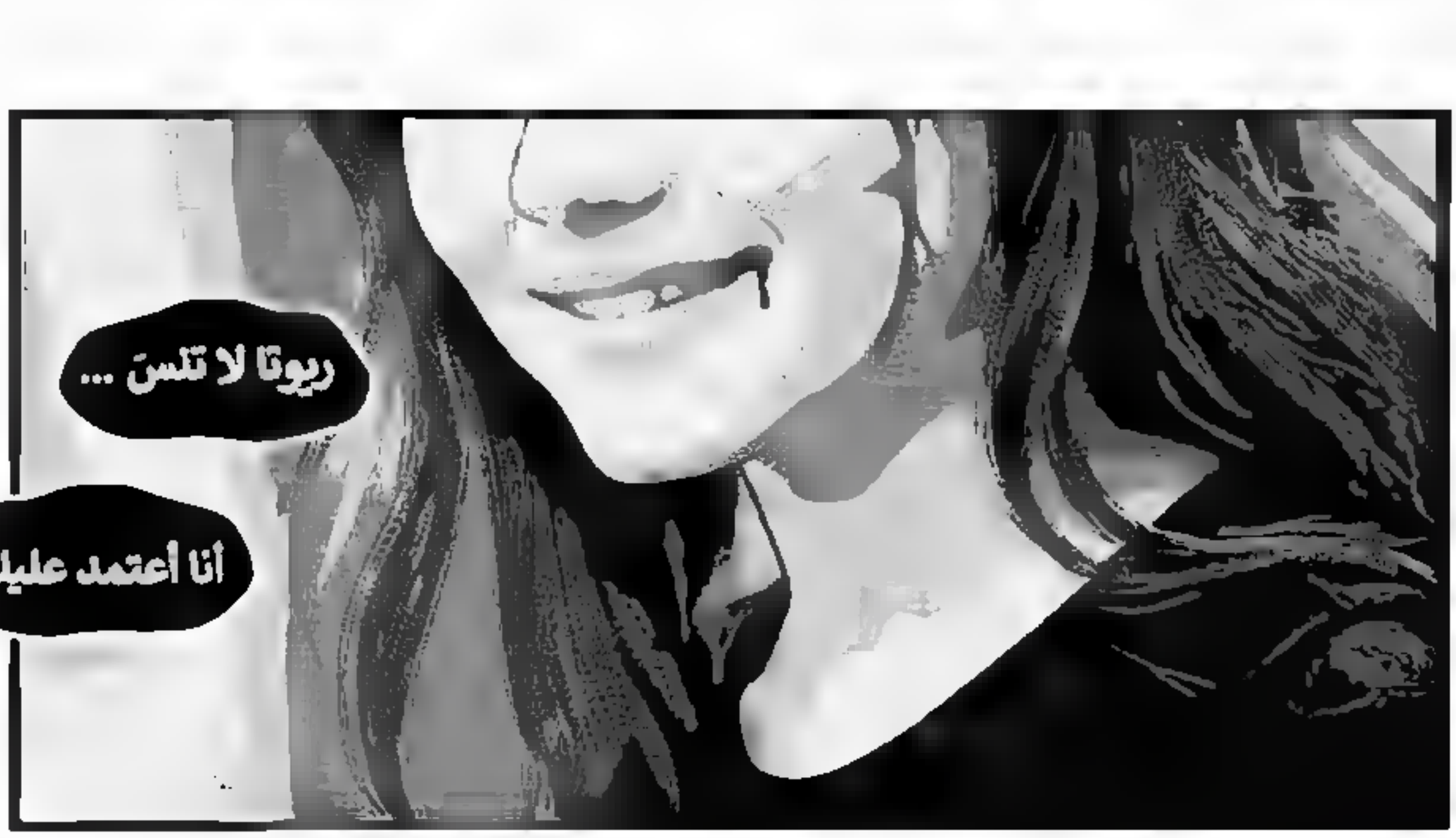

بالعودة إلى الحاضر، وقف ريوتا من مكانه فجأة، دون أن يكترث للهاتف الذي سقط من يده، كانت عيناه مثبتتين على إدوارد، عندما خاطبه قائلًا:

- طلبت مني أن أسلمها لك.

نظر إدوارد إليه بملامح متجهمة، محبطًا من الكلمات التي سمعها، تساءل بنبرة محبطة:

- ما فائدة القلادة، أهذا كل شيء؟

رد ريوتا، وعيناه تلمعان بشيء أعمق:

- لا..

***

في منتصف الاحتفال، كانت كيتلين لا تزال تتبع الضيفة الغامضة بخطواتٍ حذرة، عبرت خلفها من رواق إلى آخر، متجاهلة كل الأصوات من حولها، وكأن العالم تقلص إلى أثر أقدام تلك المرأة، وعندما كادت الظلال تبتلعها في البهو الأخير، صاحت كيتلين بنبرة حادة:

كطائر أسير للخداع، اندفعت نحو الطعم المزيف، لم أكن أعرف حينها أن الفخ قد شُيّد خصيصًا لي".

من خلف الضيفة، انبثق من الظلام ظلٌ قاتم، كان هنالك ينتظر بصبر وإصرار حتى تأتي فريسته إليه على أقدامها، وحالما تأكد من خلو المكان، خطا إلى الأمام بخطوات واثقة، فاستقبل قناع وجهه البشع أشعة ضوء القمر المتسللة من النافذة القريبة.

***

داخل كوخ كارمن، نُطق الاسم المشؤوم أخيرًا، وكأنه شبح عاد ليطارد الجميع، قال ريوتا بصوت ثابت رغم ثقل الحقيقة:

- إدموند لا يزال حيًا.

شهقت كارمن بفزع، بينما اتسعت عينا إدوارد وكادت تخرجان من محجريهما، هزّ رأسه بعنف، رافضًا قبول ما سمعه:

- هذا مستحيل.. لقد قتلته بنفسي تلك الليلة..

فقد إدوارد توازنه، وجلس على الأريكة خلفه، محاولًا استرجاع ذكريات يوم الحريق، ذلك اليوم الذي أطلق فيه النار على إدموند بيتفورد بيديه، بصوت متحشرج قال ولا يزال عقله يرفض قبول الحقيقة:

فَرَدَ إدوارد يديه أمام الجميع، وكأنهما تحملان عبء الذنب الذي لا يزال يطارده، نظر إليه ريوتا بجدية، وأضاف:

- "إدموند يطاردني"... كان هذا أول شيء نطقت به ماريا عندما صعدت إلى سيارة والدتي.

***

كانت مطاردة كيتلين قد وصلت إلى نهايتها بعد أن ظهر لها من كان ينتظر وصولها.

"اقترب الشيطان ناحيتي بخطوات بطيئة، أول ما لفت انتباهي كان الندبة البارزة التي تشوه يده، تحت مسار ضوء القمر الباهت، رفع يديه بحركة بطيئة ونزع القناع عن وجههِ، سقط الوجه المزيف وكشف عن التفاصيل الحقيقية لصاحبه، تجمدت في مكاني، وقلبي ينبض بجنون كأنه يريد الفرار، عندها فقط أدركت الحقيقة البشعة... لقد كنت أقف وجهًا لوجه أمام شبح كيليب، ذلك الطيف الذي غضَّ مضجعي منذ أحداث رحلة منزل البحيرة".

٢٧٠٧٩٥١٣١١

NOTES

DATE: 30 / 10 / 2017 S M T W T F S

Note

*فقدان الذاكرة الهتم :

هو أحد أشكال فقدان الذاكرة التفارقي Dissociative Amnesia، ويعد من أندرها وأكثرها شدة، حيث يفقد الشخص جميع الذكريات الشخصية تقريبا، بما في ذلك اسمه، هويته، ماضيه. لا يكون هناك سبب عضوي واضح «مثل إصابة دماغية»، بل يكون السبب نفسيًا بحتا.

الصدمة النفسية الشديدة الناتجة عن اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD) قد تؤدي إلى انهيار آليات الذاكرة، فيلجأ العقل إلى إغلاق الذكريات كوسيلة دفاعية.

*الأعراض التي تم ملاحظتها:

١. تجنب مواقف أو أماكن مرتبطة بالحدث الصادم، حتى دون وعي مباشر بسبب النسيان.
٢. تشوش في الهوية أو الإحساس بالذات.
٣. ظهور ذكريات كاذبة أو مشوهة نتيجة محاولات العقل لملء الفجوات.
٤. ذكريات متطفلة (flashbacks) لبعض الأحداث، بينما ينسى تمامًا أجزاء أخرى من حياته.

NOTES

DATE: 30 / 10 / 2017 S M T W T F S

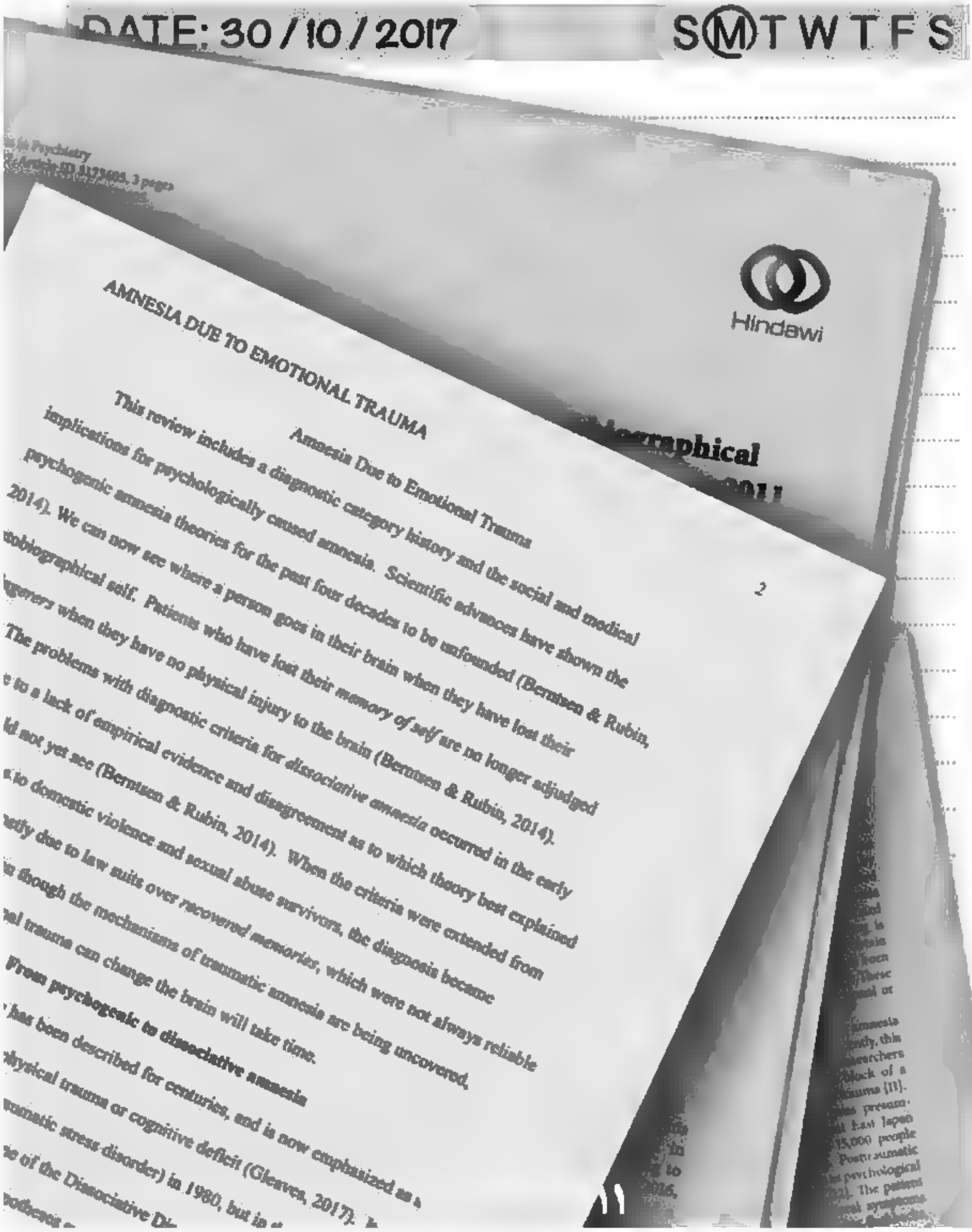

(6)

ليلة سفك الدماء

Bloodshed Night

تجاوزت الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل وحل يوم الـ 30 من أكتوبر، بدأ التحدي بفتح معظم الضيوف للمغلفات التي وُزِّعت عليهم، من جهة أخرى، كان هناك عدد لا بأس به ممن قرروا الانسحاب خوفًا من نتائج هذه اللعبة.

مستغلًا الظلام، ومستعينًا بالنور الخافت لإضاءة الشموع، أخرج راين أربع أكياس صغيرة من جيب سترته ومررها على رفاقه:

احتوى كل كيس على مجموعة من الكاميرات اللاسلكية الصغيرة، كانت الخطوة الأولى في الخطة هي زرع هذه الكاميرات في أماكن متفرقة حتى تصبح أعينهم داخل القصر طوال الوقت.

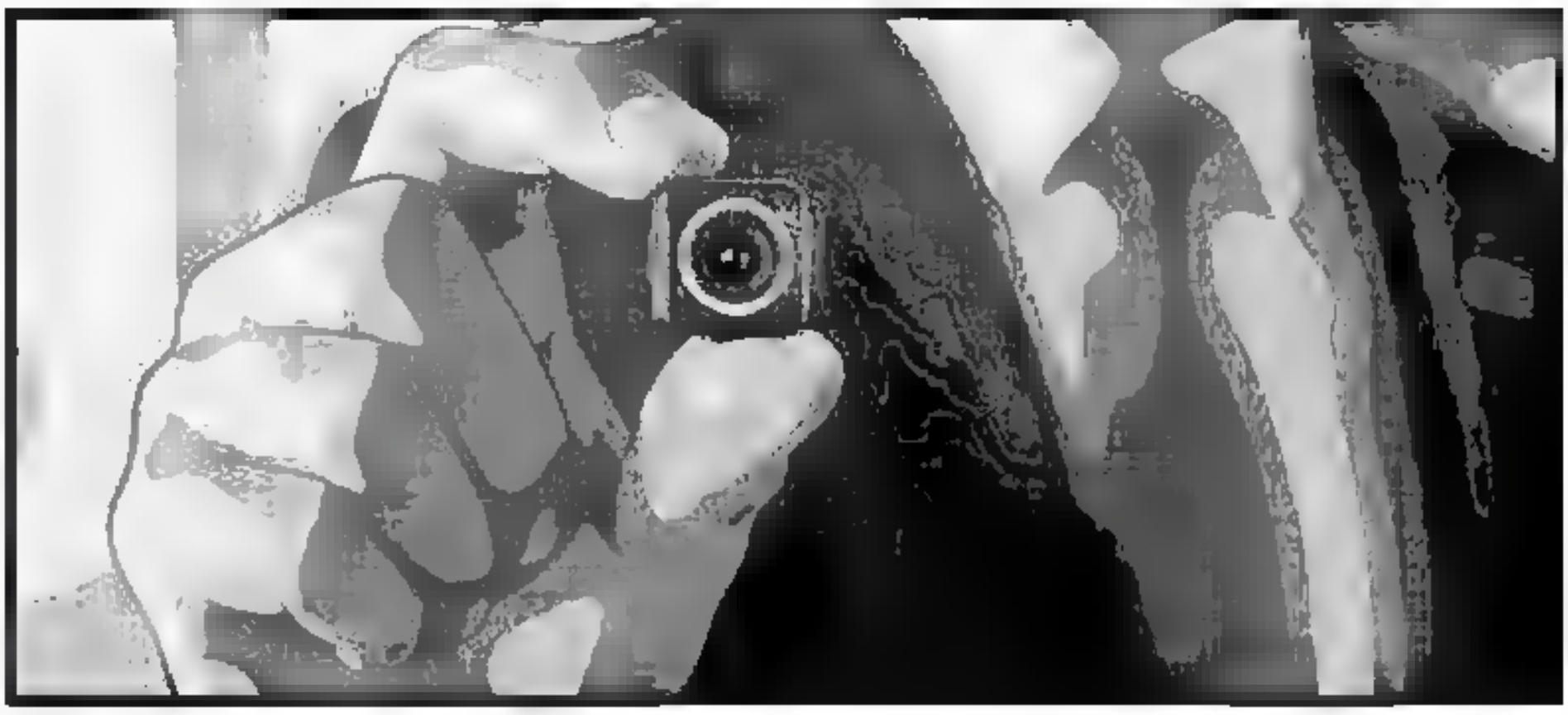

بعد أن تأكد راين من توزيع الأكياس، انقسم الفريق إلى مجموعتين: هارو مع راين، وستيف مع بيانكا، وقبل افتراق المجموعتين، قال راين بصوتٍ خافت:

- بعد الانتهاء، ليعد كل واحد منكم إلى غرفته، وحاولوا تجنب الاحتكاك مع الضيوف.. هذه اللعبة قد تتسبب بمشكلات نحن في غنى عنها.

ومن دون تردد، مزّق راين الظرف الخاص به ورماه أرضًا، وارتدى قناعه كما فعل البقية، لتنقسم المجموعتين ويذهب كل ثنائي في اتجاه مختلف.

***

كان توماس لا يزال حبيسًا في غرفته، بعد أن تعب من التجوال في أركان المكان لساعات دون فائدة، رمى بنفسه على السرير وألقى نظرة خاطفة إلى عقارب الساعة المعلقة على جداره، لم يكن يستطيع النوم وهو يعلم بأن هناك احتفالًا يجري على الجانب الآخر من باب غرفته، فنهض مغتاظًا وتوجه إلى الباب، ضمّ قبضته وراح يضرب مخرجًا الغضب المتراكم من ساعات حبسه الطويلة، وإذا به يتوقف فجأة.

أدرك حينها أن الباب لم يكن مقفلاً من الأساس! تملّكه تساؤل: هل نسيت والدته إغلاقه؟ أم أنها كانت واثقة من أنه لن يحاول الخروج؟ أياً كان السبب، لم يكن ذلك مهمًا بعد الآن؛ فهو أصبح حرًا طليقًا، ابتسم ابتسامة منتصرة، ثم عاد وأخذ شيئًا من خزانته قبل أن يفتح الباب ويغادر الغرفة- لكن سعادته لم تكتمل؛ إذ وجد الحارس واقفًا أمامه، أطلق توماس نخرة ساخرة من نفسه، وقال:

- حسنًا، هي لم تنسَ إقفال الباب، أو أنها تثق بابنها الحبيب، كل ما في الأمر أنها تثق بحراسها أكثر من أي أحد آخر.

نظر إليه الحارس بجدية وأشار إلى داخل الغرفة قائلاً:

- من الأفضل أن تعود إلى الداخل يا سيدي.

رفع توماس يديه معترضًا على الأوامر وقال:

- آسف، لكن لا يمكنني فعل ذلك..

ثم أشار خلف الحارس وأضاف:

- كما أنه يوجد شخصٌ ما خلفك.

- هذه الحيلة لن تنطلي علي يا سيدي.

لكن توماس أصرّ وهو يشير مجددًا:

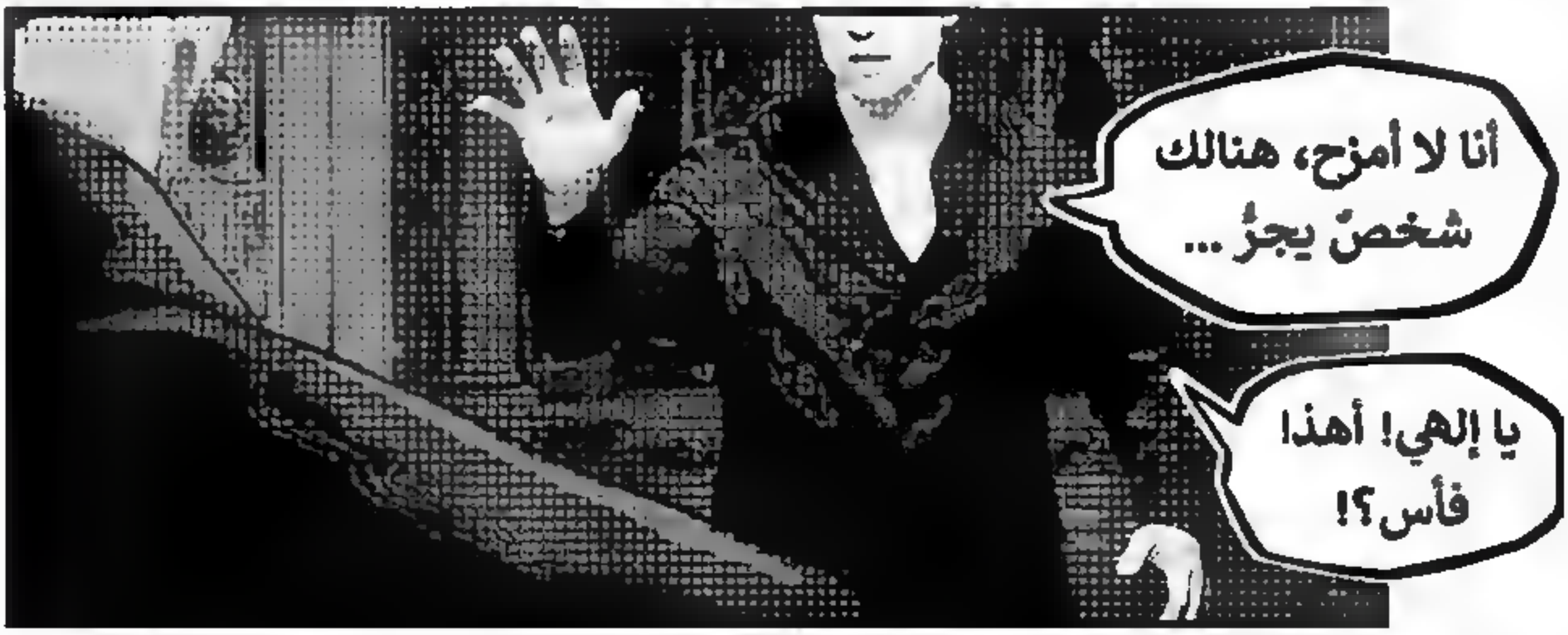

تراجع توماس بفزع، فما كانت هذه حيلة للمراوغة من طرفه، خلف الحارس ظهر شخص غريب يرتدي بذلة أنيقة وقناعًا للحفل يخفي وجهه، هيئته دلّت على أنه أحد الضيوف، لكنه لم يكن طبيعيًا، اقترب وهو يحمل فأسًا كبيرة نزعها من إحدى التحف المنتشرة في القصر.

استدار الحارس لمواجهة هذا الغريب الذي لم يتردد بالتلويح بفأسه مستهدفًا رأسه، استدار الحارس لمواجهة الرجل المقنّع، الذي

رفع فأسه عاليًا محاولًا توجيه ضربة قاتلة، لكن الحارس تفاداها بسرعة، اشتبكا بعنف، حيث حاول الحارس نزع الفأس من يد الرجل المقنّع، الذي قاوم بشراسة، بعد صراع محتدم، تمكن الحارس من إجبار خصمه على إسقاط الفأس وتوجيه لكمة جعلته يتراجع، استغل توماس الفوضى وهرب مبتعدًا، ارتدى قناعه الذي أخذه قبل مغادرة الغرفة.

***

بعيدًا عن الفوضى التي اجتاحت الاحتفال، كانت هناك عاصفة أخرى تتشكل في الخفاء، عاصفة أثارها فتح ملف إدموند، أحد أبناء بينجامين بيتفورد، والشقيق الأصغر لـ كيليب، وفيكتوريا، وفيليب بيتفورد، إدموند، الذي أُشيع خبر وفاته محترقًا في حادثة الفيلا قبل تسعة عشر عامًا، والشخص الذي أطلق إدوارد عليه النار بهدف قتله، عاد ليصبح محور الحديث، تاهت ميغان في هذه التفاصيل الجديدة، فسألت أخاها بارتباك:

- عمي إدموند! أنا لا أتذكره ولكنني قد علمت بأنه مات في حريق الفيلا الخاصة بنا..

تحرّت الفتاة ملامح إدوارد قبل أن تضيف:

- لقد مات محترقًا.. فما الذي تتفوه به الآن يا إدوارد؟

أنزل إدوارد رأسه واحتضنه بين كفيه مفكرًا:

- ذلك اللعين.. كيف نجا من الموت؟

أطبق الشاب على أسنانه غيظًا، وهو الذي عاش سنوات طويلة

يحمل عبء ذنب قتله، أمام إدوارد، كان ريوتا قد تمكن من ربط الحقائق المتناثرة، لكنه احتاج إلى تأكيد استنتاجاته، فسأل بحذر:

- الشخص الذي أردت حمايته.. كانت والدتك ماريا، أليس كذلك؟ هل..

توقف ريوتا، غير قادر على إكمال السؤال، كيف له أن يسأل إدوارد إن كان إدموند قد تجرأ على لمس والدته؟ لحظة سماعه لسؤال ريوتا أنزل إدوارد يديه ببطء، ما زال مطأطئ الرأس، وكأن شعور الخزي مما جرى لا يزال يغمره:

- ذلك اللعين كان مهووسًا بها، وصل به الحال لدرجة الجنون.

ثم ابتسم بسخرية مريرة وأضاف:

- الضحك أن والدي الذي كرهته هو من كان يحميها من جنون أخيه، ولم يكن ذلك حبًا بها.. بل لأنه كان يستغلها بدوره..

نظر إدوارد إلى ميغان، التي بدت غير مصدقة لما فعله أخوها، قال لها بصوت مثقل:

- لقد فرض نفسه عليها في تلك الليلة... لم يكن أمامي خيار سوى التخلص منه.. بعقله المريض ذاك، كان سيلحق بها لأقاصي الأرض إن لزم الأمر.

سرت رعشة في جسد ريوتا من حديث إدوارد، وبلحظة إدراكٍ التفت نحو دانيال مخاطبًا إياه:

- كيتلين!... إن كان إدموند قد شاهد أختك كيتلين فسيلحق بها

كما فعل مع ماريا.

- منزل البحيرة؟

أومأ ريوتا مؤكدًا، وأسرع لالتقاط هاتفه، سألتهما كارمن بقلق متزايد:

- ما الذي تتحدثان عنه؟

بينما كان يطلب رقمًا ما، أجابها ريوتا بصوت متوتر:

- أعتقد أننا واجهنا إدموند دون أن ندرك هويته.

اعتقدوا يومها بأنها مجرّد هلوسات أفضت بها كيتلين، لكن الحقيقة كانت أكثر رعبًا مما تخيلوا، الشبه كبيرٌ بين الأخوين جعل كيتلين تعتقد بأنها شاهدت كيليب بينما كان من ظهر لها هو إدموند شقيقه الأصغر.

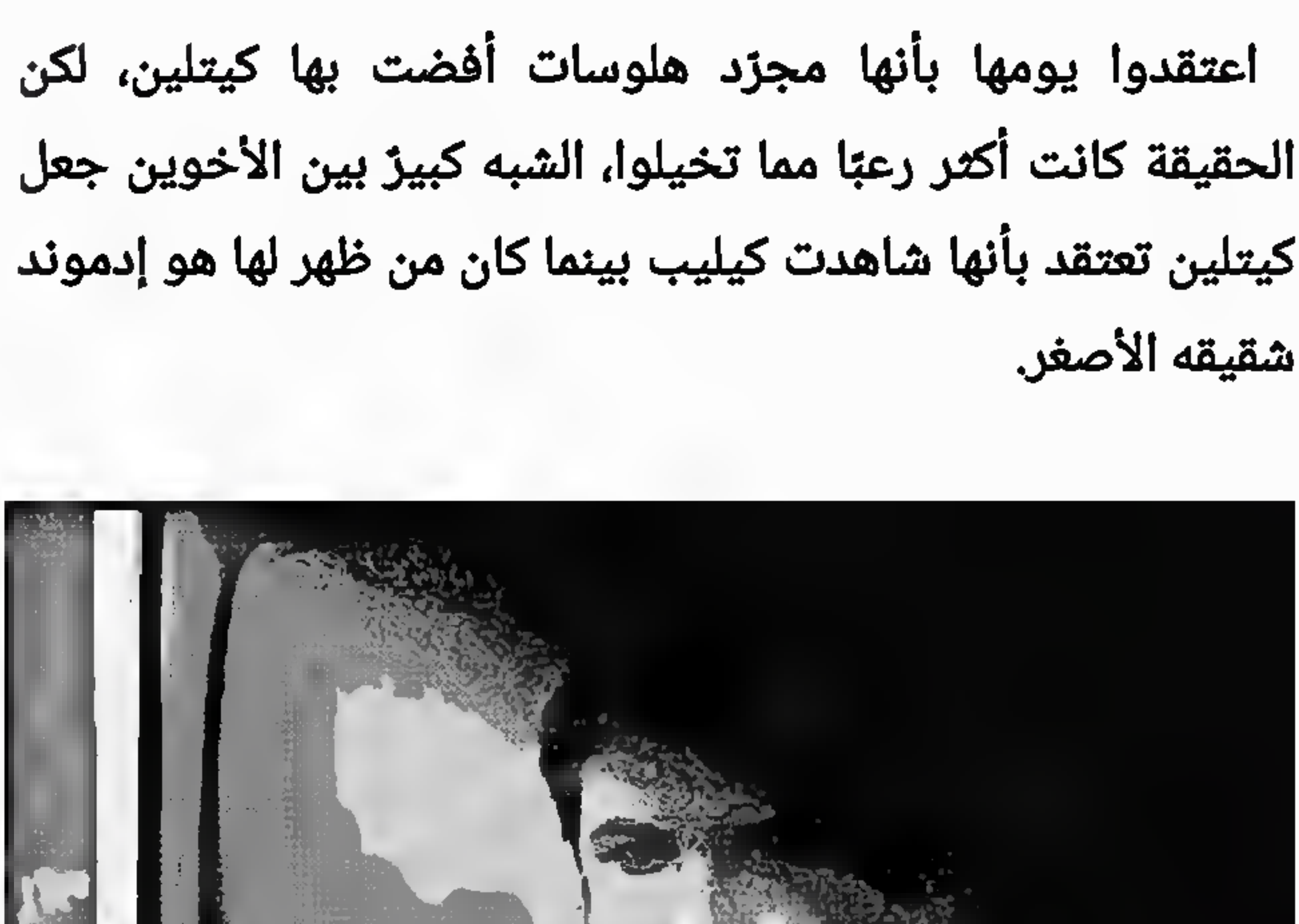

تابع ريوتا حديثه، وقد بدأت الحقائق تتضح أمامه:

- إذا كان إدموند قد رآها أثناء جنازة أخيه، فمن المحتمل أنه هو من وضع المخدر في شرابها... ذلك الحقير، كان ينوي استغلالها.

- أين هي كيتلين الآن؟

سألت كارمن الأولاد جزعةً مما آل إليه الحديث، فأجابها ابنها:

***

"كنتُ في موضعٍ لا يُحسد عليه، أترقب مصيري أمام من جَسّد شبح كيليب بيتفورد. ليته كان مجرد طيف أو سراب، فأقطعه بتلويحة من يدي العارية كما يُقطع الهواء".

ابتسم مجنون ماريا، وهو يشير إلى الزهرة بين يدي كيتلين، قائلاً بنبرة هادئة تشي بمقدار هوسه:

تراجعت كيتلين إلى الخلف، وقد أسقطت الزهرة من يديها باشمئزاز، بينما ذكريات منزل البحيرة تعود إليها تدريجيًا.

"مقتُ نفسي لأنني اعتقدت أن الزهرة من صنع ريوتا، بينما كانت في الحقيقة وليدة يد خبيثة لرجل مضطرب".

صفّق إدموند بحماس مبالغ فيه، وقال للفتاة ذات القناع:

- أحسنتِ صنيعًا، والآن غادري في الحال.

لكن قبل أن تنفذ أوامره، أضاف المجنون بصوت يحمل تهديدًا خفيًا:

- لا تنسي انتزاع تلك العدسات.

امتثلت الفتاة لأوامره بخضوع.

نزعت قناعها، فكشفت عن وجهها الحقيقي أمام كيتلين التي شهقت بذهول:

- غابي!

كانت الخادمة التي استقبلتها هي وإيما عند وصولهما إلى القصر، أسقطت غابي القناع قرب قدميها، ثم نزعت العدسات دون أن تنبس بكلمة، ضحك إدموند بصوت عالٍ، قائلاً بسخرية:

- هذا اللون لا يليق إلا بماريا...

ثم أدار رأسه ناحية كيتلين ببطء مضيفًا:

- ألا تتفقين معي يا ماريـ.. أعني يا كيتلين؟

غادرت الخادمة غابي المكان تاركةً إدموند ليستفرد بضحيته كما يحلو له، اقترب المجنون بثباتٍ ناحية كيتلين، وكل خطوة له للأمام يقابلها واحدة للخلف من قِبَلِ الفتاة التي وجدت نفسها وقد حوصرت، عندها استجمعت القليل من شجاعتها ورفعت الصورة:

- أعتقد أنك تخلط بيني وبين هذه الفتاة.

ضغطت كيتلين على الصورة بأناملها المرتجفة، وتابعت بغضب:

- هذه ماريا...

ثم انفجرت به غاضبة:

- ما هي علاقتي بها؟ ما تفسير هذا الشبه بيننا؟

توقف إدموند فجأة، ووضع يده على فمه بطريقة درامية، ثم أجابها بحسرة مصطنعة:

- أوه يا عزيزتي، ألم يخبركِ أحدٌ عن ماريا؟ ولا حتى إدوارد؟

عادت ابتسامة إدموند الشيطانة لتشق وجهه العفن وهو يقول:

- فـ إدوارد ابنها بعد كل شيء.

"أصابني شلل في التفكير يومها، وراحت الحقيقة تعصف بعقلي ومشاعري على حدٍ سواء، إن كان إدوارد هو ابن ماريا، فأين موقعي من كل هذا؟"

"طافت مشاهده أمامي بسرعة البرق، وتذكرت نظراته الأولى لي في جنازة كيليب.. عيناه الرماديتان لم تكن تحمل نظرات شاب عاشق كما صور لي عقلي الساذج، لقد تقرّب مني واكتسح عالمي رغمًا عنه بعد أن رأى انعكاس وجه والدته فيّ".

قطع إدموند خيط أفكارها المهترئ وداس عليه وقال بكل سخرية:

- أكره أن أكون الشخص الذي يُفشي الأسرار العائلية، لكن يمكنني أن أقوم باستثناء لأجلكِ أنتِ فقط.. بشرط واحد.

راقب المختلّ ردّة فعلها بحرص وهو يلقي بعرضه:

- لا تغادري هذا المكان بعد الحفل، ابقي هنا.

ثم فتح ذراعيه، وابتسمت عيناه بجنون وهو يضيف:

- ابقي بقربي يا ماريا.

***

في أعلى الجبل، خيم الرعب على الجميع بمجرد إدراكهم مكان تواجد كيتلين، بينما ضمت كارمن يديها معًا بقلة حيلة وهي تراقب محاولات الشباب اليائسة للتواصل مع أي أحد في هيل تاون. من جهته، حاول إدوارد الاتصال بجميع إخوته، لكنه حصل على نفس الإجابة: أجهزتهم كانت مغلقة. على الجانب الآخر، أغلق ريوتا الخط مع صديقه كين الذي طلب منه البحث عن أخته يوميكو ووعده الأخير بإيجادها، وهنا حدث ما لم يكن متوقعًا، ورد ريوتا اتصال من رقم غريب، وعندما أجاب، جاءه صوت يوميكو، مترددًا ومضطربًا:

- أخي.. أهذا أنت؟

كانت يوميكو قد تجاهلت نظرات الخادم المريبة وعادت إلى حارس البوابة، ترجته أن يسمح لها باستخدام هاتفها للمرة الأخيرة قبل دخول القصر، بينما كان ماثيو ينتظرها مع الخادم عند المدخل. لم تتعرف على الرقم الغريب في البداية، لكن عندما أعادت الاتصال، تبين أنه من أخيها ريوتا الذي أجابها:

- نعم هذا أنا، أعتذر عن الاتصال في وقت كهذا، لكن..

قاطعته أخته وهي تلتفت ناحية ماثيو والخادم، جزء منها شعر بالذنب على ما تفعله لهذا اعترفت له:

- قبل أن.. تقـو.. ل.. أنا... حـ..

كان الاتصال سيئًا للغاية، مما منع ريوتا من فهم كلماتها بوضوح، فحاول جاهداً:

- يوميكو، لا أستطيع سماع ما تقولينه جيدًا.

- بيتف ـورد.

تجمد ريوتا للحظة وسأل بقلق:

- بيتفورد؟ يوميكو، هل أنتِ في الحفل أيضًا؟

تدخل إدوارد سريعًا وأشار إلى ريوتا ليضع الهاتف على مكبر الصوت، مما مكّن الجميع من سماع المكالمة بوضوح نسبي، فقال إدوارد بصوت متوتر موجّهًا تعليماته لـ يوميكو:

- يوميكو، ابتعدي عن القصر لبضع خطوات.

على الجانب الآخر، بالكاد تمكنت الفتاة من سماع طلبه، نفذت الأمر وتراجعت للخلف قبل أن تسأل:

- هل يمكنك سماعي الآن؟

ما إن وصل صوتها إليهم بوضوح، حتى ضغط إدوارد على جانبي صدغيه وأغلق عينيه بإحباط، متفوهًا:

- كما توقعت، إنهم يستخدمون أجهزة للتشويش.

اقتربت كارمن من الشابين، وصوتها يحمل نفحة من القلق:

- هذا سيء للغاية، يجب إيقاف هذا الحفل.

على الجانب الآخر، لم تتمكن يوميكو من التعرف على صوت كارمن أو حتى التأكد من هوية إدوارد، فسألت أخاها بخوف:

- どうしたんだ、兄ちゃん？誰が一緒にいるの？

それと、どこにいるんだ？ (2)

رفع ريوتا عينيه ونظر إلى إدوارد والبقية قبل أن يُجيبها:

- أنا مع إدوارد بيتفورد، لا وقت لأدخل في التفاصيل الآن، لهذا أخبريني هل أنتِ مع كيتلين؟

هزّت الفتاة رأسها نفيًا، لترد بسرعة:

- لا، لقد وصلت للتو مع ماثيو، أما كيتلين فقد سبقتني مع إيمّا إلى هنا.

أمسك إدوارد بالهاتف بحزم وقال:

- يوميكو.. إذا تمكنتِ من دخول القصر، لا تفترقي عن ماثيو. ابحثا عن كيتلين وإيمّا، ثم غادروا عبر باب الخدمة الذي يستخدمه الخدم في الجهة الشرقية، يمكنكم طلب المساعدة من أختي جيسيكا، وإذا لم تجدا كيتلين، ابحثا عن راين وأخبريه عن لساني: "طلقاتي الأربعة لم تكن كافية"، سيتكفل هو بالباقي.

- سأفعل ذلـ...

وقبل أن تكمل يوميكو ردها، قطع التشويش الاتصال فجأة، فأعاد إدوارد الهاتف إلى ريوتا.

- سحقًا..

شتم الشاب غاضبًا مُحاولًا معاودة الاتصال بأخته دون جدوى، فقال دانيال وهو يضع يده على كتف صاحبه بلهجة مطمئنة:

- لا بأس، لقد تمكنا من تحذيرهم على الأقل.

أنزل ريوتا الهاتف من أذنه ليُجيب دانيال بصوتٍ مثقل:

- هناك أمر آخر كنت أريد سؤال يوميكو عنه...

ثم أخرج الشاب قلادة إدوارد الفضية من جيبه وأضاف:

- أردت أن أسألها عن قلب هذا العقد، ربما سمعت شيئًا من والدي أو هارو.

غير مكترث لأمر العقد، نهض إدوارد من موضعه ليقول وهو يتوجه ناحية غرفة كيمبرلي:

- لا بأس، فلا معنى له على أي حال.. علينا العودة إلى هيل تاون الآن.

لكن ريوتا أوقفه بحزمٍ ليقول:

التفتوا جميعهم نحو ريوتا بمن فيهم إدوارد، فقالت ميغان بتهكم وهي تقلّب عينيها:

- هذا العقد مجددًا.

تجاهل إدوارد تعليق ميغان، وعاد بخطوات ثابتة نحو ريوتا، ملتقطًا السلسلة الفضية من يده، ليسأله بجدية:

- ما المميز بعقد والدتي؟

تدخّلت ميغان مجددًا:

- مجرد عقدٍ قبيح، وكلنا نملك واحدًا مثله.

إلا أن ريوتا أشار إلى السلسلة ليُجيب:

- ربما يكون العقد هو السبب وراء مقتل والدتك.

فَرَدَ الشاب راحة يده اليسرى وبقلب مثقل تذكر ما فعلته ماريا قبل وضعها للعقد بيده، كانت قد فتحته ووضعت شيئًا ما في جوفه قبل أن تسلمه له.

- ليس العقد تحديدًا، بل ما وضع بداخله..

ثم تنهد بإحباط، وراح يلوم نفسه:

- كيف أضعته؟

أمسكت ميغان بيده لتفاجئ الجميع بقولها:

- أنت لم تُضع قلب العقد.. أنا التي أخذته منك.

صمت الجميع مُطالبين ميغان بتفسير ما قالته لتوها، كانت أنظارهم معلقة على الفتاة التي رفعت خصلة من شعرها بحركة مترددة قبل أن تبدأ الحديث عمّا حدث، وبصوتٍ يشوبه الحرج والتوتر:

- خبر حادث السيارة وصل إلينا جميعًا.. لم أستطع انتظار التفاصيل، لهذا توجهت إلى المستشفى بنفسي، وبينما كنت أنتظر بصبر، رأيت ممرضة تضع ملابسك ومقتنياتك جانبًا بانتظار أن يستلمها والدك، ومن بين تلك الأشياء كان قلب العقد.. لم يكترث أحد باستلام مقتنياتك، لهذا سمحت لنفسي بأخذ العقد، معتقدة أنه لوالدتك، أردت تسليمه لك بنفسي، لكن اللقاء لم يحدث.

أمسكها ريوتا من كتفيها بقوة، وسألها:

- وأين هو الآن؟

ابتسمت له الفتاة بسذاجة، محاولة التخفيف من التوتر، بينما تحك أرنبة أنفها:

- لنضع بالاعتبار أنني حافظت عليه لثمانية عشر عامًا، كُنت أخطط

لإعادته لك وكلي أمل بأنك ستتذكرنني... لكن..

ولكن ما حدث في جنازة والدها بدد كل آمالها وأحلامها، بالأخص بعد أن تخطاها ريوتا، مرّ الشاب من جانبها دون أن يتعرّف عليها، فسيطر الغضب والإحباط عليها وذهبت إلى أختها جيسيكا تبحث عن حضن دافئ ليحتويها، كانت جيسيكا هي الوحيدة التي ائتمنتها على قصة حبها التي لم تكن، وقفت الفتاة إلى جانب أختها المحطمة وأسندتها لتقول وهي تراقب تابوت والدهم يُحمل على الأكتاف:

- إن أردتِ البكاء، افعلي ذلك... سيعتقد الجميع بأنكِ تذرفين الدموع على والدنا.

ضحكت ميغان يومها رغمًا عنها وهي تمسح وجهها بكلتا كفيها، ثم نزعت العقد الذي كانت ترتديه، وسلمته إلى أختها الصغرى وهي تهمس بمرارة:

- تخلصي من هذا العقد يا جيسي، لا أريد رؤيته مجددًا.

أحكمت الفتاة قبضتها على قلب زهرة الجوري الحمراء لتجيب:

توجه الجميع بعد ذلك إلى حفرة قبر كيليب بيتفورد حيث فُتح التابوت للمرة الأخيرة، في الوقت الذي كان الجميع يلقون بنظرة الوداع لجثمان الرجل، قررت ابنته جيسيكا التخلص من قلب العقد بإرساله إلى الجانب الآخر رفقةً بجثة أبيها، كانت هذه هي اللحظة ذاتها التي رأت بها كيتلين وجه كيليب، كما كان المشهد الذي أعاد لـ ريوتا أولى ذكريات حريق الفيلا.

بعد أن عرف الجميع بمكان العقد أخيرًا قال ريوتا لـ إدوارد:

- لا فكرة لدي عمّا وضعته ماريا في داخل قلب زهرة الجورية الحمراء، إلا أنه على الأرجح أمرٌ بغاية الأهمية..

ثم وجه ريوتا نظراته إلى دانيال مُكملًا:

- أتذكر يا دانيال حادثة الاقتحام في منزلنا القديم؟ الليلة التي سبقت جنازة كيليب.

هزّ دانيال رأسه مؤكدًا وقد استعاد تفاصيل تلك الليلة، ثم قال:

- هذا قد يفسر سبب دخول الغرباء إلى منزلكم.

عاد ريوتا ليقول:

- لابد وأنهم افترضوا أن ماريا قد سلّمت ذلك الغرض إلى والدتي أو حتى لي.

بوجه شاحب قاطعتهم كارمن وقد اكتملت الصورة أمامها أخيرًا:

- يا إلهي.. ألهذا السبب لم يقتلوك؟

بعد لحظة من التفكير العميق، غادر إدوارد بهدوء، فنادت عليه كيمبرلي:

- مهلًا يا إدوارد.. إلى أين؟

من إحدى حقائب المفتوحة أخرج الشاب معطفه وارتداه ليجيب:

دون تردد، لحقت به ميغان لتقول:

- سأذهب معك، فأنا أتحمل جزءًا من المسؤولية.

ثم أدارت ميغان رأسها ونظرت إلى البقية وكأنها تدعوهم للانضمام، فاستثار هذا غضب دانيال الذي انفجر بهما:

- ما هذا الهراء؟ ستذهبان لاسترجاع العقد؟ وماذا عن كيتلين؟ عمكما المجنون قد يكون في إثرها الآن.. نحن بحاجة إليكما لإيقافه.

ثم وجهه دانيال رجاءه إلى البقية:

- ألستُ محقًا؟ ريوتا.. أماه، قولا شيئًا.

فهم دانيال إجابة ريوتا من صمته، فأدار رأسه ناحية والدته التي قالت له بكل هدوءٍ واتزان:

- لا تنفعل يا بني، نحن لا نعلم حتى الآن ما الذي يجري في الحفل، لهذا اترك الموضوع لـ يوميكو وماثيو، ولا تنسَ أن راين هناك أيضًا.

هدوء والدته لم يكن من فراغ، لقد وثقت كارمن بـ راين، هي على يقين من أنه سيفعل المستحيل عندما يتعلق الأمر بـ كيتلين،

بالإضافة لذلك لقد وضعت إيمانها بشخصٍ آخر، لهذا وقفت بكل ثقة أمام دانيال لتضيف على ما قالته بابتسامة ملئها الأمل:

- انظر إلي يا بني وأخبرني، هل تعتقد بأن والدتك قد قامت بتربية فتاة ضعيفة لا حول لها أو قوة.

الشخص الآخر الذي أوكلت كل ثقتها به لم يكن إلا كيتلين نفسها، لهذا تابعت لتقول:

***

"من كان ليظن أنني سأجرؤ على رفعها في وجهه؟ لكنني فعلت.. قبضت على السكين بكل ما أوتيت من قوة، وقد أعددت نفسي للأسوأ".

أحكمت كيتلين قبضتها على سكين الفاكهة التى كانت قد أخذتها من عربة الضيافة في غرفتها قبل ساعات، توقفت خطوات إدموند فجأة عندما وقعت عيناه على نصلها الحاد والموجهة نحوه، فضحك ساخرًا ليقول:

- كم هذا مشوّق! أترفعين السكين في وجهي؟ أهذا جزاء الاحسان؟

تصاعدت دقات قلب الفتاة، لكنها لم تتراجع، بقيت قبضتها ثابتة في وجه عدوها، ونظرتها مشتعلة بالحقد، ردّت بصوت حازم:

- لا فضل لك عليّ بأي شيء.

مذّ إدموند يديه ببطء إلى سترته، بدأ بفك أزرارها واحدًا تلو الآخر، ثم أزال ربطة عنقه بحركة متأنية، وكأنما كان يستمتع بإطالة لحظة المواجهة، بعدها، فك أزرار قميصه ليكشف عن الندبات القديمة التي خلفتها طلقات مسدس إدوارد، والتي كانت بمثابة الشاهد على تلك المواجهة، أشار المجنون إلى ندوبه ليقول:

- أمعني النظر.. هل تعلمين من فعل بي هذا؟

مستغلًا صدمتها تابع إدموند:

- إنه إدوارد..

وبوجه ممثلٍ مخضرم قال وهو يلعب دون الضحية ساخرًا:

- لو كنتُ شخصًا سيئًا، لما تركته ليعيش يومًا واحدًا بعد محاولته قتلي، لكن كما ترين، أنا أملك قلبًا كبيرًا لدرجة أنني سامحته على فعلته الشنيعة.

اصطكت أسنان كيتلين بغيظ، هزّت رأسها ولم تستطع قبول

الحقيقة:

- لا يمكن أن يكون إدوارد من فعل بك هذا.. أنت تكذب بكل تأكيد.

أعاد إدموند غلق أزرار قميصه ببطء، وهو يقول:

- يُمكنك سؤاله بنفسك إن أردتِ.

ثم أضاف، وكأنما كان يلقي قنبلة أخرى:

- عطفي وإحساني لم يكن على إدوارد فقط، بل امتدّ ليشمل ريوتا، ابن عائلة ميناتو.

التمعت عينا كيتلين وهي تتابع إدموند الذي تغيرت نبرته وازدادت حدّة:

- والدي بينجامين كان مُصرًا على قتل الصبي بعد الحادثة، لأنه كان يعتقد أن ماريا قد أخبرته بشيء مهم.. لنقل بأنه أمر لا ينبغي أن يُكشف للعلن.

ومع تخيلاته لوجه ماريا ازداد الجنون في عينيه، أطلق نخرة ساخرة:

- هه.. من باعتقادكِ منع والدي عن قتله؟

ثم ضرب على صدره بقوة، مُشيرًا إلى حاله وهو يصرخ بها:

- إنه أنا.. وهل تعلمين لماذا فعلتُ ذلك، لأن الفتى شاهد قاتل ماريا...

ارتفع صوته المشحون غيظًا، وطغى بهستيرية على القاعة:

- لقد شاهد الشخص القذر الذي سلبني ماريا!!!!..

صدح اسم ماريا وارتدّ صداه على جدران المكان، ليوقظ أشباح الماضي التي عبثت بعقل إدموند، فاشتعلت جمرة الغضب المدفون في عينيه، وتحولت إلى لهب متقد، ليقول:

- رغبتي بالانتقام لمقتلها تفوق أي شيء آخر، لهذا يا عزيزتي نحن الاثنان في نفس الجانب.. أنا مجرد ضحية أخرى.

سمح إدموند لنفسه بالتقدم ناحية كيتلين على مهل:

- والآن، أنزلي السكين من يدك، فلا فرصة لديكِ أمام رجل بهذا الحجم.

ثم أشار بيده إلى المكان حولهما، وأضاف مهددًا:

- وحتى لو طلبتِ النجدة، فلن يسمعكِ أحد.. أو لنقل، لن يكترث أحد لصراخكِ هذه الليلة.

"من الصعب قياس قوة المرء في أوقات الرخاء، فمعادننا الحقيقية تبرز وتلمع فقط في قمة اشتداد الأزمات".

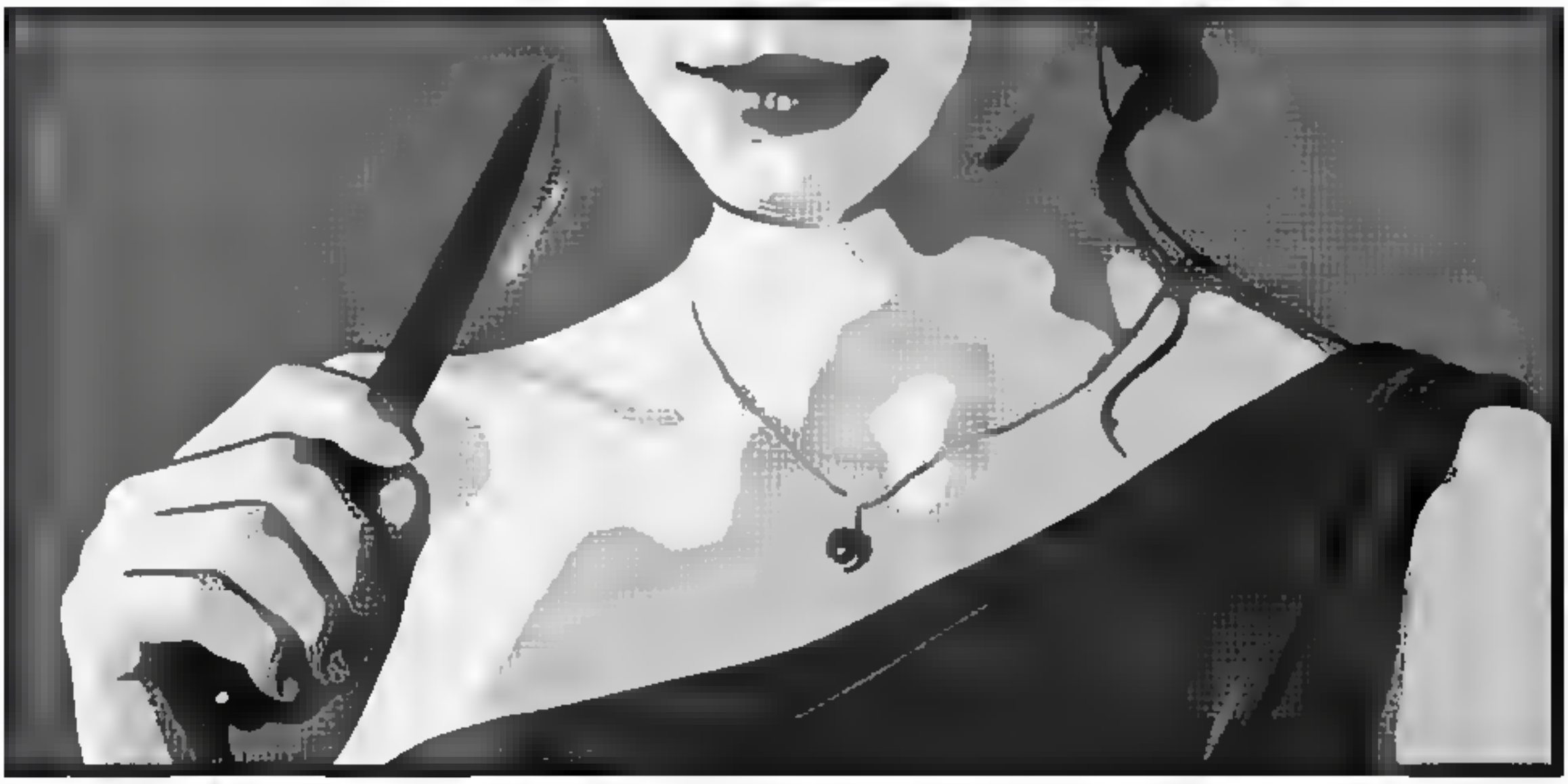

وعوضًا عن إنزال السكين عادت ورفعتها عاليًا لحد رقبتها، لمست حافة السكين الحاد جلدها الذي لا تشوبه شائبة فجرحت نفسها وسالت قطرات الدماء تتسابق نزولاً.

"بالتأكيد، لم أكن لأقتل نفسي، لكنني أدركت نقطة ضعفه، وقررت المراهنة عليها بكل جرأة".

- من قال إنني سأصرخ طلبًا للنجدة؟ أفضل الموت على طلب المساعدة..

"منذ اليوم الأول لبداية الأحداث، وأنا أتلقى الدعم من الجميع باستمرار، ومع ذلك، ما الذي قدمته في المقابل؟ لا شيء يُذكر".

"لا يمكنني نسيان مواقف إيمّا اتجاهي، صديقتي ورفيقة دربي التي لم تتركني لأكافح وحدي".

"يوميكو، التي جمعتني بها الأيام قبل مدة قصيرة، أثبتت لي خلالها صدقها ووفاءها اللامحدود".

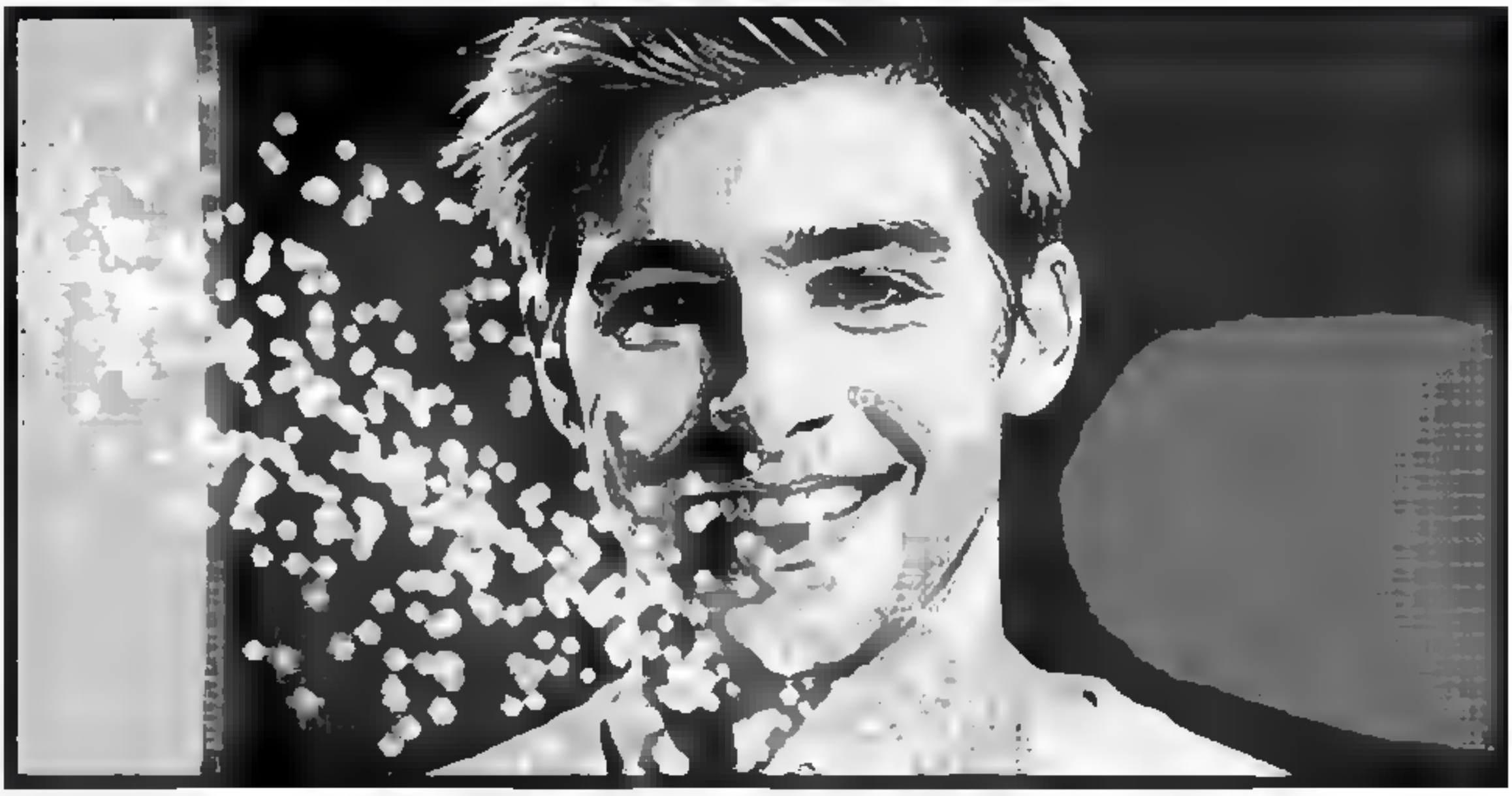

"أخي دانيال، الذى حمل على عاتقه عبء مسؤوليتى بكل حب وتفانٍ".

"ماثيو الذي حمل وزر خطيئته بصمت، ووقف إلى جانبي دون أن يطلب شيئًا بالمقابل".

"ريوتا، ذلك الصديق الذي لم يتردد في اختيار جانبي، وحماني كأخٍ أكبر دون قيدٍ أو شروط".

"إدوارد، الذي كان يحميني حتى دون أن أشعر".

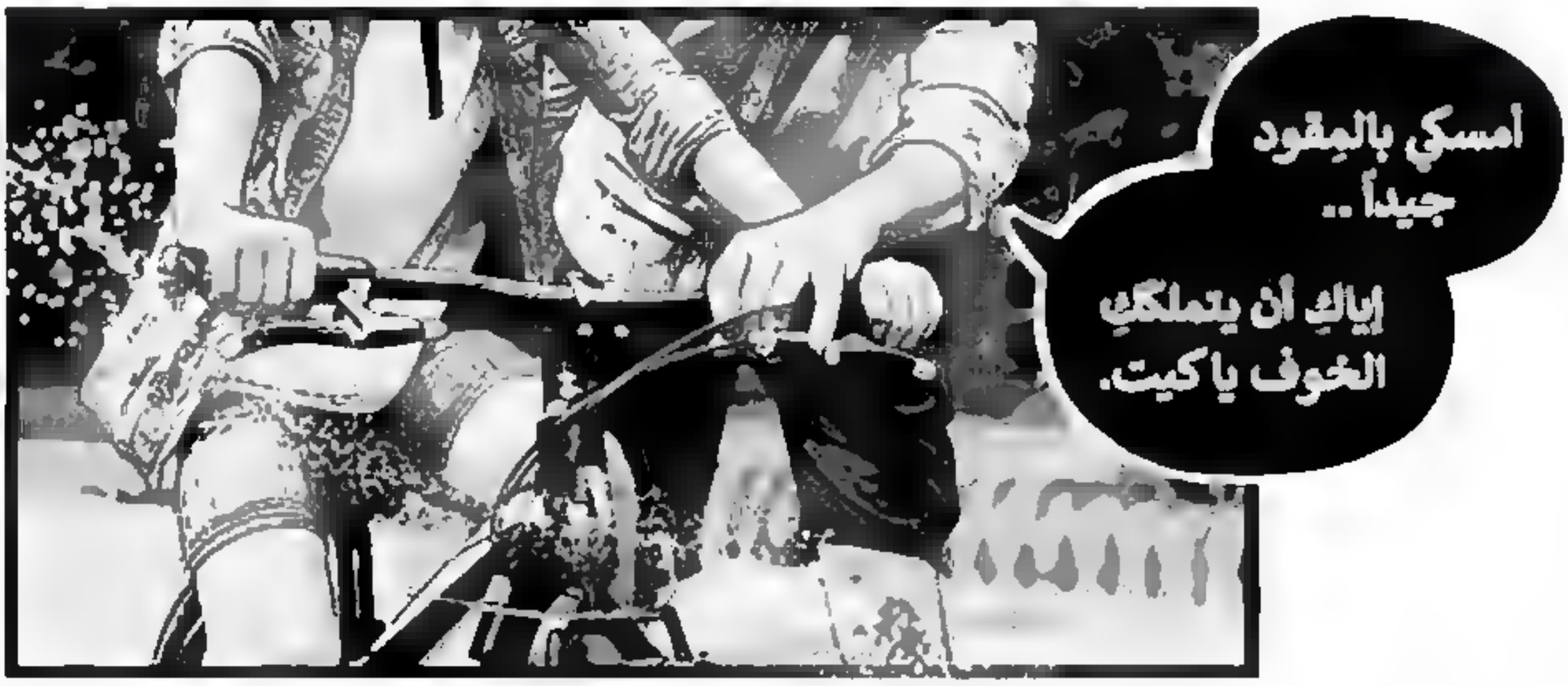

"وراين.. الذي كان العائلة، والأخ..".

"والصديق.. ".

"والـ الحبيب!.."

انفجر قلبها، فتحطمت كل الحواجز التي كانت تحبس مشاعرها، انسابت دمعة يتيمة من عينها، جرت لتحمل معها كل ما كان مكبوتًا، ولتواسي قلبها الذي أفضى بمكنوناته أخيرًا.

"لا أصدق كيف لم أدرك مشاعري تجاهه من قبل؟ إيمًا كانت مُحقَّة فيما قالته لي.. أنا وراين كنّا مختلفين بالفعل، لطالما أحبني، وقد بادلته هذا الحب دون أن أعي، هل كنت بحاجة لمواجهة مجنون كهذا حتى أفهم مشاعري الحقيقية؟"

مسحت كيتلين دمعتها بظهر كف يدها الأخرى، وكأنها تمسح معها كل ضعف بدر منها، ثم رفعت رأسها وقالت بحزمٍ لم يسبق له مثيل:

- اسمعني جيدًا، هذه المرة سنفعل الأمر على طريقتي، أنا من سيسأل، وأنت من سيُجيب، سأفترض أنك أخبرتني الحقيقة بشأن إدوارد وريوتا، الآن، أجبني: من هو قاتل والد راين؟ ولماذا فعلها؟

أمال إدموند رأسه قليلاً، وعيناه تتابعان خط الدم الذي انساب من جرح رقبة كيتلين، ارتسمت على وجهه ابتسامة غامضة، مُستمتعًا باللحظة أجابها ساخرًا:

- جوناثان كان كالشوكة في الحلق، لهذا جاء قرار قتله بالإجماع، ولم يصدر عن أي شخصٍ محدد، لكن المُنفذ؟ إنه شخص تعرفينه جيدًا يا عزيزتي.. إنها مارثا.. تلك الأفعى هي من قتلت جوناثان بيديها، وراين يعلم تمامًا أنها قاتلة أبيه.

***

في أحد أروقة القصر، وجد الثنائي ماثيو ويوميكو نفسيهما تائهين وسط شبكة معقدة من الممرات والأروقة الخاوية، وكأن الحياة قد هجرت هذا المكان منذ زمن بعيد، بعد أن تركهما الخادم أمام غرفتهما، وقف ماثيو يتأمل الموقع جيدًا ليقول:

- وكأن المكان قصرٌ للأشباح.

أجابته يوميكو وهي تشير إلى الأمام، بعد أن خُيّل إليها سماع أصوات خافتة تتسلل من تلك الناحية:

- أعتقد أنني سمعت شيئًا هناك.

ودّع الشابين الغافلين النور الباهت لإنارة المصابيح العتيقة خلفهما، وغاصا في عتمة الرواق أمامهما، كان الظلام كثيفًا، يبتلع كل خطوة يخطوانها، سارا لمسافة طويلة، حتى توقفت يوميكو فجأة، ليصطدم بها ماثيو من الخلف:

- لِمَ توقفتِ؟

- أعتقد أنني قد دست على شيء ما.

أبعدت يوميكو قدمها ببطء، لتكتشف أنها قد داست على أجزاء من زجاج محطم، انحنى ماثيو متفحصًا القطع المتناثرة.

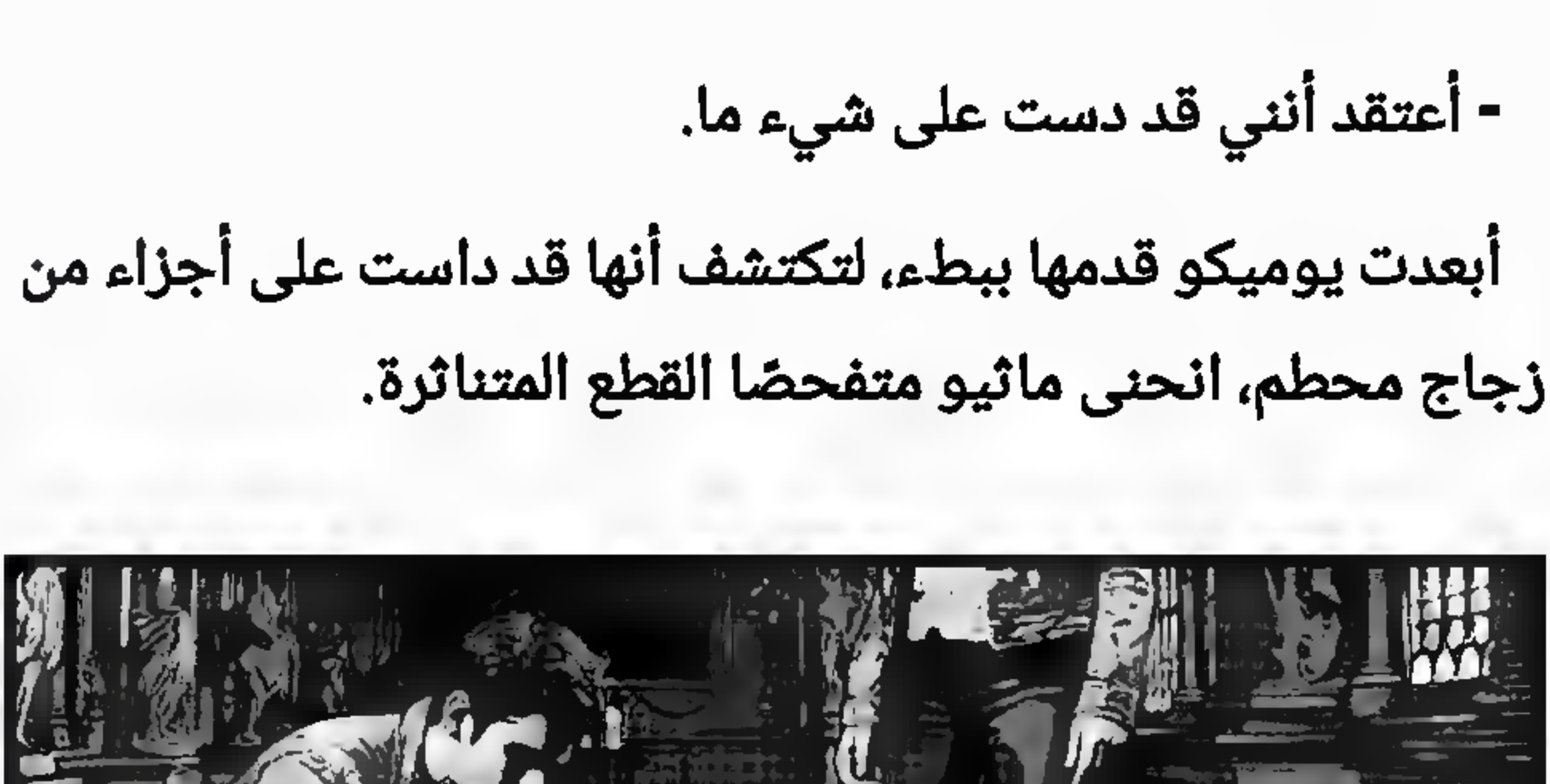

قلّب ماثيو الشظايا بين يديه بحذر، ثم رفع رأسه نحو الجدار وقال:

- تبدو وكأنها حطام مصابيح الإنارة في هذا الرواق.

ثنت يوميكو جسدها للأمام، وأسندت يديها على ركبتيها، وألقت نظرةً بدورها لتجد أن ماثيو مُحقٌّ فيما قاله، فسألت بحيرة:

- من عساه يفعل شيئًا كهذا؟ أم أن المصابيح انفجرت من تلقاء ذاتها؟

استقام ماثيو من موقعه، واتجه نحو المصابيح المكسورة، وقد دفعه الفضول لاستكشاف السبب، وإذا به ينزلق على غفلة، لتصيح به يوميكو:

- كن حذرًا يا ماثيو، قد تجرح نفسك!

- لا أعتقد أنني وقعت على الزجاج.

مرر ماثيو يده على الأرض، يتحسس ما تحته بعد أن شعر برطوبة غريبة تلامس ملابسه، فقال متذمرًا:

- هنالك من سكب شيئًا ما على الأرض.

مدّت يوميكو يدها نحو ماثيو لتساعده على النهوض، لكنها جمدت في مكانها فجأة، وظلت يد ماثيو معلقة في الهواء، ليسأل:

- ما الأمر؟

وبصوتٍ مرتجف أجابته وهي تحدّق بالأرض:

- ماثيو... هذه دماء.

***

كانت كيتلين في حالة صدمة بعد معرفتها بهوية قاتل جوناثان:

- مارثا... هي قاتلة جوناثان!

مُستمتعًا بوقع كلماته عليها، أجاب إدموند:

"لم أستطع منع نفسي من تذكر الأصدقاء السعداء في شريط الفيديو ذاك، كيف يمكن لزمرة تمتلك تلك الروابط أن تنقلب على بعضها بهذه السهولة؟".

استغل إدموند صدمتها، وتقدم نحوها بخطوات بطيئة، كصياد محترف يقترب من فريسته:

- يمكنني أن أرى أنكِ بدأتِ تصدقين ما أقوله.

مدّ الحقير يده نحوها حتى كاد يُلامس وجنتها، وإذا بشخصٍ ما يوقفه صارخًا:

- ابتعد عنها.

التفت إدموند ببطء، لتقع عيناه على ابن أخيه توماس، تبدلت ملامح الغضب على وجه الشاب إلى صدمة عارمة عند رؤية وجه من عاد من الموت، فقال بدهشة:

- لا يمكن أن تكون...!

فأجابه إدموند ببهجة لا تخلو من التهكم:

- أهذا وجهٌ تقابل به عمك الذي عاد إلى الحياة؟

ثم أضاف بسخرية أكبر:

- هيّا.. توقعت ترحيبًا أكثر حرارة من ابن أخي العزيز.

مُتخطيًا الجزء الأكبر من صدمته، لملم توماس شتات نفسه ليخاطب عمه:

- أنا لن أسأل حتى كيف نجوت من الحريق.. ولكن هل لي أن أعرف ما الذي فعلته تحديدًا حتى تجعل تلك الفتاة ترفع السكين بتلك الوضعية؟

بسرعة، أنزلت كيتلين السكين وأخفتها، بينما اقترب توماس ليقف كالجدار الفاصل بينها وبين إدموند، تراجع الأخير بخطوات بطيئة، وعيناه تلمعان بعدم الرضا عن تدخل توماس، فأنذره غاضبًا:

- ابتعد يا توماس، أنت لا تعرف حتى من تكون هذه الفتاة.

رد الشاب بثبات، دون أن يرف له جفن:

- لا يهمني من تكون، يكفيني أنها وثقت بي لدرجة إنزال السكين.

حاول إدموند كتم غيظه العارم خلف ابتسامة المرعبة، ثم قال بنبرة ساخرة:

- أعتقد أنني اكتفيت لهذه الليلة، سنكمل حديثنا الشيق في وقت لاحق يا عزيزتي.

أكمل إدموند تراجعه إلى أن ابتلعه الظلام من خلفه، انسحب من النزال ليترك توماس ومعه كيتلين.

"امتلأتا عينا توماس بالتساؤلات التي اختلطت بالكثير من القلق المبرر، إلا أنه وبكل بساطة لم يلقي بحملها علي، لأنه لم يرغب بأن يُثقل كاهلي بها".

- ألن تسأل؟

سألته كيتلين وهي تراه ينظر إليها وإلى السكين في يدها، قبل أن تغزو ابتسامته الحمقاء وجهه:

- لا أعتقد بأنه يحق لي أن أسأل حتى...

ثم غمز لها بمرح ليُضيف مُذكرًا:

- ألم نتفق على التظاهر بصداقتنا أمام الجميع؟..

مدّ يده ليأخذ بيدها، قائلاً:

"غادرنا البقعة المريبة كما وصفها، وخطونا جنبًا إلى جنب نحو نورٍ خافت يتسلل من الرواق القريب، لم تكن البهجة مُنبعثة من الإضاءة الشاحبة للمكان، بل من هذا الشاب الذي يسير إلى جانبي، راح توماس يتنقل بين المواضيع بخفة وروحٍ مرحة تثير الضحك، راحت كلماته تتراقص لتحطّم أجواء التوتر.. اعترف أنني لم أركز كثيرًا فيما كان يقوله، لكنني فهمت غايته، أراد أن يعيد الابتسامة إلى وجهي، وبطريقته الخاصة نجح في ذلك، فابتسمت له ممتنة وشاكرة لهذا الجهد".

أشار الشاب نحو أحد الأروقة الجانبية، ليقول:

- جناح الضيوف من هذا الاتجاه، هل ترغبين أن أوصلك إلى غرفتك؟

ترددت كيتلين للحظة، ثم أُخذت شهيقًا عميقًا قبل أن تنطق بما لم يكن يتوقعه:

- توماس.. هل يمكنني قضاء الليلة في غرفتك؟

وقبل أن يُساء فهم طلبها، رفعت كيتلين يديها بسرعة وقد احمر وجهها خجلًا:

- لا أريدك أن تفهم الأمر بشكل خاطئ..

"الدافع خلف طلبي بسيطٌ للغاية، فلم أكن أتحمل فكرة الاستيقاظ صباحًا لأجد ذلك المجنون في غرفتي كما حدث سابقًا في منزل البحيرة".

"لامستني ذبذبات التوتر الصادرة من توماس، لعل أسلوبي الجريء هو السبب، وربما كان لأمورٍ أخرى تتعلق به وحده".

احمرت أذنا توماس بإحراج وقد عجز عن عثور الإجابة المناسبة لطلبها، وعندما وجد الجرأة الكافية ليفتح فمه سبقه شخصٌ آخر، ليقول مقاطعًا من خلفهما:

- كيتي!.. ما الذي أتى بكِ إلى هذا الحفل؟

استدارت كيتلين ومعها توماس نحو راين، الذي ظهر برفقة هارو، دون ترددٍ أو تفكير، انفجر راين بوجه توماس مدفوعًا بعواطفه المشحونة:

- هل أنت من أحضرها إلى هنا؟ لقد حذرتك من قبل يا توماس!

تدخلت هارو وتقدمت بخطوات سريعة، وضعت يدها على كتف راين، وقالت بنبرة حازمة:

- اهدأ يا راين.

بينما وقفت كيتلين بين الشابين، محاولة تهدئة الموقف:

- أرجوك، لا تُلقِ بغضبك على توماس، حتى لو لم يقم بدعوتي، كنت سأحضر برفقة إيمّا على أي حال.

"لم أرغب أن يطول الحديث بيننا، خشية أن يعلم راين بما حدث بيني وبين إدموند قبل قليل."

بما أنها كانت تقف قريبًا منها لاحظت هارو الجرح النازف على رقبة كيتلين، فسحبتها جانبًا قبل أن يلاحظه راين، وقالت لها:

- عليكما العودة إلى غرفتيكما.. أين هي إيمّا؟

هزّت كيتلين رأسها وأجابت:

- انفصلت عنها في قاعة الاحتفال، لكنها كانت برفقة أليكس.

- لا بأس، ستكون بخير طالما أنها مع أليكس، سأحاول العثور عليها وأعيدها، لكن عليك العودة إلى الغرفة الآن، الوضع هنا ليس آمنًا هنا.

حرّرت كيتلين نفسها من قبضة هارو، وقالت بإصرار:

- أرجوكما تأكدا من سلامة إيمّا، أما أنا، فسأقضي الليلة عند توماس.

متجنبًا سوء الفهم رفع توماس يديه بعلامة استسلام، مفسرًا:

- لن نكون في نفس الغرفة.. أقول هذا فقط لتوضيح الأمور للجميع.

حتى تتدارك الموقف همست هارو لـ راين، في مُحاولة لتهدئته:

- ستكون كيت أكثر أمانًا برفقته.

كلام هارو وإصرار كيتلين جعلا منه ينسحب خاسرًا من معركة لم يحسب لها حسابًا، ابتلع راين كبريائه وتراجع بخطاه إلى الخلف متجنبًا النظر في عيني كيتلين، ثم أشار إلى أحد الاتجاهات مخاطبًا هارو:

- لنكمل ما بدأناه..

ثم سبقها بالانطلاق، وقبل أن تلحق به، أوصت هارو الشابين:

- كونا حذرين، فهناك الكثير من المجانين الذين قبلوا بالعرض.

أومأت كيتلين برأسها، وعيناها تتابعان ظهر راين الذى ابتعد كثيرًا، ثم قالت:

- أنتما أيضًا.

ابتعدت كيتلين مع توماس، بينما أسرعت هارو خلف راين، الذي بدا الغضب مسيطرًا عليه، لحقت به أخيرًا، لتقول وقد ساروها القلق من تصرفه قبل قليل:

- احترس يا راين.. كيتلين هي نقطة ضعفك، لهذا عليك التحكم بنفسك، لا تُظهر ضعفك أمام الجميع، فإن علم بينجامين بذلك، سيستغل الأمر لصالحه.

رد راين بعصبية، وصوته يفيض بالانفعال:

- يمكنني التحكم بنفسي جيدًا.. ألم أتركها تفعل ما تريد قبل قليل؟

أجابته هارو بتهكم، محاولة تخفيف حدة الموقف:

- أوه نعم، لقد تركتها بالفعل.. بعد أن كدت تقتل الفتى بنظراتك.

توقف راين عن السير، والغضب لا يزال يسيطر عليه:

- إن كان ذلك المدلل سيموت من نظراتي فقط، فهو ليس أهلًا لحماية كيتلين.

ثم، وبصورة مفاجئة، تغيرت ملامح راين. أمسك بيد هارو وأزاحها جانبًا، ليقول بحزم:

- قفي خلفي.

من أحد الأبواب المفتوحة، ظهر رجل مقنع، يسد الطريق أمامهما، ألقى التحية بأسلوبٍ لم يُعجب راين:

من خلف راين أجابته هارو بشجاعة:

- نحن لا نريد المشاكل.. لذا، أيمكنك أن تبتعد عن طريقنا؟

أخرج الرجل ذو القناع مُغلفه الأسود من جيب سترته، وأجابها

ببرود:

- يمكنكِ أن تواصلي سيرك يا آنسة، فأنا غير مهتم لأمرك..

ثم حوّل بصره نحو راين، ليكشف عن محتوى المغلف، قائلاً:

- أما صاحبكِ هنا، فهو تذكرة دخولي.

وكأنه كان ينتظر ذلك، تقدم راين بخطوات ثابتة، رمى بسترته أرضًا، وشمّر عن أكمامه، ليقول بنبرة تحدٍ:

باستجابة سريعة، رفع الرجل المقنع قبضتيه، مستعدًا للمواجهة، وقال بحماسة:

- هذا جيد، لن يكون الأمر ممتعًا لو استسلمت بسهولـ..

لم يكمل الرجل المقنع عبارته، إذ استقبل فكّه لكمة قوية من راين، جعلته يترنح للحظة، عاجزًا عن استيعاب ما حدث، لكن راين لم يمنحه فرصة لالتقاط أنفاسه، استغل صدمة خصمه بسرعة، وتقدم بخطوات ثابتة، ملتفًا حول خصمه بمهارة ليقبض على ذراعه ويعقفها إلى الخلف بقوة كادت أن تكسرها، صرخة مكتومة خرجت

من الرجل، لكن راين لم يتوقف، دفعه بعنف نحو الجدار، لتلتصق وجنته بالحائط، بصق الرجل مع تلك الخبطة بعضًا من أسنانه التي سقطت تحت وطأة لكمة راين الأولى، وبيأس حاول الرجل استعادة توازنه عبثًا، بالمقابل اشتعلت عينا راين بالغضب الذى عكس تصميمًا لا يتزعزع، عاد ليمسك الرجل من رأسه ويضربه في الجدار مُجددًا، فتردد صوت اصطدام جمجمة الرجل بالجدار، وملأ الرواق بأكمله، راين، بثباته وقوته، بدا وكأنه لا يواجه مجرد خصم عشوائي، بل يقاتل كل ما أثقل كاهله، مُفرغًا كل مشاعره المكبوتة حتى هذه اللحظة.

***

بعد أن قرر إدوارد المضي قدمًا لاستعادة عقد والدته المفقود، بدأ الجميع بحزم أمتعتهم استعدادًا للرحيل، كان ريوتا أول من أنهى تجهيزاته، حمل حقيبته وتوجه إلى الخارج، فتح الباب وإذا بـه يتفاجأ برؤية إدوارد الذي سبقه، تساءل إدوارد بنفاذ صبر، وعيناه تراقبان مدخل المنزل الخشبي خلف ريوتا:

- ما الذي يؤخرهم لهذه الدرجة؟

هزّ ريوتا كتفيه وهو يضع حقيبته جانبًا قبل أن يجلس على الدكة الخشبية:

- الفتيات غالبًا ما يأخذن وقتهن للاستعداد لأي شيء.. أما دانيال، فأعتقد أنه يودّع والدته.

رفع إدوارد رأسه وتأمل المنزل الخشبي، غارقًا بأفكاره، استنشق

هواء الجبل النقي بعمق، حيث كان يُعدّ نفسه لطرح السؤال الذي تجنبه منذ أن استعاد ريوتا ذاكرته، أخيرًا، نطق إدوارد ليقول:

- ريوتا.. لم تخبرني، من هو القاتل؟

هبت نسمة هواء عليل بينهما، حركت أوراق الأشجار الجافة التي سقطت من حولهما، لتصنع لحظة صمت مشحونة بالتوتر، وبعد انتظار بدا طويلاً، أجاب ريوتا:

فأجابه إدوارد من فوره:

- أخبرتك من قبل أنني لا أفكر بالانتقام.

نظر ريوتا بتمعن إلى ملامح إدوارد، التي بدت متزنة ظاهريًا إلا أنها تحمل في طياتها شيئًا أكثر عمقًا وسوداوية، فقال الأخير بعد تفكير قصير:

- أعي ذلك.. لكنني أيضًا أعلم أنك كنت جادًا بما قلت داخل المرآب.

(مهما كان الفاعل فسأمزقه بأسناني).

استعاد ريوتا كلمات إدوارد الانتقامية التي سمعها سابقًا، وربطها بما عرفه عنه من قبل، فأضاف الشاب بنبرة تعكس إحساسه بالقلق والتردد:

- لم تكن تلك المرة الأولى التي تلوّح فيها بفكرة الانتقام يا إدوارد.

(أنا آسف، لكن راين محق هذه المرة).

كان إدوارد يعلم بقرارة نفسه أن ريوتا مُحق، ولأنه لم يرغب بأن ينجرف بعيدًا ويحيد عن هدفه الراهن قال مُتفهمًا:

- هل يمكنني أن أثق بأنك ستخبرني بهويته في الوقت المناسب؟

- سأفعل ذلك.

خلال دقائق قليلة، ظهر دانيال ومعه ميغان مستعدين للانطلاق، بينما وقفت كارمن على أعتاب المنزل الخشبي، تودعهم بابتسامة دافئة، وأشارت إلى جهة الشرق قائلة:

- اسلكوا ذلك الدرب نزولًا من الجبل واتبعوا مجرى المياه، الطريق لن تكون مختصرة كالمسار الذي أتيتم منه، لكنها ستكون أكثر سهولة.

توقف دانيال ليلقي نظرة أخيرة على المنزل الخشبي وإلى والدته، وكأن به يريد أن يحفر المشهد في ذاكرته، ثم تساءل بعد أن لاحظ غياب أحدهم:

- أين هي كيم؟ أردت أن أودعها قبل ذهابنا.

هزّت كارمن رأسها لتفسر له باسمة:

- لا أعتقد أنها من النوع الذي يحب لحظات الوداع.

متفهمًا موقفها، تحرّك إدوارد إلى الأمام، ليخاطب الجميع:

- لننطلق إذًا.

ودعت المجموعة كارمن وسارت في الدرب الذي أرشدتهم إليه، كانت الأجواء هادئة، لا يكسر سكونها سوى أصوات خطواتهم على الأرض الموحلة، وبعد أن قطعوا عدة دقائق من الطريق، توقف إدوارد فجأة، وأشار لمن خلفه بالتوقف، على وجهه ارتسمت ابتسامة عريضة عندما رأى كيمبرلي قادمة نحوه، تحمل حقيبة ظهرها على كتفها، وعيناها تلمعان بالحماس:

- هل كنتم ستغادرون من دوني؟

فسألها دانيال:

- هل أعلمتِ والدتي بأنك ستأتين معنا؟

أجابت كيمبرلي، وهي تسير بخفة إلى جانبهم، والفرح يلون ملامحها:

- لقد تركت لها ملاحظة على باب الثلاجة.. فأنا أكره لحظات الوداع.

ربت إدوارد على رأسها برفق، ومُرحبًا بها:

- أعتقد بأنه لا بأس من انضمامك إلينا، لقد كنت عونًا كبيرًا لنا منذ البداية.

ضحكت كيمبرلي بمرح، ثم وقفت أمام إدوارد بحيوية ويدها ممدودة لتوقفه:

- إذا كان هذا رأيك، فستحب اقتراحي التالي..

نظرت إلى بيقة الجميع، لتضيف بحماس:

- لدي فكرة ستوصلنا سريعًا إلى موقع العقد.

انصتت المجموعة باهتمام واضح إلى كيمبرلي، متطلعين لمعرفة اقتراحها، أخذتهم عبر شوارع القرية الرئيسية التي كانت شبه فارغة في هذا الوقت، قادتهم حتى وصلوا إلى أحد المنازل البعيدة نسبيًا، أشارت إلى المكان وقالت مخاطبةً الجميع:

- هذا هو المنزل المطلوب.

تقدمت كيمبرلى المجموعة بخطوات واثقة، عبورًا لعتبة المنزل، ووقفت أمام الباب الرئيسي، بأملٍ كبير بدأت تضرب بقبضتها على الباب بإيقاع ثابت، كأنما مصممة على إخراج صاحب المكان من سبات عميق، احتاج الأمر بضع ضربات قوية حتى أضاءت الأنوار في الداخل، واحدة تلو الأخرى، وأعقبها صوت مفتاح يدير الباب

ليفتح أخيرًا. ظهر جيمي النادل من خلف درفة الباب، يفرك جفنيه ببطء مُحاولًا طرد النوم من عينيه، ثم قال بصوت ناعس، تخللته نبرة من الاستياء:

وضعت كيمبرلي يديها على خصرها بغضب طفيف، وأشارت إلى المجموعة الواقفة خلفها:

- هيا يا جيمي، لا يمكنك أن تحرجني أمام الأصدقاء!

ثم دفعت جيمي إلى الداخل بخفة، بينما كانت تحثُّ البقية على الدخول:

- هيا يا رفاق، تفضلوا بالدخول.

تردد دانيال لوهلة، وهو يحك ذقنه بحرج، ونظر نحو كيمبرلي متسائلًا:

- كيم!.. لا أعتقد أن صديقك يـ...

لكن ابنة خالته لم تمنحه فرصةً لإكمال حديثه، قطعت كلامه بابتسامة مشرقة وإيجابية، تنضح بالحيوية:

- لا تقلق! اترك الأمر لي.

لم يكن أمام المجموعة سوى متابعة الوثوق بخطة كيمبرلي، التي ابتسمت بحرج وسحبت جيمي جانبًا، انتظرت حتى دخل الجميع إلى المنزل، التفتت كيمبرلي إلى جيمي، ومالت نحوه لتخاطبه بصوت خافت، وعيناها تراقبان إدوارد والبقية فى غرفة الجلوس:

- أحتاج مساعدتك.

رفع جيمي حاجبيه بتهكم، ورد بنبرة ساخرة:

- أنتِ تمزحين، أليس كذلك؟

هزت الفتاة رأسها بسرعة، وقالت بإصرار:

- لا.. أنا جادة تمامًا، أرجوك يا جيمي...

ما لبثت حتى شبكت قبضتيها معًا، تتوسل إليه بنظراتها:

- أرجوك، أعدك بأنني لن أزعجك لفترة طويلة بعد هذا الطلب، وسأرد لك هذا المعروف، بطريقة أو بأخرى.

تأملها جيمي للحظة، ثم ربع ذراعيه وقال بنبرة تحذيرية:

- أقول هذا لمصلحتكِ أيتها الصبية، إن استمريتِ بالعيش بهذه الطريقة، ستصبحين عبدة عندي لكثرة ديونك.

كانت لا تزال تترجاه بنظراتها البريئة، لهذا استسلم أخيرًا، أطلق تنهيدةً يائسة ليسألها:

- حسنًا.. ما الذي يمكن أن أفعله لمساعدتك؟

ابتسمت الشقية بدهاء بينما كانت تلقي بطلبها، ومع كل كلمة، اتسعت عينا جيمي في دهشة، حتى صاح بها معترضًا:

- لا.. أنا لن أفعل هذا من أجلك!

في تلك اللحظة، كانت الضوضاء قد وصلت إلى سارة، زوجة جيمي، التي استيقظت من نومها، ارتدت معطفها وربطت حزامه، ثم خرجت من غرفتها لتجد نفسها أمام ضيوف غير متوقعين، نظرت حولها بارتباك، سألت وهي تبحث عن زوجها:

- جيمي.. كيم! ما الذي يحدث هنا؟

ابتسم جيمي ابتسامة متكلفة، ودفع كيمبرلي برفق نحو المخرج:

- لا شيء يا عزيزتي، كيم كانت على وشك المغادرة بالفعل..

لكن كيمبرلي تشبثت بإطار الباب، وأوقفت محاولته لطردها لتثير الضجة وهي تقول:

- تبًا لك يا جيمي، أنت لا تترك لي خيارًا آخر.

أزال جيمي يديه عنها، ونظر إليها بحذر، فاقتربت الفتاة منه وسحبته من ياقة قميصه لتهمس في أذنه وهي تُشير إلى إدوارد:

- هل ترى ذلك الشاب الوسيم هناك؟

حزّك جيمي عينيه ببطء لينظر إلى إدوارد، الذي كان في غرفة الجلوس، تابعت كيمبرلي كلامها، وهي تفرك أصابعها معًا بدهاء:

وبتغيير مُفاجئ في موقفه، ربّت جيمي على ظهر كيمبرلي باسمًا، ليقول بود:

- أوه، كيم يا عزيزتي، لماذا لم تخبريني بهذا منذ البداية؟

اتسعت ابتسامته الماكرة وهو يدفع كيمبرلي من أمامه متجهًا إلى إدوارد، مرحبًا به كما يليق:

- أعذرني يا سيد إدوارد على فظاظتي قبل قليل.

من خلفه، أطلقت كيمبرلي نخرًا ساخرًا:

- يا لك من منافق.

فرّد عليها جيمي ولا يزال يحتفظ بابتسامته المصطنعة:

- استغلالية.

وهنا تدخّلت سارة بينهما لتنهي الوضع السخيف:

- حسنًا هذا يكفي أنتما الاثنان..

ثم استدارت لتواجه الضيوف باعتذار:

- أرجوكم أن تعذروا زوجي على قلة ذوقه، تفضلوا بالجلوس، لنستمع إلى ما لديكم.

بدأ إدوارد بشرح الوضع للزوجين، موضحًا حاجتهم للوصول بأسرع وقت ممكن إلى الفيلا الخاصة بعائلته، وبعد أن اتضحت الصورة الكاملة لـ جيمي، نهض من مكانه وقال بحزم:

- لا بأس.. اتركوا الأمر لي.

وقبل أن يهمّ بالذهاب، قال جيمي وقد تذكر أمرًا:

- بالمناسبة، الرجال الذين كانوا في إثركم غادروا القرية بعد أن تلقوا أمرًا بالانسحاب.

تبادل الجميع النظرات فيما بينهم، قبل أن يسأل إدوارد مُستغربًا الوضع:

- أمرٌ بالانسحاب؟ وكيف عرفت ذلك؟

رفع جيمي يده إلى أذنه مشيرًا إلى أن المجموعة قد تلقت مكالمةً بهذا الأمر:

- قائدهم لم يكن سعيدًا لكنه خاطب رجاله وأخبرهم بأنه تلقى الأمر من سيدة تدعى مارثا.

انتفضت ميغان من مقعدها بحركة مفاجئة، وصرخت بصدمة:

- أمي مارثا؟!

ثم تابعت بصوت متحشرج، وقد بدا الاعتراض واضحًا في عينيها:

- لا يمكن.. مهما كانت أمي سيئة، فهي لن تفكر بقتلنا.

سار جيمي نحو الباب الخلفي للمنزل بخطوات هادئة وهو يقول:

- لا أعتقد أن أولئك الرجال كانوا يملكون أدنى فكرة عن هويتكم، كانوا يبحثون في أنحاء القرية بطريقة عشوائية، وكل ما كان بحوزتهم هو العنوان فقط.

في تلك اللحظة، ضغط ريوتا على قبضته بعصبية، مما لفت انتباه ميغان، فواجهته لتسأله بقلق:

- هل يعني ذلك أنهم اكتشفوا أمر العم هيروشي؟

استقام ريوتا من مقعده بهدوء، ليُجيب بحقة:

- حتى لو اكتشفوا أمر والدي، فلن يُفصح عن العنوان لهم بتلك السهولة.

تدخل دانيال في الحديث، وهو يرفع حاجبه متسائلًا:

- وماذا عن صديقك كين؟ فهو من أعطاني العنوان.

رد ريوتا بنبرة قاطعة، نافيًا الاحتمال:

- هذا أيضًا مُستبعد، لو حصلوا على العنوان من كين أو من أبي، لكان ذلك دافعًا لهم للبحث عني بشكل خاص.

صمت ريوتا للحظات، غارقًا في التفكير، كان ذهنه يحاول

استكشاف كل الاحتمالات التي قد تفسر وصول العنوان إلى يدي مارثا، لم يخفَ عليه، ولا على أي منهم، أن مارثا زرعت جواسيسها في كل مكان، لقد تعلموا جميعًا الدرس القاسي بطريقة أو بأخرى، لكن يبقى السؤال الأهم: من هم هؤلاء الجواسيس؟ لم تكن الحقيقة واضحة للجميع، وفكرة الثقة بأي لاعب جديد في هذه اللعبة بدت مستحيلة.

***

أخرجت هارو إحدى الكاميرات الصغيرة، وعيناها تلتقطان منظر جسد الرجل المقنع الملقى فاقدًا للوعي على الأرض هناك، قررت تجاهل منظره المفزع، وركّزت على مهمتها، قبضت على الكاميرا الصغيرة بإحكام، ثم حشرتها بين فتحات درع تمثال معدني شامخ يقف في تقاطع الأروقة، لتقول مُخاطبةً راين:

- سأضع واحدة هنا..

ثم ابتعدت عن التمثال، لتسأل:

- كيف سنعرف أنها تعمل؟

رد راين وهو يتجاوزها، مراقبًا الممر المقابل بعينين حذرتين:

- لن نعرف إلا بعد حين.. أخبرني بوب أنه سمع من بعض الخدم عن أجهزة تشويش سيتم تفعيلها مع بداية الحفل، إنه إجراء منطقي، فما كان بينجامين ليثق بأن الحراس سيتمكنون من مصادرة كل الهواتف.

ذكر راين لموضوع مصادرة الهواتف أعاد إلى ذهن هارو ما حدث قبل الحفل، شهقت فجأة وقالت:

- كيف نسيت إخبارك.. قبل الحفل أمسكت بيانكا وهي تتحدث عبر هاتف أدخلته دون علم أحد.

- وهل تمكنتِ من سماع حوارها؟

هزت رأسها بخفة، وأجابت:

- القليل فقط.. فقد انتبهت لي وأنهت المكالمة سريعًا..

ثم أضافت بقلق وهي تنظر إلى الطريق خلفهما:

- هل تعتقد أن ستيف سيكون على ما يرام لوحده معها؟

***

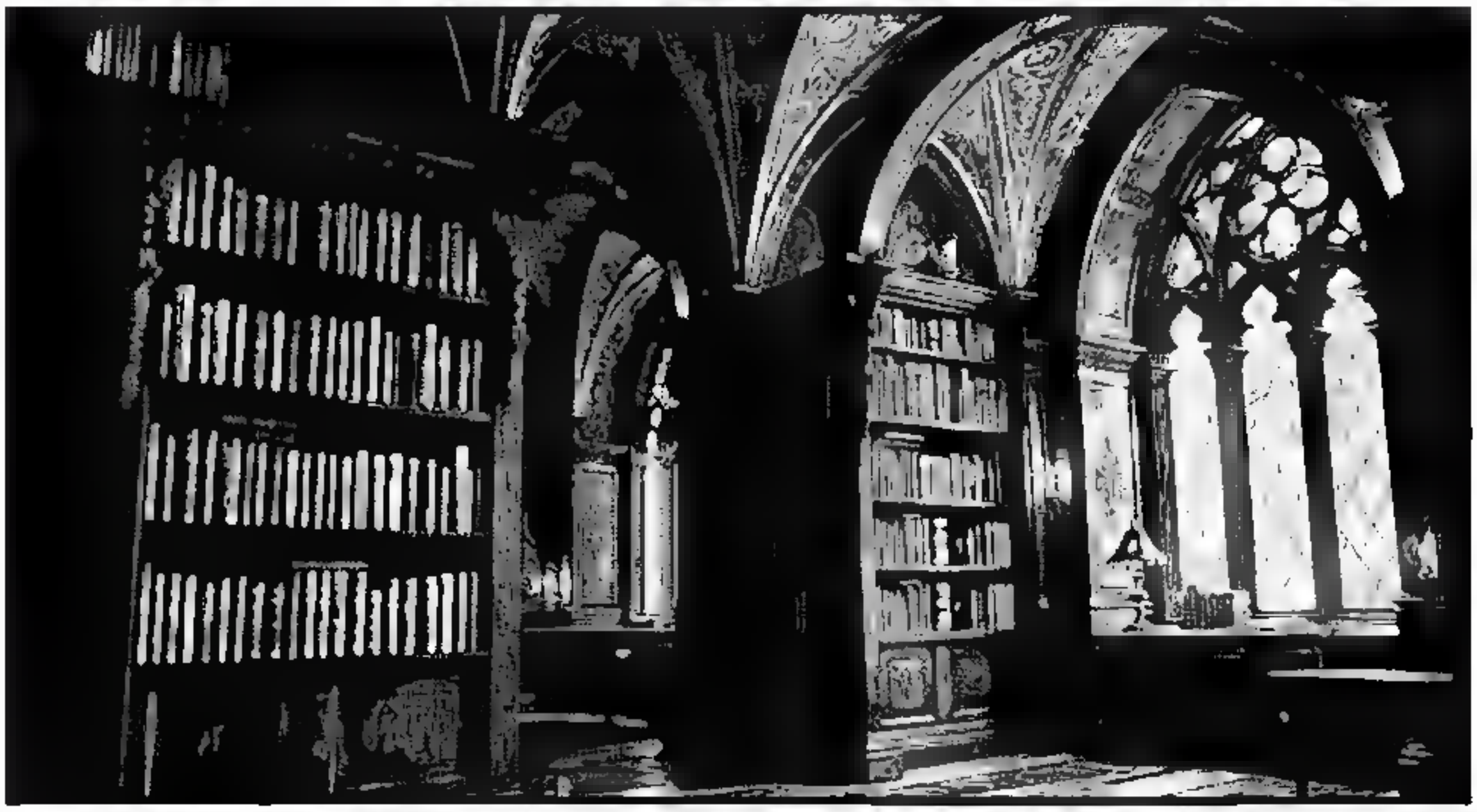

في مكان آخر من القصر، كان ستيف وبيانكا قد وصلا إلى المكتبة، حيث قررا أنها المكان المثالي لزرع كاميرا أخرى، سار ستيف بين الأرفف الممتلئة بالكتب، يبحث عن مكان مناسب بينها، بينما سألته بيانكا من خلفه بنبرة غامضة:

- هل فتحت المغلف الخاص بك؟

رد ستيف دون أن يلتفت إليها:

- لا.. لم أفعل.

لكن تغير نبرة صوتها لفت انتباهه، أدار المحقق الشاب رأسه ببطء، ليجدها تقف مستندة إلى الطاولة خلفها، غير مكترثة بالمهمة، وهي تقلب المغلف الأسود المختوم بين يديها، فقال لها:

- لقد شاهدتِ بنفسك كيف مزّق راين المغلف الخاص به.. لهذا، أقترح عليك فعل الشيء ذاته.

أمالت بيانكا رأسها نحوه، ونظرت إليه بطريقة مريبة، ثم قالت

بنبرة تحمل تحديًا:

ألقت الشقراء قصيرة الشعر بسؤالها وهي تفتح ختم الشمع الأحمر ببطء، مما جعل ستيف يتوقف عمّا كان يفعله، خيّم الصمت على المكان، مختلطًا بلحظات ترقب مشحونة، كل منهما ينتظر رد فعل الآخر قبل أن يقرر خطوته التالية، ووسط تلك اللحظات المتوترة، علت صرخة مدوية من مكان آخر في القصر، انطلقت بيانكا على إثرها نحو ستيف دون أن تعطيه أي فرصةٍ للتفكير، استخدمت ساقها الطويلة لتركله بكل قوتها، أصابت جسده بدقة، فارتطم جسد المحقق بأرفف الكتب خلفه، ليسقط أرضًا، وتتساقط عليه الكتب واحدة تلو الأخرى لتغمره في فوضى عارمة، لم تكتفِ بيانكا بذلك، بل تقدمت بخطوات ثابتة نحو المكتبة، قبضت على حافتها بكلتا يديها، وسحبتها بقوة لتوقعها فوق جسد ستيف.

***

وصل دوي الصرخة ذاتها إلى مسامع إيما وأليكس، فتراجعت الفتاة خطوة وهي تهتف بصوتٍ مرتجف:

- هل هذا جزءٌ من عرضٍ دبرته والدتك؟ أم أن الأمور بدأت تصبح جدية هنا؟

أجابها أليكس وهو يتفقد محيطهما بحذر:

- أعتقد أن الصرخة كانت حقيقية.

قالت بغضب وهي ترفع طرفي فستانها وتتقدم بثبات:

- تعتقد؟ ... هذا غير مقنع إطلاقًا، أنا ذاهبة للبحث عن كيتي.

سرّع أليكس من خطواته ليدركها، أصبح إلى جانبها ليسأل:

- ألم تخبرك إلى أين ذهبت؟

ردت إيما دون أن تلتفت بينما صوتها يتصاعد بحدة:

- وهل أبدو لك وكأنني أعرف مكانها؟ ... لو كنتُ أعـ ...

وقبل أن تُكمل، وضع أليكس يده على فمها بسرعة وهو يهمس بحذر:

- لا تصدري صوتًا.. هناك أحدٌ قادم باتجاهنا.

توقفت إيما عن الحركة، واتسعت عيناها مع إدراكها للموقف، فأزالت يده ببطء وهمست بشيء من الارتباك:

- أليكس.. إلى أي درجة كانت والدتك جادة بمسألة القطة والفأر؟

بحركة سريعة، فَرَدَ أليكس ذراعه أمامها بهدف حمايتها وهو يُهيئ نفسه للمواجهة:

- لستُ واثقًا من والدتي.. ولكن يمكن أن أؤكد لكِ بأن جدي يأخذ تلك الأمور على محمل الجد.

خفضت إيما يديها ببطء وقالت وهي تدير جسدها مبتعدة:

- حسنًا، تكفيني هذه الإجابة..

ثم أشارت نحو زاوية قريبة:

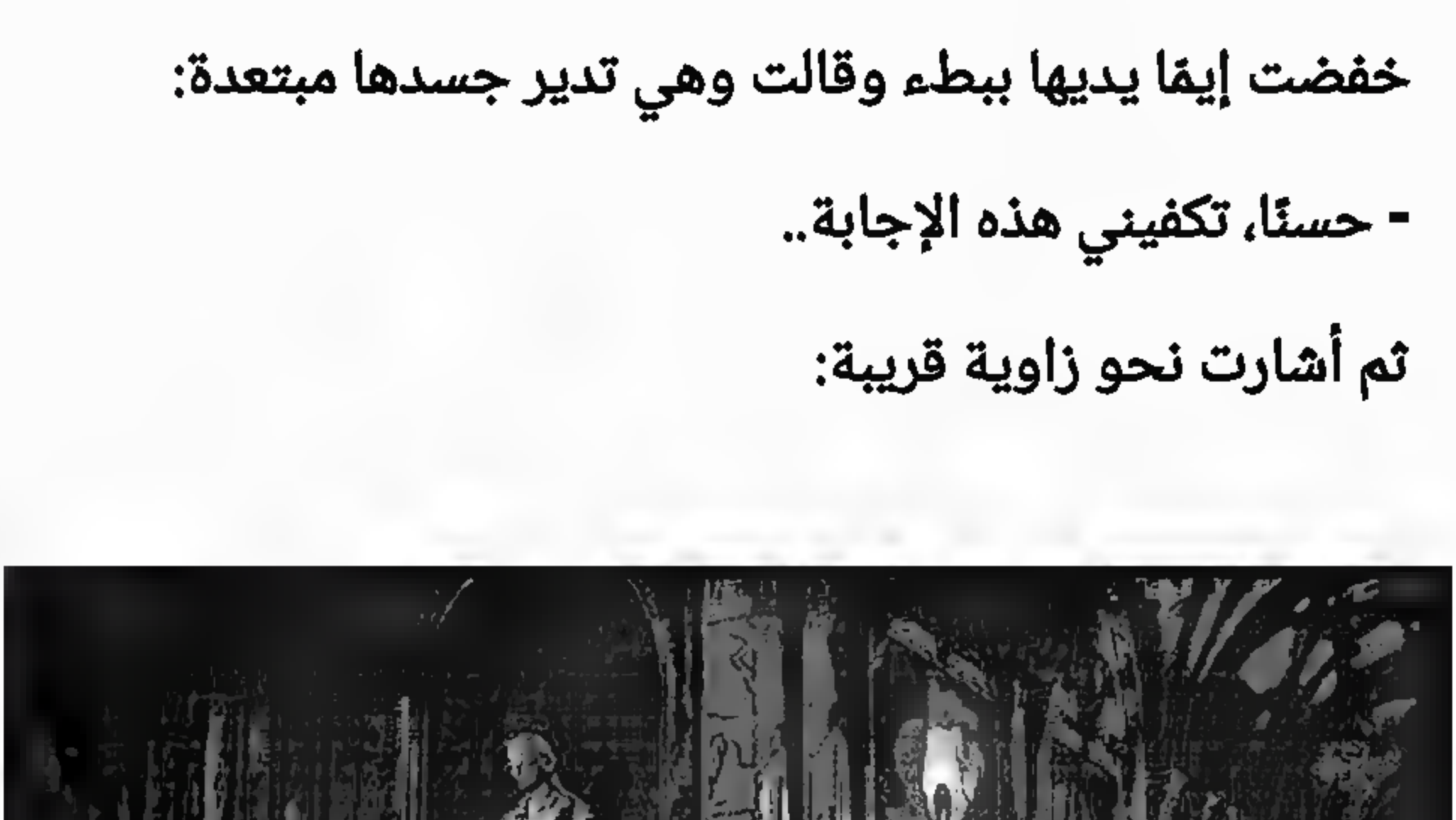

- لنختبئ هناك، لا أريد أن ألعب دور الفأر الآن.

مؤيدًا اقتراحها بعد رؤية المصابيح تدنو منهما، أمسك أليكس بـ إيما من كتفيها ودفعها إلى المخبأ الذي أشارت إليه، كان نتوءًا في الجدار إلى جانب عامود رخامي، تمكن الشابين من حشر جسديهما خلفه بانتظار مرور الخطر، في ذلك المكان الضيق انتفضت إيما

كفرخٍ مبتل من شدة خوفها، وضعت يديها على فمها حتى تكتم أنفاسها المضطربة وهي تستمع لوقع الخطوات يدنوا ناحيتهما حتى توقفت، وجّه أحد الشخصين مصباحه ناحية مخبأ أليكس وإيمّا فما كان من الفتاة إلا أن تطلق صرختها التي كتمتها جاهدة، إلا أنها تفاجأت بصرخة أخرى على الجهة المقابلة، تلى ذلك وقوع المصباح على الأرض.

تدحرج على الأرض واستدار ليسلط ضوءه على وجه الفتاة الأخرى وإذا بها يوميكو، فقفزت إيمّا من مكانها بعينين فرحتين رغم امتلائهما بالدموع:

- عقلة الأصبع!

- صاحبة الفم الكبير!

تعانقت الفتاتان بحرارة، وكل واحدة منهما تحاول تهدئة الأخرى في لحظة يغلب عليها الذهول بعد اللقاء غير المتوقع. على بُعد خطوات، قال ماثيو الذي شعر بأنه طرفٌ ثالث:

- سعدت برؤيتكِ أيضًا يا أختاه.

- أوه، ماثيو!... أنت هنا أيضًا؟

غير مطمئنة لوجود أليكس، نظرت يوميكو بطرف عينها نحو الشاب الذي يقف بعيدًا، وسألت إيمّا بصوتٍ خافت:

- هل يمكننا أن نثق به؟

بنظرة متعالية وواثقة أجابتها إيمّا:

- تعنين أليكس؟ بالطبع لا يمكننا الوثوق به، ولكن من جهة أخرى، لن يخوننا.

ثم أضافت بغير اكتراث:

- يمكنكِ اعتباره شخصًا محايدًا.

لم يستطع أليكس تجاهل الحوار، رنّع الشاب ذراعيه ليقول وهو يرفع أحد حاجبيه:

- يمكنني سماعكما، بالمناسبة.

- أعلم ذلك.

التقطت يوميكو مصباحها اليدوي من الأرض لتقول معلقةً على ما قالته إيمّا:

- تبدين واثقة.

- بالطبع، يا عزيزتي، فقد اعترف بحبه لي، وهذا يعني أنه لن يخونني.

دون أن تعير انتباهًا لأخيها وأليكس، تقدمت إيمّا برفقة يوميكو نحو جناح الضيوف، تاركةً ماثيو وأليكس خلفها، لم يكن ماثيو ليترك أليكس دون كلماتٍ مواسية، فربّت على كتفه قائلاً:

- ثق بي.. لم ترَ شيئًا بعد، ستجعلك تندم على اعترافك لها.

ثم جرى ماثيو للحاق بالفتاتين، وقف أليكس في موقعه يتأمل ظهر إيمّا تبتعد عنه في ظلمة الرواق فاتسعت ابتسامته ليقول بحماسة مفرطة:

- إذًا، هناك المزيد لرؤيته يا إيما.

ما كان تحذير ماثيو ذو أهمية تذكر، بل زاد الشاب عزيمة وإصرار على البقاء إلى جانب من خفق قلبه لها، لهذا انطلق دون تردد للانضمام إلى المجموعة.

كانت يوميكو تحاول معرفة موقع كيتلين من إيما، فتدخل ماثيو ليقول:

- لقد أتينا لإخراجكم من هنا بأسرع وقت.

توقفت إيما فجأة، مما اضطر الآخرين إلى التوقف معها، استدارت نحوهم وقالت بابتسامةٍ مرتبكة تُحاول بها تغطية ورطتها:

- لدينا مشكلة صغيرة... لا نعرف مكان كيتلين، لقد أضعتها في منتصف الحفل.

- ماذا؟!

صرخت يوميكو، ثم أخذت تخاطب نفسها بقلق:

- هذا سيء، إدوارد طلب منا إخراج كيتلين على وجه التحديد.

تدخّل أليكس ليسأل بعد سماع اسم إدوارد:

- تقصدين أخي إدوارد؟

فأجابه ماثيو:

- إدوارد وريوتا يعملان على شيءٍ ما معًا، لكن الاتصال بهما انقطع فجأة، لهذا لم نتمكن من نفهم ما الذي يجري.

وهنا اقترحت عليهم إيمّا العودة إلى غرفتها في جناح الضيوف:

- لنأمل أن تفكر كيتي بالأمر ذاته.

***

"العودة إلى غرفتنا كان خياري الأول بعد الانفصال عن إيمّا، لكن كل شيء تغير بسبب مواجهتي مع إدموند، ولقائي بـ توماس".

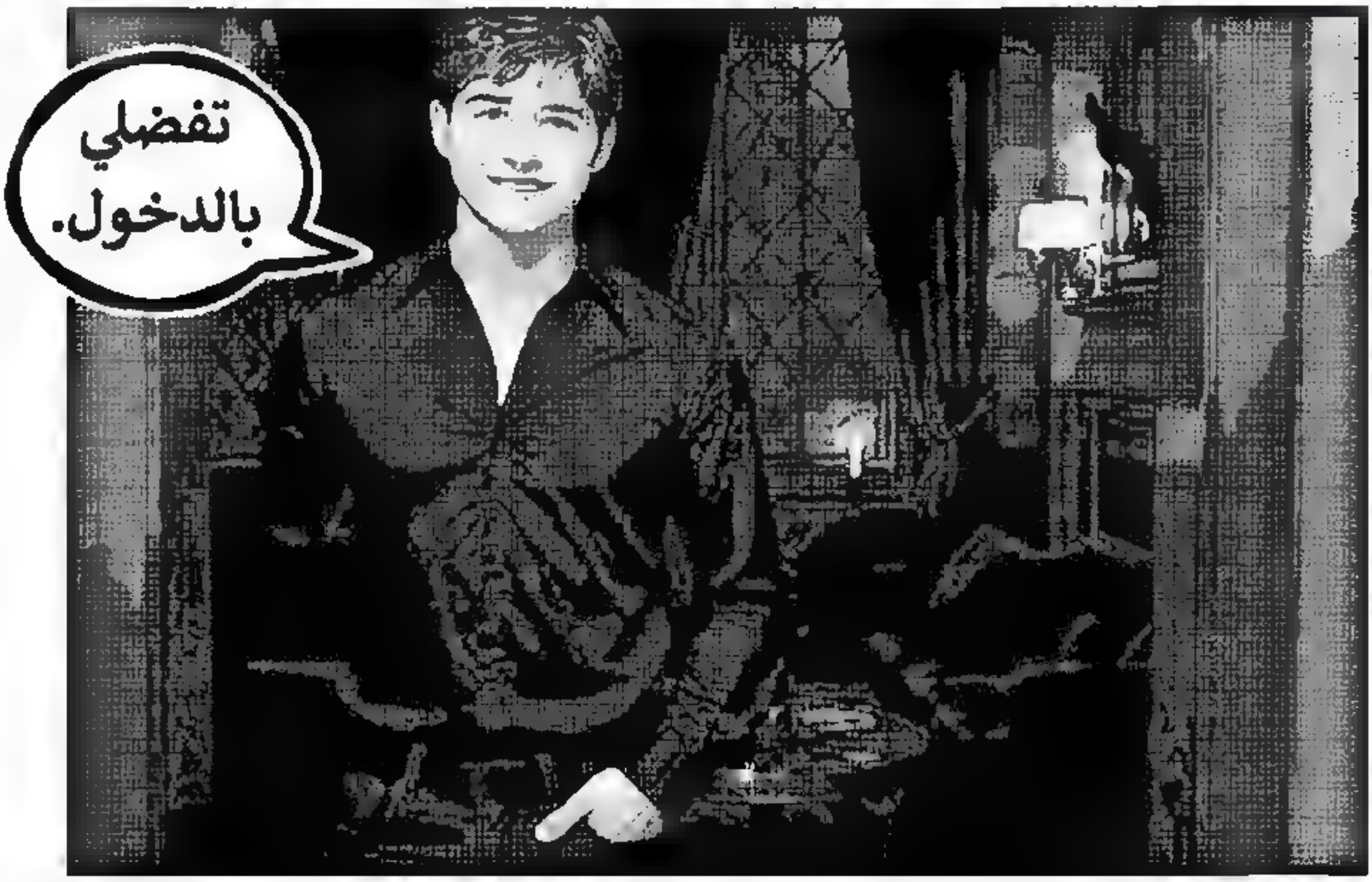

أشار توماس إلى جناحه الخاص بعد أن فتح الباب لضيفته، فدخلت كيتلين ممتنةً له على استقبالها لهذه الليلة، قادها الشاب إلى غرفة نومه وأول ما لاحظته كيتلين هو صورهما التي رمتها مارثا على السرير، فجلست على حافته والتقطت الصور، قلّبتها وهي تقول:

وبصوتٍ متخاذل يوحي بمدى ندمه أجابها:

- ما كان عليّ أن أدعوكِ إلى الحفل.. لقد ورطتكِ بالمشاكل دون جدوى.. بالنهاية لم أتمكن من معرفة أي شيء من والدتي.

أفلتت كيتلين الصور من يدها، ونهضت لتقف أمامه بثبات، أخرجت صورة ماريا من حقيبتها، وسلمتها لـ توماس:

- ربما تكون هذه هي الإجابة التي تبحث عنها.

أخذ توماس الصورة، وأمعن النظر فيها، للحظة، ظن أنها صورة كيتلين، لكنها تابعت لتوضح:

- الفتاة في الصورة ليست أنا، قال عمك بأن اسمها ماريا.. وأعتقد أنها كانت صديقة قديمة لوالدينا.

أدارت كيتلين وجهها نحو المرآة المثبتة على الجدار، تأملت انعكاس صورتها هناك إلى جانب توماس، ثم قالت:

- أنت لم تورطني بأي مشاكل يا توماس، أنا من كانت تسعى خلف الحقيقة منذ البداية... إلى أن أدركت أنني المشكلة في حد ذاتها.

- أنتِ أجمل منها.

قالها الشاب وهو يرمي بصورة ماريا بغير اكتراث لتختلط مع كومة الصور فوق سريرة، ثم أشار إلى أحد الأبواب:

- إن أردتِ الاغتسال، فالحمام من تلك الناحية، يمكنكِ النوم في هذه الغرفة، وأنا سأنام في الغرفة المجاورة.

ابتعد توماس ليتركها، لكنها أوقفته قبل أن يغلق الباب:

- توماس.. شكرًا لأنك لم تسأل.

"شكرًا على احترامك لخصوصيتي، وشكرًا لأنك لم تثقل علي بأسئلة ما كنت أملك إجاباتٍ لها".

بعد أن تركها وحدها، جلست كيتلين إلى جانب الصور المبعثرة. عادت والتقطتها بين يديها، تتأمل تفاصيلها وتمسح عليها بأناملها الرقيقة.

"بدونا كمنائي سعيد في تلك الصور، ليس سرًا أن كل فتاة تحلم بالتقاط ولو صورة واحدة كهذه مع شريكها، وأنا، كحال أي فتاة، تمنيت مثل تلك الأمور، حتى لو بدت لي أحيانًا مبتذلة، لهذا رفرف قلبي بنشوة رغم الظلام المحيط به، لكن كل تلك البهجة لم تكن لوجودي إلى جانب توماس، لأن مخيلتي كانت قد لعبت دورها الخفي بكل احترافية، واستبدلت وجهه بملامح شخصٍ آخر".

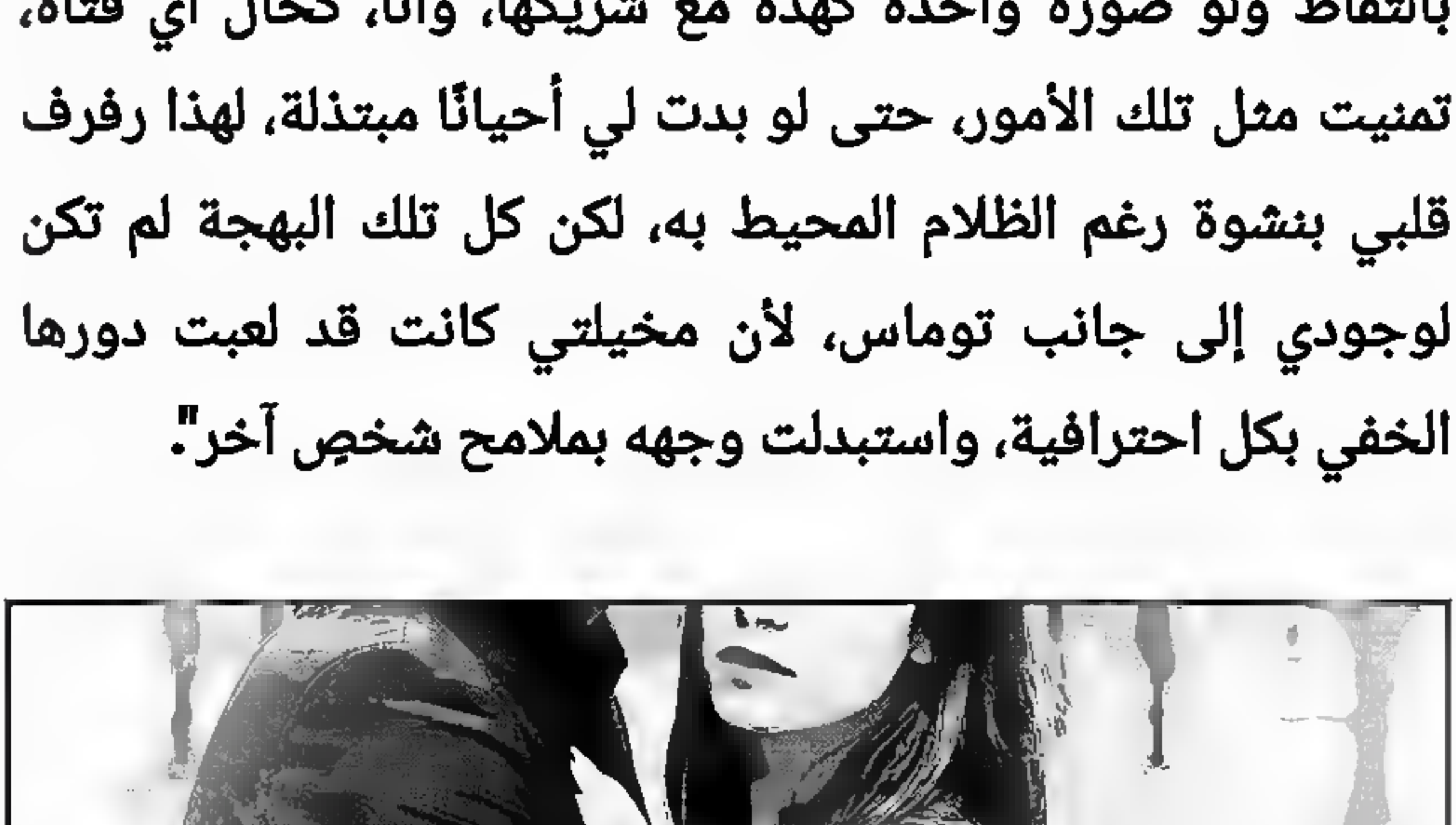

***

- راين.. راين! أنا أتحدث معك.

رنّ صوت هارو كناقوس ليوقظه من شروده العميق، انتفض الشاب بعد أن اقتلعه نداؤها من غياهب اللاوعي الذي كاد يبتلعه، رمقته هارو بعينين يملؤهما القلق، وقد ازداد توترها من حالته:

- إن أردت أن نتوقف..

- لا..

استخدم حق الاعتراض سريعًا، فلم يكن من النوع الذي سيتنازل الآن بعد أن قطع كل هذه المسافة، كان كبريائه أكبر من كل شيء آخر، ولم يكن هذا غريبًا بما أنه قد تربى على يد من كان الكبرياء أحد أبرز صفاته.

***

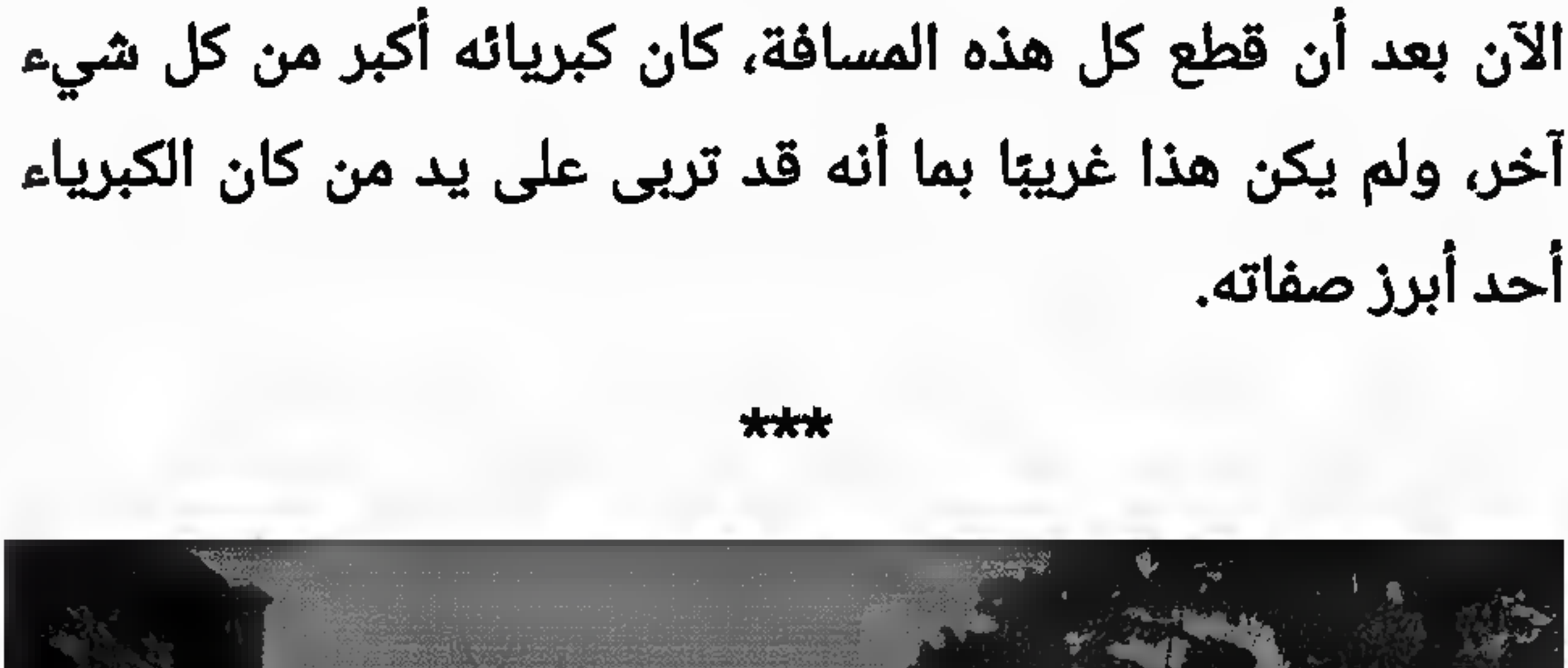

هام إبراهام على وجهه يجوب طرقات هيل تاون الباردة، يُحاول جاهدًا الهروب من أشباحه التي تحاصره بلا هوادة، ترك سيارته منذ مدة، وقرر السير على قدميه ليغرق في عاصفة أفكاره اللامتناهية،

لم تكن لديه النية للعودة، بل لم يشعر بلهفة الرجوع إلى دفئ منزله، واصل سيره دون وجهة محددة، ومن شارعٍ إلى آخر، فجأة، استوقفه حركة رجال الشرطة قرب المركز، لمح من بعيد القائد مورغان، الذي كان ينظم رجاله استعدادًا للانطلاق، ورغم المسافة بينهما إلا أن القائد تمكن من رصده، فترك رجاله ليقترب منه ويلقي التحية:

- سيد ميلر.. سعيدٌ برؤيتك، مضى وقتٌ طويل على آخر لقاء لنا.

- معك حق.

ردّ إبراهام بصوتٍ خافت، يخلو من الحيوية، كان بإمكان مورغان الإحساس بمصابه، فقال مُشيرًا إلى رجاله:

- عن إذنك، سيد ميلر، عليّ أن أعود إلى الرجال، فقد يحتاج فريق راين للدعم في أي لحظة.

لكن إبراهام استوقفه قبل أن يبتعد، وقال ممتنًا:

- أعلم أن الوقت غير مناسب، لكن شكرًا لك على رعايتك لـ راين، أنا ممتن لأنك وفرت له عملًا في العاصمة.

عقد مورغان حاجبيه، وقد بدا عليه الضياع، ثم سأل مستفهمًا:

- ما الذي تتحدث عنه؟ راين لم يخبرني بأنه يفكر بالانتقال إلى مكانٍ آخر.

تجمدت الدماء في عروق إبراهام، وصاحبه إحساس بارد في عاموده الفقري لدى سماعه رد مورغان، فاستحضرت ذاكرته حديثه

مع راين في الليلة التي تسبق ذهابه إلى الحفل، حين قال له بوضوح:

(نعم ستكون هذه محاولتي الأخيرة).

أمسك إبراهام صدره بعد أن شعر بثقلٍ في قلبه، همس بصوتٍ متهدج، كأنما يخاطب نفسه:

- تبًا يا راين.. لا تقل لي أنك لم تكن تنوي الخروج من ذلك المكان منذ البداية.

***

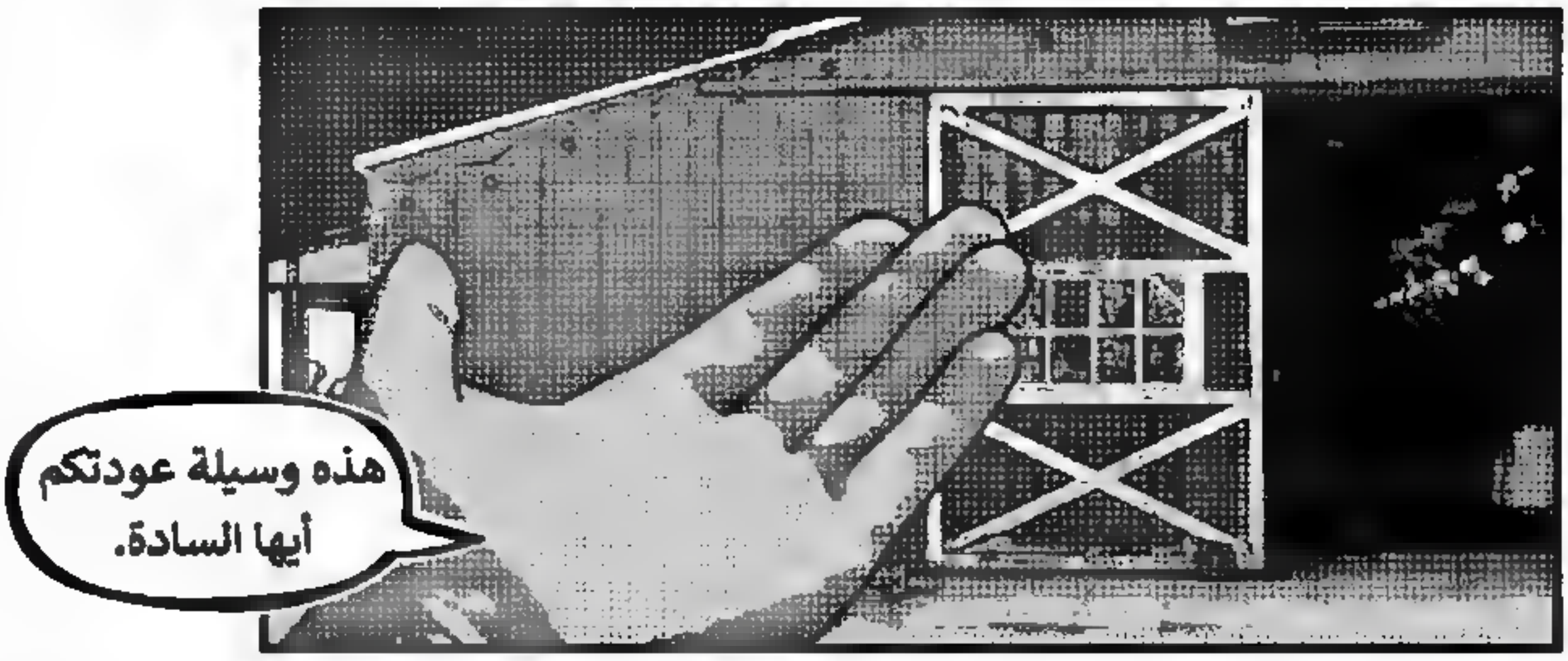

أشار جيمي بفخرٍ إلى طائرته المخبأة داخل حظيرة خلف منزله المتواضع، للحظة ساد الصمت، واستقرّت أعين المجموعة على هيكل الطائرة الصغيرة، فسألت كيمبرلى إدوارد وهى تتحرى رِدّة فعله:

- ما رأيك بها؟

تأمل إدوارد الطائرة قبل أن ترتسم على وجهه ابتسامة عريضة حملت معها تأكيدًا على حماسه، فقال دون أن تحيد عيناه الرماديتان

عن الهيكل المعدني:

- ستفي بالغرض.

NOTES

DATE: 30 / 10 / 2017 S M T W T F S

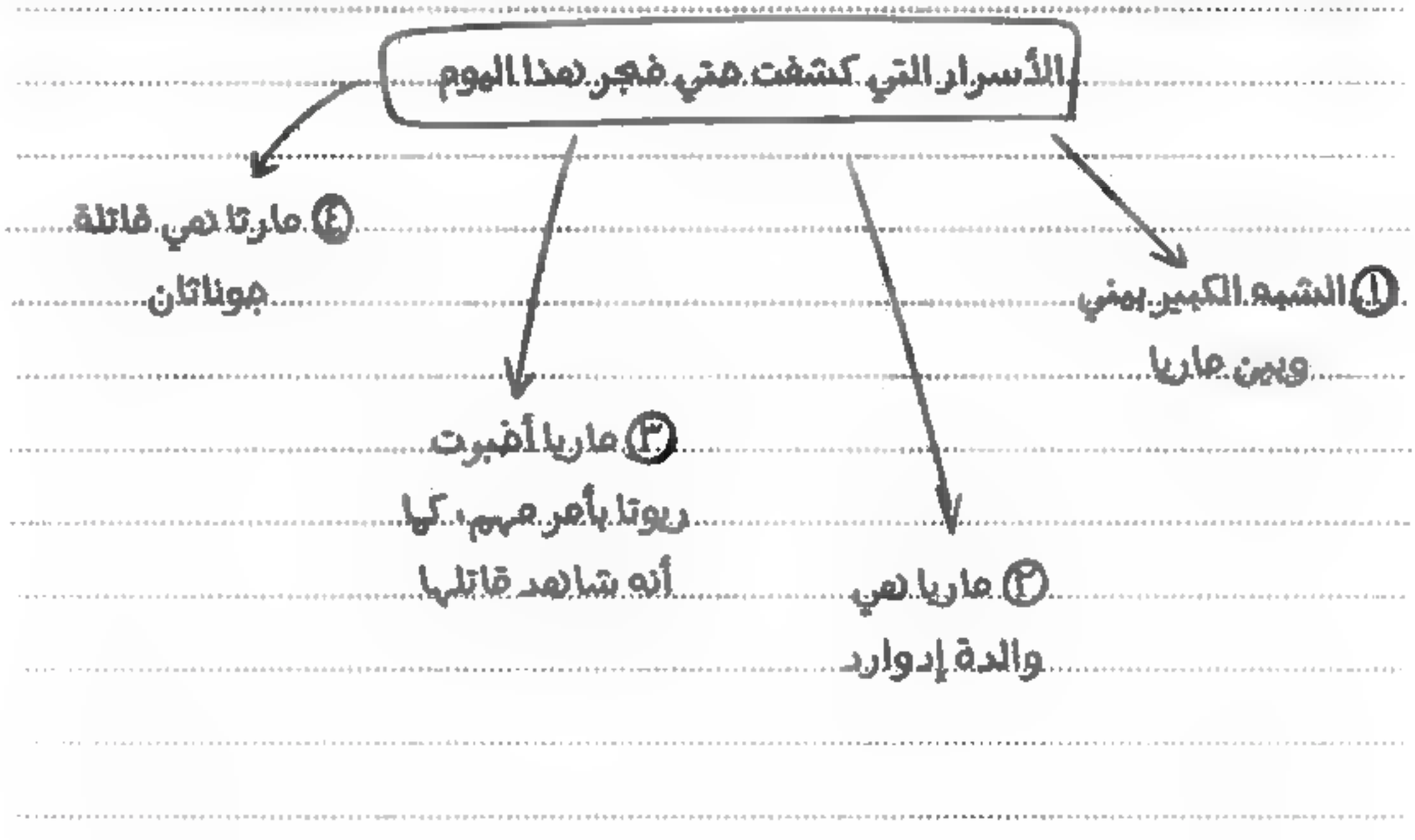

NOTES

DATE: 30 / 10 / 2017 S M T W T F S

(7)

الوصية

The Will

أمام مركز الشرطة، عاد إبراهام ليطرح سؤاله للقائد مورغان، متشبثًا بآخر خيط أمل قد يبدد مخاوفه المتصاعدة:

- هل أنت متأكد بأن راين لم يخبرك؟ ألم يلمّح للموضوع بأي طريقة؟

نقل مورغان نظراته الحازمة نحو إبراهام، واضعًا يده التي حملت ثقل الحقيقة على كتفه:

- إن لم تصدقني يا إبراهام، فبإمكانك أن تسأل رفاقه في المركز.

هزّ رأسه بخفوت، مستطردًا:

- هو لم يأتِ على ذكر أي موضوع يتعلق بالعمل في أي مكان آخر.

انسلّت الحقيقة كجليد بارد إلى قلب إبراهام، وقد شعر بوزن ذراع مورغان تثقل كاهله. اختل توازنه تحت وطأة استنتاجاته المفجعة، كان أكثر شخصٍ يعلم بمدى الحقد المتراكم في قلب ذلك الشاب، وإن كان راين لم يخبر أحدًا بما يخطط له، فهذا يعني أمرًا واحدًا. بوجه شاحب كالرماد، اندفع إبراهام ليقول مترجيًا، حيث كانت كلماته تسابق نبضات قلبه:

- مورغان.. أيمكنني أن أرافقكم؟

- ما الذي يحدث؟

تلفت إبراهام تائهًا يبحث عن الإجابة بين الظلال المحيطة به، ليقول بنوبة هلع:

- أتمنى ألا يحدث ما أفكر به، لكن..

حاول مورغان تهدئة الرجل وإعادة الطمأنينة إلى قلبه المضطرب، فقبل بأن يرافقهم:

- لا بأس من ذهابك معنا، لكن عليك أن تعلم أننا لن نتمكن من الدخول واقتحام المكان دون سبب.

وسط تلك اللحظة العصيبة، تذكر إبراهام بطاقة الدعوة، فقال باندفاع:

- لدي بطاقة دعوة، سأعود إلى المنزل لإحضارها.

- إذًا سننتظرك ريثما تعود.

ابتعد إبراهام ليقول:

- لا.. اسبقوني إلى هناك.

امتثالًا لرغبته إبراهام، أمر مورغان رجاله بالتحرك فورًا، منطلقين بفريق الدعم نحو قصر عائلة بيتفورد.

***

بعد أن غادرت قاعة الاحتفال، انزوت فيكتوريا في غرفتها، جلست وحيدةً على كرسي قرب النافذة، تتربص بتوتر يُشبه لهيب الشموع المتراقصة، بانتظار ابنها وليام. وما إن فتح باب الغرفة ودخل، حتى وبخته مُعاتبة:

بنفاذِ صبرٍ منها قاطعت أجابته لتقول:

- هذا لا يهم.. عليك أن تستعد لليلة الغد، سثفتح وصية عمك كيليب.. لقد أخبرتني مارثا بذلك قبل قليل.

رفع وليام عينيه إليها بفتور مُتوقعٍ، لا يُلام عليه:

- إن كانت هناك وصية، فهذا يعني أن الوريث قد تم تحديده بالفعل، إذًا ما جدوى الاستعداد؟

اكفهرّ وجه فيكتوريا التي استقامت مُندفعةً بغضبها، تخطت ابنها بخطوات صارمة نحو طاولة الضيافة:

- لا تكن غبيًا يا وليام، حتى لو كانت هناك وصية، هل تظن حقًا أن عمك قد ذكر اسم الوريث فيها؟

ضحكت والدته لتُضيف بنبرةٍ تحمل سخريةً واضحة:

- كم عمر تلك الوثيقة برأيك؟ حادثة الحريق وقعت قبل تسعة عشر عامًا، وقبلها كان عمك بالكاد في بداية شبابه. أبناؤه آنذاك كانوا مجرد أطفال لم يبلغ أكبرهم حتى سن الرشد.

- حسنًا يا أماه، لنفترض أن الوريث لم يُذكر، فكيف سيتم اختياره؟

نظرت فيكتوريا إلى كومة المغلفات السوداء المفتوحة على طاولة الضيافة قبل أن تجيب:

- من يملك العدد الأكبر من التابعين، بعبارة أخرى، سيتم التصويت لصاحب النفوذ الأقوى.

ثم نقرت بإصبعها على سطح الطاولة لتتابع تفسيرها:

- لمَ تعتقد أن جدك لعب تلك اللعبة القذرة مع تلك الأفعى؟ إنهما يستغلان "الريد روز" كوسيلة لإزاحة بعض المنافسين من طريقهم دون الحاجة إلى تلطيخ أيديهم.

دفعت فيكتوريا بكومة المغلفات المفتوحة ناحية ابنها لتضيف:

تقدم وليام، التقط المغلف الأول وفتحه، فوجد اسمه يتصدره، ثم مد يده نحو المغلف التالي والذي يليه، وعيناه تتنقلان بذهول بين الأوراق والمغلفات، بالمقابل تابعت فيكتوريا صدمة ابنها، لتقول وهي تُشير لكومة الأظرف:

- استلمتها من بعض الموالين لنا، من الجيد أننا نملك الكثير من الأصدقاء، لكن هذا لا يكفي، أمامنا حتى مساء الغد لنضمن وقوف المزيد إلى جانبنا.

***

في ذات التوقيت، كانت غرفة مارثا تشهد حوارًا مشابهًا، حيث اجتمعت الأرملة بإريك وتايلور، أنهت حديثها مع الأول بنبرةٍ حازمة:

- سأعتمد عليك يا إريك في إبلاغ كل إخوتك غدًا.

ثم التفتت نحو تايلور، لتقول له:

- أما أنت، فستذهب في مهمة عاجلة.. بسبب استخدامنا لأجهزة التشويش، انقطع اتصالي برجالنا في الخارج، لهذا توجه إلى الفيلا وتكفل بأمر الخائن الذي أمسكوا به...

رفعت مارثا إصبعها، مشيرةً إليه بصرامةٍ تُشبه طعنةً في الهواء، وهي تؤكد على أهمية أوامرها:

- ولا تنسَ أن تزودني بأي جديد يتعلق بـ هيروشي وابنه.

***

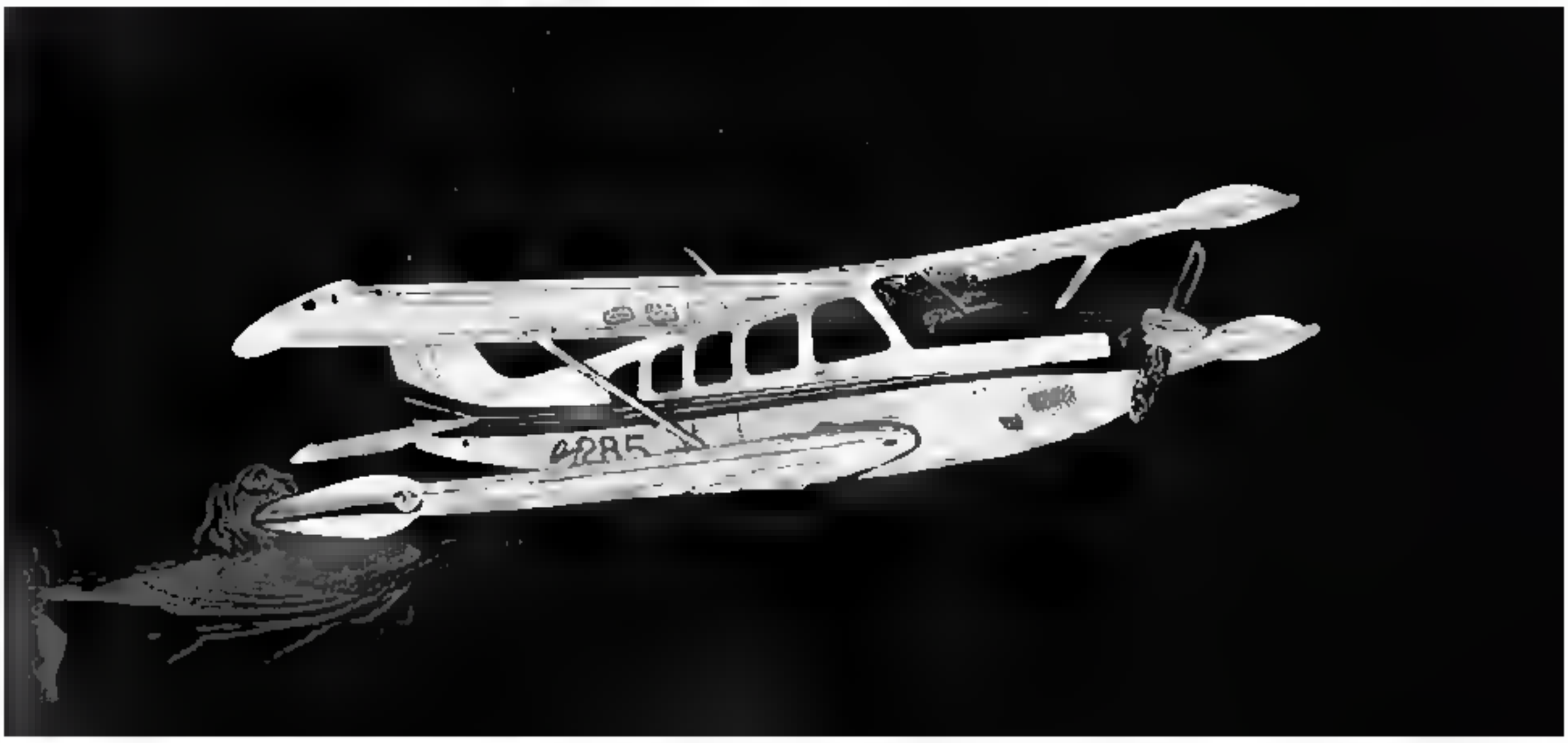

في الساعات الأولى من فجر يوم الاثنين، كانت طائرة جيمي تشق طريقها عبر السماء المظلمة، حيث قطعت بالفعل أكثر من نصف المسافة إلى فيلا عائلة بيتفورد. داخل قمرة القيادة، كان الهدوء يسيطر، كل شيء كان يسير على خير ما يرام حتى لاحظ دانيال نظرة غريبة على وجه جيمي، تجعد جبينه بشكل طفيف، فاندفع دانيال إلى الأمام، ونبرته تفيض بالقلق قال لـ جيمي الذي أزال

سماعة أذنه:

- وجهك لا يبشر بالخير، أهنالك خطبٌ ما؟

فأجابه وهو يشد من قبضته على مقود الطائرة:

تدخّل إدوارد ليقول:

- المنطقة حول الفيلا مفتوحة وذات أرض منبسطة.

وقبل أن تكمل كلماته طريقها، اهتزت الطائرة بفعل الرياح، مما جعل المقود يرتجف بين يدي جيمي، شد قبضتيه أكثر، فأجاب إدوارد ولا يزال قلقه جليًا:

- أي حجر أو حفرة في الأرض قد تؤثر على الهبوط.

كانت عيون ريوتا تجوب الأرض عبر النافذة، متفحصةً كل التفاصيل تحتهم، فجأة، انبثقت فكرة من ذهنه، فقال مقترحًا على جيمي:

- ماذا عن الشارع؟ إنه مضاء ومستوي، ألا يمكنك استخدامه كمدرج للطائرة؟

رفع جيمي بصره عن لوحة القيادة، وركز نظره على السماء أمامه، ليقول بنظرة تحمل روح التحدي:

- لقد قرأت أفكاري أيها الشاب... لكن المحاولة لن تكون بهذه السهولة، لهذا استعدوا.

***

في منزله، جلس إبراهام على ركبتيه، عاقدًا حاجبيه في تركيز، وراح ينبش في سلة المهملات يبحث عن بطاقة الدعوة التي رماها هناك، وفي فورة غضب عارمة، دفع بالسلة جانبًا لتصطدم بالحائط بعد أن وجدها فارغة، تلك الخادمة! لا بد أنها أفرغتها قبل وقتٍ قصير، لطالما كان متأخرًا بخطوة، لهذا راح يلوم حاله، ويجلد ذاته على تقصيره في أداء واجباته، وبدون إدراكٍ واضح، وجد قدميه تقودانه إلى غرفة راين، وكأنها تحمل وزر سخطه، دفع بابها فاستقبله الظلام من خلفه ببرودٍ وجفاء، دخل إليها بثقلٍ في قلبه وهنا لاحظ الورقة المطوية على سرير راين.

التقطها إبراهام بيدٍ مرتجفة، كمن يخشى اكتشاف شيء قد يهز كيانه أكثر مما حدث، وبدأ بقراءة ما كُتِب هناك.

***

استلقت كيتلين على ظهرها فوق سرير توماس، ورغم الأمان الذي حظيت به إلا أن النوم أبى أن يزورها هذه الليلة، لهذا تركت الفراش واتجهت ناحية الباب بخطواتٍ خافتة وهي تخشى أن تُزعج السكون الهش الذي أحاط بالمكان، أسندت راحتي يديها عليه، مترددة بين فتحه والعودة إلى فراشها، ثم همست بصوتٍ خافت مفعم بالقلق:

- هل نمت؟

على الطرف الآخر لدرفة الباب استقبل توماس الذي استلقى على الأريكة سؤالها، فقال مُجيبًا:

سرحت عينا الشاب في الثريّا المتدلية فوقه قبل أن يُتابع:

- أحاول عبثًا صرف تفكيري عن الأصوات التي أسمعها خارجًا.

أسندت كيتلين رأسها إلى الباب، وأغمضت عينيها، كانت تأمل أن يخفف الظلام تحت جفنيها وطأة الأصوات المرعبة التي تسربت إليها هي أيضًا، ثم ما لبثت حتى همست لتشاركه خوفها:

- أفهم ما تعنيه، يمكنني سماعهم بوضوح.

"صليّت كثيرًا لأن تكون إيفا بخير، كما تمنيت أن يزول الخطر مع شروق شمس اليوم الجديد".

نهض توماس ببطء من الأريكة، جلس معتدلًا، ثم قال بصوتٍ

عازم، لكنّه لم يخفِ قلقه:

- سأنتظر شروق الشمس، ثم سأذهب لتفقد الوضع.

وباندفاع أجابته كيتلين:

- سأرافقك لتفقد إيمّا، أخشى ألا يكون راين وهارو قد عثرا عليها.

***

مخاوف كيتلين كانت بلا جدوى، فـ إيمّا كانت أبعد ما تكون عن دائرة الخطر، غارقة فى عالمها الخاص، جلست وسط دائرة من الأصدقاء الأربعة، تشير بحماس إلى زجاجة الشراب الفارغة في المنتصف:

- هيا يا ماثيو، إنه دورك.

مد ماثيو ذراعه بتثاقل نحو الزجاجة، ثم مال نحو يوميكو وهمس لها:

- كان علي أن أعلم أن الأمور ستأخذ هذا المنحنى.

ردت يوميكو بابتسامة مجاملة:

- قم بمسايرتها فقط.. لا أعتقد أنها بكامل وعيها بعد أن أفرغت

محتوى الزجاجة...

ثم تنهدت بيأس لتضيف:

- هذه الفتاة لا تتعلم من أخطائها أبدًا.

على الجهة المقابلة، رفعت إيما إصبعها مشيرة نحو الثنائي:

- ما الذي تتمتمان به أنتما الاثنان؟

لكن انتباهها سرعان ما تحول إلى خاتمها الغريب، التمعت عيناها كطفلة صغيرة اكتشفت كنزًا، وضمت الخاتم إلى صدرها بحماس:

فقال لها أليكس:

- إيما.. هذا ليس خاتمًا، إنه السلك المعدني الذي كان على غطاء قنينة الشراب.

- أعلم، أليس جميلًا؟

أجابته بنظرة حالمة، ثم أدارت رأسها مشيرة إلى يده، وقالت بنبرةٍ يغمرها الحماس:

- ستحتاج إلى واحدٍ أيضًا.

ضم أليكس كفيها بين راحتيه بحنان، ثم قال محاولًا إعادتها إلى رشدها:

- اسمعيني يا زهرتي، سأشتري لك خاتمًا حقيقيًا.. لهذا أرجوكِ، اخلعي هذا الشيء الآن.

سحبت إيما يديها بسرعة، رافضةً عرضه، لتشهق باندهاش:

- أخلعه! هل تريد الانفصال عني؟

- من تحدث عن الانفصال؟

وبتغيير مفاجئ في مزاجها، خلعت إيما الخاتم ودفعته نحوه:

- إذًا البس هذا.

أخذ ألكيس الخاتم مرغمًا بعد أن أيقن بأن الحوار المنطقي ما عاد ينفع معها، ليقول لها بابتسامة مجاملة:

- كم أنا محظوظ.

مقابلًا لهما، أطلق ماثيو نخرةً ساخرة، ليقول متهكمًا:

- يا لفرحتي بكما.

- هه، لا توقفهما، يبدوان ظريفين معًا.

علّقت يوميكو ببهجة على الثنائي الغريب، لكن ابتسامتها سرعان

ما تلاشت عندما لاحظت تحرك مقبض باب الغرفة، انتفضت في مكانها، مشيرةً نحوه بقلق، انتبه الجميع بدورهم، بينما حاول الشخص على الجانب الآخر فتح الباب بإصرار، قبل أن يقرر ضربه بعنف.

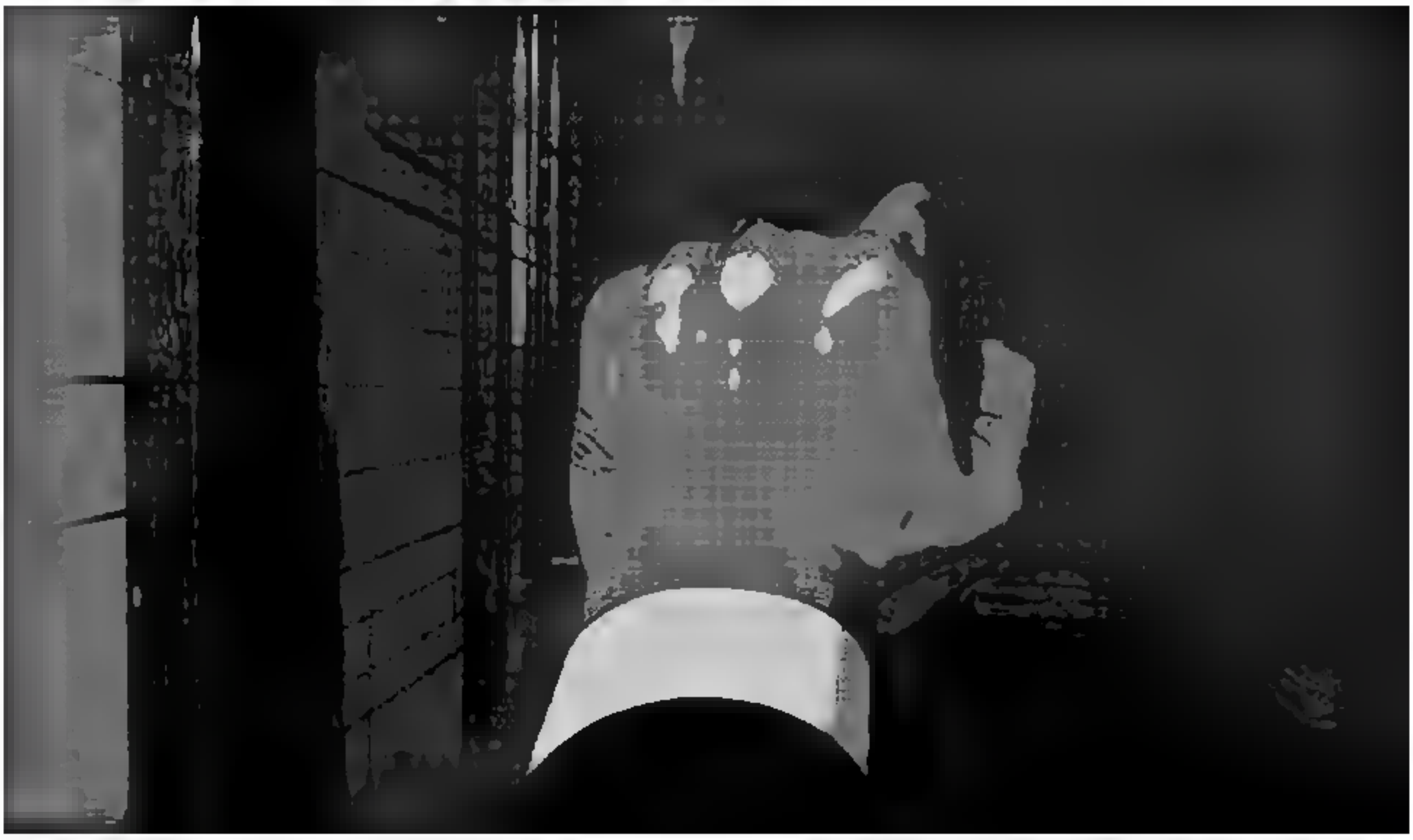

منفصلةً عن الواقع، أدارت إيمّا زجاجة الشراب الفارغة في الوسط غير مكترثة، لتتوقف فوهة الزجاجة نحو ماثيو، فقالت له بابتسامة تحدٍ:

- إنه دورك يا ماثيو.. أتحداك أن تفتح الباب.

اعترض أخوها، هامسًا بقلق:

- هل جننتِ؟ لن أفتح الباب، من يعلم من سيظهر لنا؟

وفجأة، رفعت إيمّا يدها بجنون، وأجابت بحماس طفولي:

- أنا أعرف.. أنا أعرف، إنها كيتي.

ثم غافلتهم ونهضت سريعًا، وقبل أن يتمكن أي منهم من إيقافها، فتحت إيڤا الباب بينما صرخوا بها جميعًا:

- توقفي يا إيڤـــــا!!!

أزاحت إيڤا درفة الباب من أمامها، ورحبت بابتسامة مشرقة:

- مرحبًا يا كيتي.

لكن بدلًا من كيتي، ظهر أحد الضيوف المقنعين، يحمل بيده بطاقة تحمل رقم غرفتهم، نظر الرجل إلى البطاقة ليتأكد، ثم رفع عينيه نحو إيڤا بابتسامة خبيثة:

- مرحبًا يا جميلة.

تقدم الضيف المريب بخطوة إلى داخل الغرفة، لكنه توقف فجأة عندما استقبل لكمة قوية على وجنته طرحته أرضًا. قفزت إيڤا مهللة:

- راين! انظروا إلى من قرر الانضمام إلى حفلتنا.. إنه راين!

ثبّت راين الرجل أرضًا، سيطر عليه قبل أن يتمكن من الهرب، أحكم المحقق الشاب قبضته على ذراعه التي ثبتها خلف ظهره، ثم أدار رأسه ناحية المجموعة من خلف إيڤا، ليسأل وقد لاحظ علامات العمالة على وجه الفتاة:

- ما الذي يجري هنا؟

بعدما تخلص راين من الرجل وأبعده، جلس برفقة هارو مع بقية المجموعة، بينما ثُركت إيڤا لتنام على سريرها، تكفل أفراد المجموعة

بشرح الأحداث لـ راين وهارو، أفضى الجميع بما لديهم، ولكن بوضوح متعمد، اختار يوميكو وماثيو إغفال زيارتهما للأستاذ براون، ترددت الفتاة للحظة وهي تنظر ناحية راين، فسألتها أختها هارو:

- يوميكو!.. هل هناك المزيد؟

أومأت يوميكو برأسها، ثم توجهت بحديثها إلى راين:

- قبل دخولنا القصر، تمكنت من التواصل مع أخي ريوتا، لكنه لم يكن وحده.. إدوارد كان بصحبته.

تابعها راين باهتمام بعد ذكرها لهذين الاسمين معًا، فأردفت الفتاة:

- إدوارد هو من طلب منا إخراج كيتلين من هنا، ثم أوصاني بأن أوصل لك رسالة: "الطلقات الأربعة لم تكن كافية".

كان وقع الرسالة كسهمٍ أصاب عمود راين الفقري، فاجتاح الغضب كل كيانه في لحظة، وذكريات ذلك اليوم بدأت تتسلل إلى ذهنه، حاول إخفاء سخطه كالعادة، إلا أن تقاسيم وجهه الواجم لم تستطع خداع من حوله، نهض الشاب بصمت من مكانه، مُحتفظًا بأفكاره لنفسه، لم تكن يوميكو لتقبل الصمت كإجابة، فسألته:

- ما الذي تعنيه رسالة إدوارد؟

أجابها سريعًا وبنبرة أخافت الجميع، وقبل أن يتمكن من الانسحاب، خرجت هارو عن صمتها لتعاتبه بصرامة:

- إياك أن تقول إن الأمر لا يعنينا..

ثم أشارت إلى نفسها وبقية المجموعة، واستطردت بحزم أكبر:

- نحن في هذه المصيبة معًا، شئت أم أبيت، وإلا فما معنى كل ما مررنا به حتى الآن؟

توقفت هارو وانتظرت منه الإجابة، فساد صمتٌ مربك الغرفة لبضع ثوانٍ قبل أن تنهض إيمًا من غفوتها، نظرت إلى الجميع من موقعها بعينيها الذابلتين، ثم سألت ببراءة:

- لم الجميع هنا؟

"قد يبدو أنانيًا متغطرسًا في الكثير من الأحيان، وواثقًا من نفسه لدرجة رفضه لطلب المساعدة، لكن الحقيقة أنه أراد حمايتنا، كان راين يعي مدى براءتنا، لم يشأ أن تتلوث أرواحنا النقية وتتلطخ بداء الحقد الذي تمكن منه هو، لهذا كان يدفع بنا بعيدًا مستخدمًا الأسلوب الوحيدة الذي يعرفه".

لم تهتز هارو وظلّت تراقبه وهو يبتعد ناحية الباب، وضع راين يده على المقبض ليجيب باقتضاب:

- إدموند.

ثم فتح الباب وأضاف:

- علي إخراج كيتلين من هذا المكان، ذلك المجنون لن يتركها وشأنها إذا علم أنها هنا.

أغلق راين الباب من خلفه وتقدم إلى الأمام ليغوص عميقًا في هواجسه التى كان حجز أساسها إدموند بيتفورد، هل هو الورقة الرابحة التي يستند عليها بينجامين؟ ألهذا تم التخلص من كيليب؟ ولماذا الآن؟ فكرة تلي الأخرى، وسؤال يجرّ الثاني دون توقف حتى وصل به الحال إلى جناح عائلة بيتفورد، كان بمقدوره رؤية غرفة توماس من بعيد، لكن بدا أن أحدًا سبقه إليها.

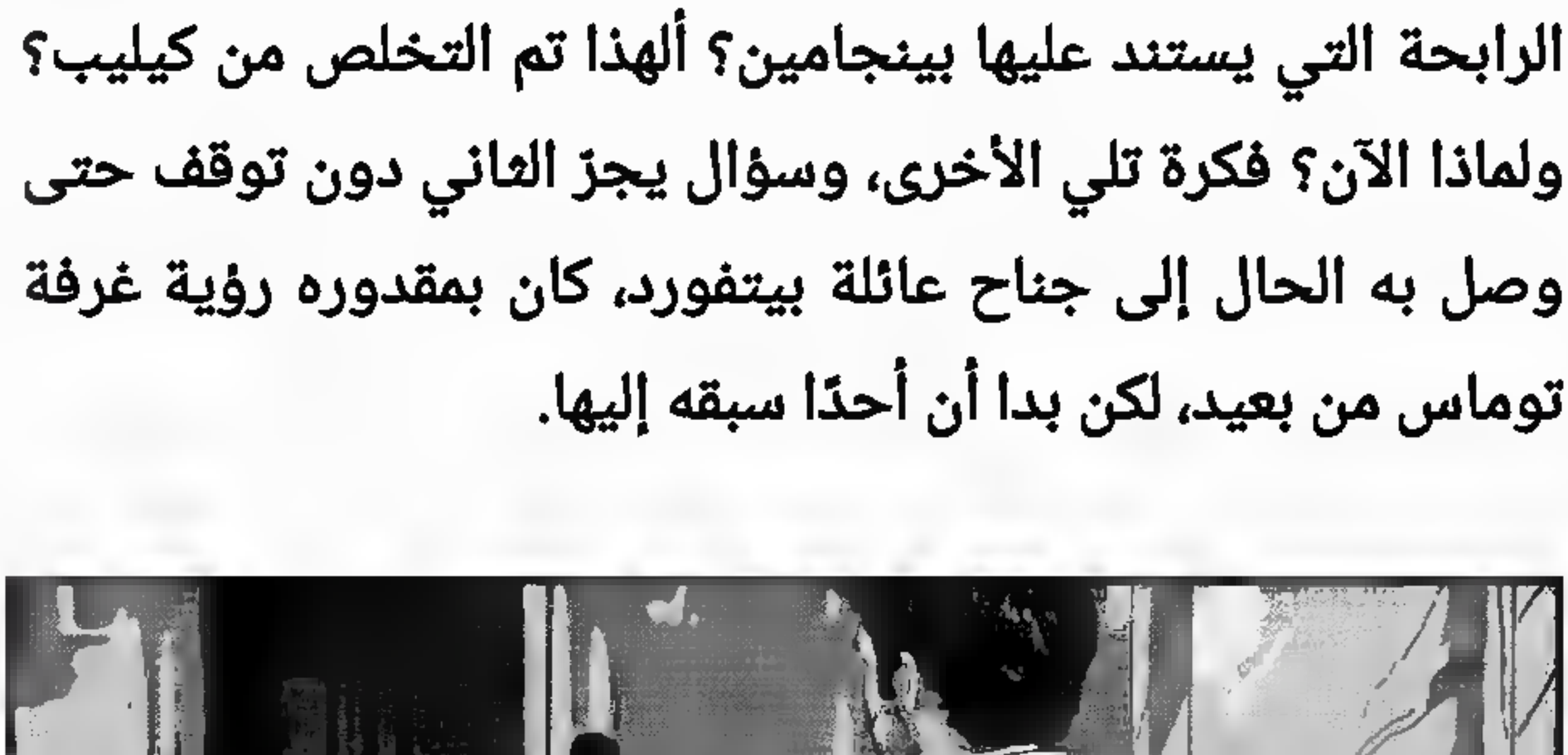

داخل الغرفة، سمع توماس طرقات الباب، انتفض من مكانه كالملسوع، قبل أن يُفتح الباب لتظهر والدته مارثا، كانت التقارير قد

وصلتها بالفعل، لهذا جاءت لرؤيته، مسحت عيناها المكان قبل أن تسأله:

- هل قابلتها؟

رد توماس بنبرة تحمل تحديًا مخفيًا:

- نعم فعلت.. ولم تكن كيتلين الشخص الوحيد الذي صادفته.

لم تنفعل مارثا وتتأثر بطريقته المستفزة، وقفت أمامه كتمثالٍ رخامي منحوتٍ بعناية، ثم اقتربت منه أكثر لتهمس بأذنه كأفعى ماكرة:

- هذا آخر تحذير أوجهه لك، قابلها مرة ثانية ولن يكون أمامي غير خيار التخلص منها بطريقتي.

ابتعدت مارثا وهي ترى تأثير كلماتها على ملامحه ابنها، ابتلع الشاب ريقه الجاف، وعيناه تتجهان نحو باب غرفة نومه حيث كانت كيتلين تختبئ، وعلى الأرجح تستمع إلى حديثه مع والدته، وقبل أن تغادر مارثا، قالت وهي تصرف نفسها من المكان:

- سأثق بأنك ستفعل الصواب هذه المرة.. تصبح على خير يا بني.

خارج الغرفة، اختبأ راين خلف أحد الأعمدة، يراقب جيش الحراس الذين أحضرتهم مارثا معها، حتى هو، لم يكن ليتمكن من اختراق هذا العدد وحده دون إثارة انتباه مارثا، لهذا انسحب بهدوء، مؤجلًا خطته إلى وقت آخر.

***

حلّقت الطائرة ذات المراوح على علو منخفض، تقترب ببطء من فيلا عائلة بيتفورد وسط ظلال الليل، صبّ جيمي كامل تركيزه على لوحة القيادة، أدار طائرته بحذر، وقام ببضع دورات فوق المنطقة حتى وجد الطريق الأنسب للهبوط، ضغط على عدد من الأزرار في قمرة القيادة وهو يقول منبهًا الجميع:

- تمسكوا جيدًا..

تشبث كل واحد منهم بمقعده استعدادًا للهبوط، فأمسك جيمي بالمقبض وأماله للأمام، لتتبعه مقدمة الطائرة التي بدأت بالانخفاض التدريجي، اقترب الجسم المعدني للطائرة من الأرض بثبات، حتى لامست عجلاتها الطريق بخشونة، فاهتزّت الطائرة بعنف مع قوة الاصطدام، مما جعل الجميع يشعرون بقوة الاصطدام، لتنحرف بعدها الطائرة قليلاً عن المسار، قبل أن تتوقف بصعوبة عند بداية الطريق الحجرية.

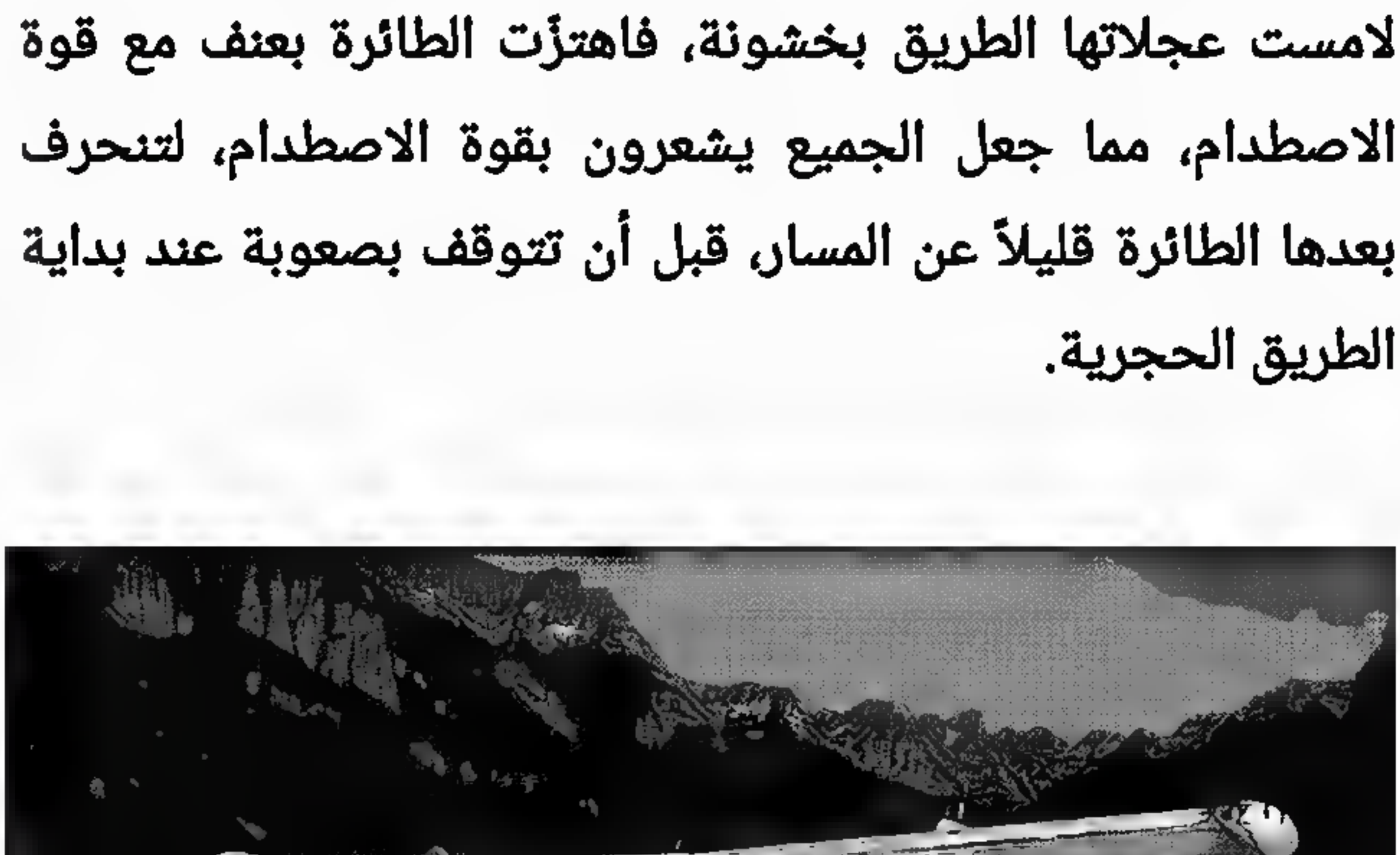

خلع جيمي سماعة الرأس ببطء، تنفس بصوت مسموع وهو يدير جسده إلى الخلف لينظر إلى من خلفه:

- هل الجميع بخير؟

رفع دانيال يده إلى رأسه التي ارتطمت بهيكل الطائرة، ليجيب بنبرة تحمل بعض المزاح رغم الألم:

- أعتقد بأنني أصبت بارتجاج في دماغي.

على الجانب الآخر، كان ريوتا يحاول التخلص من الفتاة التي سقطت فوقه بفعل الاصطدام، دفع ميغان قليلاً ليقول متذمرًا:

- ميغان..!

انزلقت الفتاة من فوقه بسرعة، لتعتذر بحرج، وهنا شقت كيمبرلي بفزع:

- أوه لا.. إدوارد، جرحك ينزف من جديد!

ضغط إدوارد على الجرح متألمًا بصمت، ليقول بغضب مكتوم:

- تبًا.. ليس الآن.

ترك جيمي مقعده، وعاد إلى الخلف حيث كان إدوارد ليعاين جرحه، جلس بجانبه، وقال:

- دعني أرى..

ثم التقط حقيبة الإسعافات الأولية، وبدأ بفحص الجرح بعناية:

- لقد فتحت إحدى الغرز.. سأحاول إعادة خياطتها.. ثم عليك أن تكون أكثر حذرًا.

بينما كانت كيمبرلي تراقب الوضع، علّقت بسخرية على قيادة جيمي:

- أتساءل من عليه أن يكون أكثر حذرًا.

***

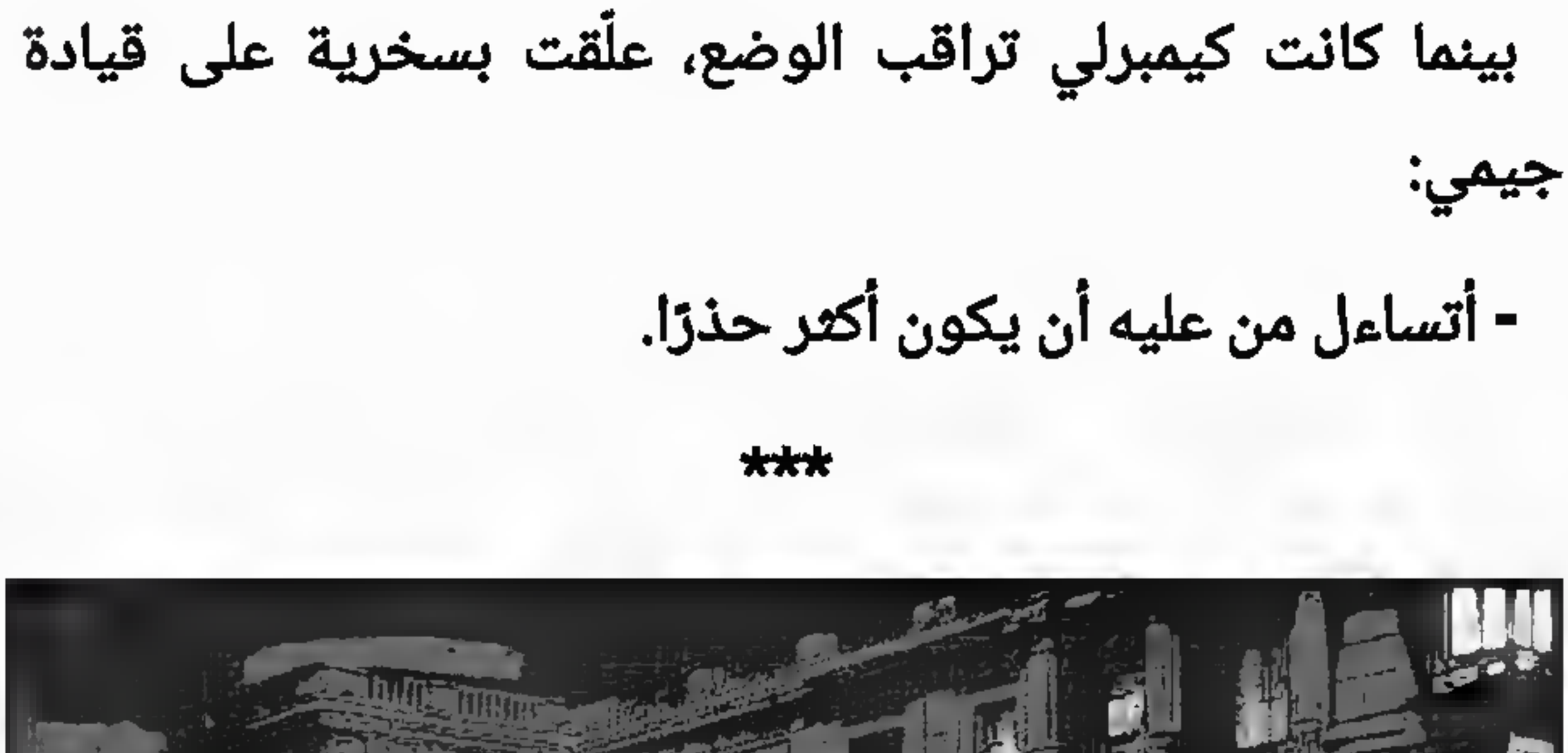

تايلور الذي وصل إلى الفيلا منذ فترة كان قد سمع صوت الطائرة

التي حامت فوقهم لبضع مرات، كان أكثر انشغالا من أن يلتفت لأمرها، ومع هذا لم يستطع تجاهل الإحساس المزعج الذي زرعه ذلك الصوت في أعماقه، لهذا أشار لأحد الحرّاس بالذهاب وتفقد الوضع.

تقدمت ميغان بخطوات حذرة نحو الفيلا، تقود المجموعة بينما ظل جيمي في الطائرة بانتظار عودتهم، لم تكن الفيلا هي الهدف الحقيقي، بل المقبرة القريبة منها، لهذا استداروا حول البناء، حيث لاحظوا الإضاءة الخافتة المنبعثة من النوافذ، همست ميغان بصوتٍ مرتجف:

- لقد قُضي علينا.

وفجأة، رفع دانيال يده محذرًا، وهو يُشير ناحية الفيلا:

- هناك شخصٌ قادم من الداخل.

برِدّة فعلٍ سريعة دخلوا جميعًا إلى المقبرة وانتشروا فيها، ومن

دون تفكير ارتمى كل واحدٍ منهم ليختبئ خلف أحد الشواهد الحجرية.

بتوترٍ وصبرٍ شديدين راقبوا الحارس الذي تجاوز المقبرة ليمضي في حال سبيله مبتعدًا، وعندها فقط خرجوا من مخابئهم واحدًا تلو الآخر، فيما عدا إدوارد الذي كان يُسند ظهره إلى شاهد قبر كيليب، فاقترب منه ريوتا:

- يبدو أنك وجدته.

ابتسم إدوارد بسخرية وهو ينهض:

- لماذا أشعر أنه هو من وجدني؟

ساعده دانيال على الوقوف، بينما علّقت كيمبرلي وهي تركل التراب بقدمها:

- سنحتاج إلى رفشٍ للحفر.

أشار إدوارد نحو البوابة:

- هناك بعض المجارف عند المدخل.

هرع دانيال مُسرعًا وعاد بمجرفين.

أخذ أحدهما وناول الآخر لـ كيمبرلي. لكن ريوتا أوقفها، قائلاً:

- أعطني المجرفة يا كيم.

تشبثت كيمبرلي بالمقبض، مشيرة إلى جرح ذراعه:

- أنت وإدوارد ابقيا بعيدين في الوقت الحالي..

ثم ضربت الأرض برفشها بحماس:

- لا تقلل من قدراتي، يمكنني الحفر أسرع من هذا المدلل.

شمّر دانيال عن أكمامه بعد أن أثارته كلمات ابنه خالته، فبدأ

وكيمبرلي الحفر معًا، وخلال وقتٍ قصير، اصطدم رفش دانيال بغطاء التابوت، رفع رأسه نحو المجموعة وقال:

- لقد وصلنا..

ثم أضاف بتوتر:

- من سيفتح هذا الشيء؟

تراجعت ميغان بخوف، لترفض بوجه شاحب:

- ليس أنا.. فلم يمض على دفنه سوى بضع أسابيع، لا يمكنني حتى تخيل شكله الآن.

دفعت كيمبرلي بـ دانيال جانبًا وهي لا تزال معه في قاع الحفرة:

- ابتعد أيها الجبان، سأفتحه أنا.

غادر دانيال الحفرة سريعًا، أما كيمبرلي فأزاحت ما تبقى من تراب من فوق الغطاء، التقطت هاتفها من جيبها وراحت توجه إنارته ناحية مقابض القفل وسط ترقّب البقية، أمالت جسدها بينما كانت ترفع الغطاء بحذرٍ شديد، وفجأة أدارت رأسها ناحية المجموعة في الأعلى، لتقول بفزع:

- إنه فارغ... الجثة ليست هنا.

- ماذا..!

شهق إدوارد، بينما غطت ميغان فمها بكلتا يديها بتوتر، أما دانيال فقد راح بخياله لما أبعد من ذلك وقد تذكر شبح كيليب من رحلة منزل البحيرة، عندها قال ريوتا بوجه متجهم:

- كفاكِ عبثًا يا كيم.. لا وقت للمزاح الآن.

انفجرت كيمبرلي ضاحكة من موقعها، وقد تمكنت منهم، فقال لها إدوارد بوجه محتقن:

- أسرعي وأحضري العقد فقط.

أخرجت الفتاة طرف لسانها بظرافة، وهي تعلم أنها تمادت في مزاحها، رفعت الغطاء عاليًا، فرصدت عيناها العقد الذي استقر فوق صدر جثمان كيليب، التقطته بسرعة، وخرجت من الحفرة بخفة، لتسلم العقد إلى إدوارد، أمسك الشاب بقلب العقد، يُقلبه بين يديه، يبحث عن طريقة لفتحه، بينما كانت العيون تراقبه باهتمام، حتى تمكّن من فتحه أخيرًا.

علّقت ميغان، وقد لاحظت الورقة الصغيرة المطوية بعناية داخل قلب العقد، أخرجها إدوارد بحذر، وفتحها ببطء حتى لا يمزقها،

تحركت عيناه بصمت بين الأسطر المكتوبة، بينما بلغ الفضول كيمبرلي أقصى درجاته، فسألته بنبرة متلهفة:

- ما الذي كُتِبَ بها؟

أزاح إدوارد الورقة من أمامه، ليقول وإمارات الإحباط قد سيطرت على وجهه:

- إنها أغنية.

- أغنية أخرى!

علّق دانيال بسخرية، وقد شعر بالإحباط هو الآخر، أما ميغان، فقد ركلت التراب بقدمها، وقالت بغضب:

- هل قطعنا كل هذه المسافة من أجل أغنية؟ أهذا كل شيء؟

أخذ إدوارد نفسًا عميقًا، للحظة شعر بأن جهدهم قد ضاع عبثًا، تاهت عيناه الرماديتان بين كلمات الأغنية أمامه، واسترجع ذكرياته مع والدته، لا يزال صوتها العذب يتردد في أعماقه.

CAST AWAY YOUR FEARS, MY DEAR

LET TOMORROW WASH IT AWAY

STAY WITH ME, THERE'S NOTHING TO FEAR

FOR YOUR DREAMS ARE JUST BREATH AWAY

LAY YOUR HEAD, FIND PEACEFUL REST

LET YOUR DREAMS EMBRACE MY LOVE

HEAR ME NOW, MY SON OF THE WEST

YOUR FATE LIES IN THE STARS ABOVE

THOUGH THE WORLD IS HARSH, A LIGHT WILL REMAIN

A SHINING GUIDE THROUGH THE PAIN

WHEN ALL HOPE SEEMS GONE, AND THE PATH FADES AWAY

LOOK TO THE HEAVENS; I'LL SHOW YOU THE WAY

CHILD OF MINE, YOUR FUTURE SHINES BRIGHT

WITH YOUR FATHER'S BLOOD, A GUIDING LIGHT

IN THE DARKEST TIMES, I PRAY YOU'LL STAND

AND SOON YOUR NAME WILL ECHO THROUGH THE LAND

تغنى بها الشاب فلامست روحه لثنيرها، وعندها فقط برزت له الكلمات(3) وتبلورت مُشرقةً كضوء النهار، ليجد نفسه يبتسم رغمًا عنه، على الجانب الآخر كان ريوتا يراقب إدوارد بصمت، ينتظر اكتشافه للمعنى المخفي بين ألحان والدته، عندها قال وقد رأى بريق الإجابة يتجلى في عينيه:

- إنها وصيتها، أليس كذلك؟

أومأ إدوارد برأسه، لقد فهم الأمر أخيرًا:

- نعم، يبدو أنها كذلك.

ميغان، التي لم تستطع كبح فضولها، التقطت الورقة من يدي إدوارد وسألت:

- هل يمكنك حقًا فهم ما تعنيه؟

أدار إدوارد رأسه لينظر إلى الأفق البعيد مجيبًا:

- إن كان ظني في محله، فعلينا الذهاب إلى ذلك المكان.

من بعيد، ظهرت مركبتان تتقدمان نحو الفيلا، تقدمت السيارة الأولى وانزلقت برشاقة أمام الشاحنة السوداء المغلقة، ثم ركنت أمام الباب الجانبي للبناء، ترجل منها ماركوس برفقة أحد أعوانه، بينما توقفت الشاحنة خلفهما، وفتح بابها ليخرج منها بقية أعوانه يجرّون الرجل الذي أمسكوه سابقًا في أزقة هيل تاون، كان يُسحب كما تُقاد الماشية إلى المسلخ، بخطواتٍ ثقيلة ووجهه شاحب قاوم الرجل مصيره عبثًا، حتى دفع به ماركوس نحو تايلور وأجلسه على ركبتيه، قبالته وضع تايلور ساقًا فوق الأخرى، يرمقه بنظرة جامدة تخلو من أي شفقة، ثم قال بصوت بارد:

- أيها الخائن.

رفع الرجل رأسه، يترجى تايلور وقد فاضت عيناه بالدموع:

ثم ضم يديه معًا، يناشده بيأس وقد بح صوته:

- أنا لم أخبر المحقق راين بأي شيء، أنظر..

مزّق الرجل قميصه عند الكتف، كاشفًا عن جرح غائر، وتابع:

- أنظر، لقد أطلق النار علي لأنني رفضت التعاون معه عندما التقينا في منزل عائلة ميناتو..

بخطوات بائسة، زحف الرجل حتى وصل إلى موطئ قدم تايلور، وبدأ يمسح على حذائه ويضمه إليه، ولا يزال مستمرًا في توسلاته، فاعتدل ابن بيتفورد في جلسته، حدّق بالرجل المرتمي عند قدميه، ثم مدّ يده ليمسح على رأسه مُطمئنًا إياه:

- لا بأس، لست بحاجة لتترجاني.

ثم مد يده الأخرى في الهواء نحو ماركوس، بسط راحتها أمام وجهه ففهم الأخير مراد سيده، أخرج سلاحه ووضعه في يد تايلور، الذي ابتسم ابتسامة باردة قبل أن يطلق النار على رأس الخائن أمامه، توقف البكاء والنحيب مع صوت الطلقة التي اخترقت

جمجمته، وتطايرت أجزاء دماغ الرجل وتساقطت ككتل هلامية امتزجت مع دمائه الخاثرة على الأرض، فقال تايلور بنبرة حازمة وهو يعيد السلاح إلى ماركوس:

- تخلصوا منه ونظفوا المكان.

نهض الشاب ونظر باشمئزاز إلى بقع الدماء التي لوثت ملابسه، كان على وشك الذهاب للاستحمام، لكن شيئًا ما استوقفه بغتة، نظر إلى النافذة بتمعن، ثم نادى على ماركوس الذي كان يُعيد تثبيت سلاحه في موضعه:

- هل هناك أوامر أخرى يا سيدي؟

لم يزح تايلور نظره عن النافذة، وأكمل هامسًا:

- أعتقد أن لدينا بعض الضيوف غير المتوقعين.

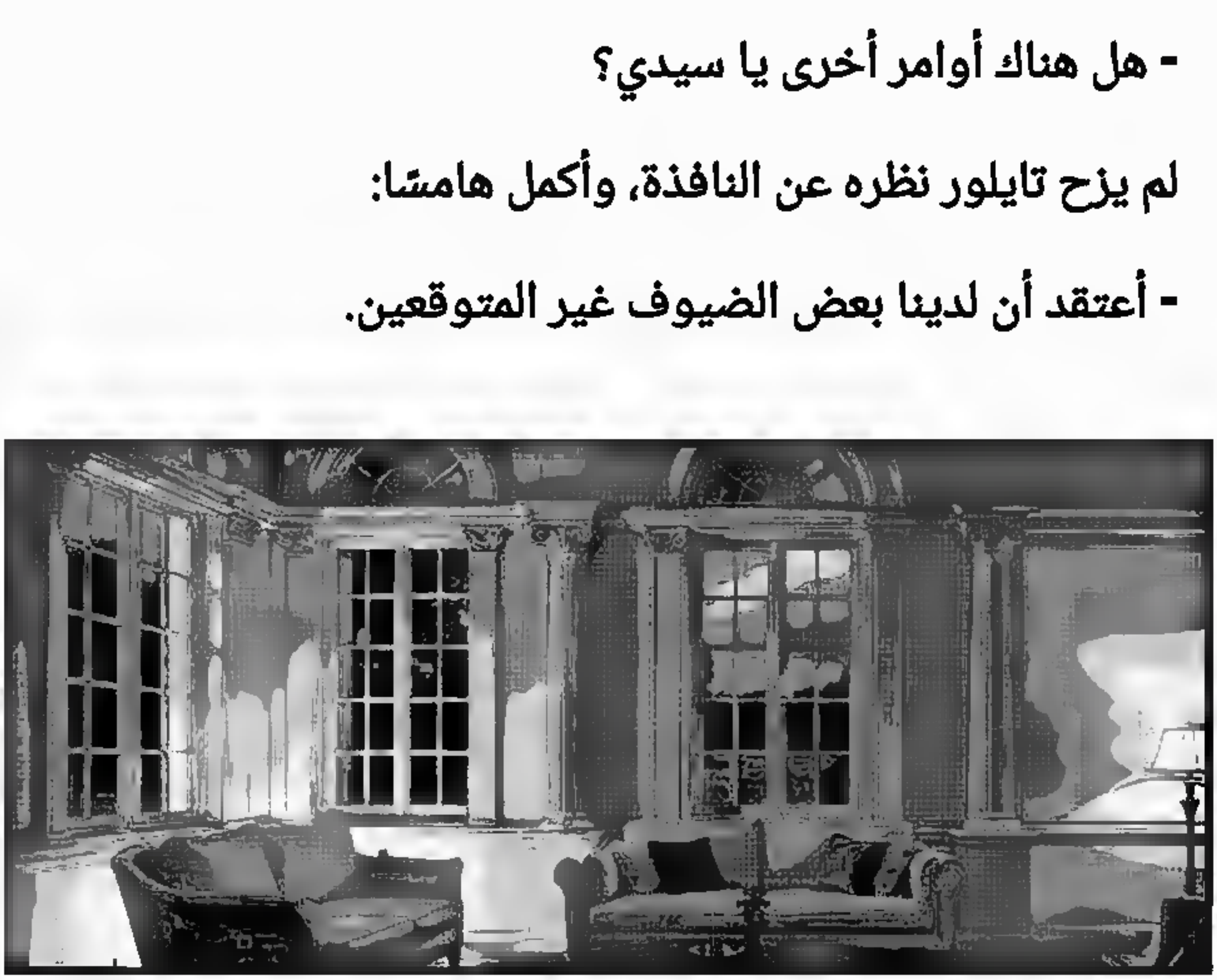

في الخارج، ابتعدت كيمبرلي وميغان عن إطار النافذة بسرعة، وركضتا بجنون نحو البقية وهما تشيران لهم بالهرب بعيدًا.

فتح ماركوس الباب، فلمح خمس ظلال تجري مبتعدة عن الفيلا، لتتلاشى في عتمة الليل، كان من المستحيل تحديد هويتهم من هذه المسافة أو في هذا الظلام، لكن طريقة هروبهم كانت دليلًا كافيًا أنهم شهدوا ما حدث للتو، لهذا أشار إلى رجاله، وانطلقوا يجرون خلف إدوارد والبقية.

في قمرة القيادة، كان جيمي مسترخيًا على مقعده، يراقب النجوم بسلام، حتى عكّر صوف تلك اللحظة سماعه لصراخ أحدهم.

- المحرّك...

ألقى جيمي نظرة عبر النافذة بجانبه، فرأى المجموعة تقترب منه بسرعة. دانيال كان يصرخ به حتى يُدير المحرّك، فاستجاب فورًا لطلبه، فتح الباب لهم وارتمى مجددًا على مقعده، بدأ بتحريك الطائرة على الطريق العام، مستخدمًا إياه كمدرج للإقلاع، دانيال كان أول من وصل، فسحب كيمبرلي ودفعها نحو الباب قبل أن يقفز هو الآخر، بمجرد دخوله، استدار ومد يده نحو ميغان التي تمكنت

من الإمساك به، سحبها بكل قوته إلى الداخل، فسقطوا جميعًا إلى الخلف.

من جهة أخرى، ماركوس ورجاله كانوا قد اقتربوا من المجموعة، وشاهدوا الطائرة تتحرك مبتعدة، تستعد للإقلاع، فأخرج ماركوس سلاحه، مستعدًا لإطلاق النار.

بالقرب من الجسم المتحرك للطائرة تمكن ريوتا من الإمساك بحافة الباب المفتوح، لكن ذراعه لم تكن قوية بما يكفي لتمكنه من سحب جسده، فوجد نفسه يتلقى دفعة من إدوارد الذي كان خلفه مباشرة.

كان إدوارد منهكًا، يتباطأ في خطواته وهو يرى جسم الطائرة يبتعد عنه، كان على وشك الاستسلام، حتى صاح به ريوتا:

رفع إدوارد رأسه ليجد كل من يدي ريوتا ودانيال تمتدان له، فأمسك بهما ليعملا على سحبه إلى جسم الطائرة.

خلفه تمامًا، أدرك مساعد ماركوس أنهم لم يتمكنوا من الإمساك بالمجموعة. وقبل أن يضغط على الزناد أدار إدوارد رأسه فالتقيت عيناه بعيني ماركوس، اتسعت عينا الأخير فأوقف معاونه:

- توقف يا مايك.. لا تطلق النار.

أنزل مايك سلاحه باستهجان، وهو يرى الفرصة تضيع منهم مع ارتفاع الطائرة عن الأرض، قال بغضب:

- لماذا أوقفتني يا زعيم؟ كنا على وشك الإمساك بهم!

انعكست صورة الطائرة المحلقة فى عينى ماركوس، الذى أجاب:

- أيها المغفّل.. هل تعرف حتى على من كنت تصوّب سلاحك؟

لكنه ما لبث حتى أدار رأسه نحو مايك، غاضبًا:

- كان ذلك السيد إدوارد.

- ماذا..!

تدخّل معاونٌ آخر ليسأل محتارًا:

- لا أفهم ما الذي يجري هنا.. إن كان هذا السيد إدوارد، فلماذا هرب بالطائرة بهذه الطريقة؟

أجابه ماركوس:

- لا أعتقد أن المشكلة فيه، بل فيمن معه.

توقف ماركوس عن الكلام للحظات ريثما يحاول تجميع أفكاره، أنزل رأسه ونظر إلى الأرض من تحته ليتابع بهدوء مريب:

- عندما كنّا في تلك البلدة، طاردنا ثلاثة شباب وفتاتين.

قاطعه مايك باستنكار:

- أتحاول القول بأنها المجموعة ذاتها أيها الزعيم؟

سأل المعاون الثاني بغير اقتناع:

- لكننا لم نرَ وجوههم آنذاك، فما أدراك أنها نفس المجموعة؟

ضيّق ماركوس عينيه، ولا يزال يحدّق بالأرض من تحته، ليُجيب:

- إنها الأوصاف ذاتها التي حصلنا عليها عندما كنا نسأل عنهم في الحانة.. فتاة بشعر بني، شاب أشقر طويل، شاب آسيوي، والأخير غني بشعر أسود وعينين رماديتين، جميعهم كانوا يبحثون عن فتاة من القرية، لكن ليس هذا كل شيء.. انظروا إلى هذا.

أشار بعينيه إلى أسفل قدميه، بينما كان يمسح بفردة حذائه آثار بقع الدماء على الأرض، تابع مفسرًا:

- عندما كنا في الجبل، سمعنا جميعًا ست طلقات، جيفري أصيب بأربعٍ منها، وهذا يعني أنه أطلق مرتين من مسدسه قبل أن يردوه قتيلًا.

اشتعلت عينا ماركوس حقدًا، وهو يتذكر تفاصيل مشهد هروب

المجموعة قبل لحظات، فقال:

- كان إدوارد مصابًا بالفعل قبل قليل، وكذلك أحد الشابين اللذين سحباه إلى الطائرة.. هاتان هما رصاصتا جيفري.

***

على متن الطائرة، كان الجو مشحونًا بالتوتر والقلق، أمسك ريوتا بذراعة متألمًا بعد أن فُتح جرحه هو الآخر، بينما قال جيمي، الذي كان خلف المقود:

- أخبروني بأننا لم ننسَ أحدًا.

ردّ عليه دانيال، وهو يفتح حقيبة الإسعافات الأولية:

- لا أعرف كيف فعلناها مرة أخرى، لكننا جميعًا هنا.

كانت كيمبرلي تعمل بتركيز على إزالة الشاش الملطخ بالدماء عن ذراع ريوتا، بينما كان الأخير يُحدق في إدوارد بنظرة مليئة بالقلق، فسأله:

- هل رأيت وجه الرجل الذي يحمل ندبة على جبينه؟

صمت إدوارد بينما تابع ريوتا ليقول:

- أعتقد بأنه قد تعرّف عليك.

تدخلت ميغان وسألت إدوارد وقد بدا القلق واضحًا في صوتها:

- هل تمكن من رؤية وجهك؟

أومأ إدوارد برأسه إيجابًا، ثم قال بثقلٍ واضح:

- ذلك الشخص سيتسبب لنا ببعض المشاكل.

سألته كيمبرلي بعد أن لاحظت اضطرابه:

- تتحدث وكأنك تعرفه شخصيًا؟

صمت إدوارد متأملًا المنظر خارج النافذة قبل أن يدير رأسه ناحية الجميع مُجيبًا:

- ماركوس.. إنه المعاون الأول لوالدتنا مارثا، ليس رجلًا خطيرًا فقط، بل هو ذكي أيضًا.. إنها مسألة وقت قبل أن يربط الأمور ببعضها ويكتشف أننا نعمل معًا..

أنهى إدوارد جملته الأخيرة وقد استقرت عيناه على ريوتا، ثم أضاف بنبرة مشحونة بالحزم:

- علينا أن نسرع.

فهم الجميع معنى كلماته دون الحاجة إلى أي نقاش إضافي، وافقوا على اختياره في قرارة أنفسهم رغم علمهم بمدى خطورة الوضع، وهنا قطع جيمي الصمت ليسأل وهو لا يزال ممسكًا بالمقود:

- بالمناسبة، لم تخبروني إلى أين الوجهة التالية.

فأجابه إدوارد دون تردد:

***

عاد ماركوس إلى الفيلا بخطواتٍ غاضبة، يرافقه رجاله الذين بدت عليهم علامات الانهاك، توجه مباشرة إلى تايلور، الذي استقبله بابتسامةٍ ساخرة:

- أرى أنك عدت خالي الوفاض.

لم يعر ماركوس اهتمامًا لسخرية تايلور، بل سأل بنبرةٍ حادة:

- هل لديك صورة لابن هيروشي؟

مطّ تايلور شفتيه بتكاسل، وأخرج هاتفه من جيبه ليسأل:

- وما الذي تريده من صورته؟

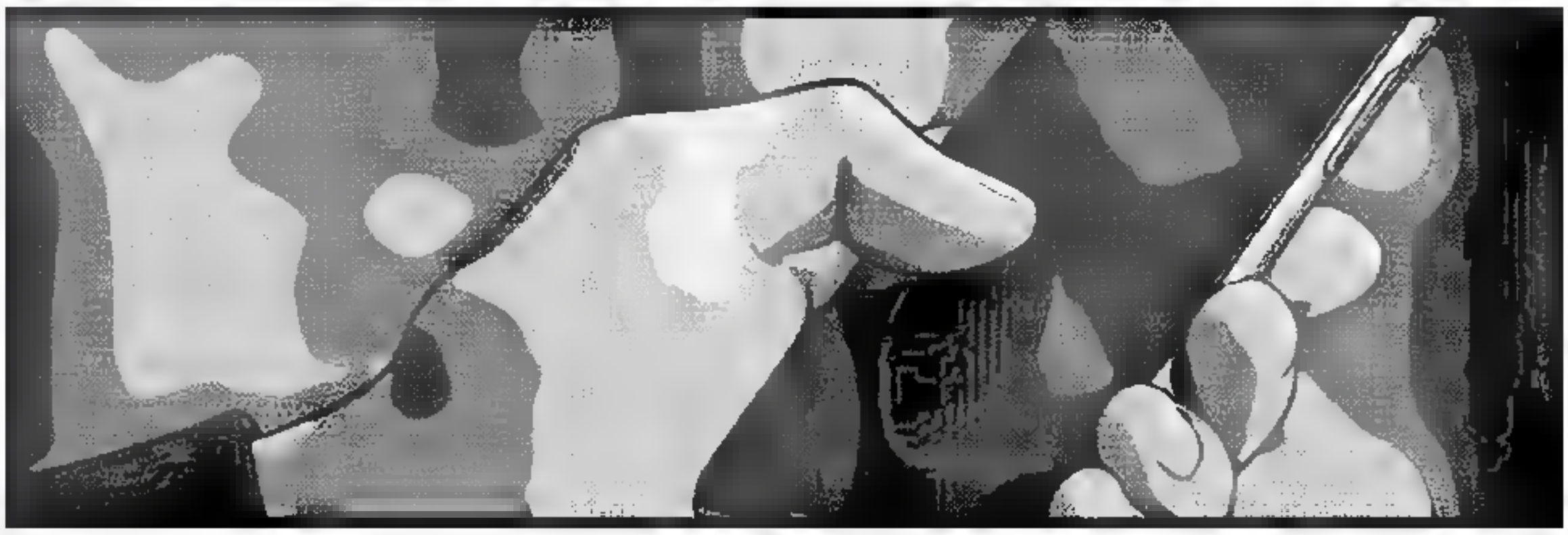

بدأ تايلور يبحث بين محادثاته دون أن يتلقى أي إجابة من ماركوس، فتابع حديثه بنبرةٍ مليئة بالفضول:

- هناك من يراقبه بالفعل، فما الذي تبتغيه منه؟ ذلك المغفل لا يزال جاهلًا لما يحدث، حتى أنه لم يعد لرؤية والده في المستشفى مرةً أخرى.

وجد تايلور الصورة، فرفع جهازه بوجه ماركوس، حدّق بها الأخير حتى قال والعِرق البارز على جبينه ينبض منذرًا بالشؤم:

- كما توقعت، إنه هو.

***

بين جدران المستشفى المظلمة، نهض هيروشي من على سريره، غادر الرجل غرفته المظلمة وسار في الرواق ذو الإنارة الخافتة، كان يعرف طريقه جيدًا، فلم تكن هذه المرة الأولى التي يتسلل بها إلى وجهته تلك. توقف أمام مكتب الدكتور لوغان، ودفع درفة الباب وهو على يقين بخلو المكان، وقف هيروشي في منتصف المكتب ثم استدار ناحية مكتبة الكتب الجانبية، وهناك مدّ يده ليلتقط أحد الأقلام المركونة بإهمال على الرف، أمسك بأحدها وتأمله قبل أن يُدير رأسه ليفكّه.

هيروشي، الذي أمضى أسابيع في محاولات يائسة للعثور على دليل يربط لوغان بعائلة بيتفورد، لجأ إلى خطته الأخيرة، خبأ جهاز تسجيل صغير في قلب القلم وأعاد وضعه بعناية.

جلس هيروشي بكل أريحيه على كرسي المكتب وراح يستمع بحذر إلى كل ما التقطته آلة التسجيل، أخذ منه الأمر بعض الوقت حتى وصل إلى محادثة بين الدكتور لوغان وأحد رجال مارثا يُبلغه بتقريره المعتاد، ولكنه اضطر لإيقاف التسجيل بسبب سماعه لوقع خطوات أحدهم يقترب من المكتب، فترك موقعه وذهب ليختبئ خلف الباب الذي فُتح على مهل، دخل ظلٌ غريب المكتب، تسلل صاحبه على أطراف أصابعه، كانت امرأة، لم تكن لوغان ولا أين من رجاله، راقب هيروشي بدهشة عندما بدأت المرأة تبحث بعشوائية بين الأدراج، وكأنها تسعى للحصول على شيء مهم، فقرر هيروشي الظهور من مخبأه ليهتف بدهشة:

- أوليفيا!

استدارت أوليفيا فزعة وأسقطت معها بعض الأوراق أرضًا، انتفض المصباح بين يديها ليتراقص ظل هيروشي على الجدار من خلفه، فشهقت أوليفيا وقد تمكنت المفاجأة منها:

- هيـ هيروشي!.. ما الذي تفعله في مكتب زوجي؟

تقدم هيروشي بعد أن دفع بقلم التسجيل ليخفيه في جيبه:

- كُنت على وشك طرح السؤال ذاته عليكِ.

وضعت أوليفيا المصباح بعناية على الطاولة واتكأت على حافتها، محاولةً استعادة اتزانها، بدت متوترة، حيث أمسكت برأسها لتقول بصوتٍ مهزوز:

- لا أعلم ما الذي يجري لعقلي.. أحيانًا..

أغمضت عينيها وتذكرت حواراتها مع زوجها، فقالت وهي ترسم صورته أمامها:

- عندما أنظر إلى عيني لوغان ينتابني شعورٌ مقيت، أشبه بحقلٍ في صدري..

فتحت أوليفيا عينيها، فتدحرجت دمعة على خدها كانت قد حبستها طويلًا:

- أنا أحبه يا هيروشي، لهذا لا أعرف مصدر هذا الشعور الغريب.

ساورها الشك وحلّ ضيفًا ثقيلًا عليها في مناسبات كثيرة، لقد حاولت كزوجة مجتهدة أن تغضّ النظر عن الأدلة الصغيرة التي لاحظتها، لأنها وبقلبٍ صادق أرادت نسيان ما فات، إلا أن الماضي لا يتركنا فهو ما يشكل حاضرنا اليوم، ولأنها أدركت ذلك في قرارة نفسها أتت اليوم إلى هذا المكان حتى تقطع الشك باليقين:

- أريد أن أضع حدًا لشكوكي.

اقترب منها هيروشي والتقط المصباح اليدوي من على سطح المكتب، ناوله إياها بلطف، وقال بصوت الصديق القديم:

- هذا يعني بأننا على نفس القارب.

***

وقف سكوت أمام بوابة القصر بعد أن تلقى أوامر بدعم بيانكا، اقترب من الحرّاس هناك يمازحهم محاولًا كسر الحاجز الثقيل الذي خلفه الوضع الغريب، ثم قدّم لهم بعض المأكولات الخفيفة:

- هل من أحد يرغب في تجربة هذه؟

لم يكن الحرّاس على يقين من الهدف الفعلي لتسكع سكوت هناك، افترضوا أنه ينتظر خروج أحد ضيوف الحفل، لذا قرروا تجاهله تجنبًا لإثارة المشاكل، بيد أن المشاكل كانت تلوّح لهم من بعيد مع اقتراب سيارات الشرطة إلى الموقع، أدار سكوت رأسه ببطء ناحيتهم، وعبّر عن استيائه بصوت خافت:

بخطوات محسوبة انسحب نحو سيارته، محاولًا تجنب انتباه الدوريات التي مرت بجانبه واحدة تلو الأخرى دون أن تنتبه لوجوده، قاد سكوت السيارة لمسافة قصيرة بحثًا عن زاوية مناسبة للمراقبة. فجأة، قطع رنين هاتفه تركيزه، نظر إلى شاشة جهازه:

- أكيرا..!

بدون مقدمات، جاء صوت أكيرا حادًا وجادًا عبر الهاتف:

- سكوت، لن أطيل عليك، حاولت الاتصال بالرئيس لكنه لا يُجيب. لهذا عليك إبلاغه بأن...

- لن أطيل عليك.. لقد حاولت الاتصال بالرئيس لكنه لا يُجيب، لذلك أبلغه بالأمر...

توقف أكيرا للحظات قليلة قبل أن يرمي بما في جعبته:

- موسكو!..

انفعل سكوت، مُتفاجئًا مما يقوله رفيقه على الهاتف، فسأل:

- هل أنت متأكد من أنه الشخص ذاته؟

ثنى أكيرا ركبتيه لينحني مُتفحصًا موقع الحادثة، ثم قال مؤكدًا:

- لقد تمكن من الإفلات من الشرطة والقوات الخاصة، ولم تلتقطه كاميرات المراقبة أيضًا، اختفى من أمامي دون أن يترك أي أثرٍ خلفه... إنه هو..

نهض أكيرا واستدار خلفه، نظر ببؤسٍ إلى الفوضى في الغرفة،

ليقول مضيفًا:

شد سكوت قبضته على المقود، قبل أن يوقف السيارة أمام قصر عائلة بيتفورد، فاشتعلت عيناه بالغضب ليقول:

- تبًا له، هل تعمد الظهور الآن؟

***

تمكنت الطائرة من بلوغ هضبة هيل تاون قبل شروق الشمس، أمال جيمي المقود جانبًا واستدار من فوق حقل أزهار البنفسج الذي توسطه المنزل الأبيض، حلّق من فوقه ليتعداه باحثًا عن موقعٍ يصلح للهبوط، وخلال دقائق استقرّت الطائرة على الأرض وغادرها الجميع، وقف إدوارد مع جيمي ليودعه ويشكره على المساعدة، فقال النادل وهو يضرب على جسم طائرته:

- هل أنت واثق بأنكم لا ترغبون بأن أوصلكم لأي وجهة أخرى.

مدّ إدوارد يده مصافحًا، ليقول:

- شكرًا لك يا جيمي، يكفي إلى هذا الحد، لقد كُنت عونًا كبيرًا لنا..

ثم أضاف ممتنًا:

- أنا مدين لك، ثق أنني سأرد لك الجميل يومًا ما.

ضحك جيمي وهو يصعد إلى طائرته، ليقول مازحًا:

- إياك أن تموت أيها الشاب قبل أن تفي بوعدك..

ثم لوّح لـ كيمبرلي والبقية مودعًا:

- رافقتكم السلامة.

بعد رحيل جيمي، توجهت المجموعة إلى المنزل، تقدم إدوارد رفاقه ودفع الباب المفتوح، تحرّك الشاب بصمتٍ وعقله يُعيد رسم مشاهد ذكرياته مستعينًا بكل زاوية وركن تقع عيناه عليه، بإمكانه رؤية والدته تقف هناك عند طاولة المطبخ وتلوح له من بعيد حتى ينضمّ إليها، ما كان منه إلا أن يبتسم لطيفها الذي تلاشى في عتمة المكان، لا وقت لتلك الذكريات الآن، لهذا شد إدوارد خطاه نحو الدرج، فسألته ميغان:

- لم تخبرنا يا إدوارد، لماذا أتينا إلى هنا؟

واصل إدوارد صعود الدرج، متجاهلاً السؤال لحظةً، ثم أجاب وهو ينظر نحو القمة:

- عندما كنت أزور والدتي، كنا دائمًا نراقب النجوم هنا معاً.

وأشار بيده للأعلى بمزيج من الحنين والفخر، ماضٍ نحو العلية بنية لا تقبل التوقف، تابع إدوارد طريقة ولحقت به ميغان والبقية،

في العلية، توقف الشاب للحظةٍ ليستعيد نبض المكان.

كانت كل زاوية تحكي حكايتها الخاصة، تهمس له بذكرى سعيدة، وهناك، أمام النافذة منظاره القديم، يقف بكبرياء مقاومًا الزمن، أزاح إدوارد القماش عنه، وقال بسعادة:

- هذه العلية كانت نافذتي إلى عالم النجوم، وهنا أمضيت أجمل الأوقات مع والدتي.

استذكر إدوارد إحدى اللحظات الخاصة، قال وكأنه يحادث طيفاً بعيداً:

- فى إحدى الزيارات رفضت العودة إلى والدى، كنت مُصرّاً على قضاء الليلة هنا معها، لذلك قالت لي..

أشارت ماريا يومها إلى السماء المرصعة بالنجوم المتلألئة، وقالت لصغيرها:

-أنظر يا بني، هل ترى هذه السماء؟ وكل هذه النجوم التي تسبح بها.

أومأ الصغير باستجابة لها:

-نعم يمكنني رؤيتها.

ضمته إلى جانبها كما لو أنها تحميه من العالم، وأشارت بإصبعها غرباً:

-القصر هناك، في تلك الناحية غربًا.. أتظن أنك سترى المنظر ذاته من نافذة غرفتك؟

التمعت عينا الصبي الرماديتان وهو يُجيب والدته:

-بالتأكيد يمكنني ذلك، إنها السماء ذاتها.

-أنت محق إنها السماء ذاتها، لذلك تذكر يا بني، حتى لو لم نكن

تحت سقفٍ واحد، فنحن نقف تحت السماء ذاتها..

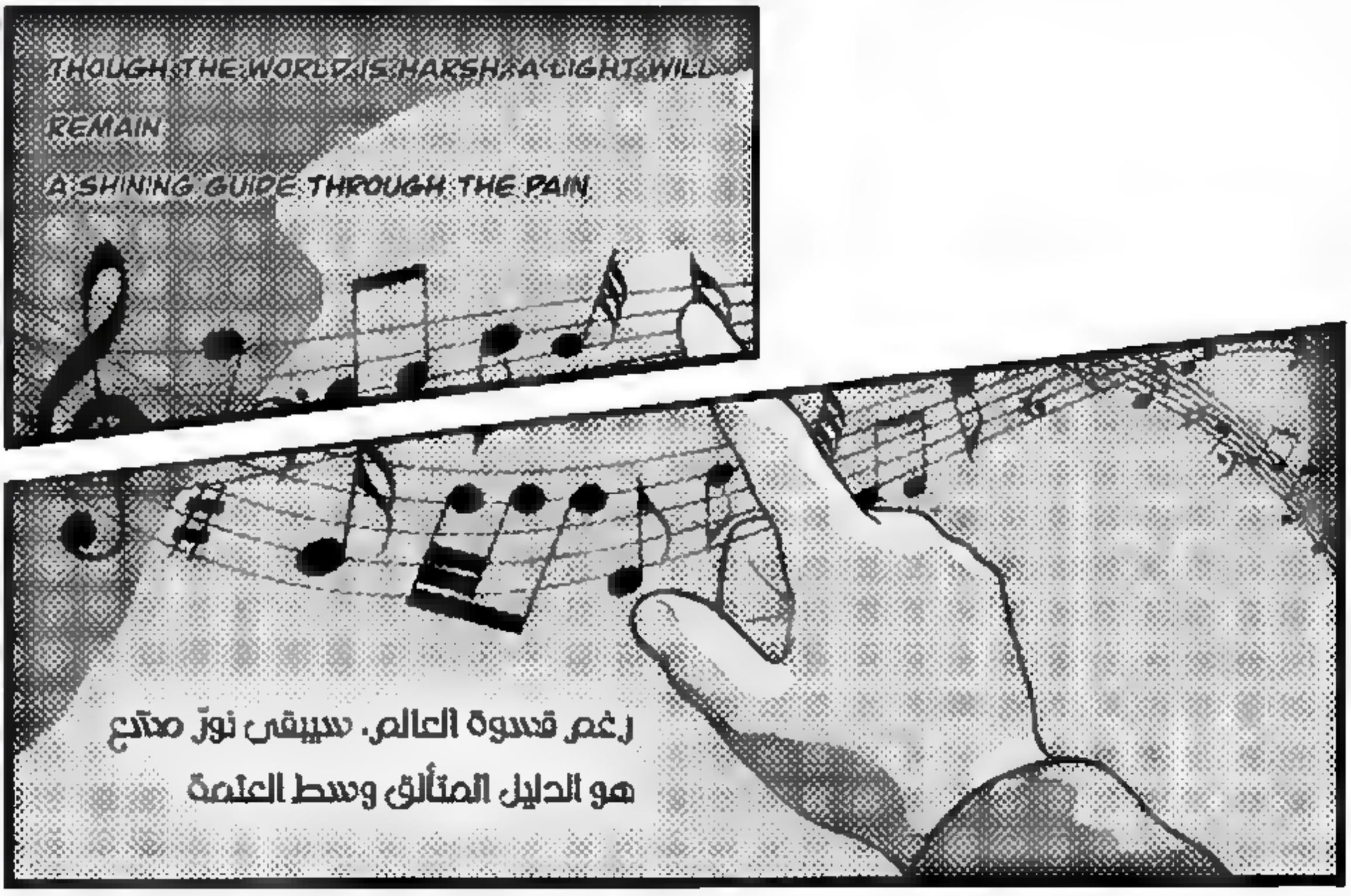

- كلما شعرت بأن العالم أصبح مكانًا مظلمًا وقاسيًا، أريدك أن تنظر إلى السماء، ابحث فيها عما يُنير عتمة الليل، وتأكد بأنني سأفعل الشيء ذاته كل ليلة.

لم تدّخر ماريا أي جهدٍ في غرس بذور الأمل في قلب ابنها، حتى في أصعب لحظاتها، كانت شعلة العطاء تُضيء دربه.

عبر زجاج النافذة العتيقة، وقف إدوارد يراقب انبلاج النهار مع اقتراب أول خيوط الشروق، وكأن السماء تُحييه برسالة أمل جديدة، فتنهد الشاب قائلاً، وبصوت يحمل عبق الذكريات:

- فعلت ما طلبته مني، ليلةً بعد ليلة، حتى يوم رحيلها.

صمت للحظة، ثم مدّ يده ببطء، تلمّس حلقه، وتابع بصوت متهدّج:

- أتيت إلى هنا في الليلة التي ماتت بها والدتي.. وقفت في هذا المكان تحديدًا، شعرت يومها بشيءٍ لم أستطع وصفه، كأن بجدران العلية ستطبق علي، لهذا لم أفكر بالعودة إلى هنا مجددًا، لكن...

برز في الأفق أول خيطٍ للنور، فقال إدوارد:

- بعد قراءة كلماتها الأخيرة.. والوقوف هنا مجددًا، بات في وسعي رؤية ما تعنيه فعلاً.

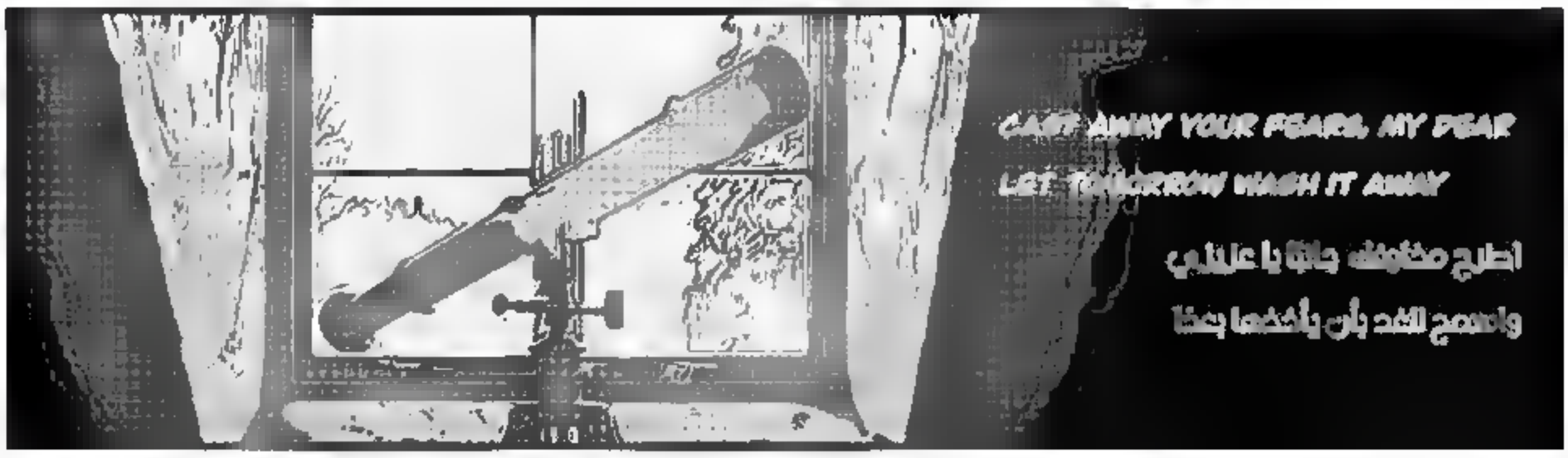

انسابت أشعة اليوم الجديد، وألقت بنفسها على ألواح أرض العلية المتربة، مُضفية بريقًا خافتًا اختلط برائحة الخشب القديم، استدار إدوارد ببطء مُتتبعًا مسار الضوء، عينيه تلمعان كأنما يرى في هذه الإشراقة رسالة كانت غائبة عنه طويلاً، فقال ببريق في عينيه:

- ما شعرت به يومها لم يكن مجرد إحساس بالضيق.. هذه العلية بالفعل أصغر مما كانت عليه في السابق.

تسللت أشعة الشمس من الشرق، عبر النافذة المكسورة، متدفقة كعناق دافئ للأطلال، وألقت بأشعتها الذهبية على الحائط الغربي للعلية، التهمت عتمته بدايةً من الأعلى، وانساب ضوئها حتى غطى الجدار بالكامل مع ارتفاع قرصها المنير، وقف إدوارد مأخوذًا بهذا

التحول، عيناه تتسعان، وهمس لنفسه وقد فهم اللغز:

- هذا ما أرادت قوله من خلال كلماتها.

خطا ريوتا إلى جوار إدوارد، تأمل الجدار بتركيز، ثم قال وهو يضع يده عليه:

- هذا الجدار لم يكن موجودًا من قبل.

بعد أن أيقنت ماريا من الخطر المحدق بها، عمدت على تدوين وصيتها في هيئة أغنية، انتقت كلماتها بكل عناية، ومزجتها ببراعة فنان، صاغتها بطريقة لن يفهما إلا ابنها الوحيد، نور اليوم الجديد الذي ذكرته في كلماتها كان المرشد إلى الدليل والأمل الذي أخفته لحماية ابنها، علمت بأن كلماتها ستقوده إلى هنا.

من خلف إدوارد أمسكت كيمبرلي برأسها بذهول، لتقول وقد تمكنت المفاجأة منها:

- واااه.. والدتك كانت عبقرية حقًا.

اقتربت ميغان، وراحت تطرق الجدار بخفة وكأنها تختبر متانته، وقالت:

- لم يبقَ لنا سوى إزالة هذا الجدار.

لم يتمالك دانيال حماسته، فاندفع نحو الدرج وهو يصيح بحيوية:

- لدينا فأس قديمة في مخزن منزلنا، وهو ليس بعيدًا من هنا.. سأذهب لإحضاره سريعًا.

خرج دانيال مسرعًا كما وعد، ورافقته كيمبرلي، بينما بقي إدوارد

مع ريوتا وميغان.

عند وصولهما إلى المنزل، توقفت كيمبرلي خارج المخزن بينما دخل دانيال إلى المطبخ بحثًا عن المفتاح، وبينما كان يتفقد أحد الأدراج، دخلت عليه الخادمة باولا وقد تفاجأت من وجوده.

وضعت باولا يدها على صدرها لتزفر بارتياح:

- أوه، هذا أنت يا دانيال.. لقد أفزعتني! اعتقدت أنك لص.

ابتسم نصف ابتسامة وأشار لها بخفض صوتها:

- شششـ.. أخفضي صوتكِ يا باولا، لا أريد أن يعلم والدي أنني هنا، جئت لأخذ شيء من المخزن فقط.

نظرت إليه باولا بقلق، ثم قالت بخفوت وهي تعبث بأصابعها:

- بشأن السيد إبراهام..

- هل حدث شيء ما؟

التمس دانيال التردد في نظراتها، بينما فركت باولا يديها بانزعاج، لتُجيب بصوت مضطرب:

- كان غاضبًا جدًا ليلة البارحة، حتى أنه وبخني لأنني تخلصت من القمامة.

- وبخك من أجل القمامة!

تلفتت باولا حولها بحذر، ثم أضافت بصوت شبه هامس:

توقفت للحظة، ثم أشارت نحو السقف واستدارت لتقوده إلى غرفة راين. هناك، أخرجت الرسالة وسلمتها له، أمسك دانيال الورقة بيدين مرتعشتين، فتحها وبدأ يقرأ الكلمات التي جعلت عيناه تتحركان بسرعة، وجسده ينتفض تحت وطأة الحقيقة التي حملتها الحروف.

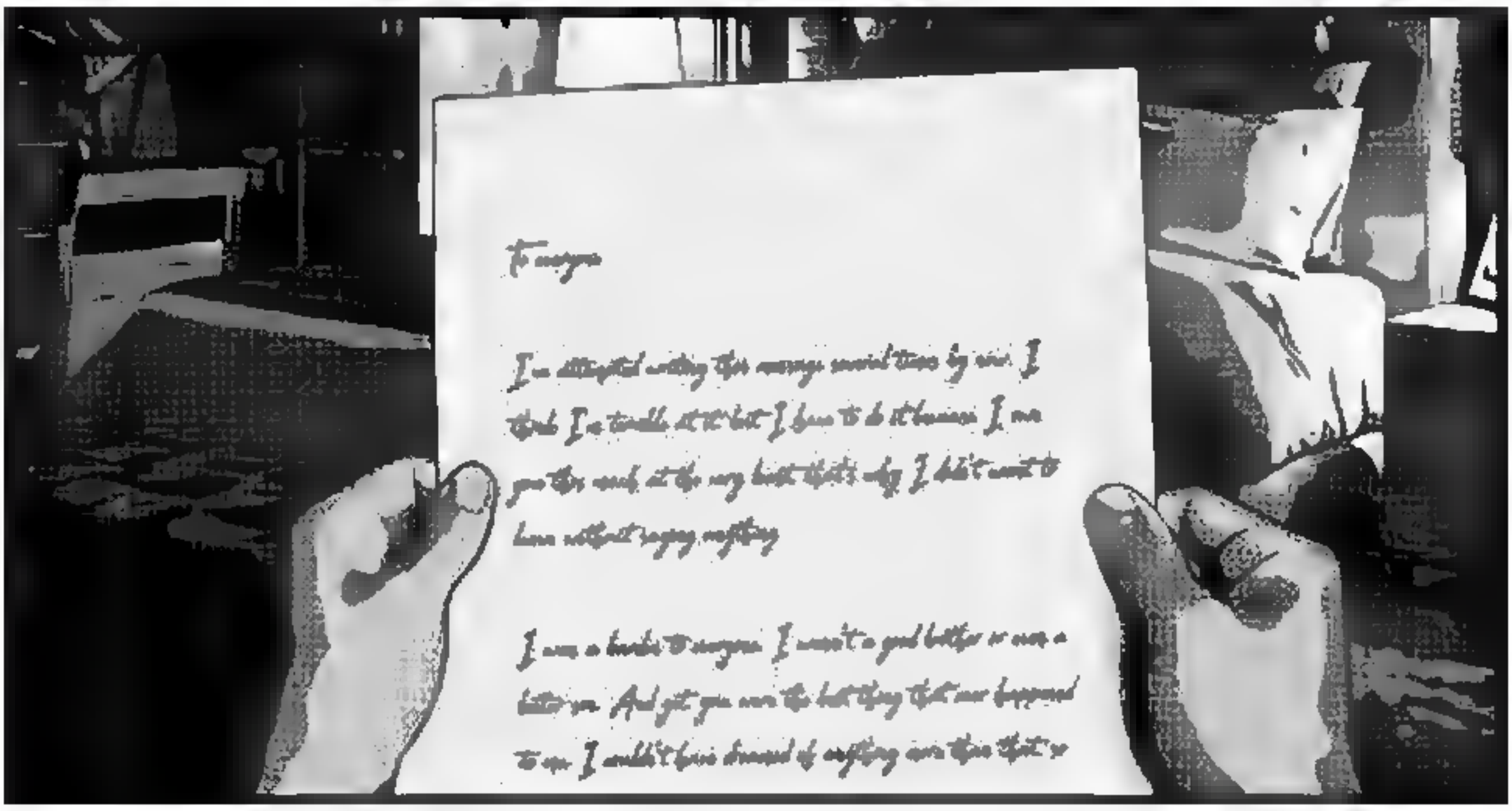

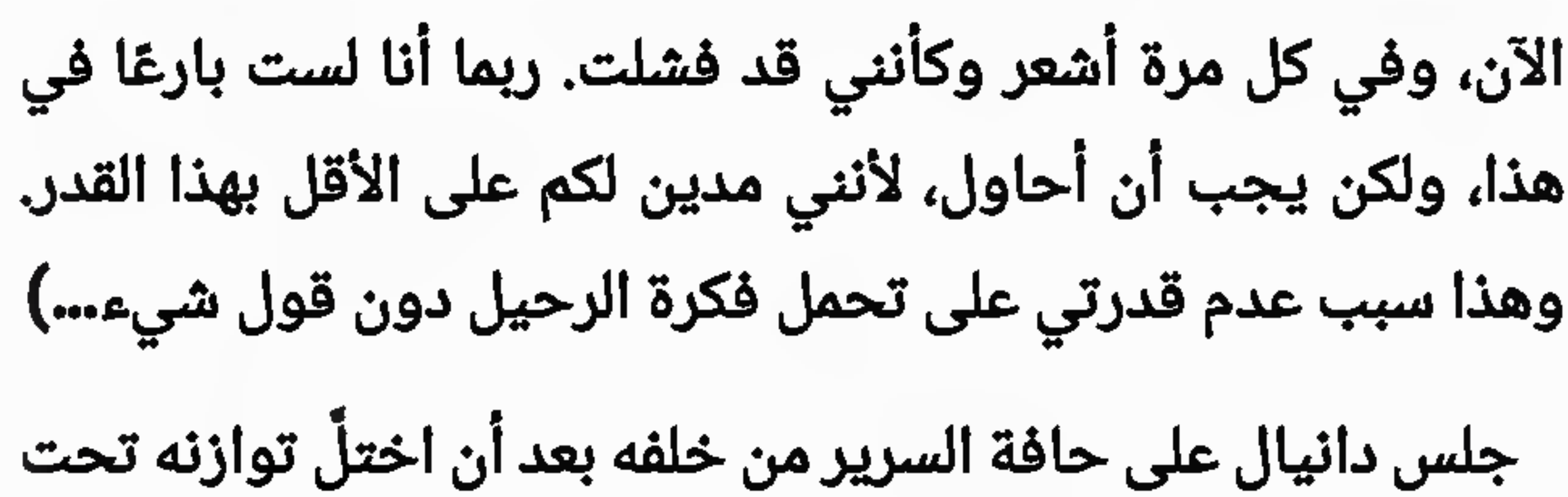

(إلى الجميع... لقد حاولت كتابة هذه الرسالة عدة مرات حتى الآن، وفى كل مرة أشعر وكأننى قد فشلت. ربما أنا لست بارعًا فى هذا، ولكن يجب أن أحاول، لأنني مدين لكم على الأقل بهذا القدر. وهذا سبب عدم قدرتي على تحمل فكرة الرحيل دون قول شيء...)

جلس دانيال على حافة السرير من خلفه بعد أن اختلّ توازنه تحت وطأة ما قرأه، تأمل غرفة راين.

وقعت عيناه على مستلزمات راين البسيطة التى أتى بها فى يوم ميلاده، كانت هداياه لا تزال هناك مركونة جانبًا، تنتظر منه أن يفتحها، فسأل دانيال الخادمة:

- أين هو أبي الآن؟

- إنه في غرفته، أقفل على نفسه ولم يغادرها بعد أن قرأ هذه الرسالة.

شعر دانيال بالمرارة وهو يعيد سماع صدى رسالة راين يتردد في مخيلته، كأسطوانة بالية، تعود إلى البداية كلما انتهت.

I was a burden to everyone. I wasn't a good brother or even a better son. And yet you were the best thing that ever happened to me. I couldn't have dreamed of anything more than that. So thank you.

(كُنت عبئًا على الجميع، لم أكن أخًا جيدًا أو حتى ابنًا أفضل، ومع هذا كُنتم أفضل ما حصل لي، وما كُنت لأحلم بأكثر من ذلك، لهذا شكرًا لكم..).

غادر الشاب المنزل بخطواتٍ ثقيلة بعد أن أخذ مفتاح المخزن، التقى بابنة خالته خارجًا، والتي لم تغفل عن اضطرابه الواضح:

- لم أنت شاحبٌ هكذا؟

وضع دانيال المفتاح في القفل مجيبًا:

- سأشرح لك كل شيء في طريق العودة.

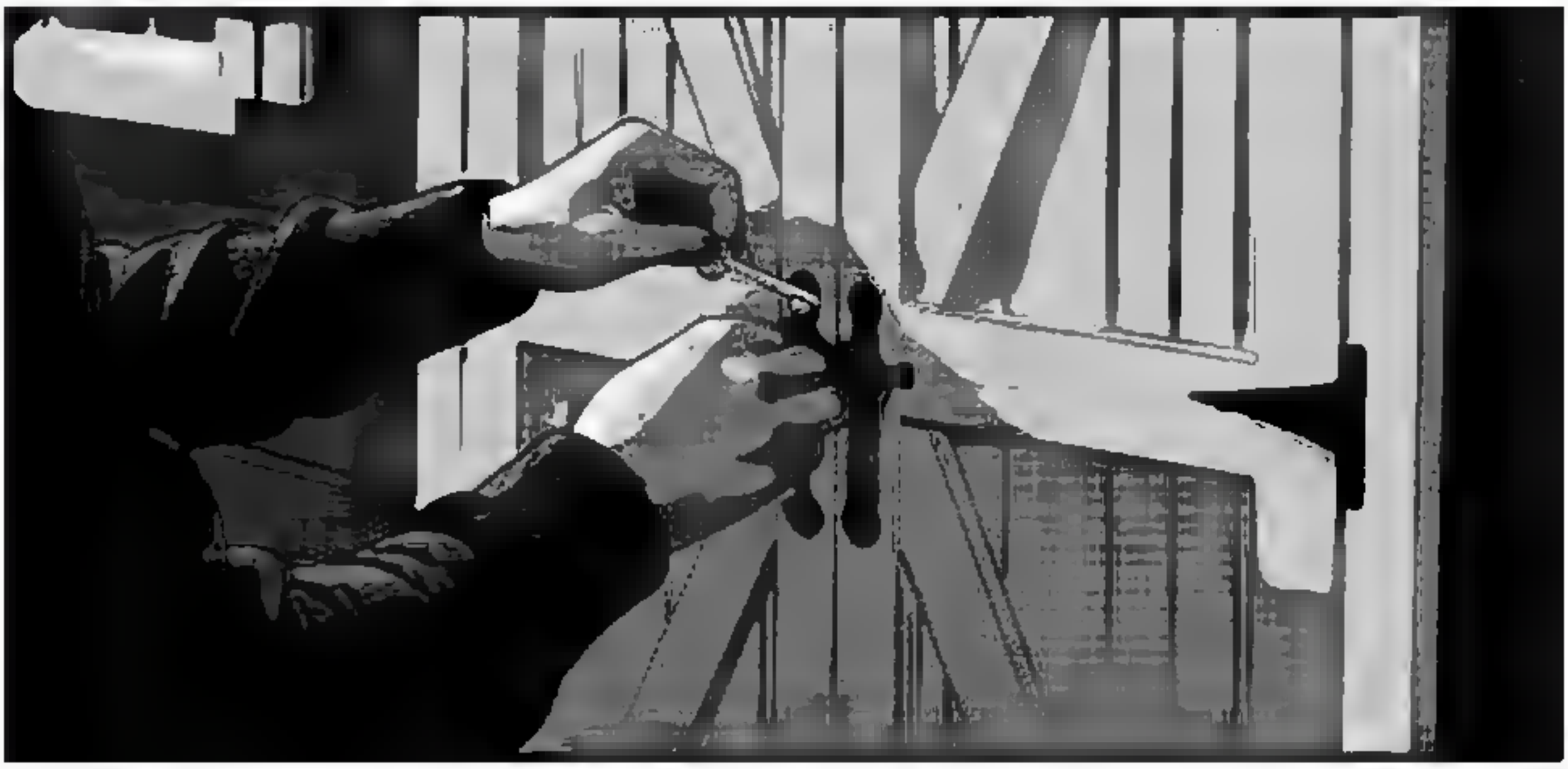

أخذ دانيال الفأس من المخزن، وفي الطريق أطلع كيمبرلي عن أمر رسالة راين.

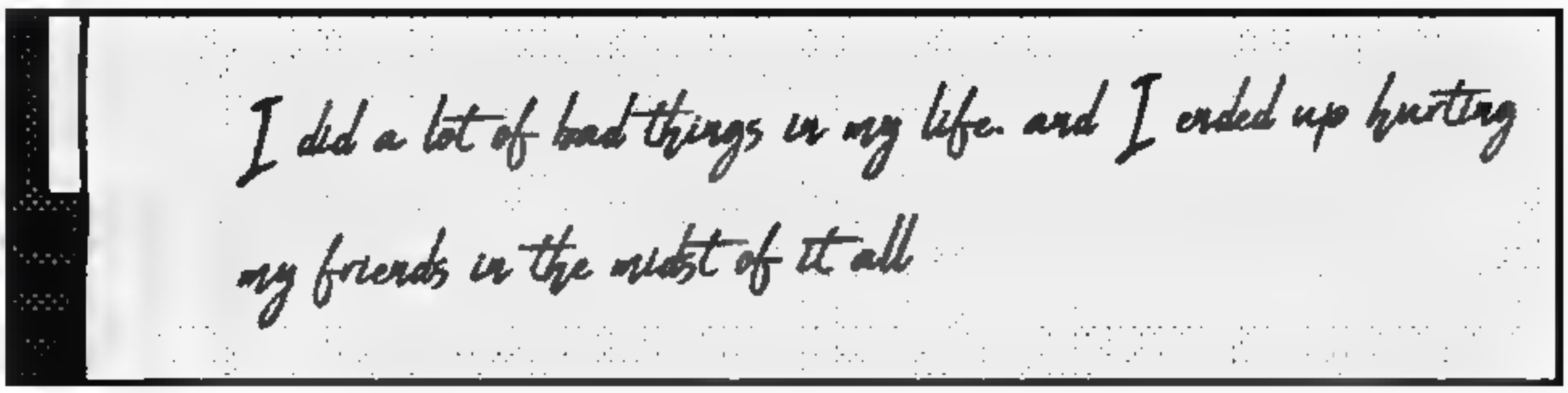

(ارتكبت الكثير من الأعمال السيئة في حياتي، وانتهى بي الأمر بإيذاء أصدقائي في وسط كل ذلك..).

في هذا الوقت كان إدوارد يقف أمام النافذة الأمامية مربعًا ذراعيه بانتظار عودة دانيال وكيمبرلي، انتصب هناك كتمثال حجري، يغرق على مهلٍ في بركة أفكاره التي امتد قاعها إلا مالا نهاية، إلا أن صوت ميغان اخترق هذا الهدوء الثقيل كصفعة لطيفة على سطح الماء ليُعيده إلى السطح سريعًا، كانت تبحث بين أمتعتها حين سألت:

- إدوارد، هل لديك جهاز شحن متنقل؟

هز رأسه إيجابًا وأشار لها نحو المدخل بإيماءة:

- ستجدينه في حقيبتي هناك.

انطلقت ميغان بخطوات سريعة نحو الرواق، وأدارت رأسها باحثةً بعينيها، قبل أن تعود لتسأل:

- لا أراها.. أين وضعتها؟

لم يطل بحثها؛ سرعان ما وقعت عيناها على الحقيبة مستندةً بجانب إحدى الأرائك، اقتربت منها، وجلست على ركبتيها، تحفر بيدين متحمستين بين طيات الحقيبة، إلى أن استخرجت جهاز الشحن.

في هذه الأثناء، لاحظت وجود ريوتا ممددًا على الأريكة وقد استغل الوقت ليغفو هناك، فتمتمت بابتسامة خفيفة:

- كالقط المشرد تمامًا.. يمكنه النوم في أي مكان.

استقامت ميغان منتصبة وقد حملت الجهاز بيدها، ثم سألت إدوارد بنبرة فضولية:

- أكان هذا المنزل حيث اعتدتم أن تلتقوا؟

- نعم..

أجابها باقتضاب قبل أن يستدير مضيفًا وهو يتأمل المنزل:

- لكن ليس على الدوام، ففي أحيانٍ كثيرة كنا نجتمع في منزل إبراهام.

وفجأة، فُتِحَ الباب بشدة قاطعًا بذلك حديث الأخوين، واستفاق معه ريوتا من غفوته، دخل دانيال الذي لم يتأخر بتسليم رسالة راين إلى إدوارد، وقف دانيال متوترًا ليقول بأنفاس متلاحقة:

- أرجوك أخبرني بأنك تملك تفسيرًا لما كُتِبَ هنا..

كان اليأس قد تمكن منه، فأضاف متهكمًا ساخرًا من الواقع:

- هذا نوعٌ من المزاح، أليس كذلك؟

بعد أن أتم قراءتها، أنزل إدوارد يده مع الرسالة ليقول بوجه متجهم:

- أهذا ما ترغب بسماعة؟

- أريد الحقيقة فقط.

دفع إدوارد بالأوراق ليعيدها إلى دانيال، مُجيبًا إياه:

- أنت تملكها بين يديك الآن.

I know the truth behind my father's death. and I know how they did it. That's why I cannot forgive them

(أعرف الحقيقة خلف مقتل والدي، وأعرف كيف فعلوها، لهذا لا يمكنني أن أغفر لهم..).

تحرك إدوارد نحو الدرج بخطواتٍ ثابتة وهو يحمل الفأس بقبضة مشدودة، اشتعلت عيناه الرماديتان كجمرات ملتهبة، ليقول بعزمٍ مثّقد:

لم يضف أيٌ منهم على ما قاله إدوارد، لحقوا به إلى العلية وبدأت عملية هدم جدار الألغاز، عاد دانيال ليلتقط الفأس من إدوارد وصبّ جام غضبه في بقعة واحدة مُحدثًا بذلك الشق الأول، بضع ضرباتٍ تلتها ليتسع الصدع الصغير ويظهر من خلفه سر ماريا، السر الخطير

الذي كلّفها حياتها.

وقف الجميع خلف دانيال الذي رمى بالفأس أرضًا بينما يلهث بشدة، قطرات العرق تسابقت على جبينه لتسقط على ألواح الأرض هناك. مع انبلاج الفتحة في الجدار، ظهرت لهم ملامح الصناديق الكرتونية القديمة، والتي فاضت محتوياتها على الأرض المغبرة.

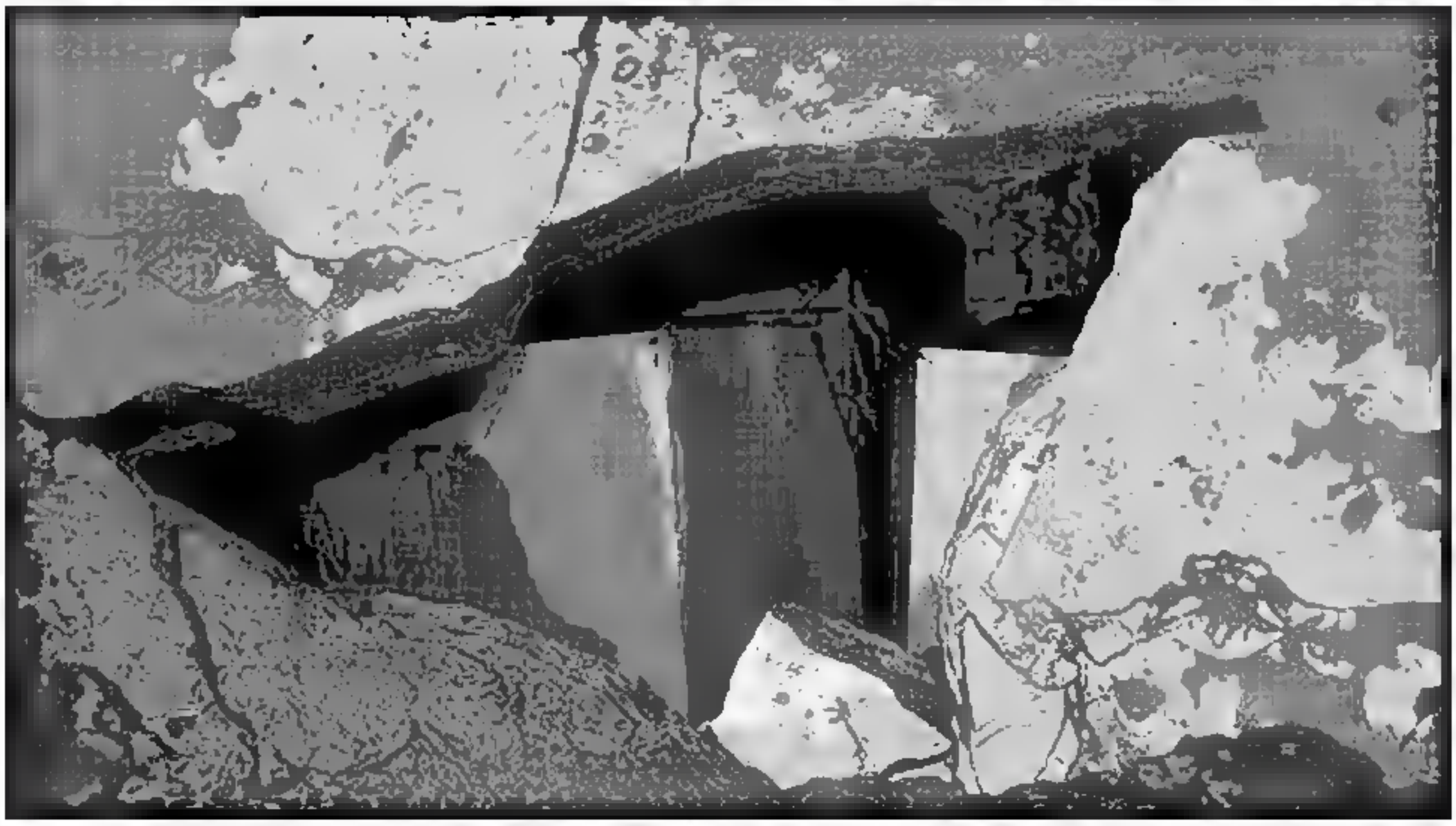

تسابق الرفاق إلى إخراج كل ما كان هناك، واستفرد كل واحدٍ منهم بصندوقٍ مختلف، كيمبرلي كانت أول من تحدث، وهي تقلّب بعض الأوراق وقد اتسعت عيناها بدهشة:

- تحويلاتٌ مالية!

ومن خلفها، أخرجت ميغان شريط تسجيل من صندوقها، لتقول:

- هذا الصندوق مليء بأشرطة الفيديو.

استقام إدوارد وهو يقلّب ببعض الأوراق، قاوم رغبته العارمة بتجعيدها لشدة غضبه، وقال بوجه متجهم وعيناه لا تزالان تسيران عبر الكلمات المكتوبة:

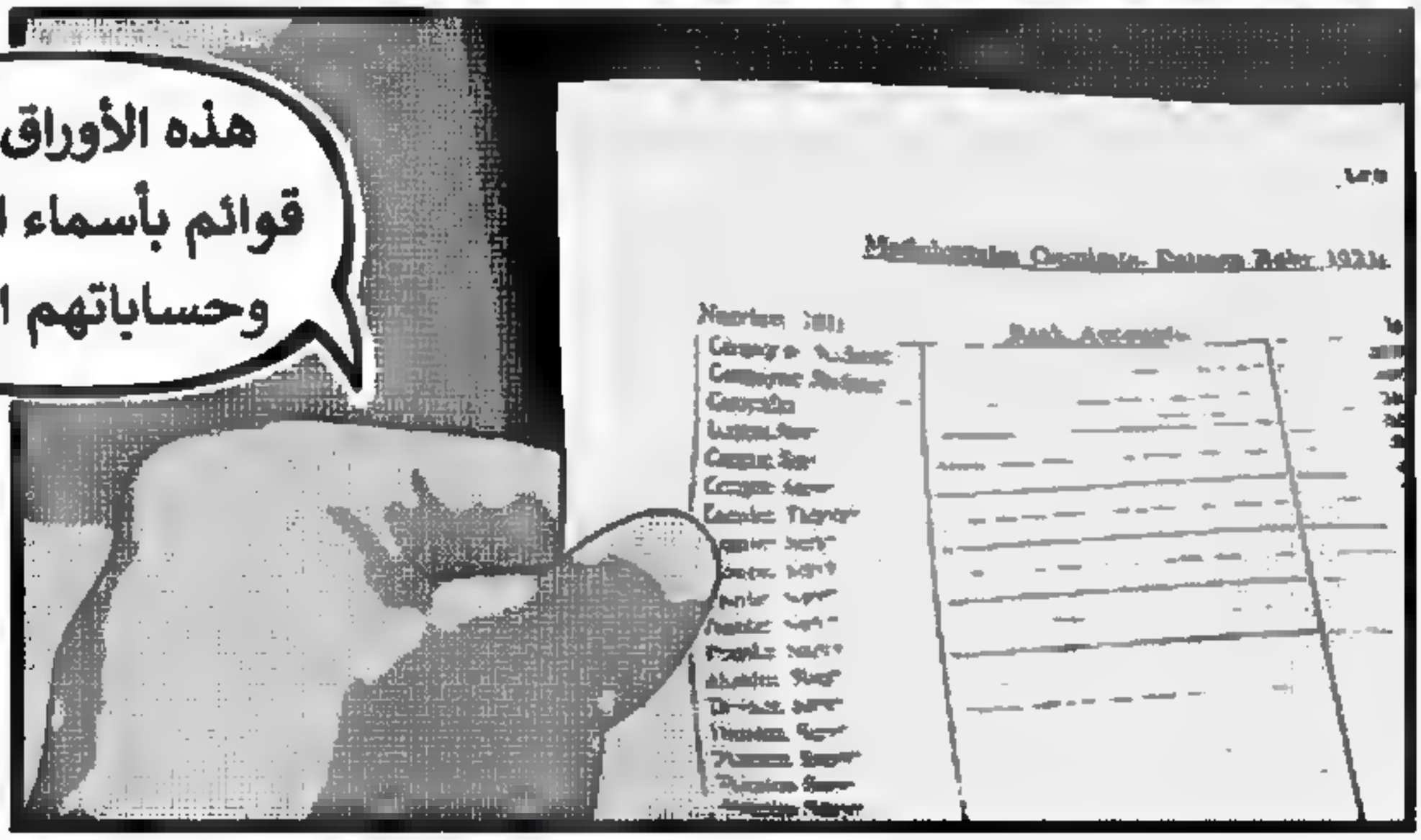

امتدّت القوائم، وشطّرت الأسماء على الأوراق المتآكلة، فتنافست الأرقام وتضخمت معها الحسابات بأعدادٍ خيالية، في صندوقٍ آخر، كانت المستندات والوثائق تتراكم لتكشف سلسلة من عمليات الاحتيال والنصب، تتصل مباشرة بعائلة بيتفورد وشركائهم، بالإضافة لوجود صندوقين على الأقل لأشرطة تسجيل وُثّقت عليها تواريخها بعناية، كلما بحثوا أكثر كلما ازداد فزعهم من حجم المصيبة، جلس إدوارد بعد أن وصل إلى قاع القائمة في يده، وقد أثقلت الحقيقة كاهله، فقال بدهشة:

- يا إلهي... لا يُعقل أن تكون هذه الأسماء هنا.

ضربهم الواقع كالصاعقة، فأحرق آمالهم التي استحالت رمادًا، قال دانيال، وقد ضاقت عيناه من هول الموقف:

- هذا الأمر أكبر منا جميعًا..

ثم التقط ملفًا آخر وأكمل:

- هذه القوائم تتضمن أسماء شخصياتٍ تعمل في مناصب حكومية

حساسة.

سألت كيمبرلي وقد تاهت في كل هذه الفوضى:

- أنا لا أفهم، إن كانت ماريا تملك كل هذه الأدلة على إدانة هذه الأسماء، فلماذا لم تقم بتسليمهم إلى الشرطة؟

استقام ريوتا من موضعه وهو يحمل أحد الملفات ليقول مُجيبًا:

- لأن الشرطة متورطة بالأمر أيضًا..

ثم رمى بالملف في حجر كيمبرلي متابعًا:

- ماريا أدركت خطر اللجوء إلى الشرطة، فمن المحتمل أن تكون هنالك أسماء لم تكشف بعد.

رفعت ميغان رأسها ببطء، نظرت مباشرة نحو دانيال وقالت بلهجة يغلبها الإحباط:

- أنا آسفة يا دانيال، لكن..

ثم دفعت ملفًا باتجاهه، التقطه الأخير بحسرة بعد أن لمح اسم والده بالخط العريض، كان إبراهام ميلر أحد الأسماء البارزة في عمليات التستر على عائلة بيتفورد وأعوانهم المخلصين، قَبِلَ الكثير من الرشاوى في بداية عمله كمحامي، وتوسع الأمر بعد توليه منصبًا في القضاء بعمرٍ يافع.

قرأ الشاب ملف والده بصمتٍ مُبتلعًا حسرته مرغمًا، لكن الأمر لم يتوقف عند إبراهام ميلر، فبعض الأسماء المألوفة والقريبة منهم بدأت بالظهور الواحد تلو الآخر، في نهاية المطاف أدركوا جميعًا

حجم العبء الذي حملته ماريا، الأدلة التي جمعتها أضحت سلاحًا ذو حدين من شأنه أن يقضي على أحبائها قبل الجميع.

بعد صمتٍ دام لوقتٍ طويل بين أفراد المجموعة تحدثت كيمبرلي لتسأل من حولها:

- والآن وقد باتت هذه الأدلة بين أيدينا، ما الذي سيحدث؟

أمسك دانيال عنقه ليقول معلقًا:

- ستتم تصفيتنا كما حدث مع ماريا.

إلا أن إدوارد قاطعه ليُخمد حالة الذعر:

- لن يحدث ذلك، إن تصرفنا بذكاء.. لنثبت لهم، ولـ راين أيضًا أن القانون سيأخذ مجراه مهما حدث.

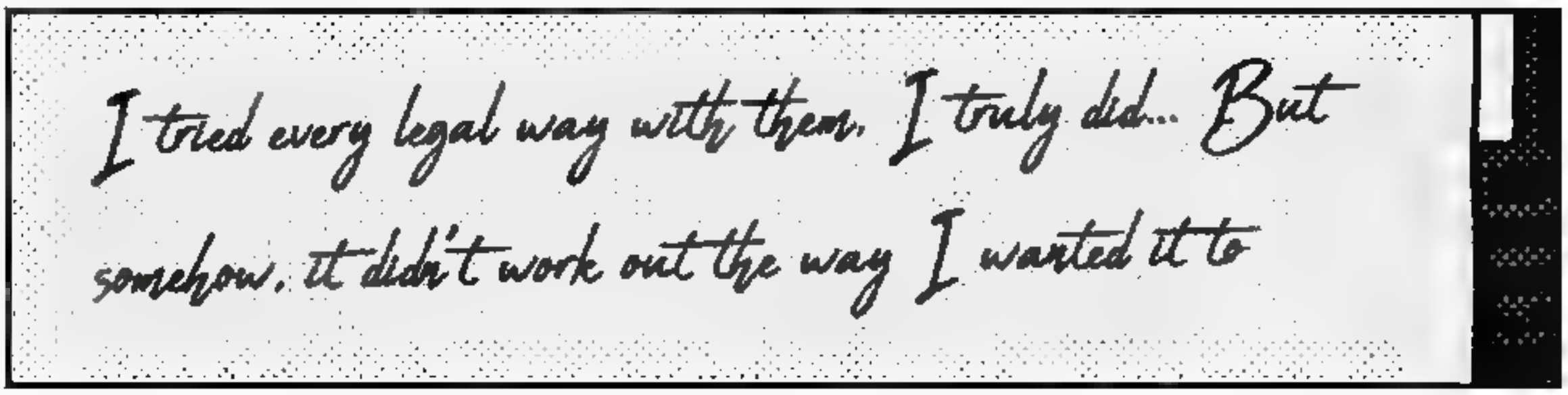

(لقد حاولت معهم بكل الطرق القانونية، لقد فعلت... لكن بطريقة ما لم ينجح الأمر كما أردت..).

***

في مكتب الدكتور لوغان، كان هيروشي قد كشف لـ أوليفيا الحقيقة الثقيلة المتعلقة بزوجها، ثم وبصوتٍ يملؤه الحذر، قال وهو ينظر إلى النافذة:

- لقد أشرقت الشمس، عودي إلى المنزل يا أوليفيا، وتظاهري بعدم معرفة أي شيء.

أجابته أوليفيا، ورجفة خفيفة كانت قد سيطرت على صوتها المشحون بالمشاعر:

- لا.. لا أستطيع ذلك، كيف يمكنني مواجهة والنظر في عينيه بعد الذي قلته لي؟

- إن لم يكن بمقدورك التمثيل أمامه..

قاطعته أوليفيا بانفعال:

- لا تقل لي بأن أهرب، فهذا ما كُنت أفعله طوال حياتي..

ثم نظرت حولها مُتابعةً:

- وما الذي جنيته من الهرب يا هيرو؟ لا شيء..

وبهدوء قال لها وقد تفهم ما ترمي إليه:

- هذا يعني بأنك تختارين المواجهة.

وللمرة الأولى، تجلت الثقة في صوت أوليفيا وهي تعلن بقرارها الشجاع:

- نعم، لابد من المواجهة، لعلي أتمكن من إقناعه بخطورة ما يقوم به.. فهو زوجي ووالد أبنائي قبل كل شيء.

مع ختامها لجملتها، صدر صوتٌ من خلف الباب، فسأل أحدهم:

- ما الذي تفعلانه هنا؟

ظهر لوغان وكأن القدر قد ساقه لحضور هذا الاجتماع، دفع الدكتور باب مكتبه مُتفاجئًا برؤية زوجته مع هيروشي في الساعات الأولى لهذا اليوم، تبادل الثلاثة نظرات حذرة، قبل أن يتقدم لوغان ليقول:

- كم هو مثيرا يبدو أنني قاطعت حوارًا مشوقًا.

لم يتردد هيروشي، وأجاب بثبات:

- كنا نتحدث عنك.

***

مع إشراقة شمس يوم جديد، انخفضت حدة التوتر في قصر بيتفورد، لكن آثار الليلة الماضية كانت لا تزال تُخيّم على المكان، انتشر الخدم في أرجاء القصر، يتنقلون بين الغرف المدمّرة وأروقة مشحونة بالصمت الكئيب، غير مبالين بالمناظر المفزعة التي تحيط بهم، انشغل بعضهم بجمع الحطام وآثار الخراب، بينما كان الآخرون منهمكين في تجهيز مائدة الإفطار للضيوف المتبقين، وكأن القصر

يحاول أن يُخفي جروحه خلف ستار من الضيافة.

في قاعة الطعام، وقفت مارثا شامخة كالقبطان الذي يُحكم السيطرة على سفينته بعد أن ضربتها العاصفة، كانت عيناها ترصد كل تفصيل أثناء إشرافها على التحضيرات، وهي تصدر أوامرها بنبرة صارمة للخدم:

- أبلغوا الضيوف جميعهم بالحضور إلى مائدة الإفطار، فلا أرغب بأن نظهر كمضيفين سيئين.

***

بينما كانت شمس النهار الجديد تلقي بأشعتها الباهتة على قصر بيتفورد، كان توماس يتأكد من سلامة الوضع عند باب غرفته، فتح الشاب الباب بحذر وسأل الحراس الواقفين، في البداية لم يرغب أيّ منهم بإجابته، لكن بعد كلامه المعسول جزّ أحدهم للحديث معه أخيرًا، وأكد له زوال الخطر.

عاد توماس إلى كيتلين وأبلغها بالأمر، فسارعت الفتاة دون تأخير إلى مغادرة غرفته، غمرته بكلمات الشكر وتوجهت إلى جناح الضيوف.

لم تعتقد الفتاة بأنها ستفرح عندما لامستها أشعة شمس النهار الباهتة والتي اخترقت شبابيك الرواق بكل نعومة، هناك كانت قد بلغت وجهتها، فمدت يدها لتفتح الباب، وجدته مقفلًا فخبطت على الباب ولم يطل الأمر حتى فتحت لها يوميكو:

- يوميكو!

ضمتها كيتلين بعد أن تجاوزت المفاجأة، ثم سألتها عن موعد وصولها، فأدخلتها يوميكو وأشارت لها ناحية إيما التي تغط بنومٍ عميقٍ فوق سريرها.

"أخبرتني يوميكو بكل ما حصل معهم في الليلة الماضية، لقائها

وماثيو بالأستاذ براون، ولم تغفل عن ذكر رحلة ريوتا وإدوارد، ومع حديثها تدفقت الحقائق وأضحت معظم قطع الأحجية في مكانها الصحيح، فاكتملت بعض الصور واتضحت، وهنا تبين لي مدى صدق إدموند في بعض ما قاله لي".

قطع حديث الفتاتين حضور ماثيو الذي قضى ليلته في غرفة أليكس، ومع استيقاظ إيفا من نومها، اجتمع الأربعة لتبادل المعلومات التي جمعها كل منهم خلال الليلة الماضية، وانتهى الحوار باستقامة ماثيو من موضعه ليُعلن بحدة:

- لعبة المحقق تنتهي الآن، بما أن الجميع هنا، سنغادر الآن قبل أن يتدهور الوضع أكثر.

من دون اعتراض، نهضت إيفا وتوجهت ناحية حقيبتها:

- أمهلنا بعض الوقت حتى نجمع أمتعتنا.

بينما كانت يوميكو مُستعدةً أيضًا، وقفت كيتلين ثابتة في مكانها، تحدّق بهم بصمت، لاحظ ماثيو موقفها، فأجابت سؤاله الذي طرحته عيناه عوضًا عنه:

أدارت إيڤا رأسها ناحية كيتلين لتقول:

- عفوًا!.. أنا لم أسمع ما قلته.

فكررت كيتلين كلماتها بإصرارٍ أكبر:

- قلتُ بأنني لن أغادر الآن.. أنتم يمكنكم الذهاب، أما أنا فسأبقى.

لم يكن من ماثيو إلا أن يعترض غاضبًا:

- لا يمكن، لن نتركك وراءنا بهذه البساطة.

تدخلت يوميكو لتسأل:

- هل هذا بسبب ما قاله إدموند لكِ؟

(لو تعلمين كم أكره أن أكون الشخص الذي يُفشي الأسرار العائلية.. ولكن يُمكنني أن أقوم بعمل استثناء من أجلكِ أنتِ فقط.. بشرطٍ واحد.. لا تُغادري هذا المكان بعد الحفل وابقي هنا، ابقي بقربي).

ترددت كلمات إدموند في مخيلتها، فنفضتها كيتلين بعيدًا لتجيب:

- لا، سبب بقائي هو راين...

"لا يمكنني أن أدير ظهري له هكذا، احساسي البغيض يكاد يكتم أنفاسي، إنه يخنقني ويصرخ مُنذرًا إياي بكارثة على الطريق".

جلست إيما على حافة سريرها وقد قرأت بوضوحٍ وجه صديقتها، فقالت مؤازرةً لها:

- حسنًا، إن كُنتِ مُصممةً على البقاء، سأبقى معكِ أيضًا.

رفعت يوميكو يديها هي الأخرى:

- أنا أيضًا.

من جهته، تنهد ماثيو أمام إصرارهن المُستميت:

- يبدو أنه لا مجال لتغيير رأيكن.

بحركة بسيطة، أزاحت إيما خصلة من شعرها وهي تُومئ بموافقتها على القرار الجماعي، لكن سرعان ما حاز على انتباهها أمرٌ آخر، فأشارت نحو الخاتم الغريب في يدها، لتسأل:

- هل يمكن لأحدكم أن يخبرني ما هذا الشيء؟

كانت تُشير إلى الخاتم الذي صنعته الليلة الماضية، وقبل أن يُجيبها أيٌ منهم كان أحد الخدم يضرب الباب مُعلنًا وجوب حضورهم إلى قاعة الطعام.

***

على الطريق المؤدية إلى قصر بيتفورد، تحركت سيارة دانيال بسرعة ثابتة، يقودها إدوارد الذي استلمها من صاحبها بعد أن انقسمت المجموعة إلى فريقين، كان إدوارد جالسًا خلف عجلة القيادة، يلتزم الصمت طوال الطريق، وعيناه في تركيز تام على المسار الممتد أمامه، فيما جلست ميغان بجواره، تتأمل الخارج بتوجس، وبصوتٍ متردد كسرت الصمت لتسأل:

- هل تعتقد بأن الأمر سينجح؟

أجابها إدوارد بهدوء، دون أن يحيد نظره عن الطريق:

- بالتأكيد سننجح.

عقدت الفتاة حاجبيها لتقول:

- ولكن وجهك يقول عكس ذلك.

لم يكن بمقدور ميغان تجاهل كمية التوتر التي شعرت بها لحظة

افتراق المجموعة، كانوا قد اتفقوا في وقتٍ سابق على ما سيفعلونه، ستعود هي برفقة إدوارد إلى الحفل، بينما يتكفل ريوتا ومعه دانيال وكيمبرلي بمهمة أخرى لا تقل أهمية.

تنهدت ميغان بتذمر وأمالت رأسها لتسنده إلى حافة النافذة، كطفلة غاضبة تخفي خيبة أملها:

التفت إليها إدوارد للحظة، وابتسم ابتسامة صغيرة، مُدركًا مصدر سخطها:

- لا تقلقي، سنجتمع ما أن ننتهي من هذه الفوضى.

لكن سرعان ما تلاشت ابتسامته وحلت مكانها نظرة صارمة، وهو يضيف بنبرة جادة:

- أما الآن، فأنا بحاجتك، مهمة مواجهة العائلة وإقناع راين بالتخلي عن خطته لا تقل أهمية عن مهمة الفريق الآخر.

***

وصلت المجموعة الأخرى إلى وجهتها، مدرسة هيل تاون الثانوية، مستغلين ساعات الصباح الأولى، تسلل الثلاثة بهدوء وسط الظلال، حاملين الصناديق المليئة بالأدلة، حريصين على عدم لفت الأنظار.

قاد ريوتا الطريق عبر الممرات المظلمة، وعيناه تراقبان بحذر، سألت كيمبرلي من خلفه وهي تمسح محيطها:

- هل يمكننا حقًا تنفيذ الخطة هنا؟

أومأ ريوتا بحقة وهو يتفقد الرواق الجانبي، وعيناه على هدف هناك:

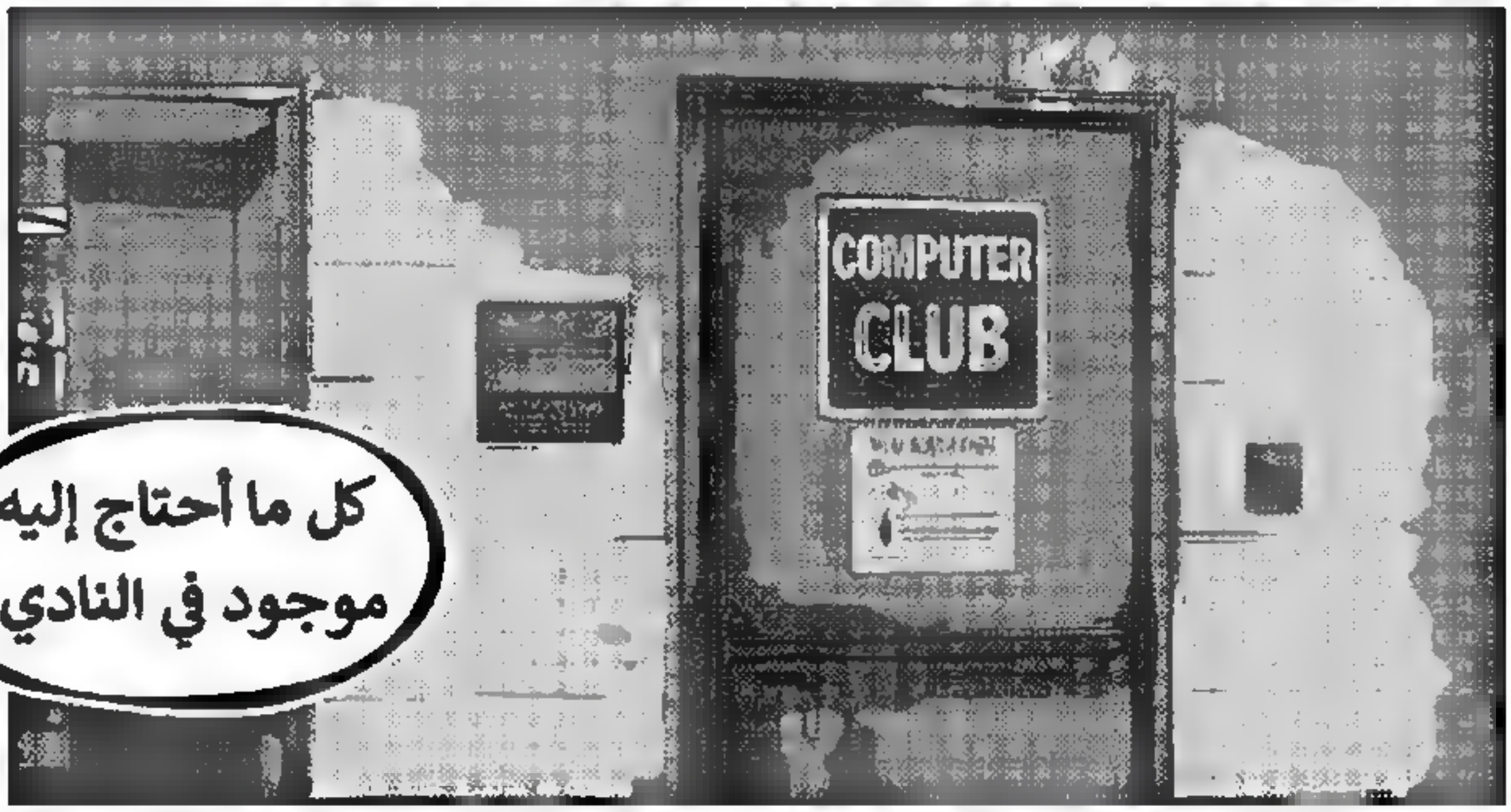

تسلل الثلاثة إلى نادي الحاسوب بخفة لصوص محترفين، وضع دانيال وكيمبرلي الصناديق التي يحملانها جانبًا، ثم عادا سريعًا إلى السيارة لجلب البقية، بينما جلس ريوتا خلف شاشات الحواسيب في الزاوية، فتح الكهرباء التي انسابت كالدماء في أوردة إلى الجهاز، فأفاق الوحش المعدني من سباته، كان هذا أحد الأجهزة الخارقة التي عمل ريوتا على تجميع أجزائها بنفسه وبالتعاون مع رفاقه.

أضيئت الشاشة كاشفة عن سطح المكتب الافتراضي، وهناك لاحظ ريوتا أمرًا أثار قلقه، إلى جانبه أنزل دانيال الصندوق الثاني من يديه ليسأل:

- أهنالك خطبٌ ما؟

فتح ريوتا بعض النوافذ المتعددة، ثم ترك مقعده على عجالة والتقط هاتفه مجيبًا سؤال دانيال:

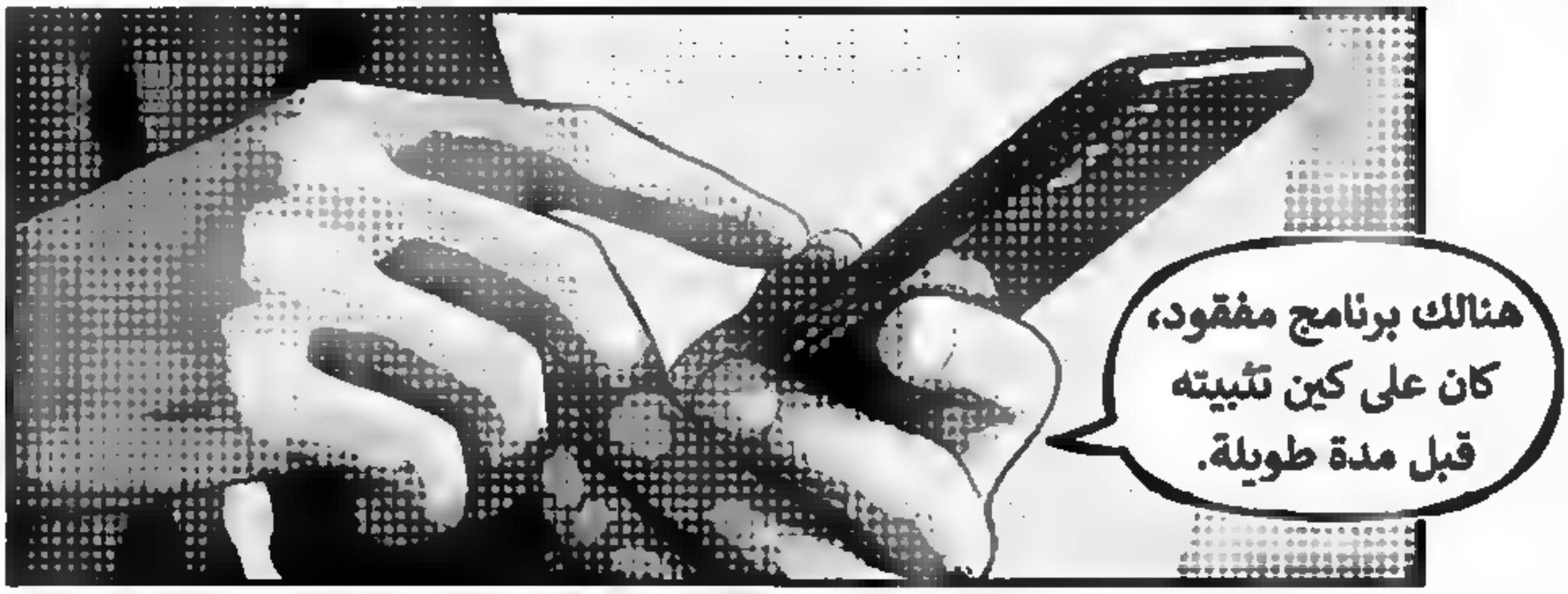

سأله دانيال:

- أهو مهم لهذه الدرجة؟

لم يجب ريوتا بعد أن ضغط على زر الاتصال بـ كين، كان رفيقه قد أفاق على صوت الهاتف، فأجابه بصوتٍ ناعس:

- لِمَ هذا الإزعاج في الصباح الباكر؟

فرك كين عينيه مُتقلبًا في سريره بكسل، فسأله ريوتا عن البرنامج المطلوب، أجابه كين بأنه لم يقم بتحميله ولا يزال على القرص الصلب الذي تركه في شقة ريوتا ويوميكو، أنهى ريوتا المكالمة سريعًا، وقال لـ دانيال وكيمبرلي:

- أنتما ابقيا هنا، رتّبا الأدلة كما اتفقنا، ريثما أذهب لأُحضر القرص الصلب.

لكن دانيال استوقفه قبل أن يذهب:

- انتظر يا ريوتا، دعني أذهب بدلاً منك؛ ألم تقل إن رجال مارثا يراقبون المكان حول شقتكم؟ قد يكونون مستعدين لأي حركة... من يدري ما الذي قد يفعلونه إذا رأوك

***

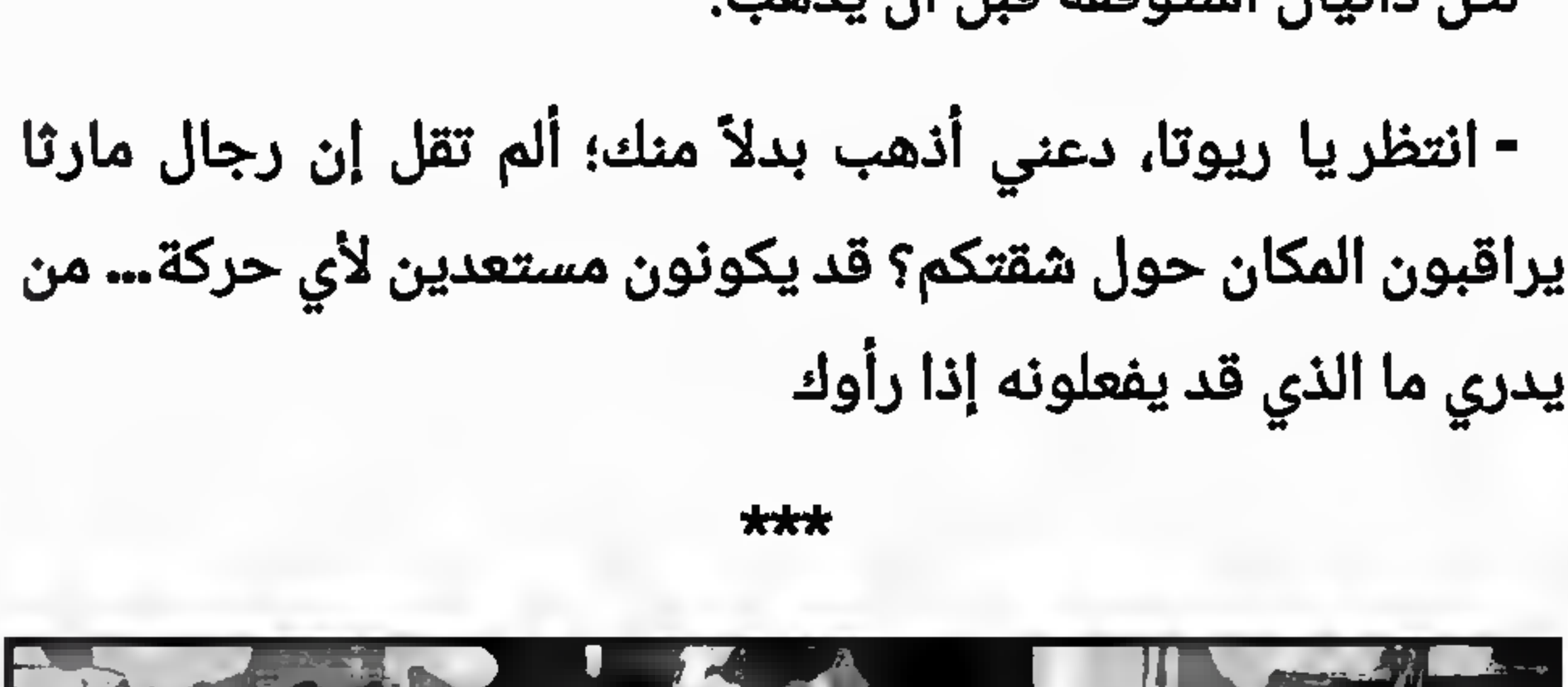

في قاعة الطعام الفاخرة، حيث انعكست الأضواء على الأواني

الفضية المصطفة بعناية أمام الضيوف، جلس راين وهارو جنبًا إلى جنب، يتفقدان بعيون قلقة العدد القليل من الحاضرين. راين، وبعينين تتحركان ذهابًا وإيابًا، همس لـ هارو بصوت خافت:

- لا أثر لـ بيانكا.

وضعت هارو قطعةً صغيرة من الخبز في فمها متظاهرةً بانشغالها بتناول الطعام، لتردّ بصوتٍ منخفض:

- نعم، فهي لم تأتِ إلى الغرفة ليلة البارحة... ماذا عن ستيف؟ أين هو؟

- هو الآخر لم يظهر.

رفع راين بصره ناحية بقية الضيوف ليكمل قائلًا:

- بالنظر إلى الحضور اليوم يمكنني أن أرى بأنهما ليسا الوحيدان اللذان اختفيا الليلة الماضية.

- ألا تعتقد بأن هذا كافٍ؟ يجب علينا إبلاغ القائد مورغان، ماذا لو كان مكروه ما قد أصاب ستيف، كما أننا قد شهدنا على بعض الهجمات التي حصلت بفعل الضيوف.

ضغط راين على أسنانه، محاولًا كبح غضبه الذي لم يظهر على ملامحه، وأجاب:

- لقد قُلتها بنفسكِ، لقد شهدنا على هجمات حصلت بفعل الضيوف وليس المضيفين، ما زلنا لا نملك شيئًا ضدهم.

قُطع حديثهما بدخول أبناء كيليب بيتفورد، الذين توافدوا واحدًا

تلو الآخر، ليجلس كل منهم قريبًا من رأس الطاولة بصمت مريب، وحده توماس من تصرّف على طبيعته وانفصل عن المجموعة، متخذًا مقعدًا مقابلًا لـ راين. راقبه راين بحذر، وقد لاحظ غياب كيتلين عن المشهد، في تلك اللحظة، دخلت مارثا برفقة بنجامين، الذي جلس برأس الطاولة بكبرياء واضح. علّقت هارو، وهي تلاحظ توتر راين:

- يبدو أن كيتلين قد غادرت بالفعل.

دفع راين كرسيه إلى الخلف، وقال:

- هذا ما أتمناه، سأذهب لأتأكد بنفسي.

وقبل أن يتمكن النهوض من موقعه، دخلت كيتلين إلى القاعة برفقة إيما والبقية، ازدردت الفتاة ريقها الجاف وهي تواجه نظرات الجميع المتربصة، إلا أنه لا وقت للضعف الآن، شدّت كيتلين من قبضتها، وتقدمت بخطوات ثابتة، مؤكدة على رفاقها:

- كما أخبرتكم، إياكم أن يفتح أحدكم فمه بكلمة عن لقائي بـ إدموند أمام راين.

أومأ الثلاثة برؤوسهم إيجابًا، وساروا خلفها نحو الطاولة. توقفت كيتلين عند أحد المقاعد، وأمسكت بمقبضه بقوة، بينما راحت أفكارها تتصارع.

"لم أستطع أن أحوّل نظراتي عن راين، وكأن العالم من حولي تلاشى، المخاطر التي كانت تحيط بي فقدت وزنها، ولم أكترث إلا لمشاعره، رأيت العتاب يتراقص في عينيه، يتقدّم نحوي كسيلٍ صامتٍ من اللوم والتوبيخ، لكنه لم يغرقني أو يثنيني، بل على العكس، وجدت نفسي أغوص في وجوده بكل اطمئنان".

ومن خلفها، همس أحدهم بصوتٍ خافت:

- كم من الوقت تحتاجين للجلوس؟

بابتسامة ساحرة، سحب توماس الكرسي لها بانسيابية، مما دفعها للجلوس دون تردد، استغل الشاب الفرصة ليجلس بجانبها، متجاهلًا تحذيرات والدته وتهديدات راين السابقة، بدأ الجميع بتناول الطعام، حيث تخللت الحدث محادثات جانبية وهمسات متفرقة، رفع توماس كوب الشاي، وأسند ذقنه بمرفقه فوق الطاولة، متجاهلًا كل آداب المائدة، وقال مخاطبًا كيتلين:

- إلى متى ستواصلان لعبة التحديق هذه؟

بخجل، أنزلت كيتلين رأسها وأجابت بصوتٍ منخفض:

- لا أعلم... لا أعرف حتى كيف أبدأ الحديث معه.

اتسعت ابتسامة توماس وهو يُميل رأسه ناحيتها:

- هل ترغبين ببعض المساعدة؟

وقبل أن تتمكن من الرد، ظهر راين فجأة خلفهما، وسحب توماس من ذراعه، مجبرًا إياه على ترك مقعده، ثم أشار إلى الحديقة وقال بلهجة حازمة:

- أريد التحدث معك على انفراد.

خرج راين إلى الحديقة الجانبية، وتبعه توماس وسط أنظار الجميع.

"تجمدت في موضعي، معتقدةً أنني سأشهد شجارًا حادًا بينهما، لكن المفاجأة كانت في رد فعل راين؛ لم يبدو غاضبًا كما توقعت".

في الحديقة، حيث كان بإمكانهما الحديث دون أن يسمعهما أحد،

قال توماس مبررًا:

- لقد أخبرت كيتلين بما طلبته مني، لكنها...

لكن راين قاطعه فجأة، ليسأل مُغيرًا دفة الحديث:

- توماس، هل تحبها؟

عقد توماس حاجبيه، وقد باغته السؤال، ورد متسائلًا:

- ما الذي تحاول قوله؟

بأنفاسٍ هادئة، أعاد راين صياغة السؤال:

- أريد أن أعرف إن كنت تحبها، وإن كنت قادرًا على حمايتها.

تراجع توماس، وقد ازدادت حيرته، فقال:

- مهلًا.. هل أنت تتخلى عنها لرجلٍ آخر؟

- أجبني فقط، أيمكنني أن أثق بأنها ستكون بأمانٍ معك؟

بكل ثقة، أجاب توماس:

- لا..

وسط حيرة راين، أفلت توماس ضحكة ساخرة وقال مضيفًا:

- هه.. بلا مزاح، أنتما تجعلان مني الشخص السيئ هنا.. اسمع..

ثم أدار رأسه نحو كيتلين، وتأملها من خلف الزجاج، ليقول متابعًا:

عاد توماس بنظره إلى راين، وأضاف بابتسامة حزينة جعلها تبدو ساخرة:

- لذلك، إياك أن ترميها على رجلٍ آخر بتلك السهولة.. من يعلم، فقد يهتز قلبي فعلًا.

ترك توماس راين وعاد إلى الداخل، وتوجه مباشرة إلى كيتلين، سحبها من كرسيها دون اكتراث لأي أحد، وضمها إليه بودٍ وهمس في

أذنها:

وضع توماس راحة يده على وجنتها، وقرب وجهها نحو وجهه.

"أعرف جيدًا ما يدور في أذهانكم الآن، لكن لا، توماس لم يقبّلني، كان نبيلاً بما يكفي ليتجنب لعب دور الطرف الثالث في هذه العلاقة، ولم يشأ أن يجبرني على شيء لا أرغب فيه، لكنه، رغم ذلك، أراد أن يوحي لـ راين على الأقل بعكس ذلك، لهذا مثّل دوره جيدًا لدرجة خدع معها الجميع".

تباينت ردود الفعل من حولهما، وإلى جانبها صاحت إيما بفرحة غامرة:

- يا إلهي... يا إلهي، لقد قبّلها!

أغلقت يوميكو عينيها بخجل، بينما كاد فك ماثيو أن يسقط من موضعه، أما على رأس الطاولة، ضحك بينجامين وهو يستند إلى كرسيه قائلاً بسخرية:

- أتساءل كيف ستكون ردة فعل إدموند لو شاهد هذا بنفسه.

اعتصرت مارثا منديلها، وقد تمكن الغضب منها تمامًا، كان المشهد

على وشك الانتهاء حين أبعد توماس كيتلين، وأشار لها بعينيه نحو الحديقة خلفه، ليقول هامسًا:

- انظري إليه.

"امتثلت لطلبه، وسمحت لنفسي باختلاس النظر إلى الحديقة، كان بإمكاني رؤية تأثير ما فعله توماس؛ نظرات الغيرة في عيني راين كانت أكثر وضوحًا مما اعتقدت، والمضحك أنها لم تكن المرة الأولى التي أراها تنبع من عينيه، لقد رأيتها مرارًا وتكرارًا دون أن أدرك، شعرت بالإحراج من نفسي، كيف لم أفهم تلك النظرات من قبل؟".

تجاوز راين باب الشرفة وعاد إلى القاعة، اقترب من كيتلين وتوماس، فجمدت الدماء في عروق الفتاة وهي تنتظر ردة فعله، لكنه تجاوزهما دون أن ينظر إليهما، وغادر القاعة ببساطة، راقبته كيتلين وهو يختفي خلف الباب، وفجأة ظهرت أمامها مارثا، وقفت بكل علو وتسلط، وهمست بكلامها المسموم كهمس الأفعى:

- ما الذي تخططين لفعله؟

ردت كيتلين دون تردد وبجرأة:

- هل أثير مخاوفك لهذه الدرجة؟

قبل أن يزداد غضب مارثا، اندفع توماس ليقف أمام كيتلين مدافعًا:

- هي لم تخطط لأي شيء، أنا من كُنـ...

- اخرس، فأنا لم أوجه سؤالي لك.

أسكتته والدته، مما أثار كيتلين التي تدخلت لتقول:

- أي نوع من الأمهات أنتِ؟ ألا يمكنكِ فقط الاستماع إلى ابنك؟

ضحكت مارثا بسخرية وهي تستمع إلى عتاب كيتلين، فأجابت باستهزاء:

- هه.. هل تنتقدينني الآن أيتها الوقحة؟

- أمي، هذا يكفي، فالكل يحدق بنا الآن.

دارت عينا مارثا في محجريهما، ولا يزال رأسها شامخًا يتحدى الموقف، اقتربت أكثر من توماس، لتقول له:

- كان عليك أن تفكر بذلك قبل فعلتك القذرة مع هذه الوقحة.

ودون تفكير، أجابها توماس بخيبة أمل:

- حقًا؟ أنا أتساءل من هي الوقحة الآن.

تمكن منها مارد الغضب، فرفعت يدها بنية صفعه، أرادت أن تُعيد ابنها إلى رشده، وتسترجع كبريائها المسلوب أمام ضيوفها، لكن أحدهم تدخل لإيقافها في اللحظة الأخيرة، وقبل أن تلامس يدها وجه توماس:

- هذا يكفي...

استدارت مارثا ببطء، ليقع بصرها مباشرة على عيني إدوارد، الذي دخل لتوه إلى القاعة برفقة ميغان، تقدّم الشاب نحو أخيه بخطوات ثابتة، ونبرة لا تحتمل النقاش أمره:

- توماس، اصطحب كيتلين إلى غرفتها في الحال.

راقبت جيسيكا توماس وهو يبتعد برفقة كيتلين، لتلتفت نحو ميغان التي وقفت بجوارها، وسألتها بتوجس:

- لقد تأخرتما كثيرًا.. ما الذي حدث؟

همست ميغان لأختها بصوتٍ خافت وهي تمسح القاعة من حولها:

- تلك قصة طويلة، سأحكي لكِ التفاصيل لاحقًا.. أما الآن، أخبريني بما يجري هنا؟

ربعت جيسيكا ذراعيها، وعيناها تتابعان خروج توماس بنظرة متفحصة، قبل أن تهمس بخفوت:

- يبدو أن توماس يأخذ أمر كيتلين بجدية أكثر مما كُنت أتصور.

على رأس الطاولة، جلس بينجامين متكئًا بكل راحة، يراقب المشهد بمتعة، وقد طغت ابتسامته الشامتة على قسمات وجهه، قبل أن يعلّق بنبرة تهكمية وهو يحدق بـ إدوارد:

- تلك الفتاة تملك الكثير من الفرسان لحمايتها، والمُبهر في الأمر أنهم يفعلون ذلك من دون مقابل.

وسط همسات متداخلة ونظرات تترقب تطورات الأحداث، خفضت مارثا يدها، لكن رأسها بقي مرفوعًا بتحدٍ، حين أشار إليها إدوارد بلباقة قائلاً:

- هل يمكننا أن نتحدث على انفراد؟

- بالتأكيد، فأنا أيضًا لدي بعض الأسئلة لك.

وبمجرد مغادرتهما القاعة، دخل أحد الخدم على عجالة، يحمل بين يديه جهازًا لوحيًا، وتوجّه به مباشرة إلى سيده بينجامين.

***

في غرفة مجاورة للقاعة، حيث الفراغ يخيّم، وقفت مارثا بثبات أمام إدوارد، عاقدة ذراعيها ومائلة برأسها، تتأمله بنظرة فاحصة، قبل أن تقول بنبرة متأملة:

- تبدو مرهقًا للغاية.. هل واجهت بعض مشاكل خلال رحلتك؟

ضيّق إدوارد عينيه بشيء من الحذر، ليُجيب متهكمًا:

- بكل تأكيد.. فقد حرص أحدهم على ذلك.

رفعت مارثا حاجبها، تحاول استشفاف ما يقصده، فسألته بفضول واضح:

- أفصح، ما الذي تعنيه؟ وماذا تريد أن تقول؟

- أوقِف هذا الحفل الآن، وليغادر الجميع إلى منازلهم فورًا.. أما بالنسبة لجدي بينجامين، فعليه أن يسلّم نفسه للشرطة، وإلا..

انفجرت مارثا بضحكة ساخرة، ضجّت بها الغرفة، راحت تهز رأسها باستمتاع، تكاد دموعها أن تهرب من عينيها في غمرة شخريتها، لكنها تمالكت نفسها، لتجيبه بتحدٍّ مستفز:

- ههه.. وإلا ماذا؟..

ومع استعادة اتزانها، رفعت مارثا ذقنها بنبرة تنمّ عن سيطرة مطلقة، وأضافت بحدة:

- من تظن نفسك حتى تهددني وتهدد جدك بهذا الشكل؟

بهدوء، وغير مكترث لسخريتها، نقل إدوارد نظره إلى الجدار خلفها.

هناك حيث الساعة منتصبة في مكانها، ثم سأل:

- كم الساعة الآن؟

اختفت ابتسامة مارثا تدريجيًا، تطلّعت إلى ساعة يدها دون أن تعلم مراده، ثم ردّت بلا اكتراث:

- إنها الحادية عشرة.

أجابها إدوارد بهدوء مشوب بالغموض:

- أنا واثق أنكِ قد وضعتِ بعضًا من رجالك خارج حدود هذا المكان، وفي غضون دقائق قليلة، ستفهمين الأمر..

وقبل أن يُكمل عبارته، فُتِحَ الباب بقوة، واقتحم بينجامين الغرفة بخطوات غاضبة، يصيح باسمها:

- مارثا.. مارثا!

رفع الجهاز اللوحي أمام وجهها، بدا عليه التوتر بعد أن اجتاح ملامحه، وراح يسألها بحدة:

- ما تفسيركِ لهذا؟

أخذت مارثا الجهاز اللوحي من يده، وتمعّنت في الشاشة، حيث تصدّرت الأخبار العاجلة بعناوين ضخمة، حيث كتب بالخط العريض:

(تقرير عاجل: فضيحة غسيل أموال تُحدث صدمة في الأوساط الرفيعة)

كاد بينجامين أن يلتهم إدوارد بنظراته المشتعلة، أشار نحوه باتهام واضح:

- هل أنت خلف هذه الفضيحة؟

وبنظراتٍ أكدت شكوك بينجامين ومارثا، أجاب الشاب:

- أستطيع إيقاف انتشار الأخبار بمكالمة واحدة، إذا استجبتم لطلباتي.

حرّك بينجامين رأسه ذهابًا وإيابًا بين الاثنين الممتثلين أمامه ليسأل:

- أي طلبات؟ ما الذي تتحدث عنه؟

بدت مارثا غير مبالية، حرّكت اصبعها فوق شاشة الجهاز، تنقّلت بين قصاصات الأخبار، لتقول بعدم اكتراث:

- اهدأ، لا داعي للذعر.. فهذه الأخبار لا تشير إليك مباشرة.

إلا أن بينجامين راح يصرخ بفورة غضب، وقد بدا واضحًا أن وقع الأخبار أيقظ أسوأ مخاوفه:

- أيتها الحمقاء! هذه الفضيحة ستفتح تحقيقات واسعة، وإذا اعترف أصحابها للشرطة، فسنكون في ورطة!

غير آبهة بانفعاله، اكتفت مارثا برسم ابتسامة خافتة على شفتيها، قبل أن تقول بصوت محمّلٍ بالثقة:

رفعت رأسها بنظرة حازمة وأكملت ببجاحة:

- أنا أتحدث عن ماركوس، أنت تعرفه جيدًا..

تابعت بنبرة ساخرة، وهي تراقب ردّ فعله بتمعّن:

- لم أرغب بتصديق روايته في البداية، لكن أنت تعلم لأي درجة أثق به..

تزامنًا مع حديثها دخول أعوانها إلى الغرفة، وقفوا خلفها، أشارت الأرملة إليهم، ثم حولت نظراتها إلى إدوارد وقالت:

- انظر إليهم جيدًا يا إدوارد، هل ترى ماركوس بينهم؟

اتّسعت عينا إدوارد بدهشة، بينما أكملت مارثا:

- إلى أين تعتقد أنه قد ذهب؟

وقف الشاب أمامها عاجزًا عن الرد، يعلم أن اللحظة التي يخشاها قد حلّت بالفعل، أنزل إدوارد رأسه وهو يتخيل ما قد يفعله ماركوس

الآن، أما مارثا فقد أعادت الجهاز اللوحي إلى بينجامين، لتقول له بثقة:

- لا قيمة لهذه الأخبار دون أدلة، وبالنظر إلى الثقة التي واجهني بها إدوارد، يمكنني الجزم بأنه يملك بعضها، أو على الأقل صاحبه الجديد هو من يملكها.. لكن لن يدوم هذا لوقتٍ طويل.

***

في أجواء مشحونة بالتوتر داخل نادي الحاسوب، نجح ريوتا في إيصال خبر الرشاوى إلى الجرائد عبر مكالمات مجهولة المصدر، كان عليهم أن يتحلوا بأقصى درجات الحذر، فهوياتهم وموقعهم يجب أن يظلّا طي الكتمان، إذ لم يكن بإمكانهم الوثوق بأي أحد. الآن، لم يبقَ أمام ريوتا سوى انتظار عودة دانيال ومعه القرص الصلب الذي يحتوي على البرنامج المضاد للتتبع.

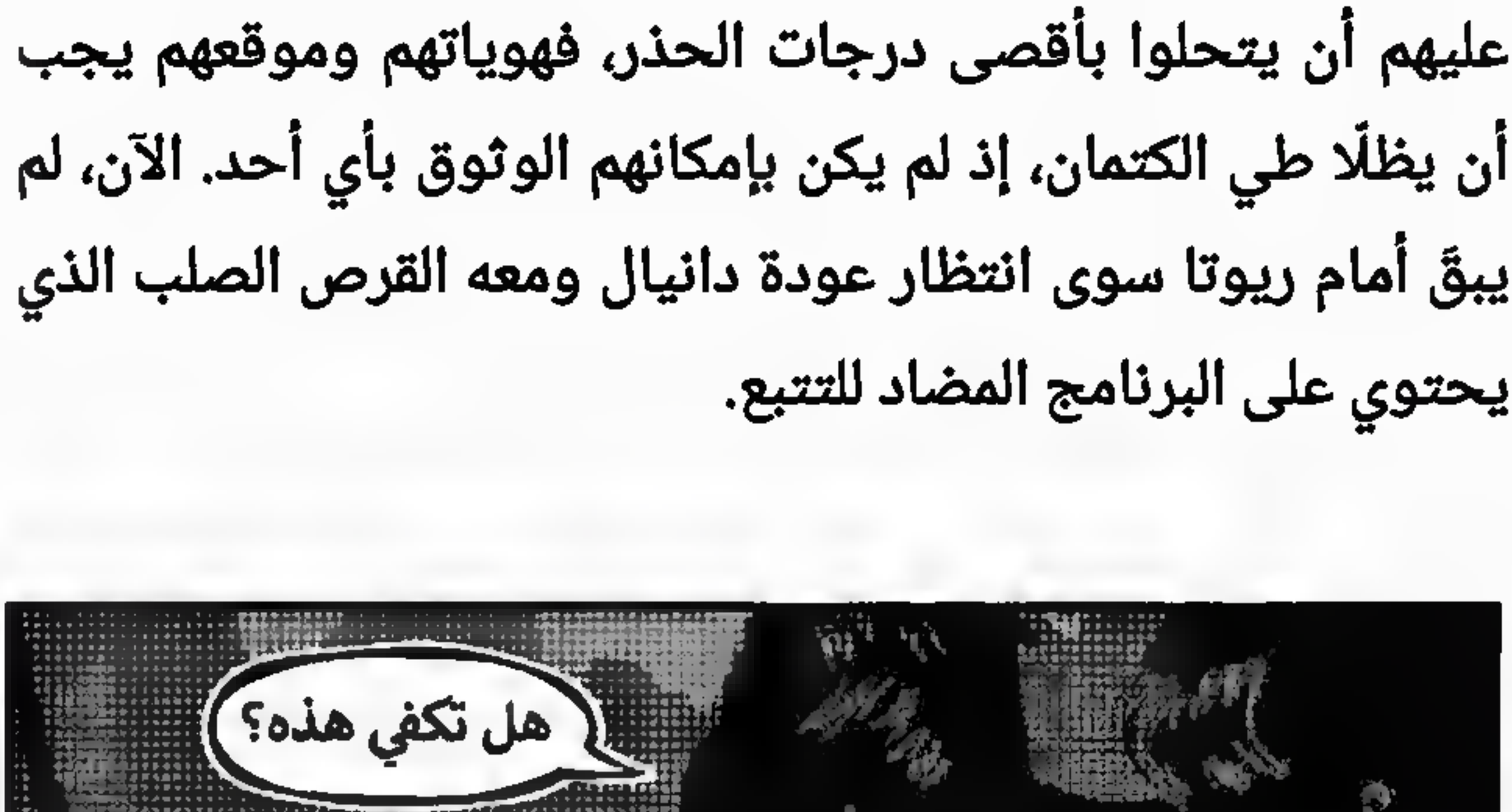

سألت كيمبرلي وهي تشير إلى مجموعة الوثائق التي اختاروها بعناية، فأجابها ريوتا:

- لا يمكننا استنزاف كل أوراقنا الآن، سنستخدم فقط الأدلة التي تثيرهم فقط حتى نعثر على من نثق به من السلطات.

وفي خضم حديثهما، رنّ هاتف ريوتا، كانت المكالمة من دانيال، فأجاب بسرعة:

- هل وصلت؟

لكن الرد جاء من صوت غريب، مختلف تمامًا:

- نعم، صديقك وصل منذ فترة.

انتصب ريوتا من موضعه، وعاد بنظره إلى شاشة الهاتف التي أظهرت رقم دانيال، لكن الصوت لم يكن له، فرفع الشاب بالهاتف إلى أذنه ببطء، وسأل بحذر:

- من أنت؟ وأين هو دانيال؟

أجابه من كان على الطرف الآخر للمكالمة:

- إذًا اسمه دانيال.. هل تتكرم وتخبرني باسم صديقك الآخر؟

حاول ريوتا السيطرة على أعصابه، وسأل مجددًا:

- من أنت؟ وما الذي تريده؟

في منتصف غرفة الجلوس في شقة ريوتا، جلس ماركوس وقد اتسعت ابتسامته بخبث، ينظر إلى دانيال وكين المقيدين أمامه:

- من أنا؟ أنا صديق الشخص الذي قتلتموه.

حزّك ماركوس سلاحه بيده الأخرى، يحك به ذقنه قبل أن يضيف:

- أما بالنسبة لما أريده، فهذا أمرٌ معقدٌ قليلًا، ما رأيك لو تنضم إلينا هنا حتى نتناقش بالأمر وجهًا لوجه.. أنت ومن معك بالطبع.

رفع ريوتا رأسه نحو كيمبرلي، ثم أجاب ماركوس بهدوء أعصاب:

- لا أحد معي هنا، إدوارد والفتاتين ذهبوا إلى قصر عائلة بيتفورد، وأعتقد أنهم وصلوا منذ فترة.

هزّ ماركوس رأسه متفهمًا، وقال بنبرة آمرة:

- حسنًا، إذًا تعال إلى هنا بسرعة.

ثم رفع سلاحه وصوّبه نحو الشابين أمامه، مضيفًا:

- ومن الأفضل ألا تخبر الشرطة.. لا حاجة لأخبرك بالعواقب المترتبة على ذلك.

أغلق ماركوس الخط، تاركًا ريوتا في مواجهة سيل من الأسئلة المتلاحقة من كيمبرلي، تجاهل الشاب ضجيجها، وبدأ يمسح الأدلة من حوله، أخذ نفسًا عميقًا محاولًا التفكير في خطة للخروج من هذا المأزق، بعد لحظات، توقف أمام أحد الصناديق ليقول:

- كيم، أريدكِ أن تخفي الأدلة.. أما أنا، فسأذهب لإنقاذ دانيال وكين.

- هل جننت؟ دعني أرافقك، يمكننا العمل معًا..

- كيم!

قاطعها ريوتا بنبرة صارمة، ثم أضاف:

- ذلك الرجل تعرّف على إدوارد، وبما أنه في شقتي الآن، فهذا يعني أنه تعرّف عليّ أيضًا، لقد أمسك بـ دانيال، وما هي إلا مسألة وقتٍ حتى سيستنتج أن ميغان كانت معنا أيضًا.

ثم وضع يده على كتف كيمبرلي، وقال بنبرة أكثر هدوءًا وقد اختفت الحدة في صوته:

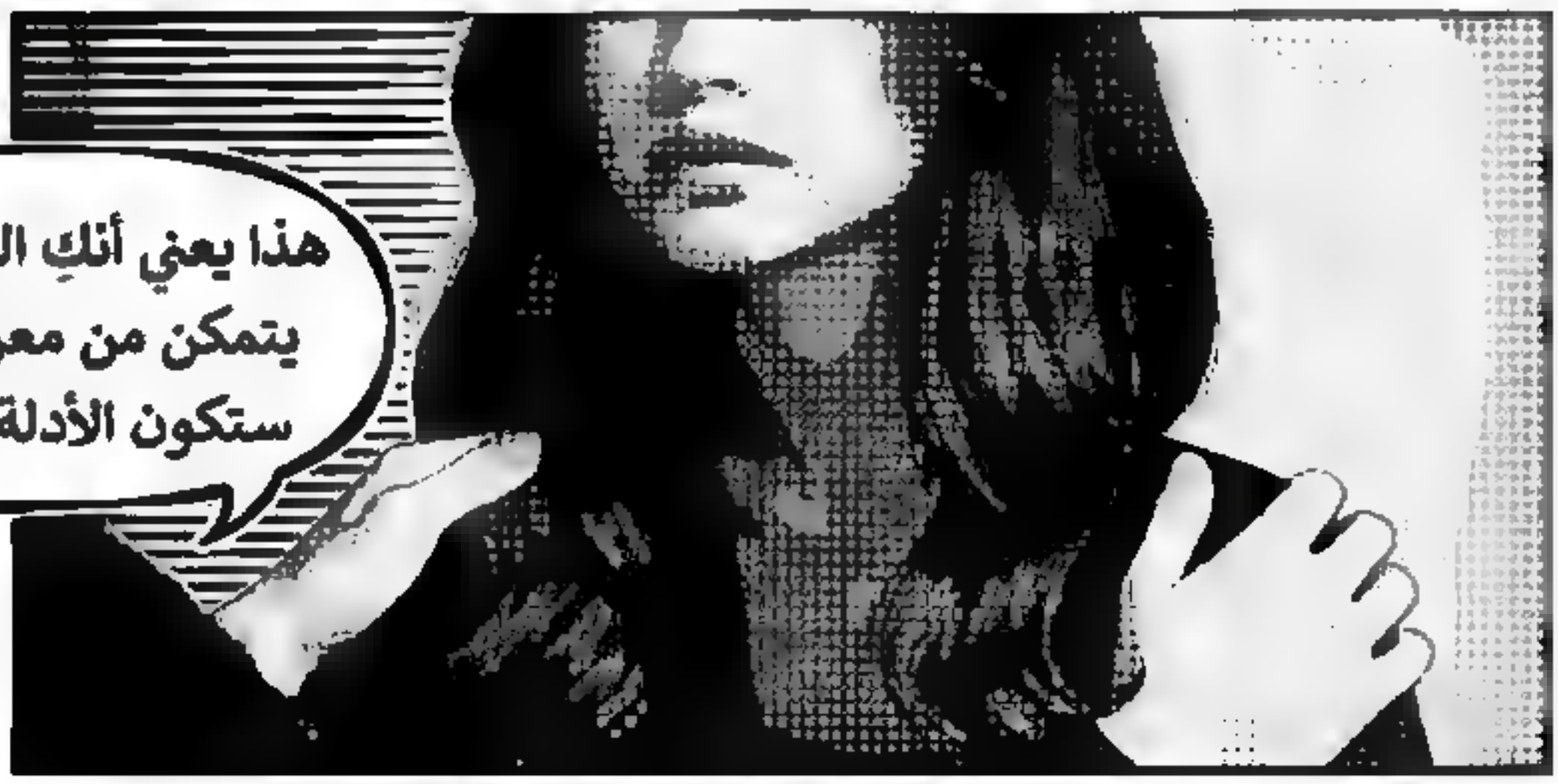

بعد أن نجح بإقناعها، جلس ريوتا خلف شاشة الحاسوب، ضرب على المفاتيح وفتح أحد المواقع، ومن نافذة إلى أخرى عمل الشاب بسرعة فائقة.

عندما انتهى، توجه إلى المجمع السكني حيث وجد السيارة التي أتى بها دانيال متوقفة أسفل البناء.

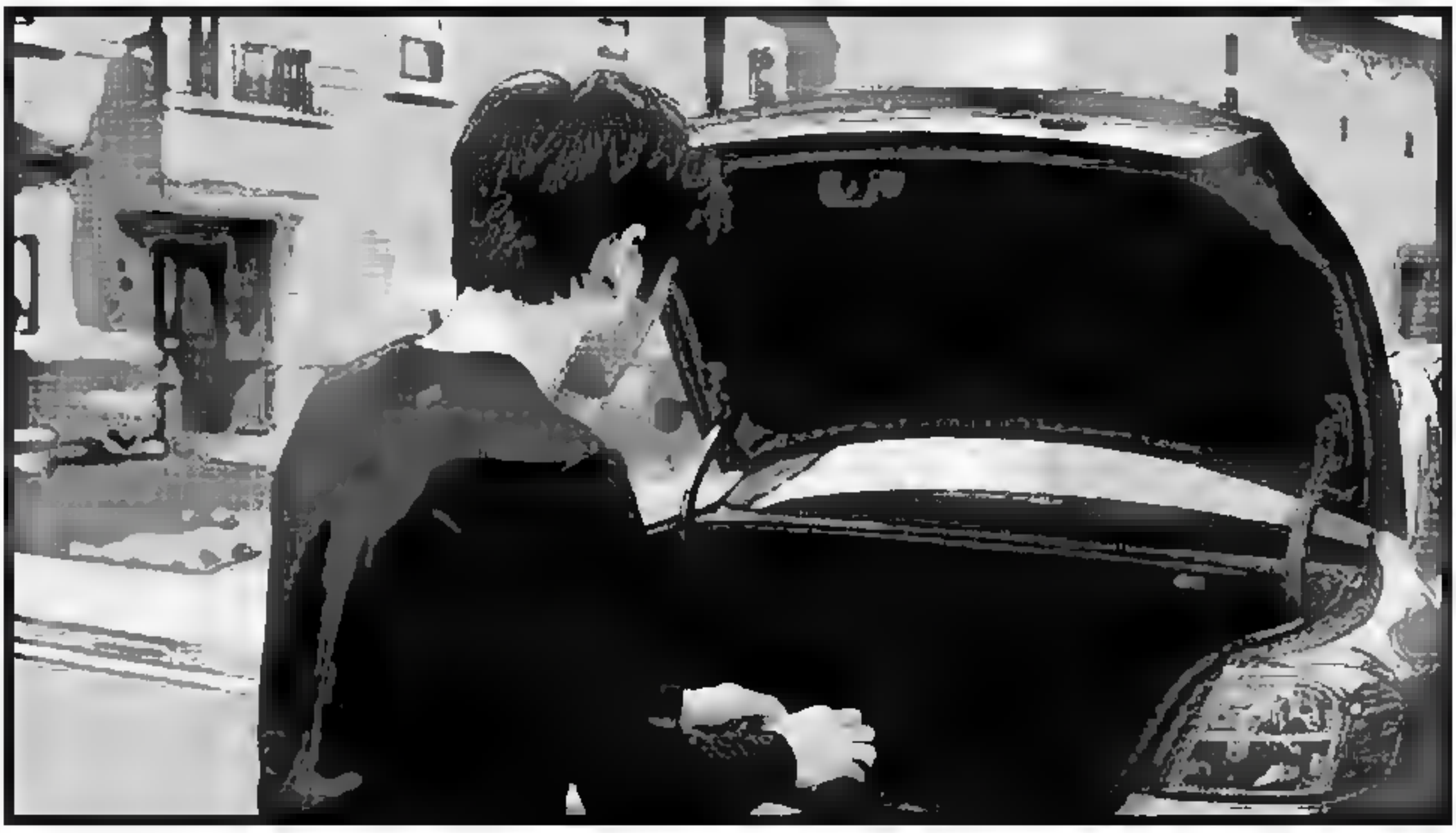

كان محركها لا يزال يعمل، فأطفأه وتفقد السيارة جيدًا قبل أن يتوجه إلى الداخل، مُتفاديًا الرجال الغرباء الذين لاحظ وجودهم. صعد ريوتا عبر سلالم الطوارئ إلى الطابق المطلوب، ووقف أمام باب الشقة، أخذ نفسًا عميقًا، ومد يده إلى خلف ظهره.

***

هاربًا من موقع المواجهة مع مارثا، اندفع إدوارد نحو غرفته بخطوات متوترة، ألقى حقيبته على السرير، وراح يبحث بها بعصبية.

أخرج هاتفه المحمول رغم إدراكه لانعدام الإشارة، ثم شرع في البحث عن سلاحه بين الأمتعة، كان عليه أن يتصرف بأي طريقة، حتى لو اضطر لمواجهة أعوان مارثا.

في تلك اللحظة، اقتحمت ميغان الغرفة، تتبعها جيسيكا بخطوات حذرة، وقفت الأولى أمامه وسألته بنبرة متوترة:

- هل أقنعت أمي بإيقاف الحفل؟

تجمد إدوارد في مكانه، قبل أن يُجيب باقتضاب:

- لا.

سرح الشاب قليلًا في محتوى حقيبته، ثم راح يبحث بجنون قبل أن يرفع رأسه فجأة ليسأل ميغان:

اقتربت ميغان منه، وألقت نظرة سريعة على الحقيبة وهي تجيب:

- لم ألمسه.

توقفت ميغان للحظة، وكأنها تسترجع شيئًا من ذاكرتها، ثم أضافت:

- لم أقترب من حقيبتك إلا عندما أخذت شاحن الهاتف منها... انتظر.

صمتت الفتاة للحظة، ثم قفزت فجأة وهي تقول:

***

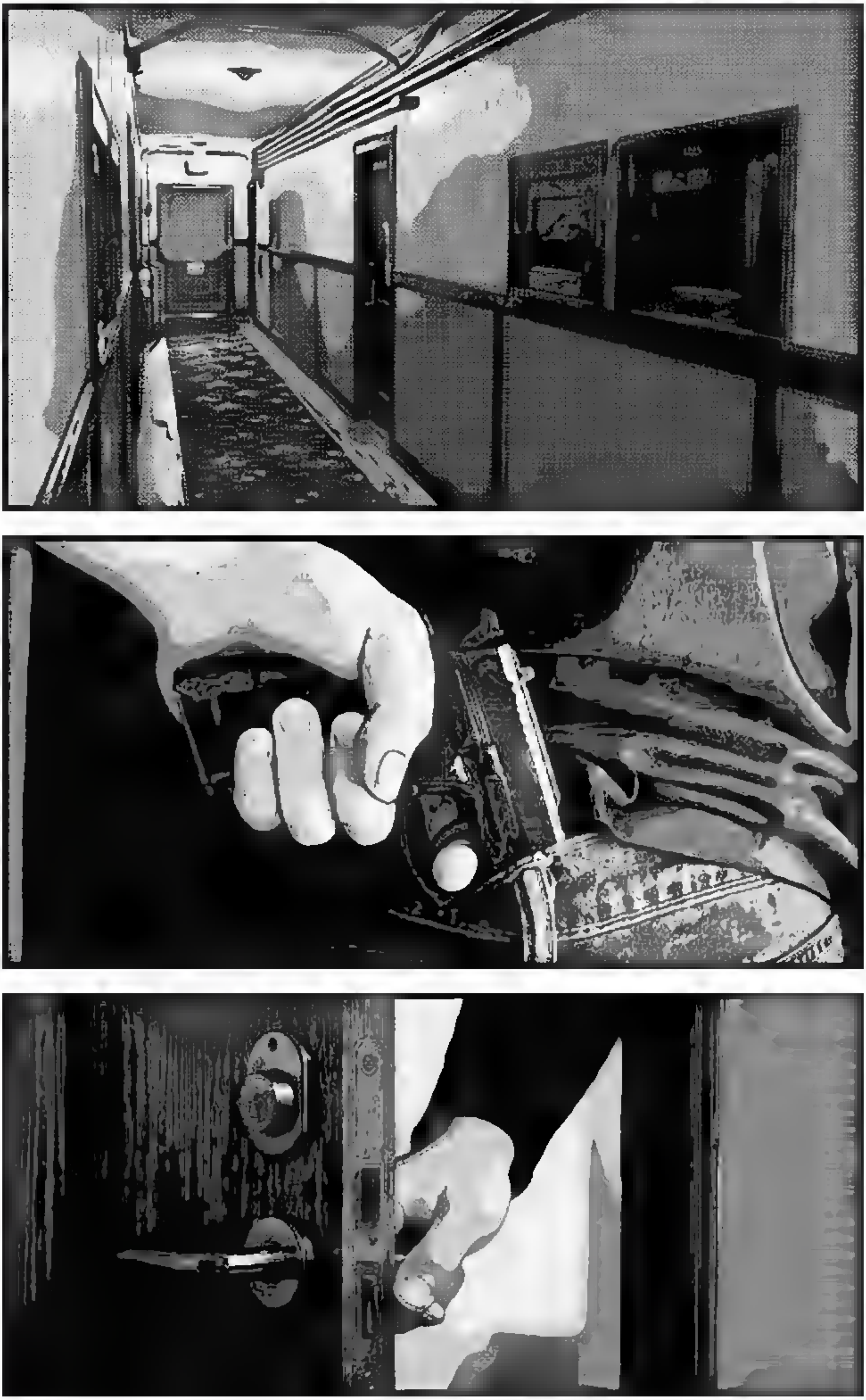

زفر ريوتا بعمق وهو يمدُّ يده إلى ظهره ليمسك بمقبض السلاح

الذي خبأه بعناية، ثم دفع الباب بيده الأخرى، ليجد ماركوس جالسًا على كرسي، وهو يلصق فوهة مسدسه على رأس دانيال، بينما كان كين على بعد خطوات قليلة منهما.

أشار ماركوس برأسه نحو الأريكة المقابلة، فأطاعه ريوتا دون اعتراض، جلس الشاب بهدوء، فخاطبه ماركوس بنبرة واجمة تحمل تهديدًا واضحًا:

- حسنًا، أين كنا؟ آه، نعم.. كُنت أسأل دانيال عن سبب زيارتكم لتلك البلدة الجبلية، لكنه رفض الإجابة.

ثم أدار ماركوس رأسه ببطء نحو ريوتا، وعيناه المحمرتان تخترقان أعماقه، ليقول مضيفًا:

- ثم سألته عن قاتل جيفري.. ورفض الإجابة أيضًا، وأنا الآن على وشك فقدان صبري.

ضغط الرجل على أسنانه بغضب، ثم انفجر بهم مهددًا:

- هل عليّ أن ألوث يدي حتى يبدأ أحدكم بالكلام؟

ساد الصمت بين الثلاثة، مما زاد من حدة غضب ماركوس الذي نهض فجأة ودفع الكرسي بعنف كوحش ثائر، استغل ريوتا اللحظة وأشار لـ دانيال وكين بأنه يحمل سلاحًا معه، ما هي إلا لحظات حتى هدأ ماركوس قليلاً، إلا أنه لا يزال يصوب مسدسه نحو رأس دانيال عندما قال:

- لديكم دقيقة واحدة، إن لم يتحدث أحدكم..

وهنا قاطعه ريوتا، ليقول:

- أنا من فعلها.

تجمد ماركوس للحظة، ثم أدار رأسه ببطء وقد أبعد سلاحه عن رأس دانيال ليقول:

- عفوًا؟ أعد ما قلت.

ودون أن يجزع أو يتردد، أجاب ريوتا:

- أنا من قتل صديقك.

كانت تلك فرصة ريوتا، أخرج سلاحه وأطلق النار مستغلًا صدمة ماركوس، إلا أن الأخير كان أسرع في تفادي الطلقة الوحيدة التي تمكن ريوتا من تنفيذها، انقضّ الرجل عليه وثبّته في موضعه على الأريكة، بعد صراع قصير قاوم خلاله ريوتا بغير جدوى، كانت الغلبة لـ ماركوس الذي فاقه حجمًا وقوة، أمسك بالشاب وثنى ذراعه إلى الخلف فسقط سلاح جيفري أرضًا، تعرّف عليه ماركوس مما أكد له صدق اعتراف ريوتا قبل قليل، فاقترب ماركوس منه وهو يشدّ من قبضته على ذراعه، ثم همس في أذنه:

- هل ظننت أنك ستقتلني كما قتلت جيفري؟

وبغمضة عين، صوب ماركوس سلاحه نحو دانيال وأفرغ أربع طلقات متتالية، مُستهدفًا نفس المواضع التي أصيب بها جيفري، سقط دانيال على الأرض بجانب كين، فاضطرب الأخير وأصيب بنوبة هلع وهو يرى جسد دانيال ممددًا إلى جانبه:

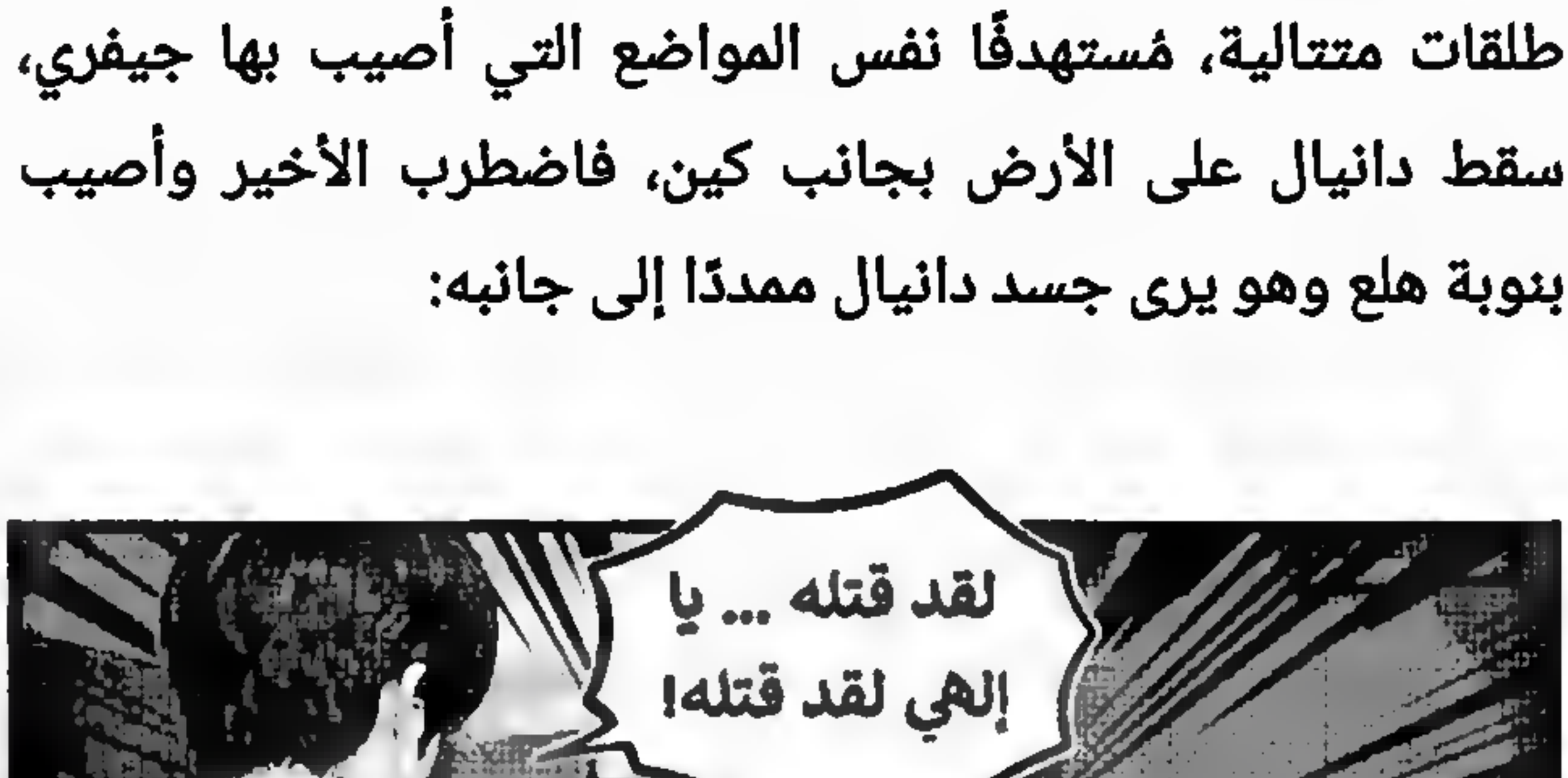

ابتسم ماركوس برضا وهو يرى الرعب يسيطر على كين، فشدّ

ريوتا نحوه وقال ببرود:

غلّف صوت الصفير الحاد أذنى ريوتا، حاجبًا عنه كلمات ماركوس، بينما كانت عيناه المشوشتان تلاحقان المشهد بلا صوت، وقع الطلقة التي شقت الهواء قريبًا منه أربك حواسه، فيما بدأت ملامح جسد دانيال الملقى على الأرض خلف ماركوس تتكشف تدريجيًا لـ ريوتا مع انقشاع الغشاوة عن نظره.

في هذه الوقت كان أحد رجال مارثا في طريقه إلى موقع الحادثة، اندفع مستجيبًا لصدى تبادل إطلاق النار الحاصل، فتح الباب بقوة، وسلاحه موجه بحذر، كان مستعدًا لأي تهديد، لكنه خفضه فور أن وقعت عيناه على ماركوس، الذي بدا مسيطرًا تمامًا على الموقف، فقال الأخير ببرودٍ آمرًا:

- أحضر السيارة.

تردد التابع للحظة قبل أن يسأل ماركوس:

- وماذا عن الجثة؟

نهض ماركوس، ممسكًا بـ ريوتا بإحكام، وأجاب بنبرة خالية من

الرحمة:

- اتركها هنا، سيكون هذا السيناريو مثاليًا.

ثم ألقى بسلاح جيفري على الأرض، موجّهًا حديثه إلى ريوتا:

- بصماتك لا تزال على هذا السلاح، الجيران سمعوا الطلقات، والشرطة على الأرجح في طريقها إلى هنا الآن.. ههه، سيقولون إنك قتلت صديقك ثم هربت.

أشار ماركوس إلى معاون مارثا ليجهّز السيارة كما طلب منه، ثم التفت إلى كين وأمره بصرامة:

- تحرّك أمامي.

وهكذا، خرج الثلاثة بخطوات حذرة، متجهين نحو بيت الدرج في الجزء الخلفي من المبنى.

***

جلس إدوارد على طرف سريره، قبضته مشدودة حول السلاح

الذي يحمله، وكأنما يحاول إقناع عقله وسط الفوضى التي تعصف به، أغمض عينيه بقوة، محاولًا طرد الأفكار المشؤومة التي بدأت تنهش رأسه، وهمس لنفسه بصوت متردد:

- ربما كان هذا للأفضل.. على الأقل، هو يملك سلاحًا ليحمي المجموعة.

لم تفهم أخته ما كان يهذي به، فسألت:

- ما الذي تتحدث عنه؟

لم يستطع إدوارد مواجهة نظراتها، أو اخبارها بأمر ماركوس، فنهض بسرعة، متجنبًا وابل الأسئلة الذي توقع قدومه، أقنعها بأنه سيشرح كل شيء لاحقًا، ثم انطلق بحثًا عن راين، الشخص الوحيد الذي يمكنه الوقوف إلى جانبه الآن، بعد استفساره من الخدم، تمكن من إيجاد غرفته، طرق إدوارد الباب بعجلة قبل أن يدفعه ليفتحه بنفسه. هناك، كان راين يجلس مقابلًا للباب، وكأنه كان ينتظر قدوم إدوارد. دون مقدمات، القى راين بسؤاله:

- ما الذي أردت قوله؟

رد إدوارد سريعًا:

- ألم يصلك تحذيري بشأن إدموند؟

- أخبرتني يوميكو بما قلته.

هدوء راين استفز إدوارد الذي انفجر به غاضبًا:

- إذًا، ما الذي تفعله كيتلين هنا؟ لماذا لم تخرجها؟ ولِمَ كنت تقف

متفرجًا قبل قليل؟

تجاوز راين صمته، وانتصب ببطء، ليقف في مواجهة مباشرة مع إدوارد، ثم قال ببرود:

- هي لم ترغب بالمغادرة.. ما الذي تريدني أن أفعله يا إدوارد؟ هل أجرها من شعرها إلى الخارج؟

تصاعدت حدة النقاش بينهما بسرعة، وتحول إلى شجارٍ محتدم، فقال إدوارد يائسًا:

- نعم، كان عليك جرها إلى الخارج.

- ولِمَ لا تفعلها أنت؟

تراجع إدوارد بخيبة أمل، وقال بإحباط:

- أيها الأحمق، ألم تدرك الأمر بعد؟ أراهنك أنها ترفض المغادرة بسببك... خذ بيدها يا راين واخرجا من هنا قبل فوات الأوان.

أشاح راين بنظره بعيدًا، وأجاب بصوت منخفض:

- لا يمكنني ذلك.

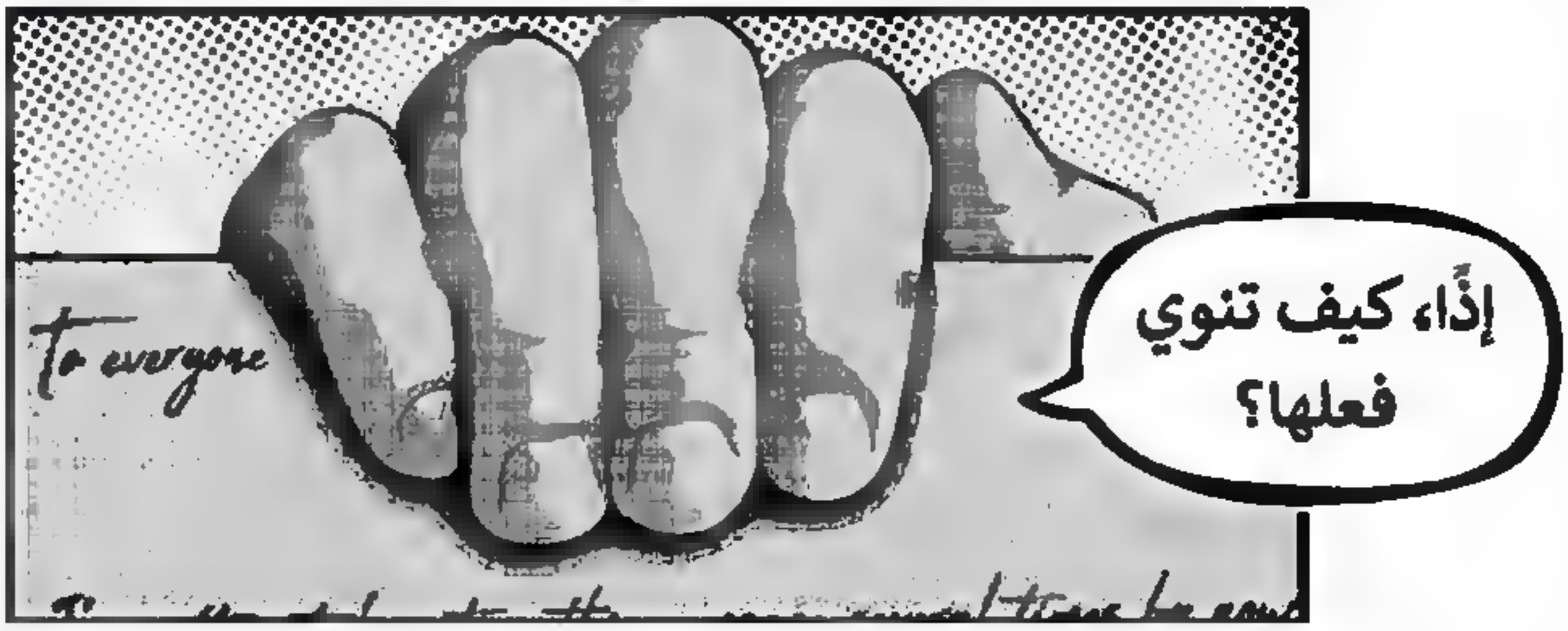

طرح إدوارد سؤاله وهو يُخرج رسالة صاحبه من جيبه.

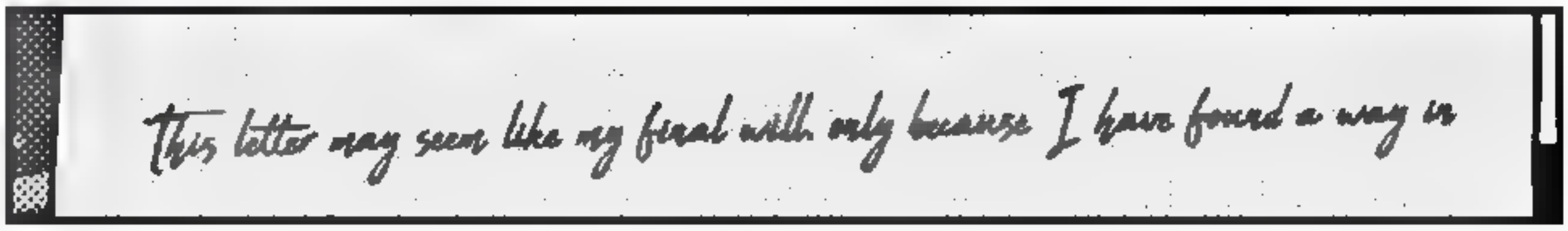

(قد يبدو خطابي هذا كوصية أخيرة، فقط لأنني وجدت طريقًا للدخول...).

مدّ إدوارد الرسالة المطوية نحو راين وهو يقول:

- يُمكنك أن تتوقف الآن، لقد وجدنا أدلة من شأنها إرسال العديد من أعوان جدي خلف القضبان.

إلا أن راين ظل ثابتًا على موقفه، وسأل بهدوء مرعب:

- هل من بين تلك الأدلة ما يُدين جدك بينجامين؟

ارتبك إدوارد، وأجاب بغير ثقة:

- الأدلة كثيرة ومباشرة، ومع التحقيق قد تتمكن من ربط الخيوط ببعضها.

كرر راين سؤاله، بنبرة أكثر حدة:

- سؤالي كان واضحًا يا إدوارد، هل من بين الأدلة ما يُدين جدك؟

أجابه إدوارد بإحباط:

- لا، لا يوجد.

- أرأيت، إنها حلقة مفرغة.

ما كان منه إلا أن يضحك ساخرًا من قدره، بالمقابل عقد إدوارد حاجبيه وقد تمكن إحباطه من جر غضبه إلى السطح مجددًا:

- والدتي من قبل، وأنت الآن.. لماذا تتصرفان بعنادٍ هكذا؟ هل تعلم حتى ما الذي مررنا به لأجل تلك الأدلة؟.. ريوتا الآن..

إلا أن إدوارد توقف عند هذا الحد، استدار باحباط ليغادر الغرفة، لكنه توقف فجأة عندما وجد كيتلين تقف في الرواق، خلفها ميغان وجيسيكا، نظرت كيتلين إليه وإلى راين من خلفه، لتعتذر:

- لم أقصد أن أسترق السمع.. ولكن...

قبل أن تكمل، قام إدوارد بضمها فجأة، لف جسدها النحيل بذراعيه، وهمس بصوت متهدج:

- الحمد لله أنه لم يصبكِ أي مكروه.

"ارتجفت شفتاي، وفقدت مقدرتي على الكلام، كان هناك الكثير مما أردت قوله له، أردته أن يعلم كم أقدر كل ما فعله، وأنه ليس بحاجة للقلق عليّ.. لكن الإرهاق كان واضحًا عليه، وربما لهذا السبب فقط، اخترت أن أبادله أعانقه بصمت".

"خلفه هناك رأيت راين، ظهر بنفس الوجه والهيئة من ذلك اليوم الذي قصدت شقته، يوم واجهته بقضية العم هيروشي، لقد تصدى لـ إدوارد الآن كما تصدى لي بذلك اليوم، وهنا فقط أيقنت أمرًا بغاية الأهمية، راين يمتلك سببًا آخر، سرٌ لم يتمكن حتى من إفراغه في تلك الرسالة، كان أمرًا اختار الاحتفاظ به لنفسه".

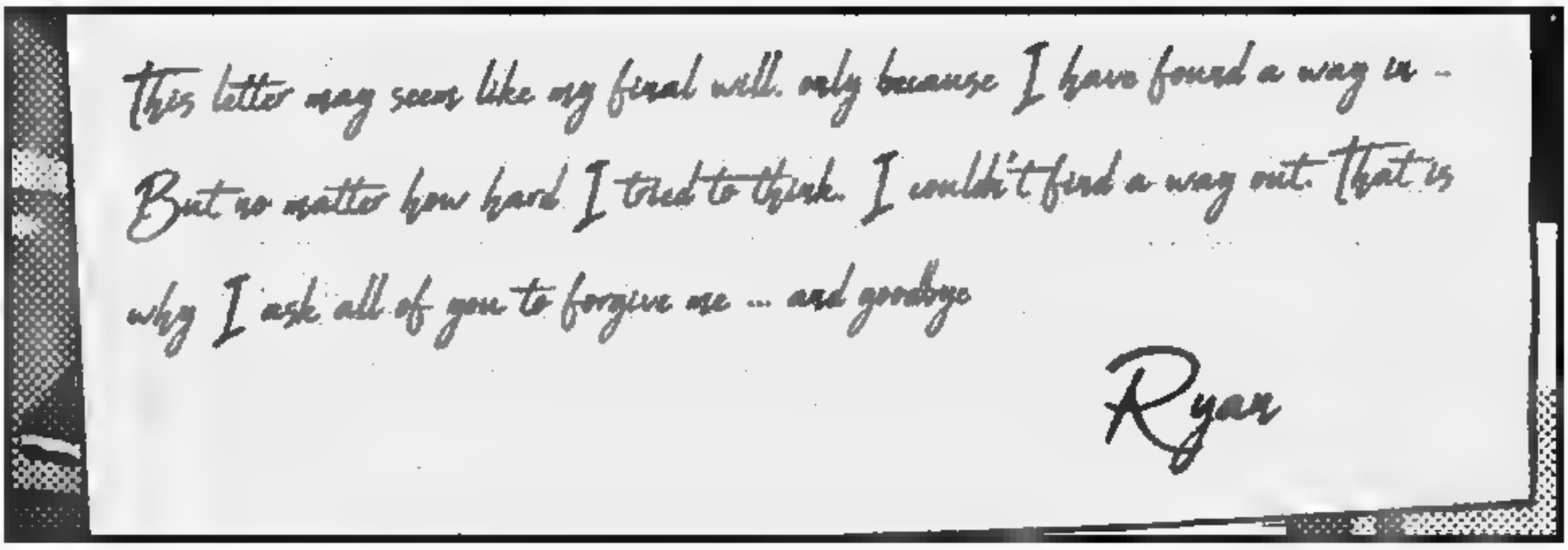
this letter may seem like my final will. only because I have found a way in -
But no matter how hard I tried to think. I couldn't find a way out. That is
why I ask all of you to forgive me ... and goodbye
Ryan

(قد يبدو خطابي هذا كوصية أخيرة، فقط لأنني وجدت طريقًا للدخول... لكن مهما حاولت التفكير، لم أتمكن من العثور على طريقٍ للخروج. ولهذا أطلب منكم جميعًا أن تغفروا لي... وإلى اللقاء – راين).

***

في تلك الأثناء، كانت كيمبرلي تتفحص الأوراق المتناثرة، فوقعت يدها على ملف قديم، شبه مخبأ في قاع أحد الصناديق، كأنه كان ينتظر بفارغ الصبر أن يُكتشف، لم يكن أحد قد انتبه إليه من قبل، شعرت الفتاة برعشة غير متوقعة تسري في جسدها وهي تقلب صفحاته، قرأت محتواه بتركيز، وعيناها تتوسعان مع كل كلمة، حتى همست لنفسها، غير مصدقة:

أيعقل أن يكون هذا
صحيحًا!! .. يجب أن
يرى إدوارد هذا.

NOTES

DATE: S M T W T F S

NOTES

DATE: S M T W T F S

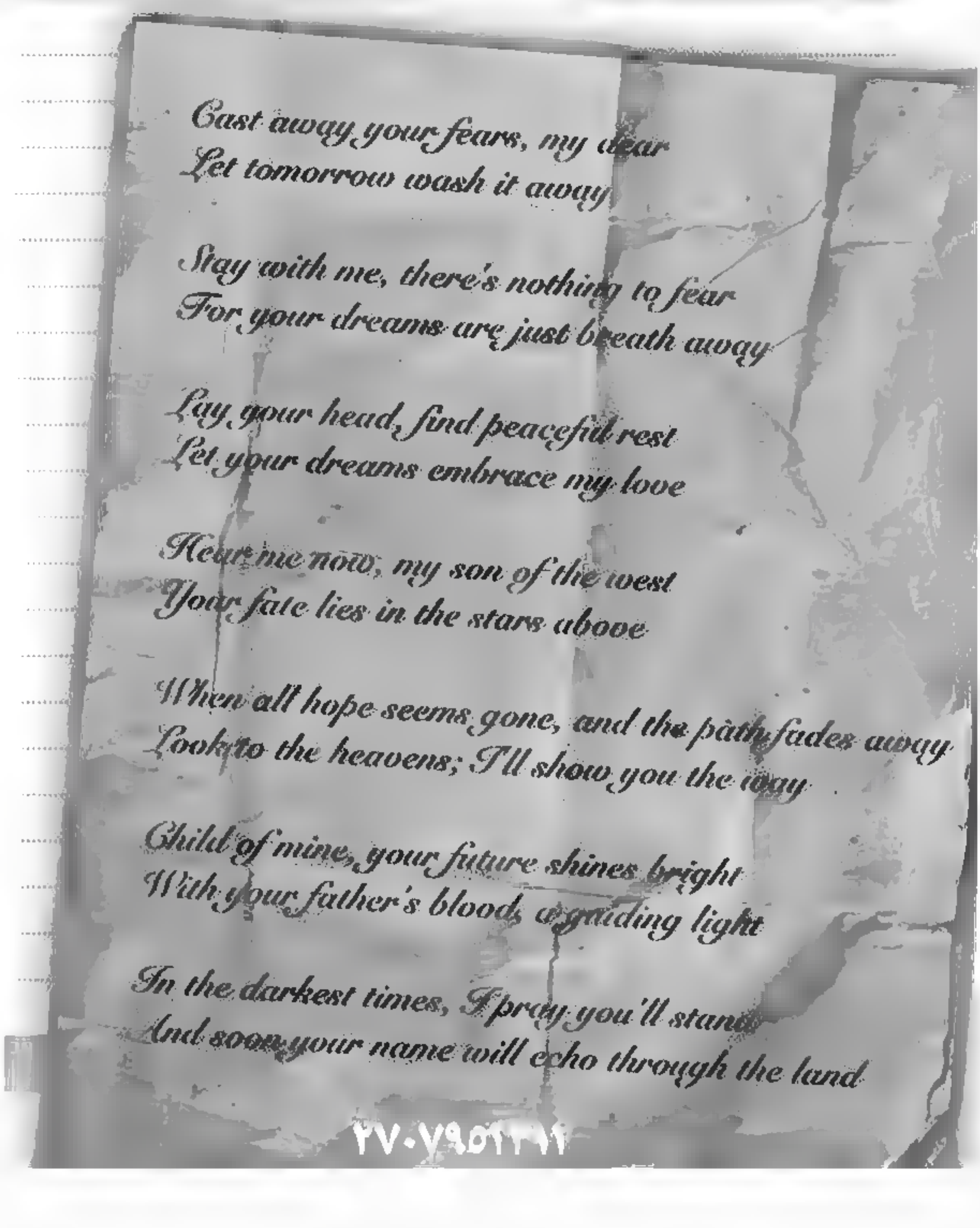

(8)

اغفروا لي وإلى اللقاء

forgive me & goodbye

وسط ذهولها، ارتطمت بها ممرضة لتعتذر على عجالة وتطلب منها:

"كانت عقارب الساعة قد تجاوزت الخامسة فجرًا، إلا أن المشهد من حولي لم يوحِ بذلك مطلقًا، أصوات الخطوات المتسارعة تملأ المكان، وأشخاص يركضون بجزع، آثار الدماء تتبعهم كظلال قاتمة على أرضية المستشفى البيضاء، امتزجت رائحة الدماء الصدئة برائحة المعقم القوية، فخلق هذا الخليط جوًا ثقيلًا يكتم الأنفاس، في الجانب الآخر، كان الطاقم الطبي يعمل بلا توقف، بوجوه متجهمة وعزيمة لا تلين، يحاولون إنقاذ ما يمكن إنقاذه وسط هذا الفوضى العارمة".

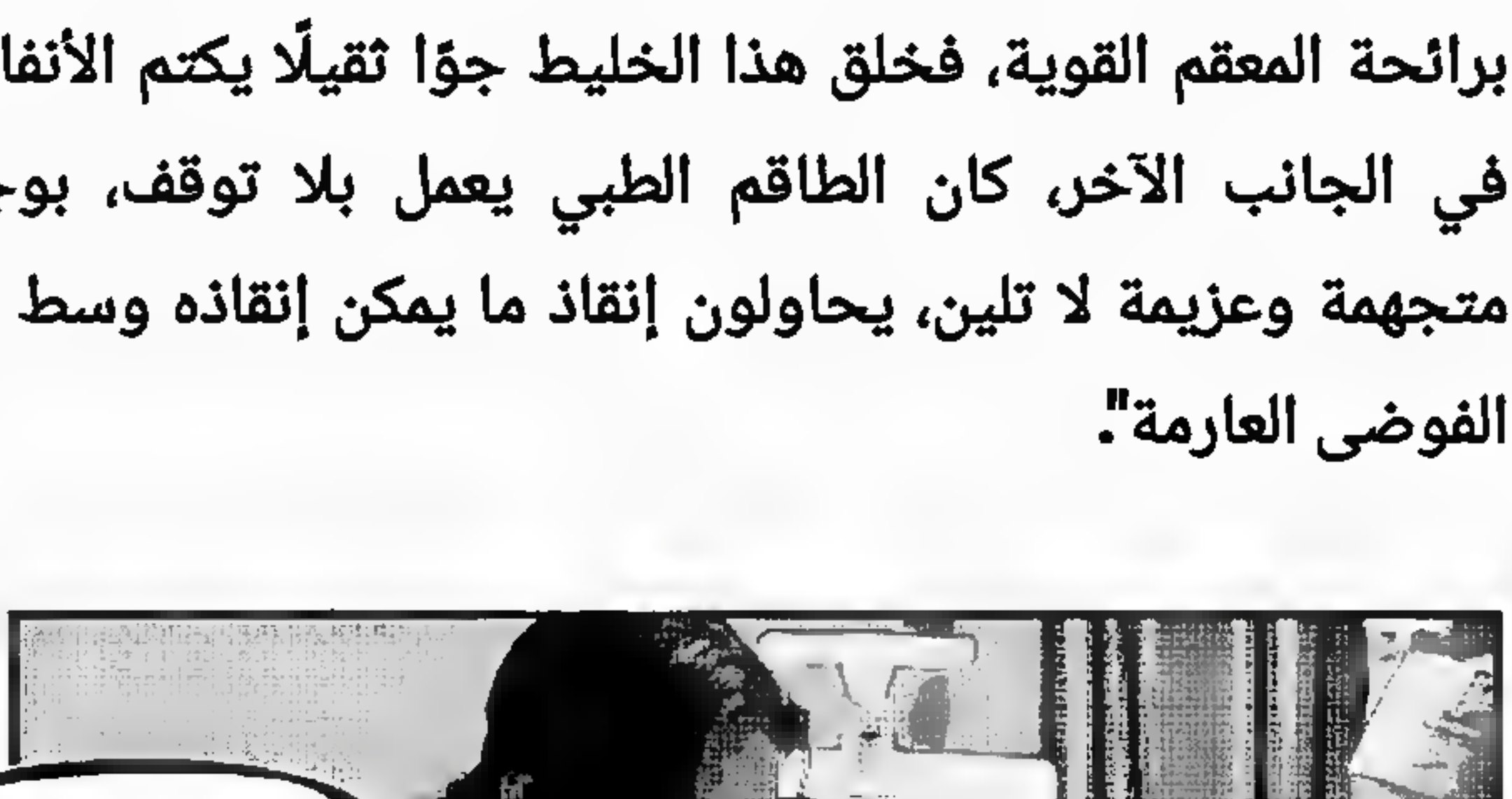

أشارت الممرضة إلى السرير البعيد لتسأل:

فأجابها طبيب آخر كان يجري:

- أبعدوه من هنا، فهو ميت بالفعل.. لقد أصيب بطلقة في الرأس.

بينما على الجهة الأخرى.

"أردت الصراخ والعويل، لكن هذا لن يُعيد الزمن إلى الوراء".

"إيمّا ويوميكو كانتا تقفان هناك هائمتين على وجهيهما، بصدمة لا توصف، لم يكن بمقدوري التخفيف عنهما، فأنا أيضًا كُنت بحاجة للمواساة بدوري".

"انتظرت بصمتٍ في موقعي، أراقب من بعيد شريط حياته وقد وصل إلى لحظاته الأخيرة، والذي خُتم بإعلان الطبيب المسؤول ليضع نهايةً لقصته".

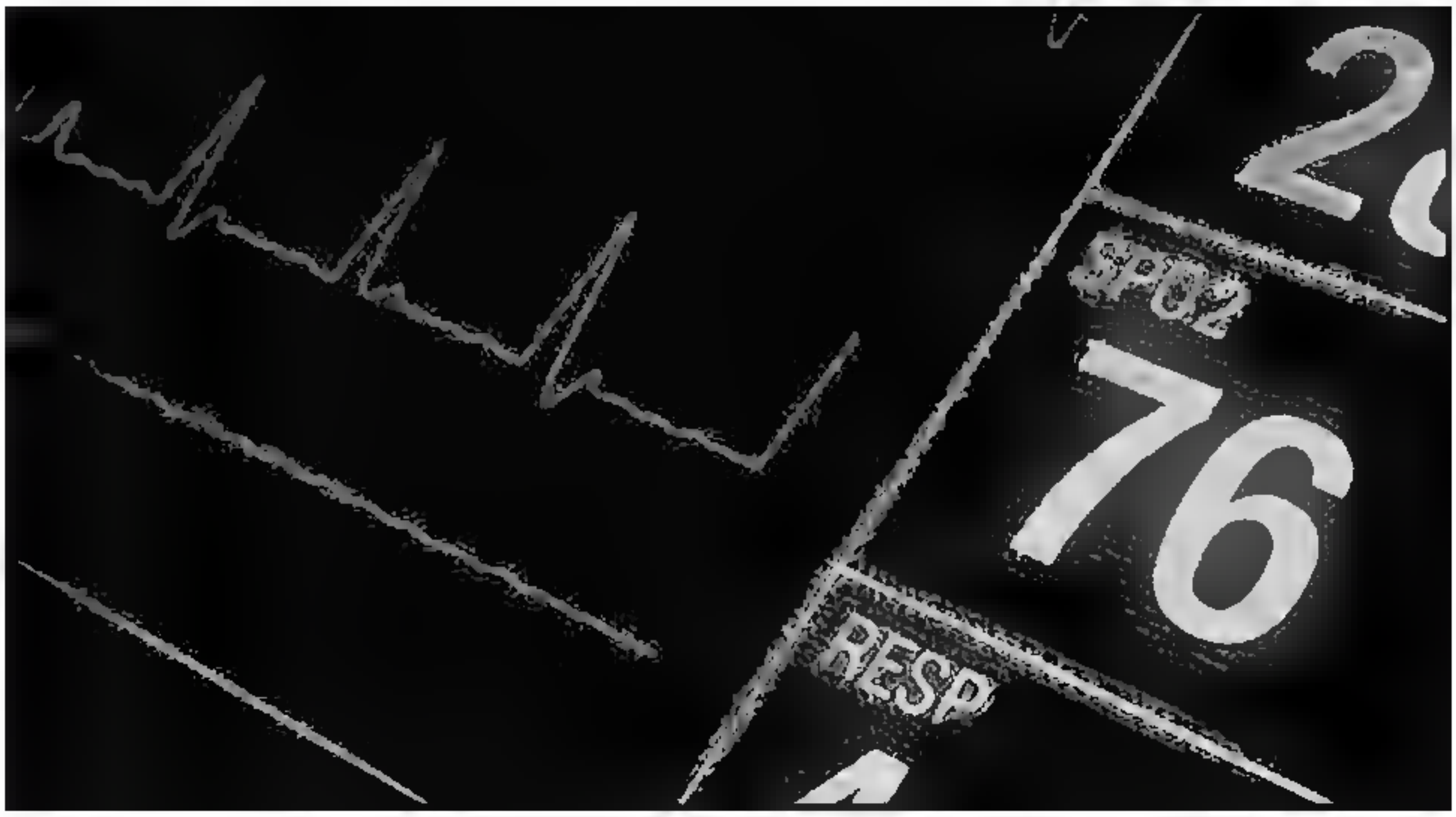

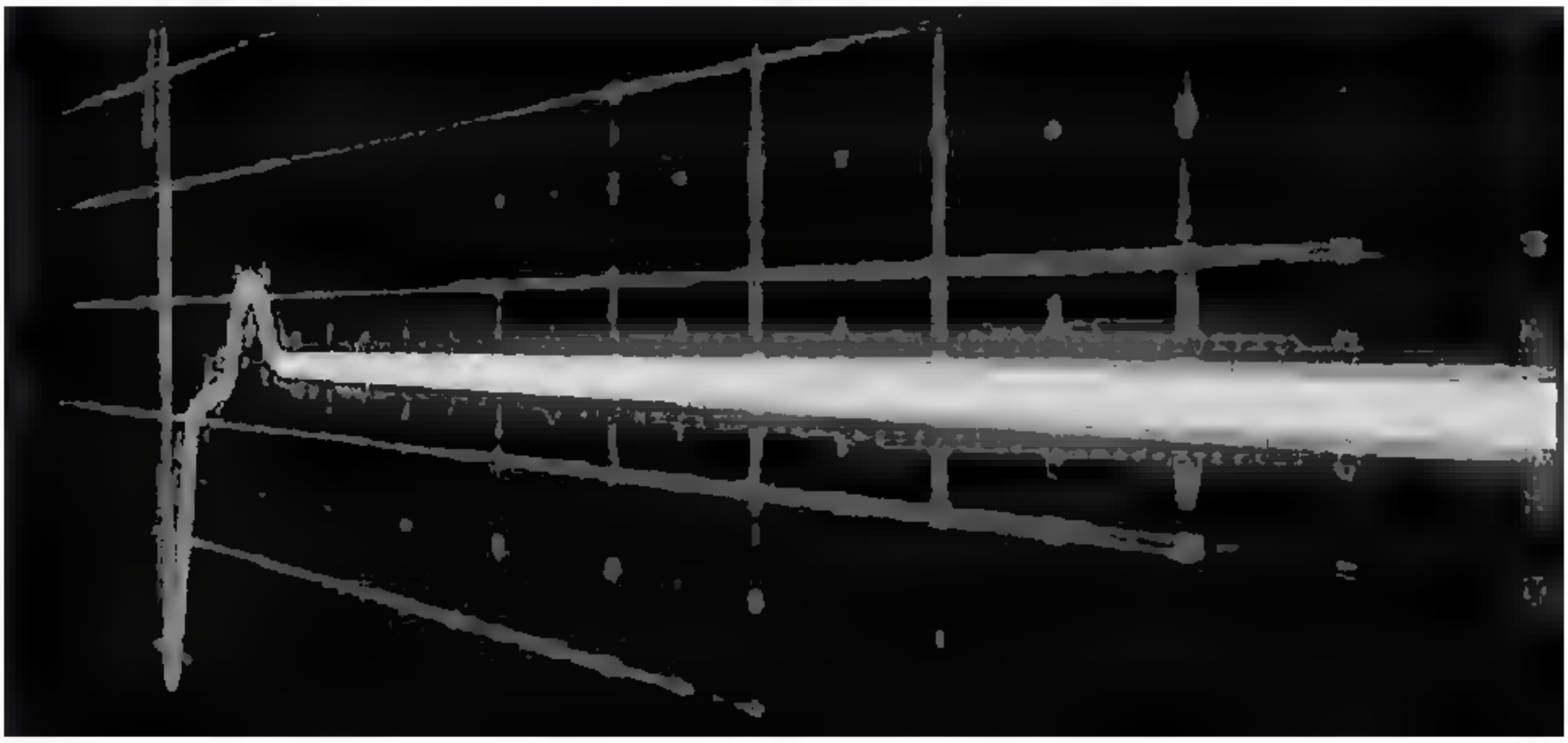

مسح الطبيب العرق بظهر كف يده ليقول بعد عمل شاق:

"وقت الوفاة الساعة 5:33 فجرًا، هكذا انتهى الاحتفال.. ولكن الأهم هو ما حصل قبل الوصول إلى تلك اللحظة".

"وهذا ما حدث قبل 18 ساعة".

عانق إدوارد كيتلين بحرارة، ممتنًا لسلامتها:

- الحمد لله أنكِ بخير، ولم يصبكِ أي مكروه.

تابع الشاب ليقول، وقد ازداد الثقل في صوته:

- كنتُ أرغب في إخبارك بأمورٍ كثيرة من قبل...

وفجأة، وقبل أن يتسن له قول المزيد فقد الشاب وعيه، انهار بين يديها، فصرخت كيتلين بفزع وهي تهزه:

- إدوارد!

ركض راين بسرعة، ممسكًا به قبل أن يسقط أرضًا، في حين تقدمت ميغان بسرعة، وجلست على ركبتيها لتتفقد جرحه، ثم وجهت أوامرها إلى جيسيكا:

- جيسي، أبلغي ألفريد.

- في الحال!

انطلقت جيسيكا مسرعة، بينما حمل راين إدوارد إلى غرفته وتركه هناك قبل أن يغادر على عجل، أما كيتلين، فلم تستطع تمالك قلقها، وقفت الفتاة لتسأل ميغان:

- ما الذي حدث له؟

لكن ميغان رمقتها بنظرة قاسية، قبل أن ترد بجفاء:

- وهل تملكين الحق حتى في السؤال عنه؟

- ما الذي تعنينه بهذا؟

كانت ميغان على وشك تفجير غضبها في وجه كيتلين، لكن الأخت الكبرى، هيلين، التي وصلت لتوها، تدخلت بسرعة وأوقفتها:

- لا وقت لافتعالِ شجارٍ مع كيتلين يا ميغان.

استدارت ميغان لمواجهة أختها، بملامح غاضبة قالت:

- ومتى سيكون الوقت المناسب برأيك؟

لم تدم فورة غضبها طويلًا، إذ سرعان ما تلاشت عندما اخترقت أصوات اضطراب الخدم أجواء الغرفة، خرجت الفتيات إلى الرواق، حيث استقبلتهن مشاهد الفوضى التي عمّت بين الخدم والعاملين، ووسط تلك البلبلة، لمحت كيتلين ماثيو ويوميكو وإيمّا يهرعون نحوها بخطوات متسارعة، توقفت إيمّا أمامها، تلهث من شدة الركض، وقالت بصوت متقطع:

- لن تصدقي يا كيتي ما الذي حدث!

اندفعت يوميكو بدورها إلى جانب إيفا، لتوضح الأمر:

- هناك إشاعات بدأت تنتشر بين الضيوف.

- عن أي نوع من الإشاعات نتحدث؟

سألت كيتلين رفاقها وهي ترى الفوضى من خلفهم، فتقدم ماثيو خطوة إلى الأمام، وأجاب بصوت منخفض وكأنه يخشى أن يسمعه أحد:

- سمعنا بأن هناك من يعمل على نشر فضائح العديد من لشخصيات المهمة على مواقع التواصل الاجتماعي، والكثير منهم من بين ضيوف هذا الحفل.

لم يمر حديث ماثيو دون أن يلفت انتباه هيلين وميغان، اللتين اقتربتا من المجموعة، بادرت هيلين بالسؤال، وعيناها تلمعان بالفضول:

- أي نوع من الفضائح؟

تقدمت إيفا خطوة إلى الأمام، وربعت ذراعيها بثقة، لتجيب بنبرة حازمة:

- النوع الذي يزج بصاحبه خلف القضبان.

خلف هيلين، اتسعت ابتسامة ميغان التي لم تستطع إخفاء فرحتها، وهتفت فرحة:

- لقد تمكنوا من فعلها!

***

لم يهدأ الهاتف في الفيلا، رنينه المتكرر أصبح مزعجًا كإنذار لا ينقطع، مما زاد من حدة التوتر الذي خيم على الأجواء، وسط هذه الفوضى، كان تايلور يحاول يائسًا السيطرة على الوضع، يداه تقلبان المتصفحات على جهازه بعصبية، وعيناه تجولان بين العناوين بذهول، كان كل سطرٍ يمر أمامه يثقل كاهله أكثر من الذي سبقه، بينما عقله يعجز عن استيعاب حجم الكارثة التي بدأت تنكشف أمامه.

***

ضجّ مركز التسوق والمقاهي وحتى الشوارع بفيض من الأخبار المتداولة، أصوات الهواتف، الهمسات المتبادلة، والعيون المترقبة كانت كلها شاهدة على الحدث، ما بين مقاطع فيديو توثق اجتماعاتٍ سرية وأوراقٍ بنكية تكشف تحويلات مالية ضخمة، تسارعت الأيدي في إعادة إرسالها ونشرها، فلم يعد الأمر مجرد فضول، بل تحوّل إلى عاصفة إعلامية اجتاحت الجميع بسرعة خاطفة.

***

في البيت الرئاسي، كانت الأخبار قد وصلت إلى رئيس الموظفين الذي جلس خلف مكتبه المزدحم، يرمي بأوراق التقارير من حوله غضبًا، بينما علا صوته صارخًا في وجوه موظفيه، وخاصة بعد أن شملت الفضائح الكثير من الأسماء القيادية والمقربة من الرئيس:

- اذهبوا فورًا وتحققوا من مصدر هذه الأخبار!

ردّ أحد الموظفين دون تردد:

- في الحال.

***

على الجانب الآخر، وفي قلب أحد الجرائد الإلكترونية، كان الوضع لا يقل اضطرابًا، استمرت الهواتف بالرنين على كل المكاتب، ورئيس التحرير يخوض حديثًا حادًا مع أحدهم عبر سماعة هاتف مكتبه:

خفض رئيس التحرير السماعة قليلًا، موجّهًا حديثه إلى الصحفي الذي أمامه، وعيناه مشدودتان بتوتر:

- هل تمكنت من معرفة مصدر الأخبار؟

عدّل الصحفي من جلسته على الكرسي، ثم أجاب بنبرة مترددة:

- لا يمكنني ذلك.. لقد سمعت بأنه اختراق حدث من قبل عصابة

إلكترونية.. مهما كان الفاعل، فقد ضمن ألا نتبع موقعه.

عاد رئيس التحرير ليتحدث إلى مالك الجريدة عبر الهاتف، أوماً برأسه أكثر من مرة، ثم أنهى الاتصال بتنهيدة ثقيلة، وضع سماعة الهاتف جانبًا ورفع عينيه نحو الصحفي الذي كان ينتظر أوامره، فقال بقرار حاسم:

- ما باليد حيلة، قوموا بنشر الأخبار على الفورا!

اعترض الصحفي، محاولًا إقناعه:

- لكن يا سيدى، أليس من الخطأ إعادة النشر دون التأكد من صحة الإشاعات؟

ضرب رئيس التحرير بكفه على سطح الطاولة، عاقدًا حاجبيه في انزعاج:

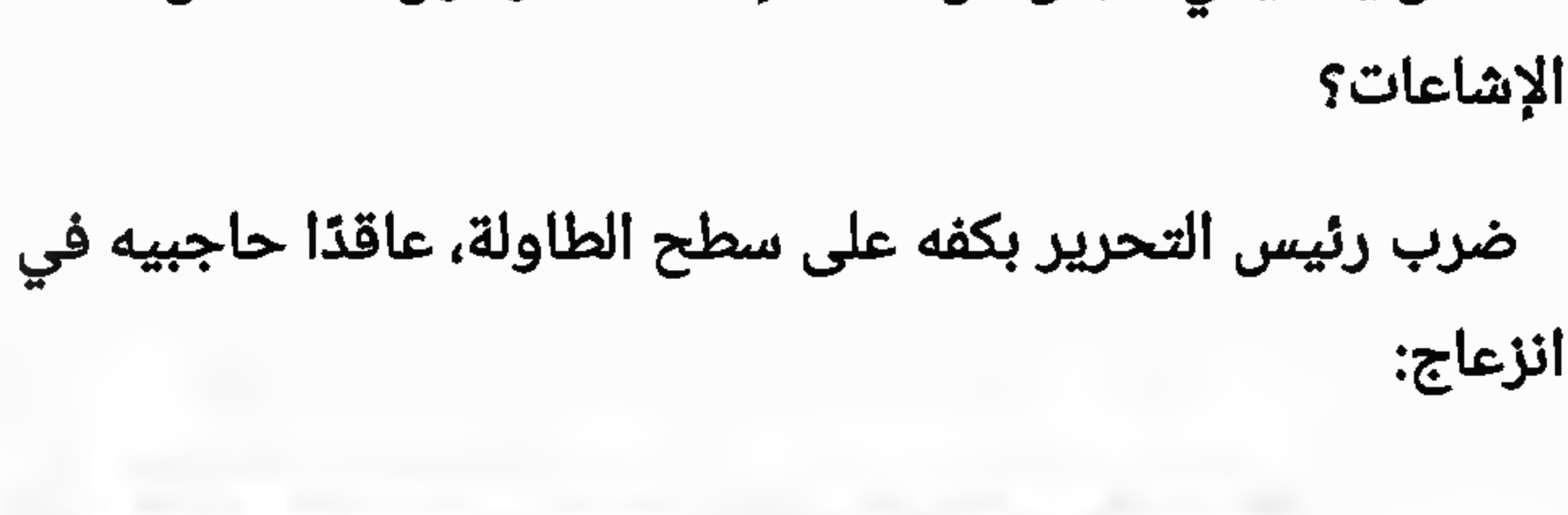

***

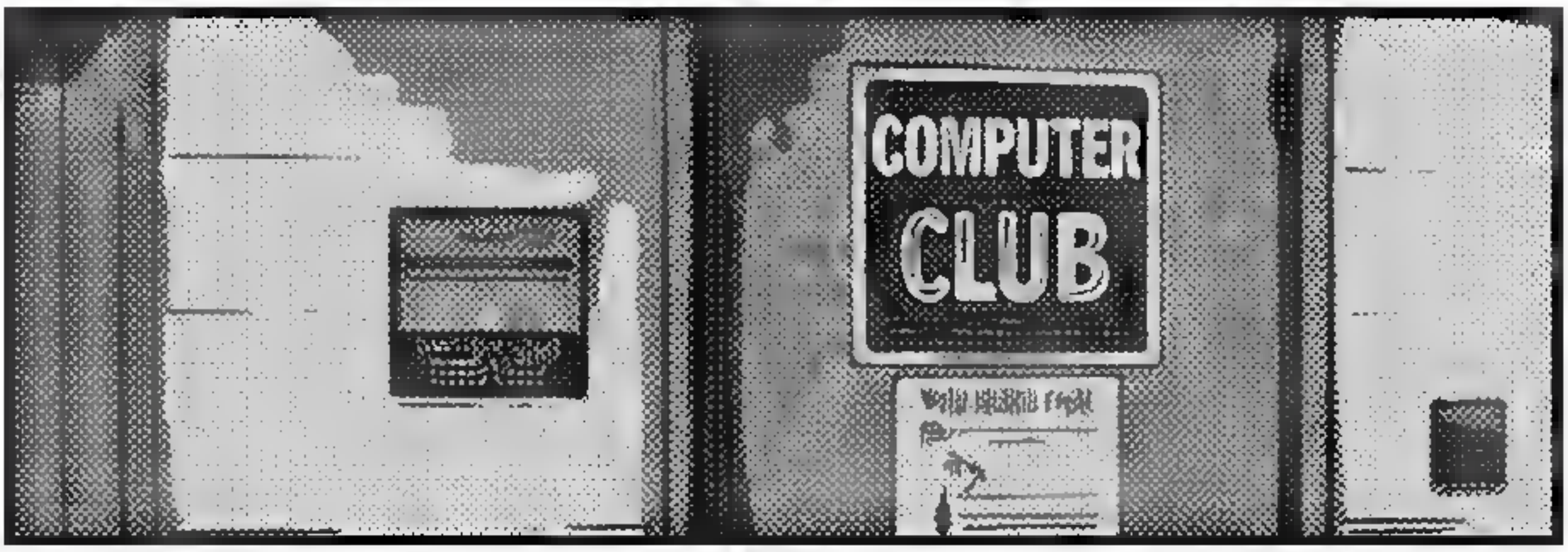

في نادي الحاسوب، واصل الجهاز الذي استخدمه ريوتا عمله بصمت، يرسل الملفات المحدودة التي اختارها الشاب قبل انطلاقه لمساعدة دانيال وكين.

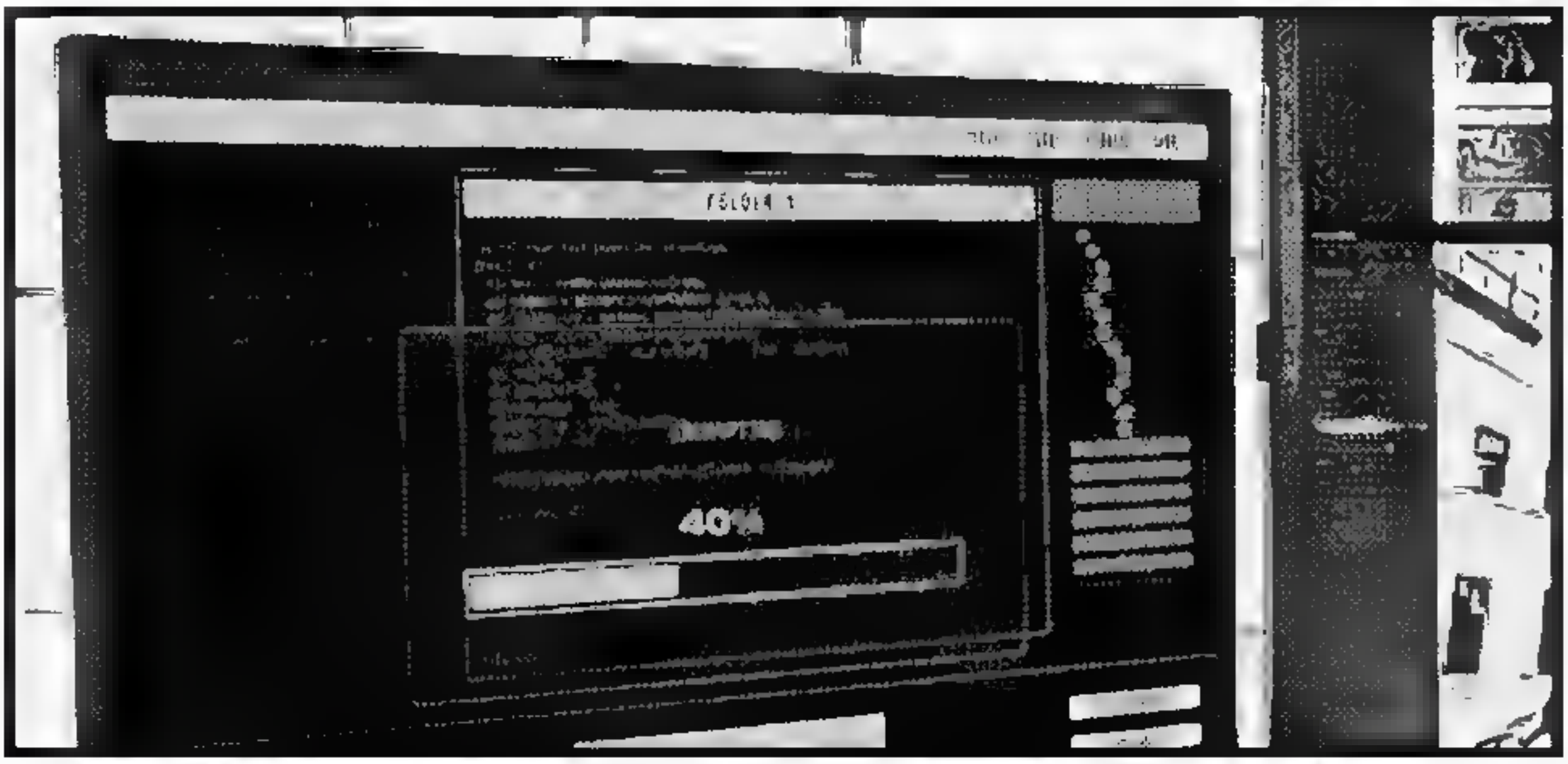

على الكرسي المقابل، جلست كيمبرلي تراقب الشاشة، تُحدّق في شريط البيانات وهو يتحرك بتتابع رتيب، دون أن تملك أدنى فكرة عمّا حدث للشبان الثلاثة، أو مقدار الفوضى خارجًا، راحت عيناها تتنقلان بين الشاشة والصناديق من حولها، فركت الفتاة فروة رأسها بتوتر وهي تحاول استيعاب ما يجري، عاجزة عن معرفة الخطوة التالية، كيف عليها التعامل مع الجهاز بمجرد انتهائه؟ ولم يكن هناك من يساعدها على ذلك. وفي خضم حيرتها، سمعت صوت خطوات

تقترب من النادي، لم تكن واثقة إن كانت صدىً عابرًا أم أن أحدهم قد وصل بالفعل، اجتاحها التوتر دفعة واحدة، لتقف سريعًا وتنظر إلى صناديق الأدلة المبعثرة من حولها، أخذ قلبها ينبض بعنف وهي تتمتم لنفسها بقلق:

***

من جانب آخر، كان ماركوس يقتاد ريوتا وكين إلى الطريق خارجًا، متجنبًا المصاعد، سلك الطريق إلى بيت الدرج بخطوات حذرة، فأصوات إطلاق النار التي اخترقت هدوء المكان دفعت بعض الجيران للاتصال بالشرطة، بينما آثر الكثيرون البقاء خلف أبوابهم المغلقة خوفًا مما قد يلحق بهم من أذى، وسط هذا الصمت المشوب بالتوتر، كان هناك باب واحد فقط فُتِحَ على مهلٍ شديد، أطلّ الأخ الأصغر برأسه من خلف درفة الباب ليقول مخاطبًا أخاه:

دفع الصغير أخاه الأكبر جانبًا، متفحصًا المكان بعينين حذرتين قال وهو يُشير إلى بيت الدرج:

- الصوت آتٍ من تلك الناحية.

داخل بيت الدرج، بدأ الثلاثة بالنزول، ريوتا وكين في المقدمة، وخلفهما ماركوس الذي كان يصوب سلاحه باتجاههما بحذر، خطواتهم كانت تتردد في الفراغ حتى قطعه صوت رنين هاتف ماركوس الذي تجاهل المكالمة، مستمرًا في دفع الشابين للنزول، إلا أن ريوتا توقف فجأة، ليقول:

- ربما من الأفضل أن تُجيب على هاتفك.

اختلس ماركوس نظرة إلى شاشة هاتفه، وهو يقول:

- لا فائدة من إضاعة الوقت، واصل النزول.

إلا أن ريوتا لم يمتثل لأمره، استدار ناحيته في اللحظة ذاتها التي توقف فيها رنين الهاتف، ليحلّ محله صوت وصول رسالة نصية، فظهر جزء من الرسالة على الشاشة:

(تفقد الأخبار...).

ففتح ريوتا فمه ليقول بشكل مفاجئ:

- ماركوس رودريغو سانشيز..

حاز ريوتا على انتباهه بعد أن نطق باسمه الكامل، تجمد ماركوس في مكانه، وظهرت علامات الدهشة على وجهه المتجهم، فتابع ريوتا بحقة:

بجانب ريوتا راح كين يترجاه خائفًا:

- توقف يا ريوتا، ستغضبه من جديد.

إلا أن ريوتا ما كان ينوي التوقف الآن، فأكمل بثقة أكبر:

- هربت بعدها إلى هنا كمهاجر غير شرعي، أول عملٍ لك كان الاتجار بالمخدرات، ثم ارتكبت جريمتك الثانية بحق أحد أعوانك... هل أتابع؟

دفع ماركوس هاتفه في جيبه، محاولًا كبح غضبه الذي بدا واضحًا في عينيه المحمرتين، ثم سأل بصوت منخفض لكنه مشحون:

- كيف عرفت كل هذا؟

من خلف ماركوس، كان الباب الذي دخلوا منه مغلقًا، غير أنه لم يكن عازلًا لصوت الأخوين اللذين كانا خلفه، بينما حول ريوتا نظره للحظة نحو الباب، ثم عاد ليركز على ماركوس، يقرأ تعابيره بدقة، عندها قال بابتسامة خفيفة:

- ملفك كان طويلًا بعض الشيء، لكنه مثير أيضًا.

رفع ماركوس سلاحه، ووجهه نحو ريوتا، اشتعلت عيناه حقدًا، ليقول بصوت حاد:

- أترغب بأن تلحق بصديقك؟

أحتضن كين رأسه بيديه قائلًا:

- ريوتا! أيها الأحمق.

لكن صديقه الأحمق ابتسم بطريقة مريبة، ليقول مخاطبًا ماركوس وكله ثقة:

***

فُتِحَ باب نادي الحاسوب ببطء من قِبَلِ أحدهم، توقف الهواء للحظة مع دخول الشخص الغريب، خطواته مترددة، وعيناه تتجولان في المكان، فجأة، استقبلته كيمبرلي ببندقيتها، لتأمره بصرامة:

- قف عندك، من أنت؟

رفع القادم الغريب ذراعيه في الهواء، ليسأل منتفضًا من منظر البندقية:

دارت كيمبرلي حوله بخفة، كصيادة تراقب فريستها باحترافية، فوهة بندقيتها مُثبتة على هدفها، قالت بحدة:

- لا تُجب عن سؤالي بسؤالٍ آخر.

ارتبك الشاب الغريب ليسأل:

- مهلًا.. أنتِ كيم؟ أم أنا مخطئ؟

عقدت كيمبرلي حاجبيها:

- وتعرف اسمي أيضًا!

- مهلًا يا فتاة.. أنزلي هذا الشيء من يديكِ ودعينا نتفاهم، فأنا صديق ريوتا.

تغيرت ملامح كيمبرلي قليلاً، لكنها لم تخفض سلاحها:

- حقًا؟

رويدًا رويدا أنزل الشاب ذراعيه، وأشار إلى نفسه:

- أنا أوستن، صديق ريوتا.. لقد هاتفني قبل ربع ساعة وطلب مني الحضور إلى النادي لمساعدة فتاة تدعى كيمبرلي.

أخيرًا، أنزلت كيمبرلي البندقية، وضعتها جانبًا، وقالت بنبرة دلّت على ارتياحها:

- هذا جيد، فأنا بحاجة للمساعدة فعلًا... رغم أنني أستطيع إقامة مخيمٍ في دقائق، وإشعال النار من لا شيء، وحتى اصطياد الطرائد، إلا أنني فاشلة في هذه الأمور...

أشارت إلى جهاز الحاسوب الذي يعمل وحده، وكأنها تشير إلى وحش لا يمكنها السيطرة عليه، ففهم أوستن ما تعنيه، اقترب من الجهاز، جلس على الكرسي، أخذ منه الأمر بضع ثوانٍ ليربط ما بين الفوضى الحاصلة على مواقع التواصل الاجتماعي وما يحدث هنا، فجأة، وضع كف يده على وجهه، وبصوتٍ مليء بالصدمة قال:

- يا إلهي.. لا تخبريني بأنكم السبب في كل الفوضى خارجًا؟

ابتسمت كيمبرلي بسذاجة طفلة جاهلة:

- للأسف نعم.

دفع أوستن الكرسي بعنف، نهض من مكانه وكأن بالأرض تحترق تحت قدميه، وبعينان متسعتان، وصوته يرتجف، قال:

- لا لا.. لا، لن أتورط في هذه المصيبة!

أشار الشاب إلى الشاشة، وقد أدرك الطريقة الملتوية التي

استخدمها ريوتا لرفع الملفات دون الحاجة للاستعانة بالبرنامج المضاد لتتبع، وهذا الأمر زاد من فزعه أضعافًا مضاعفة، عاد بارتباكٍ إلى لوحة المفاتيح، وبيدين مرتجفتين راح يتذمر بصوتٍ مرتفع:

- تبًا يا ريوتا، ستوقعنا في المشاكل..

ضغط أوستن على بعض المفاتيح، ليقول:

- يجب أن يتوقف هذا الشيء عن العمل.

إلا أن كيمبرلي اندفعت نحوه، قبضت على ذراعيه بقوة لتوقفه:

- انتظر! ما الذي تفعله؟

دفعها أوستن بعيدًا، متجاهلًا توسلاتها، وواصل البحث عن طريقة لإيقاف تدفق الملفات، لكن صوت كيمبرلي أتى من خلفه مهددًا:

- إياك أن توقفه.

أدار الشاب رأسه ببطء، ليجدها تصوب بندقيتها ناحيته مجددًا، فذعر من منظرها، وسقط من على كرسيه:

- مم.. مهلاً.. هل سـ.. ستقتلينني؟

عقدت كيمبرلي حاجبيها بارتباكٍ، وما لبثت أن أزاحت سلاحها جانبًا، زفرت بعمق وهي تعاتب نفسها بصوتٍ مسموع:

ثم أدارت رأسها لتنظر إلى الصناديق بجانبها، أشارت بسلاحها ناحية الأدلة، وبصوتٍ مليء بالعزم خاطبت أوستن:

- أنا لستُ الشخص السيء هنا يا أوستن، هؤلاء هم من يجب أن تخشاهم.. رغم بشاعة أفعالهم، إلا أنهم يسرحون ويمرحون خارجًا، بينما مكانهم الصحيح هو خلف القضبان.

خلف قناعها الباسم والصاخب أخفت كيمبرلي مشاعر الانتقام لمقتل والديها، كبتت تلك الأحاسيس، وداست عليها أمام الجميع، وبالأخص أمام خالتها كارمن. لكن الآن، وقد سنحت لها الفرصة لقلب الطاولة، لن تسمح لـ أوستن بإيقاف ما يجري، لهذا تابعت وكلها إصرار:

- ريوتا قام بتحميل ما بمقدرته في الوقت المتاح لديه، ولكن ما زال هنالك الكثير.. إن لم نقم بنشر بقية الأسماء، فقد يتمكنون من الهرب خارج البلاد.

نهض أوستن من على الأرض، أعاد الكرسي إلى موضعه، نظر إليها

وقد لامسته كلماتها، فقال وهو يهندم ملابسه:

- حسنًا... سأساعدكِ.

***

في بيت الدرج، قال ماركوس وهو يُحضّر نفسه لإطلاق النار على ريوتا:

- ما الذي يجعلك واثقًا بأنني لن أطلق النار؟

خلف ماركوس فتح الأخوين باب بيت الدرج، وقف الصبيان أمام المشهد المفزع، فقال ريوتا مُجيبًا على سؤال ماركوس بكل هدوء:

- أنظر إلى يديك يا ماركوس.

نظر ماركوس إلى يده، يده المعتادة على حمل السلاح الآن ترتجف بشكل لا إرادي، أصبعه، الذي كان من المفترض أن يضغط على الزناد، شُلّ في موضعه، وكأن جسده يرفض الانصياع له، حوّل نظره إلى الأخوين في الأعلى، ثم عاد إلى يده، التي أبت الاستجابة له، فتابع ريوتا بنبرة مليئة بالثقة:

- جريمتك الأولى كانت بحق والدك.. والدك الذي أساء معاملة شقيقك الأصغر، أما جريمتك الثانية، فكانت قتل زميلك الذي يبيع الممنوعات للأولاد القاصرين..

رفع ريوتا رأسه، نظر إلى الأخوين في الأعلى، وأضاف مفسرًا:

- خروجهما من شقتهما كان مجرد مصادفة، لكنني لاحظت أنك

بدأت تفقد تركيزك بمجرد سماع صوتهما يقترب من هنا..

وبنبرة حملت الكثير من الشفقة على حال ماركوس، تابع ريوتا:

- لا أصدق كيف لشخصٍ مثلك أن يملك نقطة ضعفٍ كتلك.

بدأ العرق يتصبب من جبين ماركوس، وغزت الرعشة بقية جسده، لم يصدق ما كان يسمعه، مما زاد من ارتباكه وحيرته، كيف لرجلٍ بقسوته أن يضعف هكذا؟ وسط ضياعه، شعر بدفعة قوية من أحدهم، وسقط من أعلى الدرج، تدحرج على الدرجات نزولًا، متجاوزًا بذلك ريوتا وكين. من أسفل الدرج، سمع الحارس صراخ ماركوس، فجرى سريعًا لمد يد العون، كانت تلك اللحظة فرصة الشابين؛ ركضا نحو الأعلى، فسحب ريوتا الولدين معه، وأغلق باب بيت الدرج خلفهم.

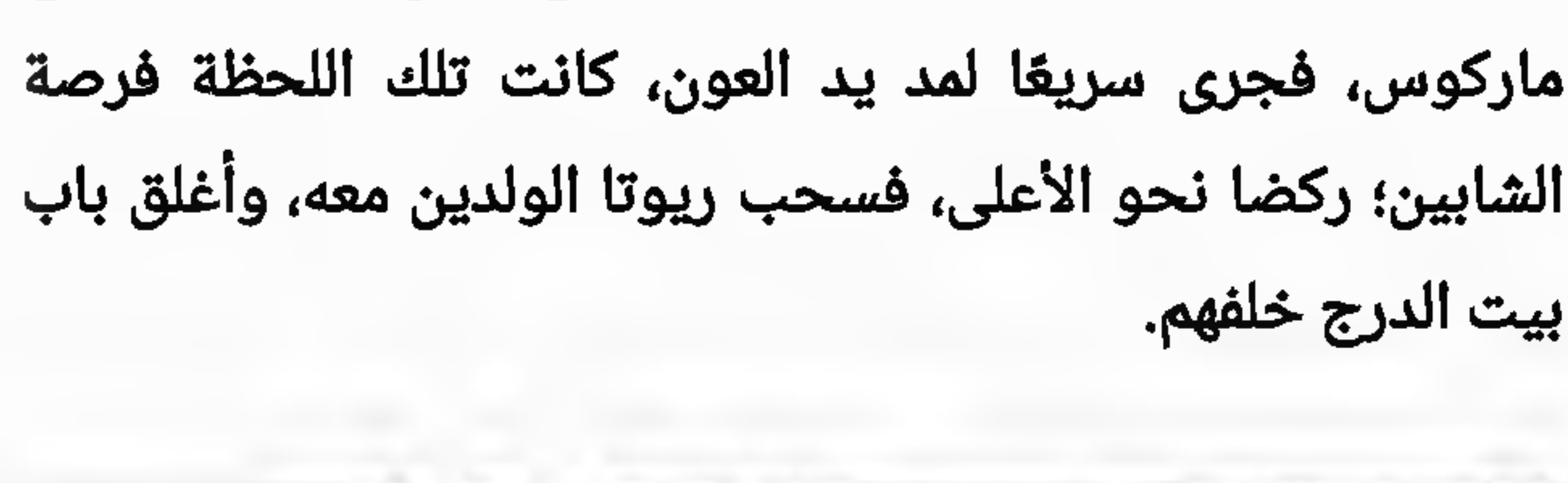

على الجانب الآخر، وصل معاون ماركوس إلى موقع سقوطه، أعانه على النهوض، ثم سأل بقلق:

- ما الذي حدث؟

صرخ ماركوس بغضب، وهو يشير إلى الباب في الأعلى:

- أمسك بهما بسرعة!

***

في قصر بيتفورد، اقتربت هيلين من أختها ميغان وسحبتها جانبًا بعد أن لاحظت ابتهاجها بخبر انتشار الفضائح، وبنبرة حازمة سألتها:

- هل لك يدٌ فيما يحدث بالخارج؟

وبابتسامة واسعة، أجابت ميغان واثقة:

- بالطبع، كانت تلك فكرة إدوارد، أما التنفيذ فهو بيد ريوتا، معه دانيال وكيمبرلي.

على مقربة منهما، كانت إيمّا تحاول إقناع كيتلين بالعودة إلى غرفتهما، لكن الأخيرة تجاهلتها وتقدمت نحو ميغان، بتصميم واضح، وقفت أمامها وقالت بصوت هادئ مفعم بالقوة:

- إذا استيقظ إدوارد، أخبريه أن يترك أمر راين لي.

نظرت ميغان إليها بتمعن، ضيّقت جفنيها قليلاً، كأنها تحاول استقراء نواياها، ثم قالت بنبرة فضولية:

- تبدين واثقة.

فأجابتها كيتلين بثبات:

- إذا كان إدوارد صديق راين، فأنا الفتاة التي كانت بمثابة عائلته،

لذا، راين هو مسؤوليتي.

***

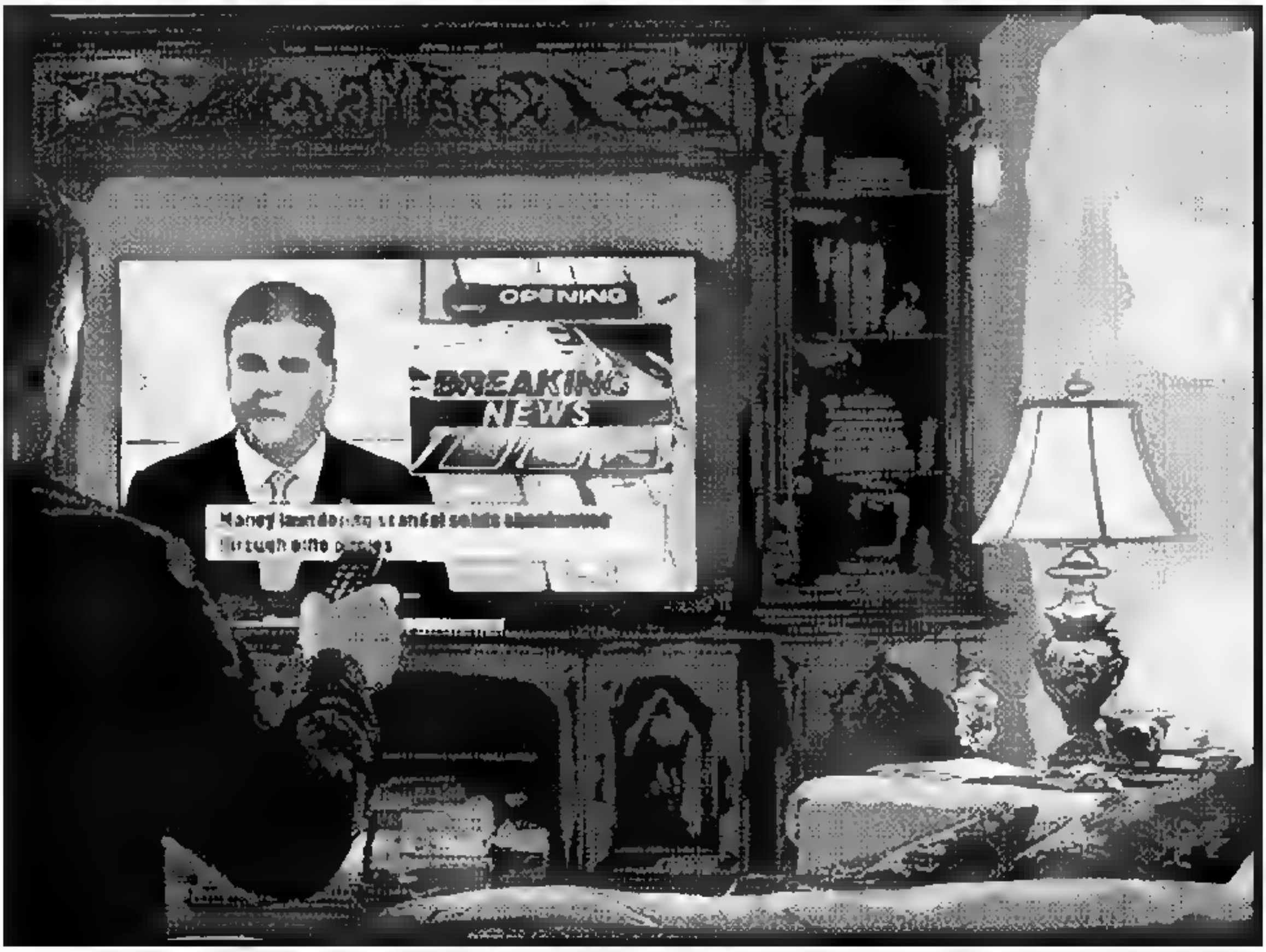

في منزل عائلة ميلر، اندفع إبراهام سريعًا لفتح التلفاز فور تلقيه المكالمة من أحد زملائه القدامى، وقف الرجل غير مصدقٍ لما كان يُقال خلال البرامج والأخبار، كل الأسماء والمعلومات التي يتحدثون عنها ذكرته بأمرٍ ما، فتوجه إلى غرفة مكتبة على عجالة، اقتحم المكان وانقضَّ على أكوام المذكرات الموجودة على سطح مكتبة.

راح يتصفحها بجنون، بينما اغرورقت عيناه بالدموع التي فاضت وهو يسترجع تفاصيل ذلك اليوم، حين جاءه رفيقاه جوناثان وماريا، راحت الأخيرة يومها ترجوه بحرقة:

وجاء صوت جوناثان مؤيدًا لها:

- *إنها مُحقّة يا إيب..*

لكن كلمات الرجاء ما تمكنت من اجتياز جدار إبراهام الصلب، كان

مُصرًا على موقفه، ولم يرضخ لصديقيه، بل واجههما معاتبًا:

-كانت صفقةً وافقنا عليها جميعًا، فلمَ التراجع الآن؟

تنهد جوناثان بعمق قبل أن يُقرّ بذنبه:

-أعترف أن عرض بينجامين كان مغريًا في البداية، ولكن الآن...

"في هذه الدنيا، لا شيء يُمنح بلا ثمن، المال.. الشهرة.. القوة، والسلطة، كلٌ منها يأتي بثمنه الخاص، ولا سيما إن كان العقد مع أشباه الشياطين من البشر، جوناثان وماريا أدركا قيمة الثمن الباهظ قبل الجميع، ولهذا سعيا جاهدين لإيقاف والدي عن المضي قدمًا في مخططات بينجامين، حاولا أن ينزعا الغشاوة عن بصيرته قبل فوات الأوان، لكن المال والمنصب كانا أشبه بغمامة سوداء، حجبت عنه الحقيقة وأغرقته في سرابٍ لا رجعة منه".

رد إبراهام عليهما بحزمٍ لا يقبل الجدال:

-أنتما تعلمان جيدًا أنه لا مجال للتراجع عمّا بدأناه.

لكن ماريا، وبعزيمة لا تنكسر، قابلت عناده بتصميم مماثل:

-ندرك ذلك جيدًا يا إيب، كما ندرك أن أخطاءنا لن تمرّ بلا عقاب، سنغرق جميعًا، وهذه حقيقة لا فرار منها، لكن ليس قبل أن نسحبهم معنا إلى القاع.

وبحركة سريعة، دفعت إليه ببعض الملفات لتُضيف:

انتفضت أصابع إبراهام وهو ينظر إلى الأوراق بين يديه، لكنه سرعان ما وضعها جانبًا، ورفض الأخذ بيد الخلاص الممتدّة له، ثم تابع بانفعال:

-لا يمكنني مساعدتكما.. أنتما تطلبان مني خيانة كيليب ومارثا! ألم نكن جميعًا أصدقاء؟ أم أنكم نسيتم ذلك؟

أصرّ إبراهام على موقفه يومها، متمسكًا بقناعاته التي لم تهتز رغم توسلات ماريا وجوناثان، رفض الإصغاء إلى تحذيراتهما، معتقدًا أن طريقه لا يزال صحيحًا، ومع مرور الأعوام، واصل الاثنان جمع الأدلة، مقتنعين بأن العدالة ستأتي ولو بعد حين، لكن الحقيقة لم تمهلهم كثيرًا.. وحين انكشف أمر جوناثان، كانت النهاية مأساوية.

واجهت ماريا إبراهام، بعينين تائهتين في بحرٍ من الدموع، وصوتٌ بالكاد يخرج من بين شفتيها المرتجفتين:

انهارت ماريا بين أحضانه، تبكي بحرقة، غير قادرة على استيعاب خسارتها، لم تعرف المسكينة إلى من تلجأ غيره.

وقبل أن تغادر، نظرت إليه، وعيناها تفيضان بيأس ممزوج بالعزم، مدّت إليه مذكرات جوناثان وكلها يقين بأن هذه رغبة صاحبهم قبل وفاته:

واليوم، يجلس إبراهام في عتمة مكتبه، يفتح مذكرات صديقه الراحل بأصابع مرتجفة، وقلب مُثقل بحمل الذكريات التي ظنّ أنه دفنها منذ زمن، يقلب الصفحات المصفرّة ببطء، وكأنها شريط لحياته يُعاد عرضه أمامه، كل كلمة تحفر أثرها في وجدانه، كل سطر يحمل صدًى لأيام مضت لا سبيل لاستعادتها، واصل التقليب حتى وصل إلى الصفحة الأخيرة، حيث استقرت نظراته على الكلمات الأخيرة التي تركها له صديقه، كلمات تحمل أكثر مما تستطيع الأوراق احتماله.

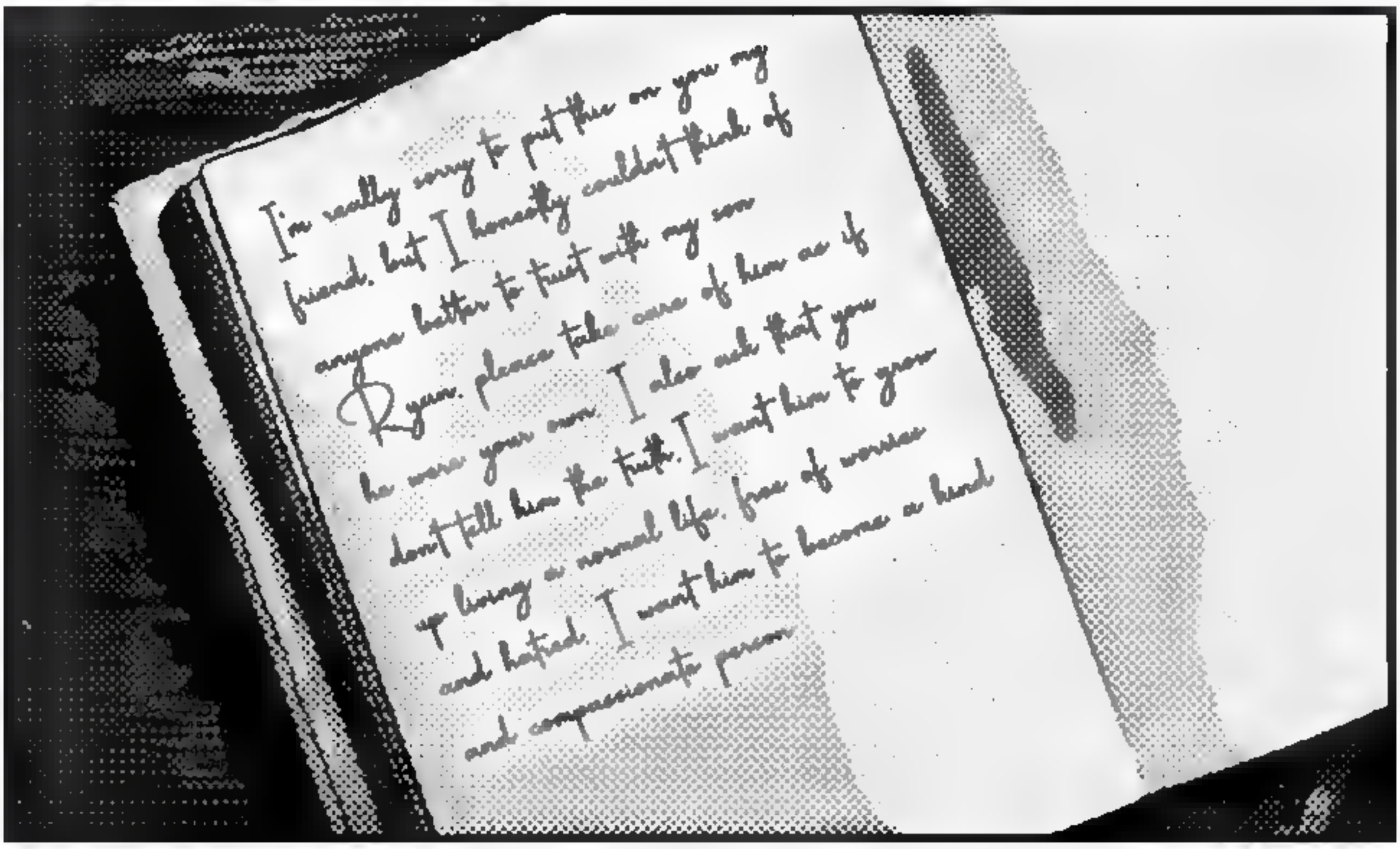

(آسف لأنني أُثقل عليك بطلبي هذا يا صديقي، ولكن لن أجد من هو أفضل منك لائتمانه على ابني راين، أرجو أن تعتني به كابنٍ لك، كما أتمنى ألا تخبره بالحقيقة، أريد له أن يعيش حياةً طبيعية، حياةً خالية من الهموم والحقد، أريده أن يكبر ويُصبح شخصًا محبًا وعطوفًا...).

انهار إبراهام باكيًا بجانب مكتبه، جسده يرتجف تحت وطأة الندم، ويده القابضة على مذكرات صديقه تنتفض بلا سيطرة، تساقطت دموعه على الصفحات حتى كادت أن تفسد حبرها، فهمس بصوت مخنوق، يكاد لا يُسمع وسط اختلاجات صدره:

- أنا آسف يا جوناثان.. اغفر لي يا صاحبي، فأنا لم أتمكن من تحقيق رغبتك.

خرجت كلمات الحسرة من بين شفتي إبراهام، مثقلة بالندم وهو يسترجع اليوم الذي خسر فيه راين بلا رجعة، ظلّ ذلك اليوم محفورًا في ذاكرته، حين دخل الصبي إلى غرفة المكتب، باحثًا

عن كتاب يروي به فضوله، ليعثر مصادفةً على مذكرات والده، كان إبراهام يبحث عن الصبي في المنزل بأكمله ولم يخطر له أن يجده هناك، وحين وجده، كان الأوان قد فات بالفعل، بعينين تشتعلان بالغضب الممزوج بقلقه، انتزع إبراهام المذكرات من يدي الصبي، ليصرخ به:

- *ماذا تفعل؟*

عنف الصبي بشدة، وطلب منه الخروج من غرفة المكتب على الفور، تراجع راين خطوة للخلف، وبمشاعر متضاربة غادر المكان، كارمن التي سمعت صراخ زوجها أتت مُسرعة لتُهدئ من فورة غضبه، ولم تنتبه إلى أن الصبي كان يستمع بصدمة إلى حوارها وزوجها:

- *اهدأ يا عزيزي، ما الذي جرى؟*

لم يكن في نبرة إبراهام سوى ثقل الذنب والغضب المكبوت:

- *راين قرأ مذكرات والده.*

- *يا إلهي.. هل عرف بأمر مارثا؟*

بعد تلك الحادثة بات إبراهام أكثر حذرًا فيما يتعلق بـ راين، تغيرت طريقته في التعامل معه، كما لم يسمح لأحد بالاقتراب من غرفة مكتبة، أغلقها وأغلق قلبه معها، مما سمح للفجوة بينه والصبي بأن تتسع أكثر فأكثر، راين الذي أصبح شغله الشاغل هو التنقيب عن الحقيقة، بحث عنها في كل مكانٍ وزاوية ممكنة، إلى أن أثمرت جهوده بعد بضع سنوات، عاد يومها إلى المنزل يحمل بين يديه صندوق موسيقى مزخرف الحواف، دخل غرفته دون أن يغادرها حتى لتناول الطعام، تصرفه المشبوه أثار قلق كارمن، التي قصدت زوجها إبراهام لتخبره:

- *شيء ما يجري مع راين.*

كان إبراهام يجلس إلى جانب الهاتف عندما أجابها:

- *لقد واجه مارثا، اتصلت بي لتخبرني بذلك.*

انتفضت شفتا كارمن حزنًا وهي تتخيل تفاصيل المواجهة، فقالت:

- أعتقد أنه يحتاج إلى والده الآن، لماذا لا تذهب وتتحدث معه؟

استقام إبراهام من موضعه ليصرخ بها غاضبًا:

- لن يستمع لي، أنا لست أباه، وهو يعرف ذلك جيدًا.

دهشت كارمن من جفاف ردّه، فاجتمعت الدموع في عينيها وهي تقول معاتبة:

- متى أصبحت قاسيًا هكذا يا إبراهام؟

تركت كارمن الغرفة مُنزعجةً من موقف زوجها السلبي، وذهبت للاطمئنان على راين، وجدته يقف عند حافة الدرج، ولم تكن تعلم إن كان قد سمع جدالهما أم لا، خشية أن تنتبه الصغيرة كيتلين إليهما، اقتادت كارمن راين إلى غرفته وجلست معه على السرير، أمسكت أمه التي لم تكن بيديه، لتسأله بكل حنية:

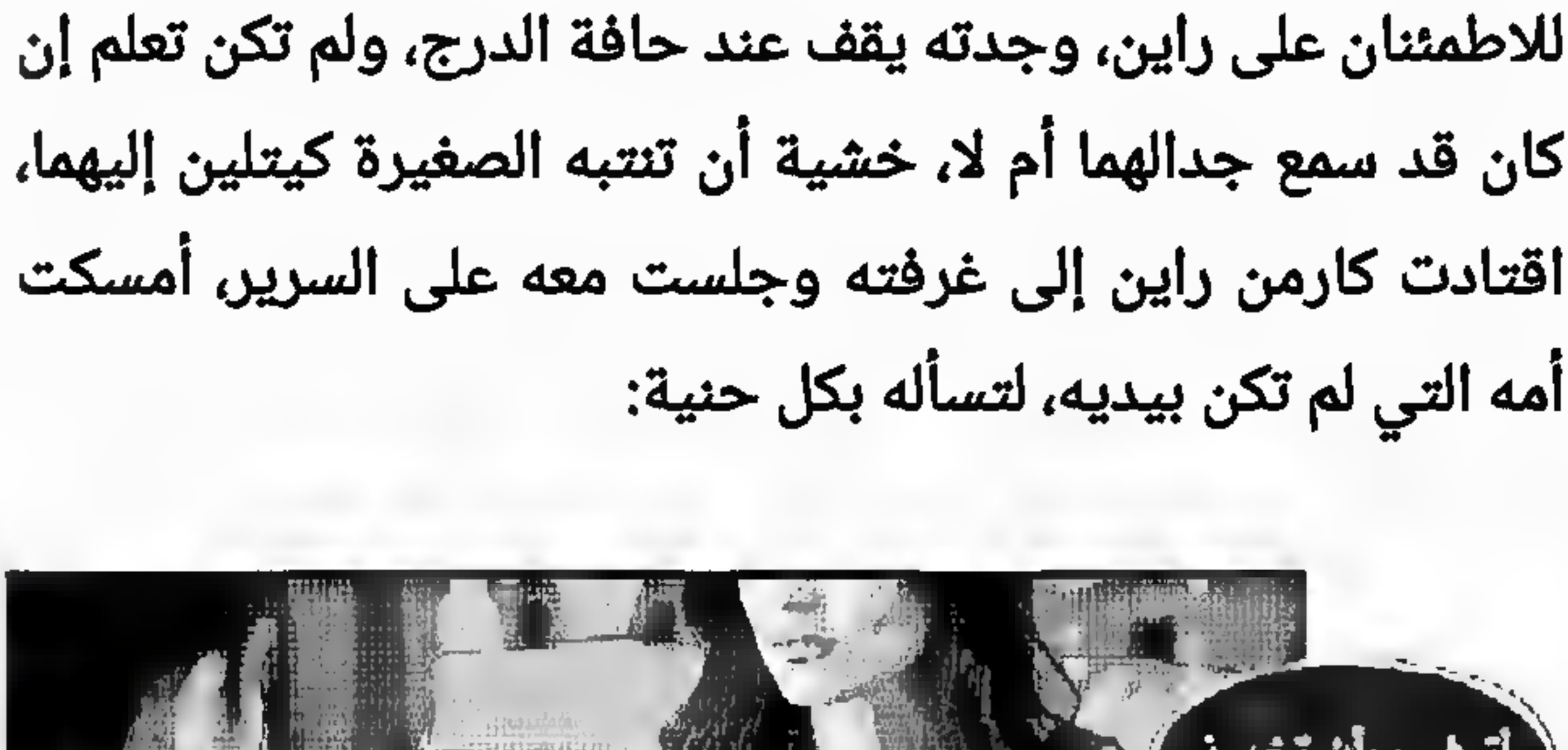

دفع راين بابتسامة باهتة إلى وجهه الشاحب ليقول مُجيبًا:

- لست منزعجًا، أنا بخير كما ترين.

ما كان بمقدوره أن يخدعها، كيف له أن يفعل وهي تعلم جيدًا كيف تبدو ابتسامته الحقيقية، لهذا لم تتمكن من منع نفسها، ضمته إليها بقوة، وطبطبت على ظهره بحنان، ثم قالت له وهي تقاوم رغبتها بالبكاء:

-يمكنك رسم هذه الابتسامة أمام الجميع وإيقاعهم بها بكل سهولة، لكن لا يمكنك خداع والدتك يا بني.

انهمرت دموع راين مع تلك الكلمات، وبكى بحرقة بين أحضان كارمن، حيث وجد الصبي الأمان الذي كان يبحث عنه، دفن وجهه بين ذراعيها، وهمس بتلك الكلمات التي حملت وعدًا لا رجعة فيه:

-أعدكِ بأنني لن أتوقف حتى أطيح برأس الأفعى.

ظل يرددها وكأنه ينحتها في روحه المحطمة، ولم يتوقف حتى غلبه النعاس بين أحضان كارمن، وغارقًا بين ألحان تهويدتها العذبة، التهويدة ذاتها التي استدعت الطفلة كيتلين إلى موقع المشهد، فحفر في ذاكرتها العميقة ليُدفن هناك.

"أصبح المشهد أكثر وضوحًا الآن، كنت أصغر من أن أتذكر تفاصيل كتلك، لهذا كانت تزورني على هيئة أحلام متفاوتة، أرى فيها ذلك الصبي يبكي بحرقة بين أحضان والدتي.. لم أشعر بالغيرة، لأنني

علمت أنه كان بحاجة إليها أكثر مني آنذاك.. كما رأيت بداية الشق الذي تشكّل بينه وبين والدي، أبي الذي اختار الوقوف كمتفرج، وسمح لمشاعر الانتقام بأن تنمو وتنضج في قلب راين".

- أبي، أبي..!

شقّ صوت سامي عزلة والده، فانتشل روحه من تلك الذكريات الثقيلة، ويُعيده إلى الحاضر، استدار إبراهام ببطء، يتأمل المكتب المعتم من حوله، قبل أن تستقر عيناه على ابنه الصغير، يقف أمامه مترددًا، فسأله بصوتٍ مُثقل:

- ما الأمر يا بُني؟

ابتلع سامي ريقه، وقد استحوذ المكان على انتباهه، هذه المرة الأولى التي يرى فيها هذه الغرفة، شعور غريب تملكه للحظات، لكنه لم يسمح لفضوله بأن يُطيل سرحانه، فأجاب سريعًا:

- كنت سأبلغك أنني سأخرج مع أصدقائي لجمع الحلوى هذا المساء.

نظر إبراهام إلى أبنه، ثم مد يده إلى رأسه، يعبث بخصلات شعره برفق:

- بالطبع، الليلة هي ليلة الهالوين.. اذهب، لكن لا تتأخر في العودة.

تهللت ملامح الصغير فرحًا، وركض مبتعدًا بعد حصوله على موافقة والده، لكنه لم يصل إلى باب الغرفة حتى استوقفه صوت والده مُجددًا:

- سامي.. كن حذرًا يا بُني.

أومأ الصبي برأسه سعيدًا وهو يقبض على إطار الباب، وقبل أن يختفي من مجال نظر إبراهام.

الآن، جلس الأب وحيدًا بعد مغادرة آخر أبنائه، ساكنًا في هدوء المنزل الفارغ، المنزل الذي بناه بأموالٍ ملطخة بالخداع، مُعتقدًا أن سقفه العالي سيجمع أسرته تحت ظلاله الدافئة، لكن الجدران، بكل صمتها، كانت تعاتبه، تحاكمه بلا كلمات، وتجلد ضميره الذي أفاق من سباته متأخرًا.

***

أقبل المساء أخيرًا، معلنًا الليلة المنتظرة. لم يتبقَّ سوى ساعات قليلة تفصلهم عن ختام عرض بينجامين ومارثا، لينتقل الضيوف المتبقون إلى قاعة الاحتفال لليلة الثانية، حيث سيُسدل الستار على العرض الأخير، وعلى النتيجة النهائية.

كان راين في غرفته، ينتظر بصبرٍ، يجلس على الأرض مسندًا ظهره إلى السرير، عيناه شاخصتان نحو عقارب الساعة، يراقبها وهي تتحرك، ترقص فوق قرصها الدوار وكأنها تسخر منه، شعر باقتراب النهاية، فمدّ يده عاليًا نحو صندوق الموسيقى الخشبي الذي وضعه بجانب السرير، وأطراف أصابعه راحت تتحسس نقوشه كعادته، لكن فجأة، توقف، التقط الصندوق بين يديه، حدّق به مطولًا، ثم ابتسم بسخرية من نفسه، لقد أحضر الصندوق الخطأ. بلا وعي منه، كان قد جلب صندوق كيتلين، الهدية التي منحته إياها في يوم ميلاده. تأمله قليلًا، وشعر بحرقة في حلقه وهو يتذكر كلمات توماس صباح

اليوم:

إلا أن راين نفض تلك الكلمات من عقله، طرد المشهد كسرابٍ لا ينبغي له أن يبقى، ونهض من موضعه بعد أن أزاح تلك الأفكار من رأسه، ليستعد للحفل الأخير الذي سيحدد كل شيء.

***

أمام غرفة وليام، طرقت كايلي الباب بلطف قبل أن تأذن لنفسها

بالدخول، وقفت عند عتبة الباب، مستندةً إلى إطاره، وعيناها تتأملان ابن عمتها الذي كان قد انتهى من ارتداء ملابسه استعدادًا للحفل، لم تنطق بكلمة، فقط حدّقت به بصمت، ليبادر هو بالكلام وقد وقعت عيناه على حقيبتها الموضوعة بجانبها.

- يبدو أنك لا تنوين حضور الحفل.

أعادت الفتاة خصلةً من شعرها إلى الوراء بحركة عفوية، ثم أجابت بغير اهتمام:

- نعم، سأغادر الآن.. أعتقد أنني أشبه والدي أكثر مما أتصور.

ابتسم وليام ابتسامة خفيفة، ثم قال بصوت هادئ:

- إذن، أوصلي سلامي إلى خالي فيليب.

تراجعت كايلي خطوة إلى الخلف، وهي تجر حقيبتها، ثم أجابته بإيماءة خفيفة:

- سأفعل، لكن لا تنسَ اطلاعي على التفاصيل بعد نهاية الحفل.

لم يجبها وليام على الفور، التقط قناعه من فوق الطاولة وضغط على أطرافه وكأنه يكافح فكرة ما تتصارع في ذهنه، ثم، وبعد لحظة من التردد، خرجت إجابته مختصرة:

***

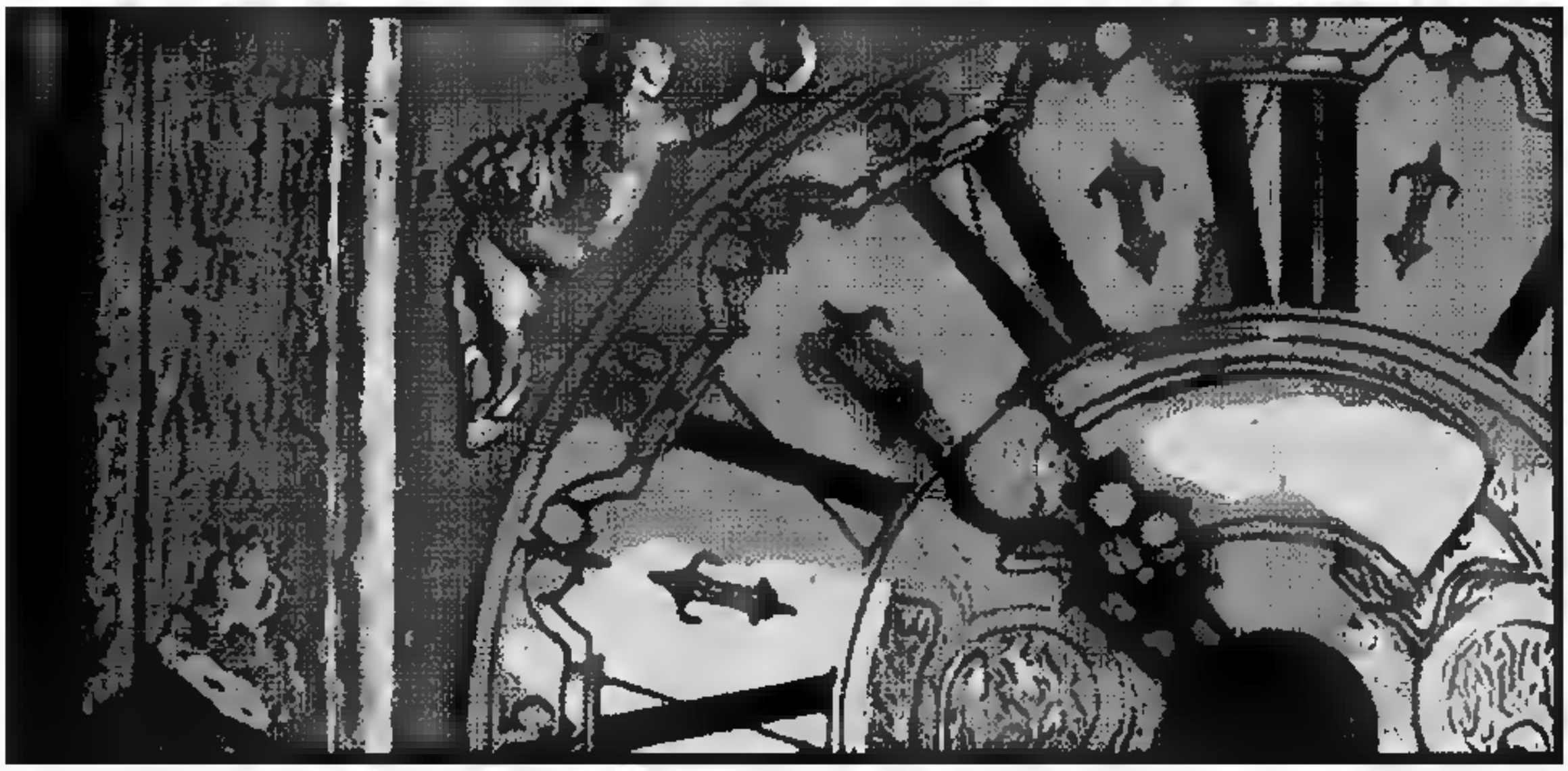

حانت الساعة المنتظرة، وحلّ الفصل الأخير من هذه المغامرة المشؤومة. أتى توماس لاصطحاب كيتلين، فتح الباب ليجدها تقف أمامه بكامل أناقتها، كأنها لوحة فنية تنبض بالحياة، مدّ ذراعه نحوها بابتسامة مازحةً:

- هل نذهب يا آنستي؟

"لقد عرض عليّ أن يصحبني بنفسه، وما كُنت لأصدّ بادرته الحسنة، لهذا رافقته إلى موقع الحفل، كل من أعرفهم كانوا قد سبقونا إلى هناك، إيمّا مع أليكس، يوميكو مع ماثيو، إدوارد وبقية إخوته، هارو، مارثا وبينجامين، فيكتوريا، حتى الخادمة غابي كانت هناك إلى جانب إدموند الذي لم يتعرف عليه أحد، وفي الزاوية بعيدًا كان راين لوحده، نظرت إليه وتمكنت من تخمين ملامحه من تحت القناع، يمكنني أن أراه بكل وضوح وهو يوجه كل تركيزه إلى هدفه".

- تبيدن أكثر ثقة الآن.

علّق توماس، فأجابته كيتلين وقد ارتسمت على محياها ابتسامة مشرقة:

- لأنني أعرف ما عليّ فعله الآن.

بادلها توماس الابتسامة ذاتها ورفع حاجبيه بإيماءة بسيطة:

- ماذا تنتظرين إذن؟

تحركت الفتاة إلى الأمام، تقدمت وقطعت القاعة الواسعة بخطى ثابتة، لم تفكر بالنظر خلفها، أو تفقد من حولها، تجاوزت الضيوف وكل العيون المسلطة عليها دون اكتراثٍ بعد أن وضعت راين نصب عينيها.

في زاوية القاعة، كانت إيمّا ويوميكو تراقبان المشهد بذهول، رفعت إيمّا حاجبيها، ثم نظرت إلى يوميكو وهي تهمس بدهشة:

- ما الذي تفعله؟

- لا فكرة لدى.

تمكنت كيتلين من الوصول إلى هدفها، لم تفصل بينهما سوى بضع خطوات، لم يتراجع الشاب، لكنه لم يقترب أيضًا، انتزع قناعه، فتركت هي قناعها يسقط أرضًا، كأنها تسقط آخر حواجزها أمامه. بابتسامة مشعة، وبعينين تحملان كل الأحلام المخبأة في قلبها،

أشارت إلى القاعة وقالت بصوت ناعم يحمل كل القوة في داخلها:

- أتعرف ما الذي أرغب بفعله في مكانٍ كهذا؟

أمسكت كيتلين بطرفي فستانها، وثنت رجلها مع انحناءة بسيطة، فقال راين:

على الجانب الآخر للقاعة علّقت ميغان بسخط:

- هل هذا ما قصدته حين قالت إنها ستتكفل بأمر راين؟

كان لـ إدوارد الواقف إلى جانب ميغان رأي مُغاير، نظر إلى تصرف كيتلين من زاوية مختلفة تمامًا، ليقول مخاطبًا أخته:

- راين لم يكن يملك سببًا للتمسك بهذه الحياة من قبل.. كان يرمي بنفسه في وجه المخاطر بلا اكتراث، لهذا ما تقوم به كيتلين الآن...

أكملت عنه ميغان، وقد أدركت نوايا كيتلين أخيرًا:

- إنها تعطيه سببًا للبقاء..

في المقابل، كانت كيتلين لا تزال تنتظر من راين إجابةً لدعوتها، حثته بنظراتها الساحرة، فأجابها محرجًا:

- أنتِ تعلمين أن هذا ليس حفلاً راقصًا..

ثم تنحنح بثقل ليُضيف:

- كما أن الموسيقى التي تُعزف الآن لا تصلح للرقص.

- أنت مخطئ.

"سمحت لنفسي بتجاوز كلّ الخطوط الحمراء، دُست عليها وعبرتها حتى أصبحت في الجهة الأخرى، فأمسكت به ووضعت يدي على صدره، شعرت بأنغام قلبه، فانتقلت عدوى موسيقاه إلى قلبي أيضًا".

قبض راين برفق على يد كيتلين التي وضعتها على صدره، احتواها كشيء ثمين يخشى خدشه، ثم سألها بحزنٍ في عينيه:

- ما الذي تحاولين فعله يا كيتي؟

أنزلت كيتلين رأسها لتخفي اضطرابها:

- لا تقلق، لن أحاول إيقافك..

ثم أخذت نفسًا عميقًا، قبل أن ترفع وجهها إليه من جديد، وبابتسامة أكثر إشراقًا أضافت:

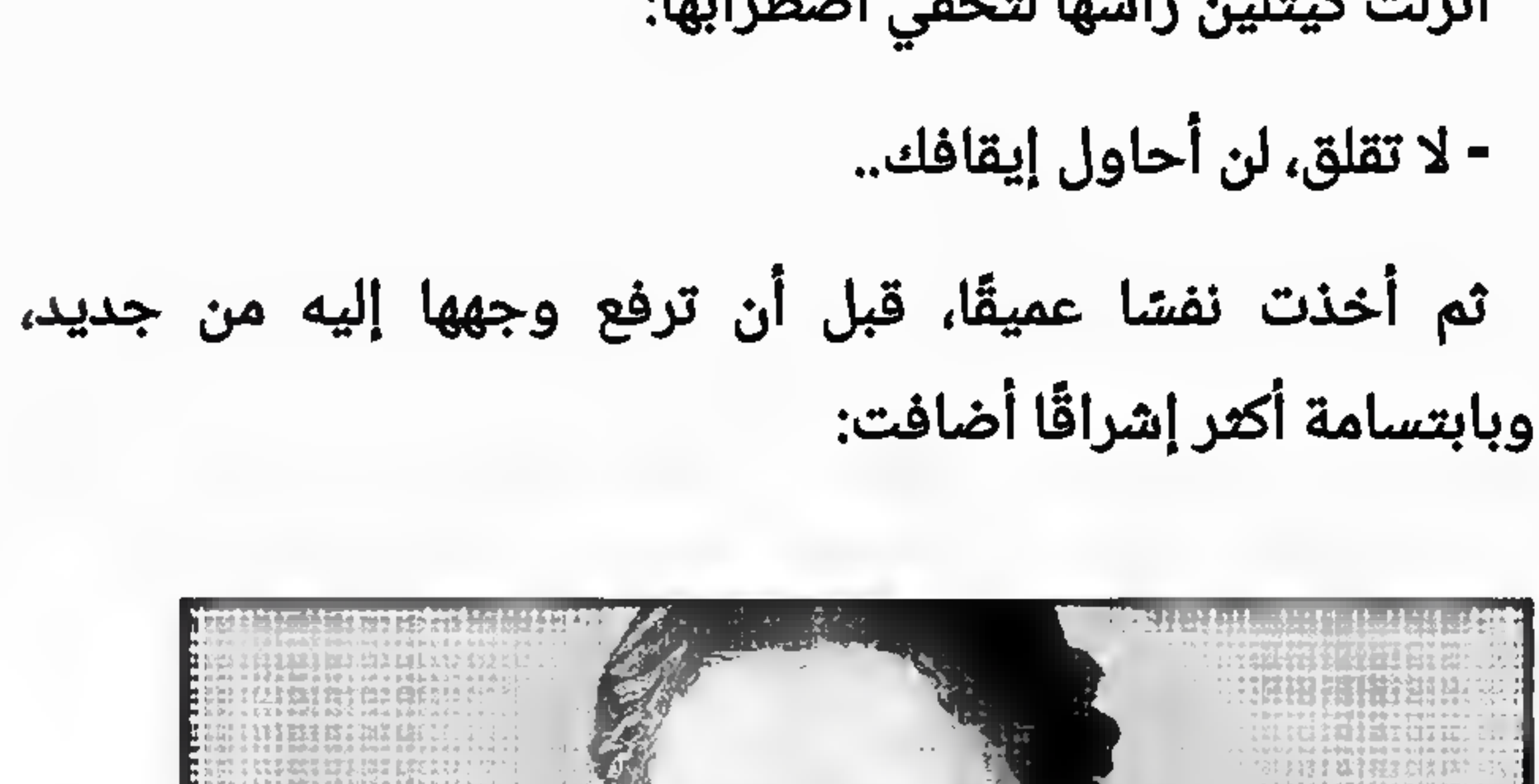

"لم يُجبني بكلماته، فلا مجال لها أمام أفعاله، أمسك راين بيدي واقتادني إلى منتصف القاعة وقد أسقط قناعه أرضًا، تحركنا بخفة كجسدٍ واحد بعد أن رمينا بكل همومنا جانبًا، واخترنا التحليق في فلكنا الخاص".

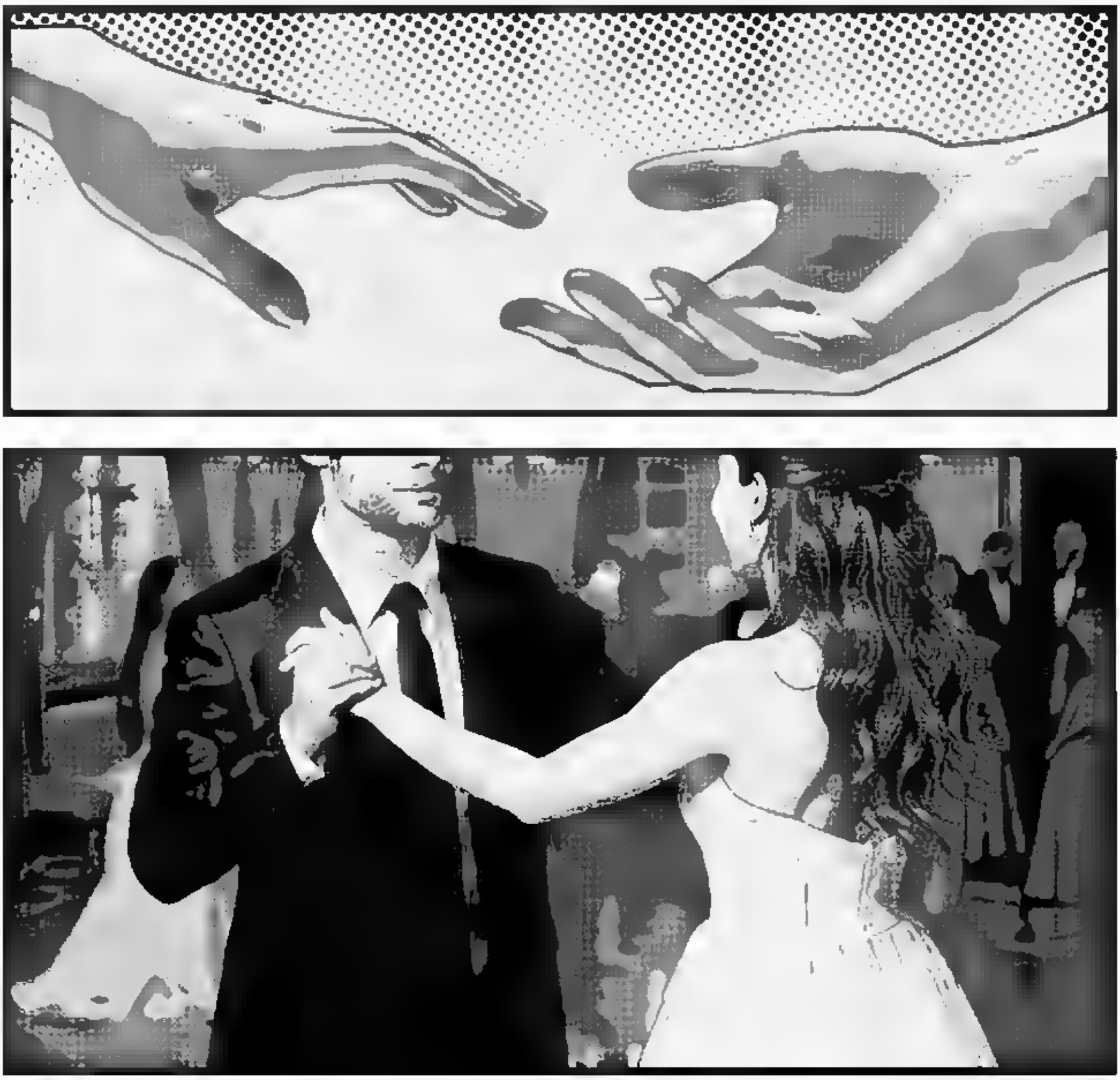

"خمس سنواتٍ انقضت منذ تلك الليلة، ومع ذلك، لا تزال تلك اللحظة نابضة في ذاكرتي بعد أن عجز الزمن عن محوها، كأنها بالأمس فقط، حية بكل تفاصيلها، بكل المشاعر التي سكنتني حينها، كان ذلك الأمس الذي حمل رقصتي الأولى.. والأخيرة معه".

من فوق الشرفة، قبضت مارثا على فستانها بتوتر، عاقدة حاجبيها في استياء واضح، ثم تمتمت بسخط:

- ما هذه المهزلة؟

لم تتأخر قبل أن تشير إلى أحد معاونيها ليقترب. بينما في الأسفل، كانت الأجواء مختلفة تمامًا. كادت إيمّا أن تطير من الفرح لرؤية كيتلين وراين معًا، راحت تتابع المشهد بعينين متألقتين، إلى جانبها علّقت يوميكو وهي تنظر إلى ماثيو:

- رؤيتهما تجعلني أرغب في فعل المثل..

إلا أن الشاب الخجول لم يكن مستعدًا لهذه المحادثة، ارتبك للحظة، ثم تظاهر بعدم فهم ما قيل، وأشاح بنظره جانبًا، متجاهلًا حرارة وجهه التي فضحته تمامًا.

ليس بعيدًا عن تلك المجموعة، كانت جيسيكا مستمتعةً بالعرض الراقص الذي يقدمه الثنائي، لكن سرعان ما حاز على انتباهها أمرٌ

آخر، قلق أختها ميغان، الذي بدا واضحًا في نظراتها المتوترة، في الطريقة التي كانت تمسك بها معصمها دون وعي، فاقتربت منها لتسألها:

- هل تفكرين به الآن؟

رفعت ميغان رأسها، نظرت إلى عقارب الساعة التي كانت قد تجاوزت الحادية عشر.

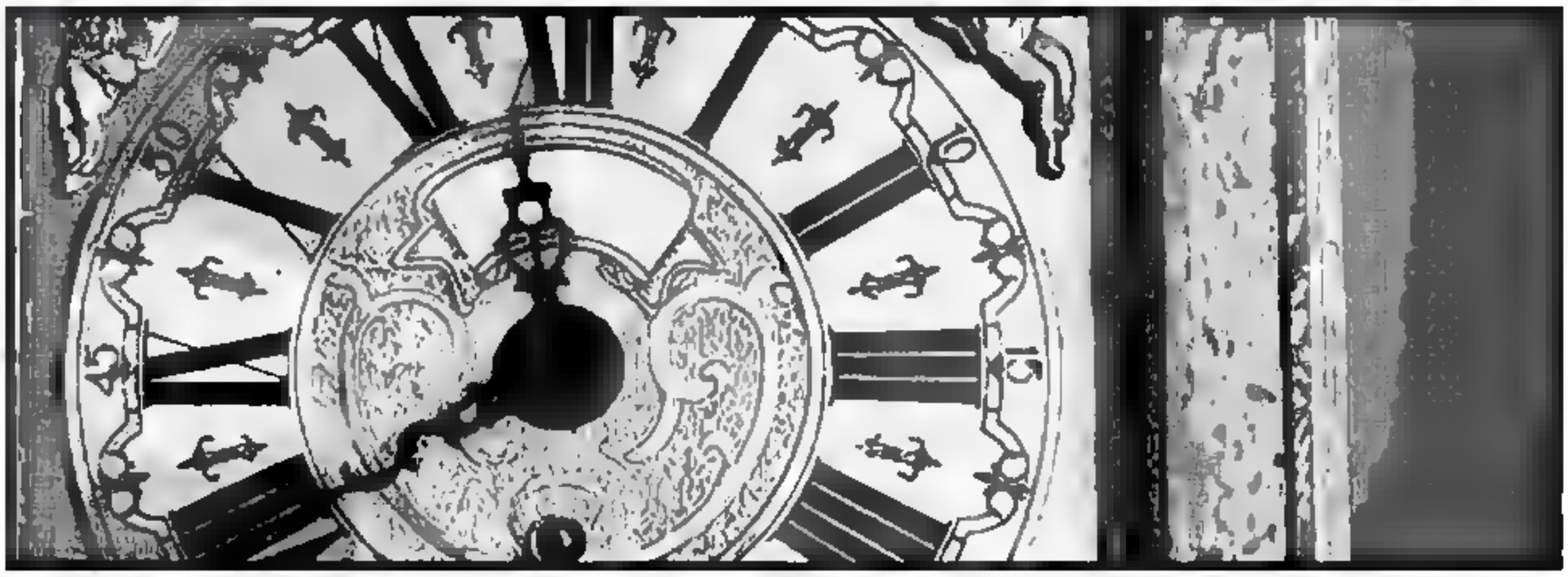

ثم قالت ميغان بصوت خافت، كأنها تحاول إخفاء القلق الذي بدأ يزحف إلى قلبها:

- لقد قال ريوتا إنه سيأتي حالما ينتهي، لكن لم يبقَ إلا القليل على منتصف الليل.. وهو لم يظهر حتى الآن.

من موقعها في الشرفة، أملت مارثا تعليماتها على معاونها:

- كما ترغبين يا سيدتي.

بعد أن أعطت أوامرها، غادرت مارثا القاعة يرافقها بينجامين وإدموند، بينما تولى معاونها تنفيذ أوامرها من فوره، بإشارة واحدة منه، تحرك رفاقه المنتشرون في القاعة، ولم يكونوا وحدهم من فعل، فقد لاحظ راين تحركاتهم وعلم بأن الوقت قد حان، لذلك توقف عن الرقص، لم تفلت كيتلين يده وسألته:

- هل ستذهب الآن؟

- نعم.

"بذلت جهدي لأثبت بابتسامتي أمامه، وأن أُخفي ارتجاف قلبي خلف قناعٍ زائف، لكن نظراته اخترقت دفاعاتي كما تفعل دائمًا، لم يكن بحاجة إلى كلماتٍ ليرى الحقيقة، وقال لي كعادته..".

- إلى متى ستجعلينني أكررها؟ تبدين قبيحة عندما تعقدين حاجبيك هكذا.

ابتسم بخفة، وكأنه يحاول تخفيف وطأة كلماته، ثم طبع قلبه على

إصبعيه بحركة عفوية.

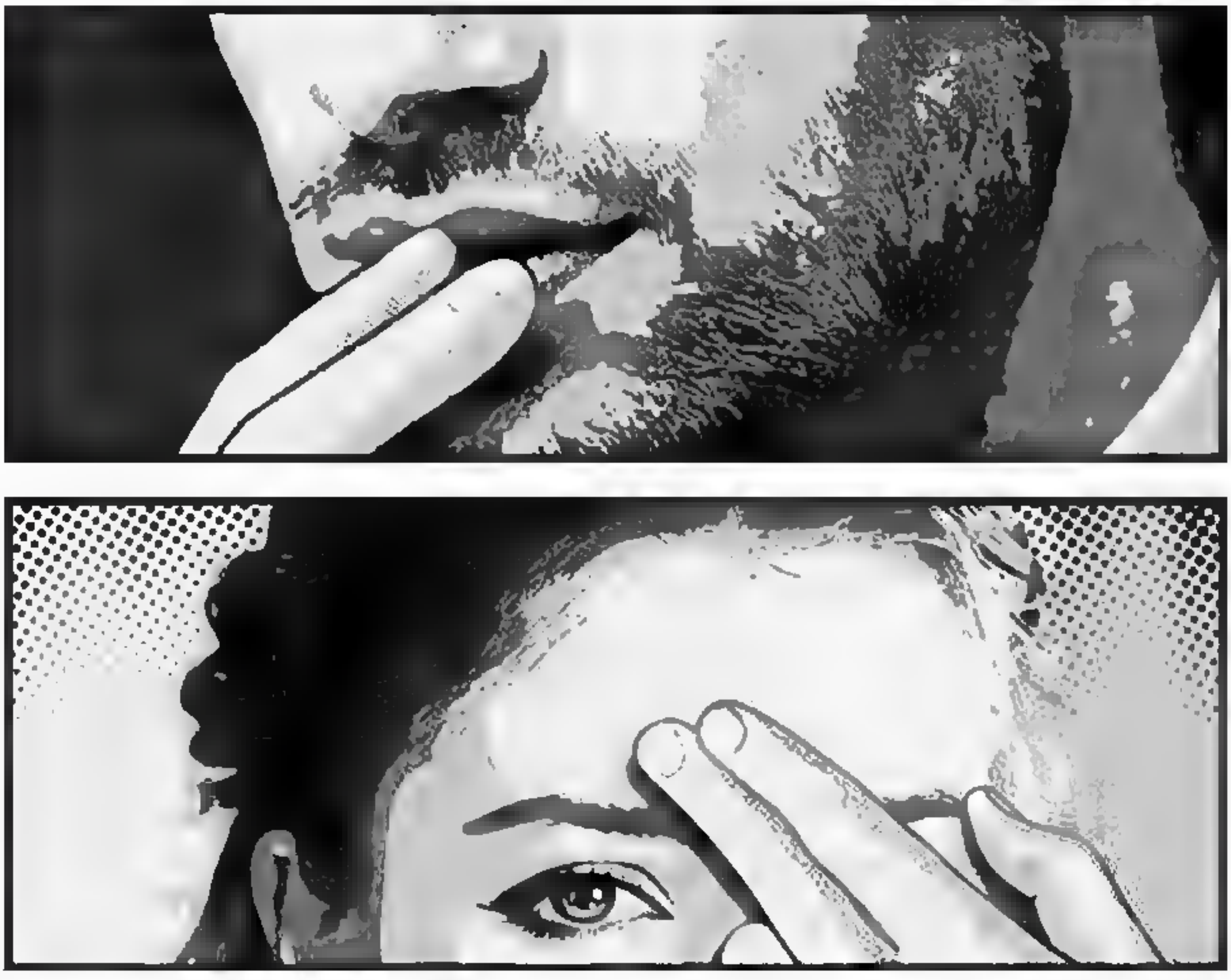

وختمها برفق على جبينها، ليترك أثرًا في روحها لا يمكن أن يُمحى، ثم قال وهو يُفلت يدها ببطء:

- عديني بأنكِ لن تُصابي بأذى.. وداعًا يا كيتي.

أدار راين ظهره لها، وفعلت هي الأمر ذاته، فظهر مشهد افتراقهما كانعكاس صورة جسدٍ واحد في مرآة مكسورة، ذهب كل واحد منهما في اتجاه معاكس للآخر، يحملان في صمتهما ما لا تستطيع الكلمات وصفه.

انحنى راين ليلتقط قناعه من على الأرض، ثم توجه نحو أحد المخارج.

أما كيتلين، فقد استجمعت شجاعتها وقصدت ميغان لتقول لها:

- أيمكن أن أطلب منك معروفًا؟

في الوقت ذاته، دخلت القاعة مجموعة من الخدم، يتحركون بخفة ودقة، يقتربون من بعض الضيوف المنتقين، وبصوت منخفض ومهذب:

- سيدي، تفضل من هنا.

فيقول آخر:

- سيدتي، تم اختيارك للمشاركة في الاجتماع السري.

تعالت الهمسات بين الضيوف، وازداد الاضطراب الذي تغلغل بينهم فيما غادر المختارون واحدًا تلو الآخر، بعضهم تطلع إلى الآخرين في ترقب، وبعضهم بدا وكأنه يضبط أنفاسه أمام الغموض الذي يحيط بالموقف.

في زاوية أخرى، انتظرت إيمّا بفارغ الصبر أليكس، الذي أخبرها

بأنه سيذهب لتفقد الوضع بعدما رأى أشقاءه يتفرقون في القاعة، في هذه الأثناء، كانت غابي قد انفصلت عن إدموند، سارت هائمة على وجهها وسط الحضور، وقعت عيناها على قناع كيتلين الملقى أرضًا، فالتقطته بانحناءة بسيطة، واستبدلته بقناعها، ثم تابعت سيرها إلى أن اصطدمت بتوماس، وباللحظة ذاتها ارتطم إريك بجسد راين على الجانب الآخر من القاعة.

استدار توماس بردّة فعل منه لينظر إلى من صدمته، التقت عيناهما في ومضة خاطفة، قبل أن تختار الخادمة غابي الانسحاب وترك القاعة.

أما توماس، فقد بقي جامدًا في موقعه للحظات قبل أن يُدرك ما حدث فعلًا، حمل الشاب نفسه إلى خارج القاعة هو الآخر، غير أنه ما تمكن من الابتعاد كثيرًا، تخطى الستار المخملي القاتم وما زال بإمكانه سماع صوت الضيوف المضطربين خلفه، ورويدًا رويدا خفتت الأصوات مع تصاعد دقات قلبه، أسند يده على الحائط القريب منه، وانزلق ليقع أرضًا.

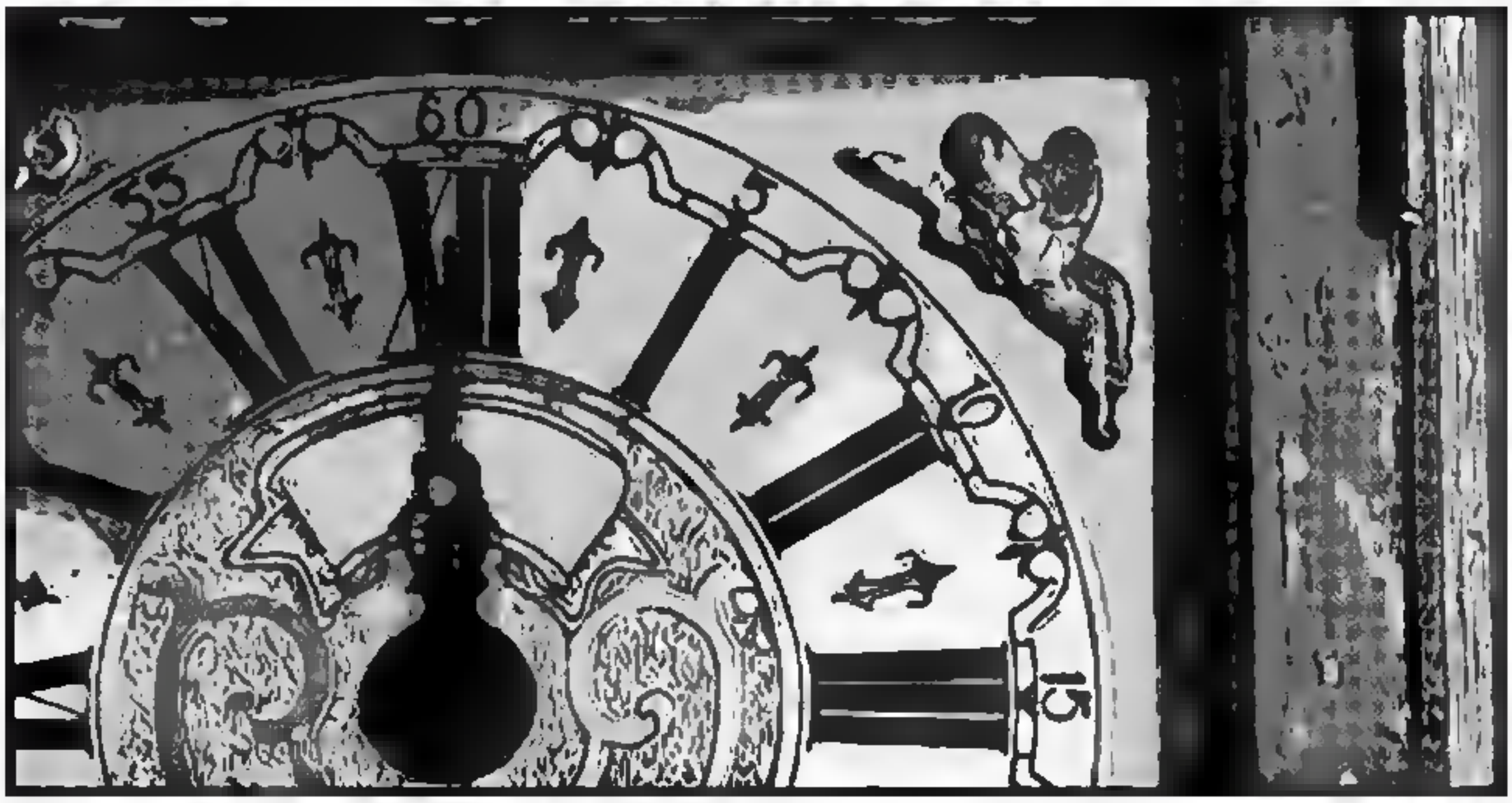

في داخل القاعة دقّت الساعة مُعلنةً حلول منتصف الليل، مع وقع دقتها الأولى، رفع توماس رأسه ليجد الخادمة ماغي تقف أمامه، وفي يدها السكين التي تلطخت بدمائه، سقط قناع ماغي أرضًا كاشفًا عن وجهها الباكي، لتقول بصوتٍ متحشرج:

- أنا آسفة... أنا آسفة..

كان خطأ ماغي الأكبر هو دخولها ذلك الجناح في بداية عملها كخادمة في هذا القصر، لم تكذب على كيتلين وإيفا عندما روت لهما تفاصيل ما رأته، إلا أنها لم تقل الحقيقة كاملة، وأخفت عنهما لقائها بـ إدموند في ذلك الجناح، إدموند الذي اتّخذ من ذلك المكان وكرًا له طوال السنوات التي زيّف فيها موته، عندما قابلها هناك، لم يترك لها خيارًا، هددها بمهارة حتى كسبها كواحدة من أتباعه، ومع الوقت، أصبحت عيناه وأذناه داخل القصر، خدمته بسرية وإخلاص، حتى جاء طلبه الأخير قبل أن يعتقها: قتل توماس، لإزاحة الشاب الذي تقرّب من كيتلين، أو ماريا كما يراها ذلك المجنون.

وضع توماس يضع يده المرتجفة على خاصرته حيث طُعن، راحت بقعة الدماء الدافئة بالتوسع، ملطخةً ملابسة ومُنسابةً من بين أصابعه المرتجفة، ازداد ثقل أنفاسه، وتزامنت ضربات قلبه مع دقات الساعة فعَلِمَ بأن ساعته قد حانت، استجمع الشاب ما لديه من أنفاسٍ أخيرة ليقول بصوتٍ متقطع:

- أخبريه.. بـ بألا يفرح كثيرًا..

سعل، وخرجت الدماء من فمه، لكنه ضغط على نفسه ليكمل:

- حتى لو أزاحني من طريقه، فـ كيتلين لن تكون له أبـ...

توقف قلب توماس مع آخر دقّات ساعة منتصف الليل، كان منظرًا لم تتمكن غابي من تحمله، انهمرت دموعها، وألقت بسكينها، لتجري هربًا من ثقل فعلتها.

"ما آلمني أكثر من كل شيء.. أنه مات وحيدًا".

"توماس بيتفورد، ذلك الشاب الذي كان يحمل في قلبه روحًا مرحة، دائمًا يفاجئني في كل لقاء، الشخص الذي أدخل البهجة إلى حياتي دون عناء، وساندني بطريقته الفريدة، قد رحل.. غادرنا دون أن يحظى بفرصة ليودع أحدًا".

داخل القاعة، وقفت إيمًا متيقظة، ترصد بقلق أليكس وهو يقترب مسرعًا نحوهم، ما إن وصل حتى أمسك بيدها، ثم قال وهو يقودهم بسرعة:

- تعالوا من هذه الناحية..

لم يترددوا في اتباعه، ساروا جميعًا خلفه، فقال مفسرًا:

- لقد سمعت أحد رجال أمي يأمر البقية بالإمساك بكم.

عند مخرج القاعة الجنوبي، حيث وقع اصطدام إريك وراين، وقف الأخير لثانيتين قبل أن يُتابع سيره وهو يُحكم قبضة يده، أما إريك، فلم يتوقف طويلًا، استدار وعاد إلى القاعة، أصبح الآن في مواجهة مباشرة مع أخيه أليكس وبقية المجموعة، كان مستعجلًا، ولم يحاول حتى تفاديهم، بخطوات سريعة، شق طريقه بين إيما ويوميكو، ليقول منزعجًا:

تراجعت الفتاتان، وفتحتا له الطريق بحركة شبه لا إرادية، لكن الصدمة تمكنت منهما، وجاءت كلماتهما متزامنة، كما لو كانتا قد أدركتا الحقيقة ذاتها في اللحظة نفسها:

توقفت يوميكو للحظة، ثم أدارت رأسها نحو إيمّا، لتسألها:

- من تعنين؟

لكن إيمّا لم تكن أقل حيرة، رمقتها بدهشة وسألت بالمثل:

- بل من تعنين أنتِ؟

أجابت يوميكو وهي تستذكر أحداث اليوم الذي بدأ به كل شيء:

- لقد سمعت صوته من قبل، هو أحد الأشخاص الثلاثة الذين دخلوا إلى منزلنا القديم تلك الليلة.

شهقت إيمّا، لتقول بعينين مفتوحتين على وسعهما:

- وهو أيضًا الشخص الذي كان يرافق راين في المستشفى.

"في الوقت الذي اعتقدنا أن بينجامين ومن معه قد سبقونا، كان راين يتقدم على الجميع بخطوة".

إريك بيتفورد، الذي بدا وكأنه الابن المخلص لوالدته مارثا أمام الجميع، كان في الواقع يتحرك في الظل، يعمل إلى جانب راين، متحالفًا معه بسرية منذ البداية.

مع اقتراب موعد اختيار الضيوف من نهايته، وتماشيًا مع أوامر مارثا، راح رجالها يوقفون البقية قبل فرارهم، وقف أحدهم أمام هارو ليقول لها:

- أنا آسف يا سيدتي، لكن أمسيتك تنتهي هنا.

أما أليكس، فقد وجد حارسًا آخر ينتظره عند المخرج، يسد عليه

الطريق بنبرة حازمة:

- سيد أليكس، أرجو أن تبتعد عن هؤلاء الأشخاص.

وفي عمق الممر، وقف حارس أخر ليقول:

لم يعترض الشاب على إيقافه، بل استسلم بهدوء، وذهب برفقة الحارس إلى حيث تم اقتياد هارو والبقية من قبله، سار الجميع نحو الجناح الثالث، لكن على عكس الضيوف المنتقين، تم اقتياد من قُبض عليهم إلى الأقبية في الأسفل، نزلوا الدرجات الزلقة والمظلمة، وحبسوا هناك في غرف منفصلة بدت أقرب إلى سجون من قلاع العصور المظلمة، حيث الرطوبة والظلام يسيطران على المكان.

داخل إحدى الزنزانات، راحت هارو تحاول فتح الباب بلا جدوى، وجدت ستيف بجانبها، فاقدًا للوعي بجُرح عميق في مقدمة رأسه، حاولت إيقاظه، لكن دون جدوى، فبدأت تضرب بقبضتها على الباب الحديدي وهي تصرخ غاضبة:

- لا يمكنكم ترك ستيف هكذا!

وفجأة، سمعت صوت مزلاق القفل يتحرك، ابتعدت إلى الوراء، وهي تراقب الباب وهو يُفتح ببطء، ليظهر من خلفه أحد الحراس الذي دفع القادم الجديد، ثم أغلق الباب من بعده، تحركت هارو ناحيته الشاب فقالت:

- راين! أمسكوا بك أنت أيضًا.

في زنزانة أخرى، أُغلق الباب خلف إيمّا ويوميكو وماثيو، تاركًا إياهم في عزلة ثقيلة، لكن، سرعان ما استدار الثلاثة بعد أن انتبهوا لوجود شخصٍ رابعٍ معهم، هناك في الزاوية المظلمة، ابتسمت صاحبة الفستان الزهري، لتخاطبهم بنبرة مرحة:

***

بالعودة إلى الزنزانة الأولى، اجتاح هارو إحساس بالريبة للحظة، فتقدمت ببطء نحو نافذة الباب، حيث تسللت خيوط الضوء الخافتة

من فوانيس الممر عبر القضبان الحديدية، لتلقي بنورها على الشاب أمامها، ارتعشت أنفاسها وهي تخاطبه:

***

وسط تلك الأجواء المشحونة بالترقب، اختفى ضيوف الاجتماع خلف الباب الذي يتوسط البهو العملاق، الباب الذي تتوشح واجهته بنقش زهرة الجوري الحمراء، كرمز وكشاهد على عمليات تلك الطائفة الغامضة.

خلف الباب، امتدت القاعة المستديرة بحضورها الفخم، تتوسطها طاولة حجرية ضخمة، وقد وزعت عليها الشموع المضاءة، لتغدو مصدر الإنارة الوحيد، راح لهيبها المتراقص يناضل ليكشف ملامح الأقنعة المتباينة للضيوف المصطفين من حولها.

أدارت فيكتوريا رأسها، تبحث في زحام الأوجه المقنعة عن ابنها وليام، حتى رصدت قناعه أخيرًا، وجدته يقف بعيدًا عنها، مما زرع في نفسها تساؤلات لم تجد لها إجابة.

لم تفهم إن كان هذا تغييرًا في موقفه، أم أنه لم ينتبه إليها؟ غير أن الحقيقة، كما هي دائمًا، تمتلك وجهًا آخر، وجهٌ عجزت فيكتوريا عن رؤيته.

ابنها وليام لم يكن هناك أبدًا، بل لم يغادر غرفته من الأساس، كان لا يزال هناك، يجلس بهدوء على طرف سريره، يتأمل عقارب الساعة مفكرًا، بعد صراع طويل مع خواطره، همس الشاب مخاطبًا حاله:

***

من موقعها في الزنزانة الأولى، تجمدت هارو في مكانها، وقد صعقتها رؤية قناع راين وهو يسقط أرضًا، ليكشف عن وجه زوجها بوب خلفه، ارتجفت الكلمات وهي تنطق باسمه:

- بوب!

بوجه بشوش، قال بوب ممازحةً زوجته:

- مفاجأة.

- لماذا أنت هنا؟ وأين هو راين؟

كان راين يقف هناك بعيدًا، متخفيًا خلف قناع وليام، مستعدًا لتنفيذ خطته التي نسجها بعناية فائقة. كان ذلك ما عناه في رسالته عندما أكد أنه وجد طريقًا للدخول، اعتمدت خطته على قائمة المدعوين التي طلبها من هارو، والتي كانت المفتاح لإيجاد شخص يمكنه أن يحل محله. وليام، ابن فيكتوريا بيتفورد، كان الخيار المثالي لهذه المهمة. لهذا نسّق راين مع جوليا لتتحدث مع وليام، وهو ما حدث في الليلة الأولى للحفل.

أما إريك بيتفورد، فقد لعب دورًا حاسمًا في تزويد راين بتفاصيل الاجتماع، حيث اصطدم به قبل قليل وسلّمه ورقة تحمل معلومات دقيقة عن الاجتماع، كما أخبره بأن وليام قد وافق على التبديل.

وما كانت الخطة لتكتمل لولا بوب، اجتمع الثلاثة في غرفة وليام، حيث استبدلوا ملابسهم وأقنعتهم، ثم سلّم بوب السلاح الذي تمكن من تسريبه إلى راين، قائلاً:

- *هذا سلاحك.*

أخذ راين المسدس وأخفاه بين ملابسه، ليقول مخاطبًا الشابين أمامه:

- أعتذر لأنني أقحمتكما في هذه العملية بهذه الطريقة.

بعد هدوء مربك دام لثوانٍ قليلة، ضحك بوب ساخرًا ليقول:

- هارو ستقتلني عندما تعلم أنني ساعدتك في هذا.

لكن سرعان ما تلاشت ابتسامته الساخرة، لم يرغب بوب أن يرى صاحبه يلقي بنفسه إلى عرين الأسود بتلك الطريقة، إلا أنه ما كان ليتركه وحيدًا في مواجهتهم أيضًا، فقال بمحاولة أخيرة:

ارتدى راين قناع وليام لئربت على كتف بوب مُجيبًا:

- لقد فعلت ما يكفي يا صديقي.

لم يكن راين ليُلغي هذه المهمة، كانت تلك اللحظة التي انتظرها طويلًا، وقف بين أعدائه، ومد يده ناحية سلاحه، كل ما عليه فعله

هو تصفية بينجامين وكل أعوانه، فأخرج المسدس، مستغلًا الظلام المحيط به.

لكن قبل أن يرفع السلاح، فوجئ بيد تمتد لتلتف حول المقبض معه، فالتحمت أصابعهما وتشابكت معًا.

"ما كُنت لأتركه يذهب هكذا دون أن أخوض معركةً أخيرة".

تصارعت مشاعره، وتلاحقت أنفاسه مع تصاعد ضربات قلبه، لم يكن بحاجة إلى النظر إليها ليتأكد من هويتها، فملمس يدها وحده كان كافيًا، بصوت خافت يكاد لا يتجاوز حدود تلك المسافة الضئيلة بينهما، سألها:

- ما الذي تفعلينه هنا؟

ابتسم وجه كيتلين المتخفي وراء قناع ميغان بحزن، لقد تمكنت من اقناع ميغان بأخذ مكانها في اللحظة الأخيرة، هي لم تعلن استسلامها بعد، فأجابت على سؤال راين هامسة:

- أتسمي ذلك وداعًا؟

- كيتي!

همس باسمها، وأدار رأسه ناحيتها غاضبًا، فأجابته بهدوء:

- أخبرتك أنني لن أوقفك، لذلك إما أن تمنحني وداعًا يليق بنا، أو

نمضي معًا في مخططك.

"قد يبدو هذا جنونيًا، وربما تصرفًا متهورًا، بل قد يراه البعض سلوكًا طفوليًا نابعًا من فتاة مدللة.. لكنني، وسط كل الخيارات التي بدت مستحيلة، لم أجد سوى هذه الطريقة لأكسر عناد ذلك الرأس الصلب وأثبت وجهة نظري".

وقف بينجامين عند أحد أطراف الطاولة المستديرة، راقب الحاضرين، مستشفًا التردد الخفي خلف أقنعة بعضهم، ثم قال:

- سنبدأ الآن، ليأخذ كلٌ منكم مكانه.. وإن كان بينكم من يرغب بالانسحاب، فليتكلم الآن أو ليصمت للأبد.

"كم خشيت أن يضيع مني وسط العاصفة، لهذا أحكمت قبضتي على يده وأنا أستمع لنداء بينجامين، إلى أن شعرتُ بها..".

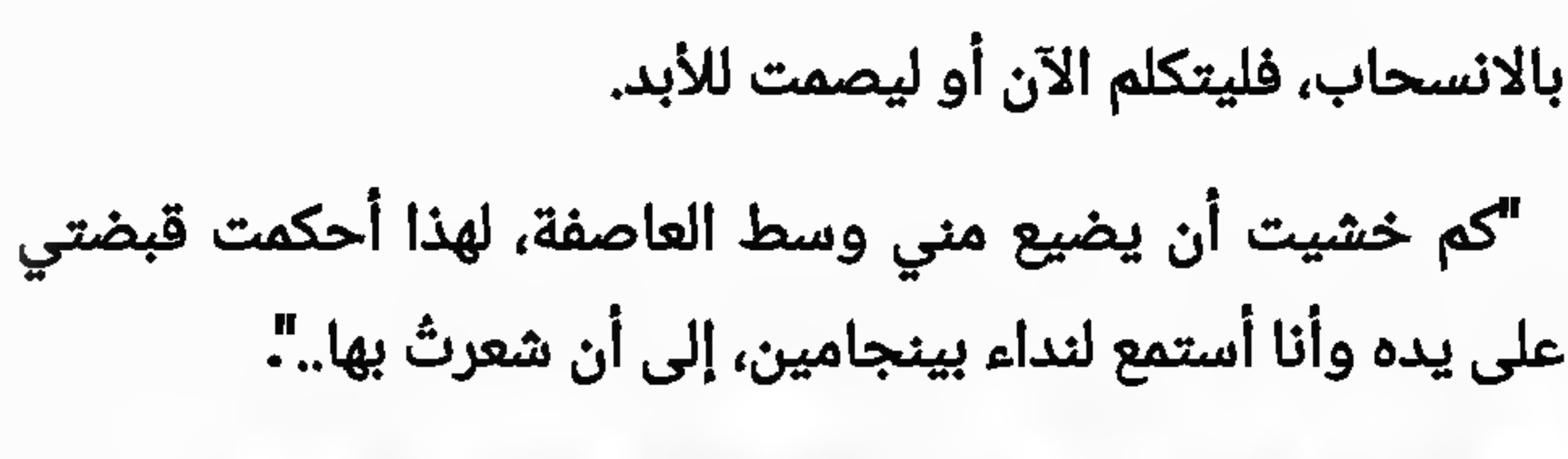

"انسابت دموعي الفرحة مع ارتخاء يده أخيرًا، وعلمت بأنني قد كسبت تلك المعركة".

استدار راين بخفة، وأخفى سلاحه بحركة سريعة، دون أن ينبس بكلمة، أمسك بيد كيتلين وسحبها خارج القاعة، أما هي، فلم تكن

بحاجة إلى أكثر من ذلك.

"ربما انتصرت في هذه المعركة، لكن الحرب لم تضع أوزارها بعد، فلا مجال للراحة، ولا وقت للاحتفال الآن".

***

في داخل القاعة، انتظر إدوارد اللحظة المناسبة ليتقدم معلنًا بعد أن أزال قناعه من على وجهه:

- بما أن الجميع تقريبًا باتوا يعلمون أنني المسؤول عن الفوضى خارجًا، فلا يبدو أنني محل ترحيب هنا

من خلفه، بدأ إخوته بالتحرك واحدًا تلو الآخر، كانت هيلين أول من تحدثت:

- لا يمكنني المضي قدمًا بهذا.

مارثا، التي لم تتوقع هذا الانشقاق المفاجئ، اعترضت لتوقفهما:

- ما الذي تفعلانه؟

بكل هدوء نهض أليكس من مكانه، وتبعه إريك وستيفان، ثم جرت جيسيكا لتلحق ببقية إخوتها:

- انتظروني.

ولم يتبقى إلا فيكتور الذي ظلّ في مكانه متردّدًا، لم يكن الأخ الأكبر قد حسم قراره بعد، إلا أن جوليا راحت ترجوه بصمتها حتى أن استسلم أخيرًا، صدرت منه تنهيدة خافتة قبل أن يهمس لها:

- لنغادر.

بينما يسير في المقدمة، أدار إدوارد رأسه ونظر إلى اخوته من خلفه، ليقول معتذرًا من مارثا:

- نحن آسفون، لكنها المرة الأولى التي نجتمع بها على أمرٍ ما.

ما حصل لم يكن وليد اللحظة، في الليلة الثانية، كان من واجب إريك إخبار اخوته بأمر الاجتماع، التقى بهم قُبيل الحفل بساعات قليلة، ودار النقاش بينهم حول فكرة الانسحاب، كان عليهم اتخاذ القرار الذي سيغير مسارهم إلى الأبد، الجميع كان حاضرًا باستثناء تايلور، الذي لم يُلبّ نداءهم ولم يظهر، أما فيكتور الذي لم يكن قد حسم قراره آنذاك سألهم:

- هل أنتم مقتنعون بهذا القرار؟

ترجته هيلين:

-ألم تسمع ما قاله إدوارد؟... كل تلك الأموال ملطخة بدماء

الكثيرين.

ولم يُضف البقية على ما قالته الأخت الكبرى، بعد ذكرها للأموال الفاسدة، تم حسم القرار، وكانت النتيجة انسحابهم من أهم اجتماعٍ في حياتهم.

***

في الأسفل، وداخل الزنزانة الأولى، حيث الظلام يلف المكان بصمت ثقيل، انحنى بوب فوق ستيف، يهزه برفق:

- ستيف، هيا.. أفق.

بعد محاولات متكررة، بدأت عينا ستيف تفتحان ببطء، أمسك برأسه، ليسأل وقد بدا عليه الضياع:

- بوب! ما الذي حدث؟

لكن ما إن بدأت تفاصيل المكان تتضح أمامه، حتى اتسعت عيناه في ذهول:

- ما هذا المكان؟

من خلف بوب، تقدمت هارو بخطوات حذرة، لتجيبه:

- لقد أمسكوا بنا قبل الاجتماع بقليل.

انتفض ستيف فجأة، ليقول بانفعال:

- الاجتماع! ماذا!... هل مرّ يومٌ كامل بالفعل؟

بوب، الذي كان يحاول تهدئته، أمسك بذراعه ليعينه على الجلوس باعتدال، ثم سأله بصوت قلق:

- ما الذي حدث معك؟

تلفّت ستيف حوله، وكأنه يبحث عن أحدهم عندما قال:

- بيانكا.. أين هي؟

فأجابته هارو:

- لا نعلم أين هي، لم يرها أحد منذ الليلة الماضية.. أهي من فعلت بك هذا؟

كانت هارو تشير إلى الجرح البارز على رأسه، لكن ستيف لم يرد، بدلاً من ذلك، ضرب قبضته بالأرض ليشتم غاضبًا:

- تبًا لها.. لقد هاجمتني على حين غرّة.

هارو، التي بدا عليها الأسف، قالت بخفوت:

- أعتذر. كان علي تحذيرك بشأنها في وقتٍ مسبق.

لكن ستيف، الذي بدأ يستعيد قوته، نهض ببطء، ينفض الغبار عن ملابسه ليقول لها:

- لا تهتمي، فأنا أيضًا كانت لي شكوكي الخاصة بشأنها، هذا جزائي لأنني لم أكن حذرًا بما فيه الكفاية..

ثم توقف فجأة، وقد أدرك المحقق أمرًا ما، ليسأل:

- مهلًا.. لماذا أنتما فقط هنا؟ أين هو راين؟

تبادل الزوجين النظرات فيما بينهما قبل أن يُبادر بوب مُجيبًا بإحباط:

- كانت لـ راين خططه الخاصة.

***

بعيدًا عن موقع قاعة الاجتماع، توقف راين فجأة، ليُفلت يد

كيتلين، استدار نحوها، ثم عاتبها غاضبًا:

- لِمَ فعلتِ هذا؟

- لأنني أحبك.

"أشعر بالحرج الآن وأنا أتخيل كيف رميت باعترافي أمامه دون مقدمات، لقد قلتها أخيرًا، أنا أحبك أيها العنيد".

اقتربت منه، وأمسكت بيده، لتُعيد إلقاء اعترافها على مسامعه:

- أنا أحبك، أيها المغفل العنيد.. وهذه المرة، أعنيها بطريقة مختلفة تمامًا عن ذلك اليوم.

"اعترافي الأول كان مختلفًا، فأصاب قلبه بعلة كُنت سببها دون أن أدرك، وحان الآن موعد إصلاح الأخطاء".

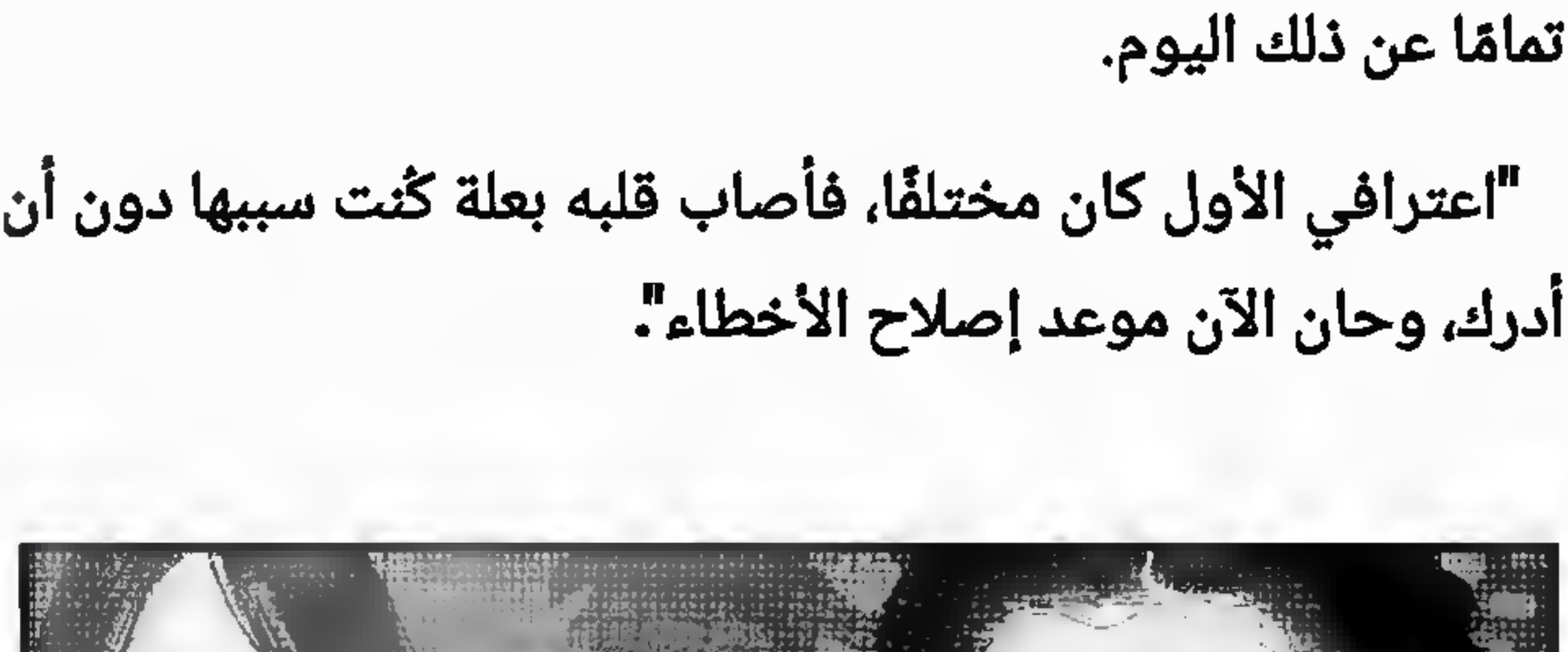

تابعت كيتلين لتضيف:

- لذلك لا يهمني ما هو قرارك، طالما أننا سنكون معًا.. إن اخترت

المضي في انتقامك، أو أردت التراجع والانسحاب، فأنا معك، شئت أم أبيت.

وضع راين يده على يدها، ليقول بوجه بائس محطم:

- إن كان هذا ما تبتغينه يا كيت، فعليكِ أن تستمعي إليّ جيدًا.. لا أريدك أن تفهمي موقفي بشكل خاطئ..

ثم أدار رأسه ببطء، ينظر إلى الطريق التي أتوا منها، ليضيف:

- هناك أمرٌ علي إنهاؤه، وتراجعي قبل قليل ما كان إلا لحمايتكِ.

"كان إحساسي في محله، راين يملك سببًا آخر".

وقبل أن تتسنى له فرصة البوح بما لديه، قطع حواره صوت إدوارد مع أليكس، اللذين انفصلا عن البقية. توقف صاحب العينين الرماديتين لينظر إلى الثنائي أمامه، معلقًا وقد غمرته الفرحة لرؤيتهما سالمين:

- لو علمت أنها ستتمكن من إقناعك، لأرسلتها في أثرك منذ البداية!

أجابه راين ممتعضًا:

- هذا ليس مضحكًا يا إدوارد.

تغيرت ملامح إدوارد، ترك المزاح جانبًا، قبل أن يقول بجدية، مشيرًا إلى أليكس:

- معك حق، هذا ليس وقت المزاح.. لهذا عليكما الاستماع إلى أليكس.

تقدم أليكس بملامح يكسوها القلق، ليخبرهم بأمر إيمّا والبقية، ثم تنهد معتذرًا:

- أنا آسف.. لم أتمكن من فعل شيء، حاولت تتبعهم، لكن كل ما تمكنت من معرفته هو أن الحرّاس اقتادوهم إلى هذا البناء.

واصل إدوارد الحديث، معقبًا على كلمات أخيه:

- هيلين ذهبت بالفعل للتحقق من أمرهم، ربما استطاعت دفع بعض الحراس إلى الكلام.

في غضون دقائق قليلة، تمكنت هيلين ومعها جيسيكا وميغان من اللحاق بالمجموعة، أخبرتهم أنها تمكنت من إقناع أحد الحراس بالتحدث، ولهذا تحركوا سريعًا، مستغلين انشغال الجميع بالاجتماع.

عادوا أدراجهم باتجاه المكان الذي أشارت إليه هيلين، ونزلوا الدرجات الزلقة بحذر، بدت الأقبية كسلسلة من المتاهات المتفرقة، ممتدة في كل اتجاه، تضغط بجدرانها الباردة على أنفاسهم.

عندما وصلوا إلى قاعة صغيرة تتفرع منها أربعة ممرات، توقف راين، الذي كان يتقدم المجموعة، ونظر إلى هيلين قبل أن يسأل:

- أي واحدة منها علينا أن نسلك؟

نظرت إليه هيلين باضطراب، وقد تاهت عيناها وسط تعقيد المكان:

- لستُ واثقة..

فأجاب إدوارد، وهو يُشير إلى الممر الأول عن يمينه:

- لنبدأ من هناك.

***

في الزنزانة الثانية، كانت بيانكا تجلس بكل أريحية في زاوية المكان، لكن سرعان ما تغيرت نظراتها، وارتسمت على وجهها ابتسامة مريبة قبل أن تقترح عليهم بنبرة غامضة:

أجابتها يوميكو بجفاء:

- من أنتِ؟ ولماذا علينا الوثوق بك؟

سحبت إيما صديقتها جانبًا، لتهمس لها بحذر:

- تلك الفتاة أتت مع أختك وراين إلى الحفل.. رأيتها تقف برفقتهم.

حررت يوميكو نفسها من قبضة إيما وهي تقول:

- وإن يكن، لستُ مرتاحة لطريقتها في الحديث.

وكزتها إيما محاولة إقناعها، لتهمس لها وهي تراقب بيانكا بطرف عينها:

- دعينا فقط نستغلها للخروج من هنا.

تدخل ماثيو في حديث الفتاتين، كان مترددًا بعض الشيء لكنه قال بوضوح وهو يأخذ صفّ إيمّا:

- لم أعتقد أنني سأقول هذا، لكنني أتفق معها.

بعد أن اتفق الثلاثة، استدارت إيمّا ناحية بيانكا، لتسألها ببجاحه:

- هل تملكين حقًا طريقةً للخروج من هنا؟

تركت بيانكا موقعها، تقدمت ناحيتهم وهي تسير ببطء حتى أصبحت بينهم، لفت ذراعها حول إيمّا، ثم أشارت إلى حافة درفة الباب، قبل أن تقول بنبرة واثقة:

- كل ما علينا فعله هو تفكيك تلك الوصلات الصدئة.. وسنتمكن من نزع الباب من موقعه.

بساطة الفكرة لا تعني سهولة تنفيذها؛ فقد تطلب الأمر منهم جهدًا كبيرًا لانتزاع البراغي الصدئة من مفاصل الباب. وأخيرًا، تمكنوا من إزالته من إطاره.

انتظرت يوميكو خروج صديقيها قبلها، لتنفرد مع بيانكا وتسألها ما بدا بديهيًا لها:

- لماذا لم تخرجي من هذا المكان إن كان فتح الباب بهذه السهولة؟

ابتسمت بيانكا بطريقة مستفزة قبل أن تجيبها بنبرة ساخرة:

- هل يصدف أن تكوني أخت هارو الصغرى؟

- وما علاقة هذا بسؤالي؟

عقدت يوميكو حاجبيها وهي تُجيب سؤال بيانكا، وبنظراتٍ حادة، قالت الأخيرة وقد تغيرت نبرة صوتها فجأة:

- لديكما النظرات ذاتها، كوني حذرة يا صغيرة، فالعيون المليئة بالشك لا تكسب صاحبها سوى الأعداء.

ومن دون مقدمات، قهقهت بيانكا فجأة، ضحكت بطريقة مرحة لم تتناسب مع حديثها السابق، ثم عمدت إلى تغيير دفة الحديث وكأنها

شخص مختلف تمامًا:

- أحيانًا لا يعمل عقلي بالسرعة المطلوبة.. فكرة نزع الباب لم تجد طريقها إليّ إلا بعد وصولكم.

ثم تخطت يوميكو إلى الخارج، وكأن شيئًا لم يكن.

***

جلست هارو القرفصاء في مواجهة الباب، تطلعت إليه بقلة حيلة قبل أن تسأل:

- هل تعتقدان بأن الأمر قد انتهى؟

خلفها، نظر ستيف إلى ساعة يده التي تشير إلى 2:10، وأجابها بصوتٍ محبط:

رفضت هارو القبول بهذه النهاية، فأدارت رأسها وصرخت بزوجها بوب، معاتبةً إياه:

- ما كان عليك مساعدته يا بوب.

وفجأة، سمعوا صوت أحدهم من خلف الباب يقول:

استدار الثلاثة داخل الزنزانة نحو الباب، وقد أشرقت وجوههم فرحًا لسماع صوت راين، اندفعت هارو ناحية الباب، التصقت به لتلقى نظرة من نافذته الصغيرة:

- راين! أهذا أنت؟

أدير القفل، وانفتح الباب، فظهر لها راين ومن معه، ليجيبها الشاب باسمًا:

- نعم، هذا أنا..

ثم نظر إلى بوب وستيف من خلفها، مضيفًا:

- من يرغب بالعودة إلى المنزل؟

التمعت عينا هارو وهي تسأله، وقد تمكن منها القلق بالكامل:

- هل يعني هذا أنك قتلت الجميع؟

ابتسم طرف فك راين، لتظهر غمازته وهو يجيب بطريقة ساخرة:

- كنت على وشك فعلها لو لم يتدخل أحدهم ليفسد الأمر.

ثم أشار بعينيه إلى كيتلين الواقفة بجانبه، قاوم إدوارد الضحك ليقول مُغيظًا كيتلين:

- عليك اعتياد الأمر، لا أعتقد أنه سينسى الموضوع لفترة.

فربعت كيتلين ذراعيها، ومدت شفتيها بامتعاض:

- لا تذكرني.

ومن دون إضاعة المزيد من الوقت، عادت المجموعة إلى القاعة الصغيرة. كانوا سيسلكون الممر الثاني، إلا أنهم توقفوا بعد سماعهم بعض الأصوات الصادرة من الممر الذي يليه. فقالت كيتلين، بنبرة حذرة:

- هنالك أحدٌ قادمٌ من تلك الناحية.

وقفت المجموعة بترقب، وفي غضون ثوانٍ قليلة ظهرت إيما ومعها يوميكو وماثيو، اجتمع الأصدقاء فرحين بنجاة الجميع، فيما عدا هارو معها بوب وستيف، حيث قال الأخير، بعد أن شاهد بيانكا تتقدم من خلف الشبان الثلاثة، فصرخ بها ستيف:

- ها أنتِ ذا، أيتها الخائنة.

استدارت بيانكا لتسير بمحاذاة الحائط الحجري، وهي تجيب ستيف بغير اكتراث:

- ما الذي تعنيه يا ستيف؟

ودون تأخير، اتخذت هارو جانب ستيف، مشيرةً بإصبع الاتهام نحو بيانكا:

- هيا يا بيانكا، لا فائدة من الإنكار.. أمرُك قد انكشف.

ابتسمت بيانكا، لترفع طرف ثوبها وتسحب سلاحها المثبت بحزامٍ

في ساقها، تأملت مسدسها الصغير بشغف، قبل أن تقول بنبرة واثقة:

- أهذا رأي الجميع هنا؟

***

في القاعة، كان الاجتماع قد شارف على نهايته، حمل للحضور نتيجةً غير متوقعة بشأن اختيار الوريث، حيث كان الاختيار صادمًا للجميع.

لم تستطع مارثا تحمل سماع المزيد، فغادرت القاعة لتهدئة نفسها، ملأت رئتيها بالهواء وزفرته ببطء، محاولةً طرد الثقل الذي يخنقها، وفي تلك اللحظة، أتاها أحد أعوانها بخطوات مسرعة، ليقول بقلق:

- سيدتي، حدث أمرٌ فظيع.

***

أمام بوابات القصر، حيث تمركزت عناصر الشرطة بقيادة القائد مورغان، لاحظ أحد رجال الشرطة دورية منفردة تصعد التل متجهة نحوهم بسرعة فائقة، فأخبر الشرطي مورغان على الفور:

- سيدي القائد، هذه الدورية تابعة لنا تتجه إلى هنا!

توقفت الدورية، وترجل منها أحد عناصر الشرطة وبرفقته شخص آخر، تقدم القائد مورغان بخطوات حثيثة نحوهم، ليقول مُستفسرًا:

- هلا أخبرني أحدكم ما الذي يحصل هنا؟"

***

في القاعة الصغيرة المحاطة بالممرات المظلمة، جمد الجميع في أماكنهم عندما أخرجت بيانكا سلاحها. فيما عدا راين، الذي قرر كسر حاجز الصمت، وعلّق بنبرة هادئة:

- يبدو أن أحدهم تمكن من إدخال بعض الممنوعات إلى هنا.

رفعت بيانكا حاجبيها بتحدٍ، وأجابته بنبرة مائلة إلى السخرية:

- بحسب ما أرى، فلستُ الوحيدة التي فعلت ذلك.

أجابت راين وهي تُشير إلى السلاح الذي يحمله، ثم أضافت:

- أكره تخييب ظنكم، لكنني لستُ العدو هنا.

شقّت ابتسامتها الساخرة وجهها وهي تتراجع إلى الخلف بحذر، ثم ألقت نظرة خاطفة نحو الممر المجاور، بعدما التقطت أذناها صوت خطوات تقترب ناحيتهم.

انتبه الجميع بدورهم إلى وقع الخطوات المقتربة، فالتفتت أنظارهم نحو مصدر الصوت، وفي لحظات، خرج من قلب الظلام، وكأن العتمة لفظته إلى الخارج، فشهقت يوميكو بدهشة:

- ريوتا!

اندفعت ميغان نحوه، فرحة برؤيته أخيرًا، لكنه أوقفها برفع سلاحه في وجهها، وقال بنبرة صارمة:

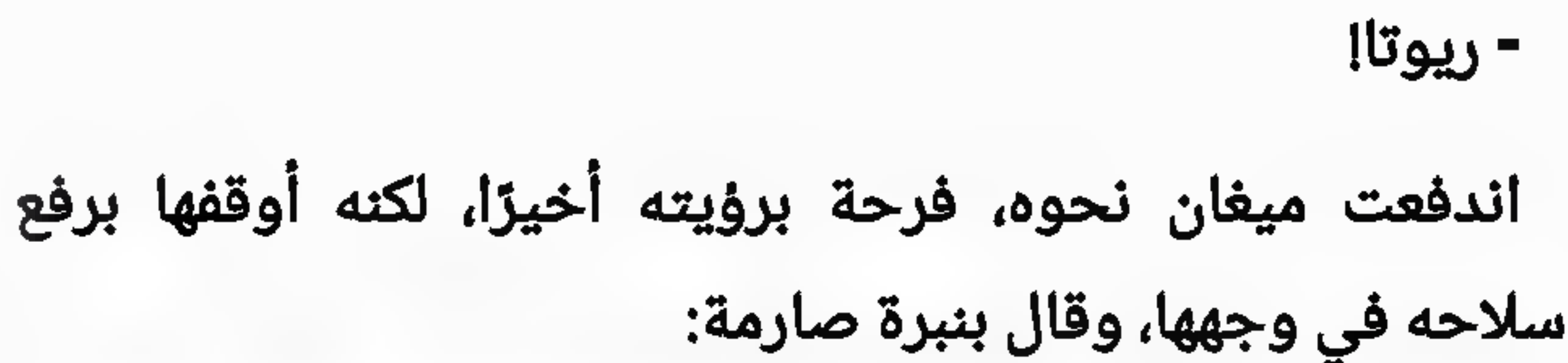

نظر إليها ريوتا بلا أي تعبير واضح على وجهه، فاندفع إدوارد وسحب ميغان إلى الخلف في حركة غريزية لحمايتها، فجأة، عندها صرخت هارو بأخيها:

- ما الذي تفعله؟ أنزل السلاح من يدك!

وهنا، انتبه إدوارد إلى أمر ما، تابع نظرات ريوتا ليكتشف إلى أين

يوجه سلاحه. في تلك اللحظة، خفق قلبه بقوة، وتمتم بغير تصديق:

- ريوتا! لا تقل لي..

خلف ضباب التوتر، تهاوت الأفكار في ذهن إدوارد كقطع أحجية تتجمع أخيرًا. قاتل والدته وجاكلين... حادث السيارة... ريوتا رفض إخباره بهويته حينها وتعذّر بحجج واهية، والآن، هو يُشهر سلاحه في وجه أحدهم.

عندما أدار إدوارد رأسه، تجمد في مكانه؛ فالشخص المستهدف لم يكن سوى راين.

قبضة ريوتا اشتدت أكثر حول السلاح، وعيناه تحملان إصرارًا غريبًا، فيما توتر الجميع من حوله، فصرخ إدوارد معترضًا:

- لا يُمكن أن يكون راين القاتل! لابد أن هناك خطأ ما!

في المقابل، وعلى الجهة الأخرى، وقف راين بثبات دون أن يُبدي أي ردة فعلٍ تُذكر، بينما قالت كيتلين التي تقف إلى جانبه:

- هنالك خطأ ما.

لم تتمكن يوميكو من الوقوف مكتوفة اليدين، راحت تترجى أخاها:

- お願い、兄ちゃん、話そうよ(4)！

لكن ريوتا ردّ عليها بإجابة مبهمة:

تبادلت أختاه نظرات حائرة، لم تفهما ما يقصده رغم وضوح كلماته، فجأة، رفع راين سلاحه ووجهه نحو ريوتا. حاولت كيتلين التدخل لتمنعه:

- تمهل يا راين!

في الخلف، استغلت بيانكا الفوضى لتنسحب بهدوء دون أن يلاحظها أحد، بينما صرخت هيلين بكلا الشابين:

- أنزلا سلاحيكما في الحال!

لكن راين لم يتراجع، وضع إصبعه على الزناد وقال لـ ريوتا بصوت بارد:

في لحظة واحدة، انطلقت الطلقات من كلا الجانبين، خرجت رصاصتين من فوهة سلاح ريوتا، اخترقتا الهواء باتجاه راين، ثم تجاوزتاه دون أن تُصيباه. بينما لم تخطئ طلقتي راين، تلقاهما ريوتا في صدره، وأوقعته أرضًا، إلا أن راين لم يكبح نفسه حتى مع إصابته لهدفه، واستمر بإطلاق النار دون توقف.

وسط الصراخ والعويل، وهيمنة الظلام على المكان، ولم يعد أحد يدرك ما يحدث. انتشرت رائحة الدماء الثقيلة، وتوقف إطلاق النار فجأة. ساد الصمت، إلا من صوت أنين خافت.

فتحت كيتلين عينيها ببطء، أزالت يديها المرتجفتين عن أذنيها، ونظرت حولها. هناك، على الأرض، كان ريوتا مستلقيًا بلا حراك. ركضت نحوه، ومعها يوميكو وميغان، والدموع تغمر وجوههن.

"لم أجد في نفسي الجرأة الكافية لأقترب منه أكثر وأتأكد.. جمدت

على بعد ثلاث خطوات من جسده الملقى هناك، وفجأة...".

- قل لي بأنني لم أخطئ.

تحدث ريوتا بصعوبة، صوته بالكاد يُسمع وهو مستلقي على ظهره، فأجابه راين الذي أدار رأسه إلى الرواق خلفه:

بوجه يكسوه القلق، تفحصت ميغان ريوتا، لتتأكد من سلامته.

بينما في الجهة الأخرى، اقترب إدوارد من راين، نظر إلى ما كان يحدق فيه، فتجمد جسده للحظة، إدراكه لتفاصيل المشهد أصابه بالشلل، فتهاوت ركبتاه، وجلس أرضًا، ثم ببطء، وكأنه يخشى أن يكتشف شيئًا أسوأ، أدار رأسه إلى الجهة المقابلة، ليشاهد ريوتا يحاول النهوض بصعوبة، وجهه شاحب، لكنه بخير. عندها، سأل راين الواقف بجانبه، مُطالبًا بالتفسير:

- ما الذي يجري؟

دون أن يُجيب، سار راين في عمق ذلك الرواق، ثم ركل السلاح

الذي كان قد سقط من أحد الرجلين الذين أصابهما ريوتا.

نظر إليهما راين بإحباط، فزفر بضيق، قبل أن يثني إحدى ركبتيه مقتربًا، ليقول بصوتٍ بارد:

- لقد ظهر الخائن الحقيقي.

كان ستيف يمسك بساقه المصابة، أطرق بوجهه الشاحب أرضًا، ولم يجرؤ على النظر في عيني راين. إلى جانبه على الأرض، كان أحد الحراس يئن من الألم بسبب الطلقة التي اخترقت خاصرته. ودون تردد، وضع راين فوهة سلاحه على رأس ستيف، وسأله بصوتٍ حاد:

- متى كنت تنوي قتلي تحديدًا؟

لكن ستيف ظل صامتًا، حدق فيه راين للحظة، ثم زفر بضيق وتركه، نهض بخطوات ثابتة، متجهًا نحو ريوتا. هناك، خلفه، كان شخص إضافي مستلقيًا بلا حراك، وجده راين غائبًا عن الوعي متأثرًا بجراحه، فعاد راين ليُدير رأسه ناحية ريوتا الذي كان يحاول فتح معطفه بصعوبة، ويقول متذمرًا:

- تبًا يا راين، طلقة واحدة كانت لتكون كافية.

ساعدته ميغان على نزع ملابسه، وعندما رأت السترة الواقية أسفلها، انسابت دموعها شاكرة، احتضنت ريوتا الذي حاول التقاط أنفاسه:

- ميغان، أنت تخنقينني.

- أخرس أيها الغبي، كاد قلبي أن يتوقف قبل لحظات.

كان هذا تفسير ما قاله ريوتا عندما أشهر سلاحه في وجه راين:

كان ما قاله اختصارًا لما كُتب على السترة الواقية من الرصاص والخاصة بقسم شرطة هيل تاون، أراد ريوتا لـ راين أن يعلم بأنه

سيكون في مأمن بفضل ارتدائه لسترته.

في تلك اللحظة، شعر إدوارد بانزياح الثقل عن صدره، وبدأت التفاصيل تتجمع في ذهنه؛ تذكر كيف أتى دانيال وكيمبرلي بسترة راين عندما كانا يحضران الفأس من المنزل.

ولحسن الحظ، كان دانيال قد احتفظ بالسترة في السيارة، وقرر ارتداءها قبل نزوله أمام المجمع السكني عندما قصد شقة ريوتا ويوميكو لإحضار القرص الصلب الذي كان هناك.

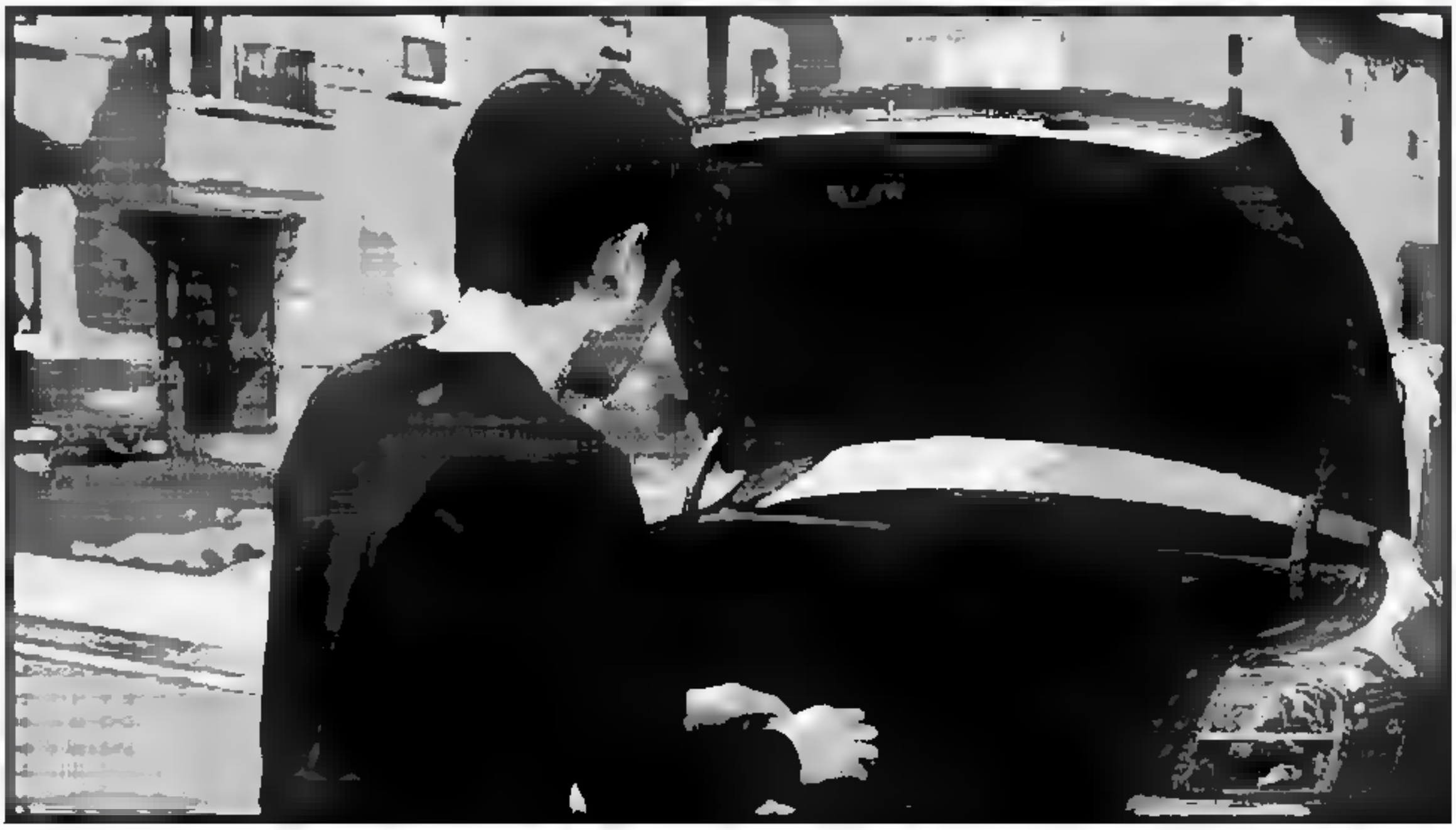

استنتج ريوتا ما فعله دانيال عندما تفقد سيارته المركونة ولاحظ اختفاء السترة، وهنا فقط، توجه إلى ماركوس بكل ثقة، لكنه أدرك سريعًا أن الوضع كان ضدّه، خاصةً عندما رأى ماركوس يوجه سلاحه إلى رأس دانيال. ومع ذلك، لم يتراجع، بل قرر استفزازه ليبعد السلاح عن رأس صديقه.

نجح في ذلك، إلا أن ماركوس لم يكن ليترك الأمور تمر بسهولة، مُنتقمًا لصديقه، صوب المسدس نحو دانيال، وأطلق النار معتقدًا أنه قتله.

إلا أن دانيال، بسرعة بديهة غير متوقعة، تظاهر بالموت ليصبح الورقة الرابحة التي أنقذت ريوتا وكين فيما بعد.

وفي النهاية، لقد كان هو من دفع بـ ماركوس من أعلى الدرج.

خلع ريوتا السترة أمام الجميع وهو يروي لهم تفاصيل ما حصل.

فسألته كيتلين، وقد تملكها القلق:

- وما الذي حدث بعد ذلك؟ أين هو داني؟

- لا تقلقي، إنه بأمان...

بعد أن دفع دانيال ماركوس من فوق الدرج، جرى الشبان الثلاثة إلى أعلى، يجرّون معهم الولدين وليقفلوا باب بيت الدرج. سأل ريوتا دانيال:

- *هل أنت بخير؟*

أشار دانيال إلى صدره، ليجيب بابتسامة خفيفة:

- *أشعر وكأن شاحنةً قد صدمتني، لكنني حي على الأقل.*

بقلق متنامي، سأل كين وهو يسمع صوت ماركوس يصرخ من الجهة الأخرى للباب كوحش ثائر:

- *ما الذي سنفعله الآن؟*

وفجأة، توقف ماركوس وهدأ الوضع، فعلّق دانيال على الهدوء المفاجئ:

- *هل استسلم؟*

نظر ريوتا إلى الباب، ثم أدار رأسه إلى الرواق عن يمينه ويساره، وقال:

- *لا.. ليس من النوع الذي يستسلم بسهولة.. على الأرجح أنه بصدد البحث عن منفذٍ آخر.*

مُحبطًا من الوضع، ضرب دانيال بقبضته على الجدار غاضبًا، ليقول:

- *سحقًا، إن أمسك بنا فنحن هالكون لامحالة.*

- *ستأتي الشرطة قريبًا، أليس كذلك؟*

سأل كين وعينيه تبحثان عن إجابة شافية فى وجهى دانيال وريوتا، فأجابه الأخير بكل هدوء:

- *أكره أن أقول هذا، ولكن من المستحيل أن تسبقه الشرطة إلينا، وذلك الوغد لن يرضى حتى يُشفي غليله بإمساك أحدنا على الأقل.*

وضع دانيال يده على كتف ريوتا، وأداره ناحيته، وكأن به يرى خطة ما في بريق عينيه:

- *أنت تُخطط لشيء ما!*

أومأ ريوتا برأسه، وقال بثقة:

- نعم، سأدعه يُمسك بي.

لكنه قوبل باعتراض شديد من قِبَلِ دانيال، الذي حاول ثنية غاضبًا:

- وكيف سيُفيدنا هذا؟ ماذا لو قتلك؟

- لن يفعل..

أجاب ريوتا بحقة لم يفهما صديقه، ثم أضاف مفسرًا:

- لقد ورده اتصالٌ قبل قليل، وأغلب الظن أنه تحذير بشأن الأدلة التي قمنا بنشرها.. وبما أنني أخبرته بشأن ملفه، فهو يعلم بأن الأدلة بحوزتنا، وسيكفيه إمساك أحدنا.

ثم أشار إلى كين، مضيفًا:

- إن أمسك بي، فهذا سيُعطي كين فرصةً للهرب.. أما أنت يا دانيال، فما تزال ميتًا في نظره، لذلك ستبقى هنا بانتظار وصول الشرطة، وستخبرهم بأن ماركوس حاول قتلك وأنه أخذني إلى القصر.. سنضرب عصفورين بحجرٍ واحد، نوقف ماركوس والحفل أيضًا.

رغم عدم اقتناعه الكامل، خلع دانيال سترته وسلمها إلى ريوتا، ليقول على مضض:

- لستُ مرتاحًا لهذه الخطة، لكنني أعلم بأنه من الصعب تغيير رأيك. لهذا، خذ السترة معك.

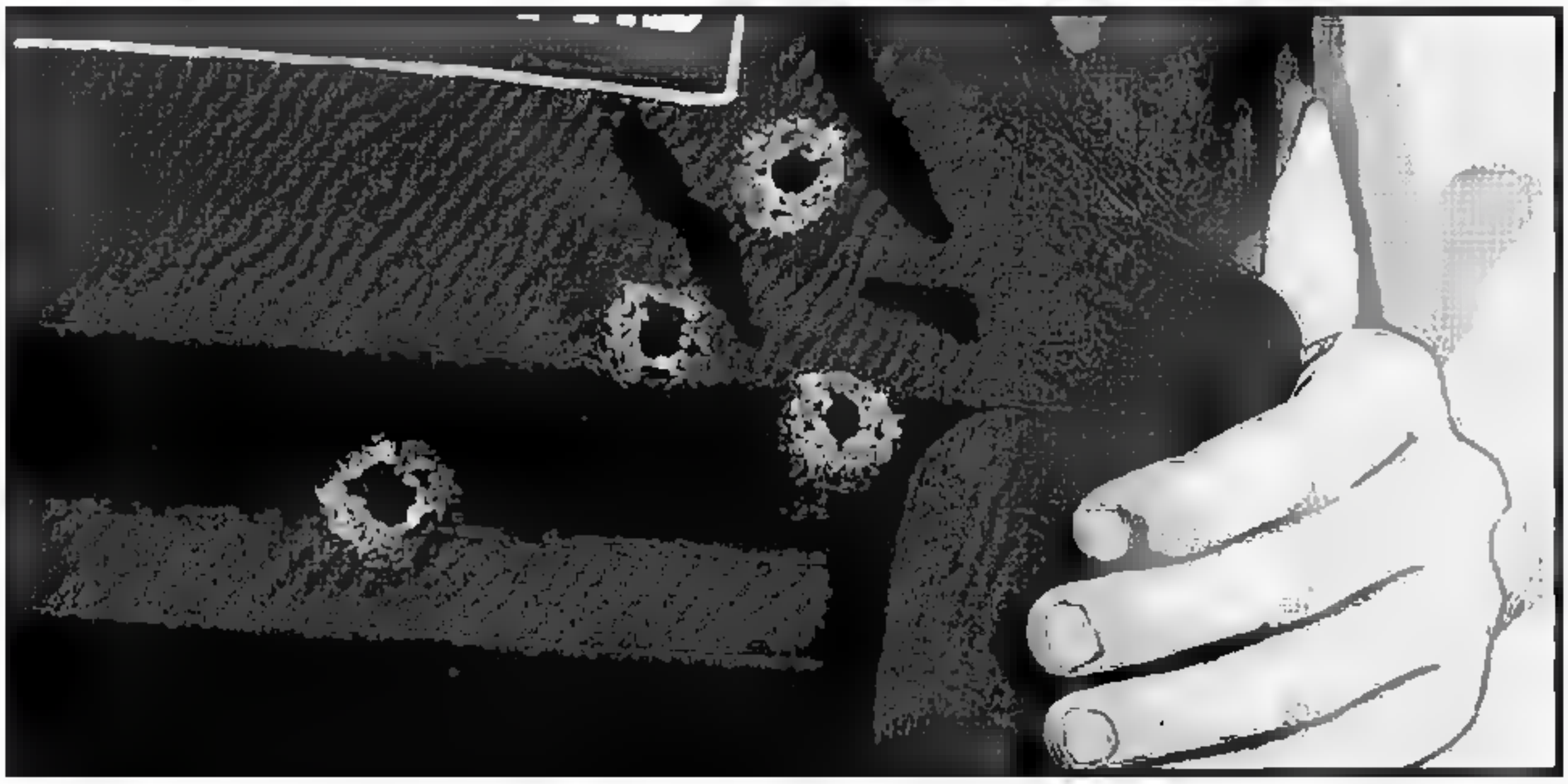

ارتدى ريوتا السترة، فسأله كين الذي لا يزال مشككًا بمدى الخطة:

- *ما الذي ستفعله لو لم يأخذك إلى القصر؟*

أغلق ريوتا معطفه، مخفيًا السترة الواقية، ثم قال بابتسامة ماكرة:

- *لا تقلق، سأجعله يأخذني إلى هناك بكل تأكيد.*

بالعودة إلى الحاضر، رفع راين حاجبه وهو يستمع إلى رواية ريوتا، ثم قال مستنتجًا:

- وأنت أخبرت ماركوس بأنك تريد قتلي.

هزّ ريوتا كتفيه بلا مبالاة، وأجاب:

- كان العذر الوحيد الذي طرأ لي حينها.. أخبرته بأنك قاتل والدتي وماريا.

ماركوس لم يقتنع في البداية، لكن الإصرار والحرقة التي بدت في عيني ريوتا كانتا تحملان شيئًا من الحقيقة التي لم يستطع تجاهلها، كما أن الشاب قد عرض عليه أمرًا آخر:

- سأطلعك على مكان كل الأدلة، لكن دعني أقتل راين وأنتقم لوالدتي.. هذا رجائي الأخير.

سحب ماركوس مسدسًا من أحد أعوانه، أفرغ كل طلقاته تاركًا رصاصة واحدة، لكنه غفل عن وجود رصاصة ثانية في ماسورة السلاح، ناوله ريوتا المسدس وقال مهددًا:

رغم ذلك، لم يكن ماركوس ليثق بـ ريوتا تمامًا. لهذا، أوصى معاونه بأن يكون مستعدًا على الجهة الأخرى، حيث سيحصل على الدعم الكافي من ستيف.

مستمعًا إلى حديث ريوتا بصمت، توجه إدوارد نحو ماركوس المرمي هناك. اقترب منه، ثم انحنى ليثني ركبته بجانب جسده الملطخ بالدماء، وضع إصبعيه على عنقه، يتحسس نبضه، ثم قال بصوت هادئ:

بوب، الذي كان يراقب الموقف، أشار إلى ستيف، وسأل راين:

- ما الذي سنفعله بشأن هذا الخائن؟

حدجة راين دون أن يقول أي شيء، إلا أن نظراته كانت تفصح عن الكثير، إلى جانبه فهمت هيلين وأخيرًا ما عناه راين عندما قال لها سابقًا:

(أنا أعلم أين يقف كل واحدٍ منهم، ولكن ماذا عنكِ يا هيلين؟..

أين موقعكِ في رقعة اللعب هذه؟ بأي صفٍ تقفين؟).

نظرت هيلين إلى أصحابها، ورأت فيهم الماضي الذي لطالما اشتاقت إليه. شعرت بغصة تخنقها، لكنها ابتلعتها على مضض، وقالت بصوت يحمل مزيجًا من الحزم والحزن:

- دعونا فقط نبتعد من هنا قبل أن يأتي المزيد منهم.

***

خلال هذا الوقت، تمكنت بيانكا من مغادرة القصر، تسلقت الأسوار العالية بكل خفة لتتخطاها إلى الجانب الآخر، وثبت قدماها على الأرض بثبات، لم تأخذ لحظة لالتقاط أنفاسها، بل استدارت فورًا، لتجد سكوت بانتظارها، يستند إلى هيكل سيارته مراقبًا. تجاهلته متعمدة واستدارت إلى الجهة الأخرى للسيارة، فسألها قبل أن تفتح الباب:

- هل اكتشفت من هو عميل بينجامين؟

فتحت بيانكا باب السيارة بسرعة، ثم انزلقت إلى الداخل وهي تتفقد أظافرها التي تضررت من تسلق الجدار. زفرت بضيق، ثم قالت، دون أن ترفع رأسها إليه:

- ليس الآن يا سكوت.. ليس الآن.

نظر سكوت إليها لوهلة قبل أن يفتح باب السيارة بدوره، جلس خلف المقود، لكنه لم يشغل المحرك بعد. بدلًا من ذلك، كانت عيناه

مثبتتين على عناصر الشرطة الذين اقتحموا المكان أخيرًا. لاحظت بيانكا ذلك، فأمالت رأسها ونظرت إليهم، فضولها تغلب على تعبها، فسألت:

- هل حصلوا على مذكرة تفتيش؟

هز سكوت رأسه نافيًا، ثم أجابها:

- لا، بل وصلتهم معلومة من أحدهم لإلقاء القبض على مجرم خطير دخل إلى المكان.. سمعت أحدهم يذكر اسم ماركوس.. يبدو أن الأمور بدأت تتعقد أكثر مما توقعنا.

***

في الداخل، كانت المجموعة في طريقها لمغادرة المكان، صعدوا السلالم بخطوات متسارعة وقد وصلت إلى مسامعهم أصوات المناوشات بين عناصر الشرطة وحراس المكان، لم يكن لديهم وقت للتوقف أو التفكير في التفاصيل، فقد كان الخروج هو الأولوية.

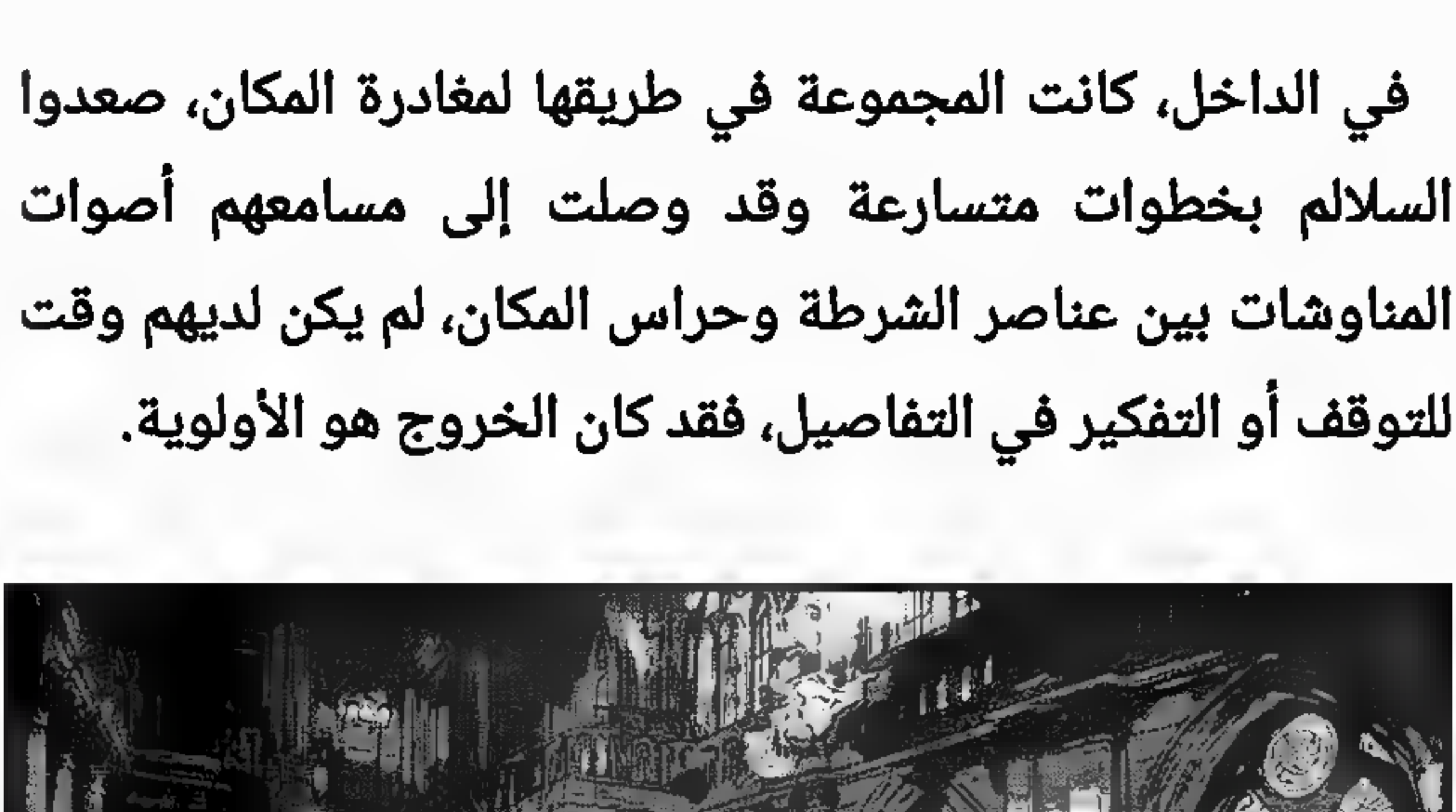

كان مورغان قد قرر في وقتٍ سابق استغلال فرصة إلقاء القبض على ماركوس بعد وصول دانيال إلى الموقع. رأى في ذلك مدخلًا مثاليًا لاقتحام القصر، فاندفع مع رجاله بحجة ملاحقة طريدته المزعومة. انتشروا بسرعة فائقة في كل زاوية وركن، وبكل تأكيد لم يرضخ الجميع لهذا الاجتياح المفاجئ؛ رجال بينجامين ومارثا رفضوا الوقوف مكتوفي الأيدي، لتندلع اشتباكات عنيفة بين الطرفين.

تمكن راين ورفاقه من تجاوز مخرج الجناح الثالث عندما لمحوا دانيال يقف في الجهة المقابلة، ابتسامة كبيرة ارتسمت على وجهه عند رؤيتهم، تقدم نحوهم بسرعة، فسأله ريوتا فور وصوله:

- هل تمكن كين من الهرب؟

هز دانيال رأسه مطمئنًا:

- إنه مع كيم وأوستن الآن في المدرسة.

بعد أن تأكد من سلامة الجميع، استدار دانيال ناحية أخته كيتلين. نظر إليها للحظة، ثم عانقها بحرارة، قبل أن يهمس لها:

- طلبت مني أن أوصل إليك عناقها..

ثم أفلتها ليتراجع قليلاً، ابتسامة صغيرة كانت لا تزال على وجهه عندما أضاف قائلًا:

- إنها مشتاقة إليك.

تاهت عينا كيتلين للحظة وهي تحاول فهم ما يقوله. بدا عليها الارتباك، قبل أن يتدخل إدوارد، ليقول لها:

- إنه يقصد والدتكِ كارمن.. لقد قابلناها واستضافتنا في اليومين الماضيين.

"غبطتهم جميعًا حين علمت أنهم قابلوها، كُنت بشوقٍ إليها.. لرؤيتها.. لصوتها، ولحنانها الغامر. راودتني رغبة جامحة في الهرب، لأرتمي بين ذراعيها وأغرق في دفء حضنها بعد طول انتظار، لكن

صوت عقلي الناضج، كان أعلى من نواح الطفلة الصغيرة التي لا تزال تسكن قلبي. ولهذا، كان لا بد لي من مواجهة الحقيقة، وتبيان الأمر..".

رفعت كيتلين رأسها، وخصّت إدوارد بنظراتها الحائرة، لتلقي بسؤالها أمام الجميع:

- قد لا يكون الوقت مناسبًا، لكن ينبغي أن أسأل عن ماريا.. هل ماريا هي أمـ...

لم تكد تكمل سؤالها حتى فوجئت بإدوارد ينفجر ضاحكًا، لم يكن وحده، إذ تبعه راين، وريوتا، ودانيال وميغان، حتى هارو وزوجها بوب لم يتمكنا من كبح ضحكاتهما. نظرت كيتلين إليهم بارتباك، غير مدركة سبب ردة الفعل تلك، قبل أن تتدخل هيلين، التي قالت:

- هل اعتقدتِ بأن ماريا هي والدتك؟

على الجانب الآخر، نظر ماثيو، ومعه يوميكو وأليكس إلى المجموعة بحيرة واضحة، قبل أن تتدخل إيما، التي عقدت حاجبيها:

- أليست والدتها؟

إدوارد، الذي بدا أنه استعاد هدوءه قليلاً، رغم أن وجهه لا يزال يحمل أثر الضحك، قال مخاطبًا تلك الفتاة الحائرة:

- كارمن هي والدتكِ يا كيت.. وأنا ابن ماريا الوحيد، تفسير الشبه الكبير بينكما بسيط للغاية... ماريا هي أخت والدكِ إبراهام.

ساد الصمت للحظة، قبل أن تفتح إيما عينيها على اتساعهما، وكاد

فكها أن يقع أرضًا:

- ماذاا، مستحيـــــــل!

ثم استدارت نحو كيتلين، تشير إليها وكأنها تحاول استيعاب ما قيل للتو:

- ماريا هي عمتك؟! هههه، ماريا هي عمتك! كان الأمر بتلك البساطة إذًا!!

"نعم كان التفسير بتلك البساطة، ماريا والدة إدوارد، هي في الحقيقة عمتي، أخت والدي، لهذا كان أبي يمر بوقتٍ عصيب طوال الوقت".

بوجه محتقن بالغضب، واجهت كيتلين أخاها دانيال:

- كنت تعلم وأخفيت الأمر عني!

حاول دانيال تبرير موقفه وسط الضحكات التي تعالت من حولهما، فرفع يديه مُدافعًا عن نفسه:

- أقسم لكِ، لم أعلم بالأمر إلا البارحة! أمي هي من أخبرتنا بالقصة كاملة..

ثم استدار قليلًا، مشيرًا إلى إدوارد وراين، وأضاف:

- إدوارد وراين كانا يعلمان منذ البداية.

استدارت كيتلين ناحيتهما، حدّقت بهما للحظة قبل أن تهز رأسها معاتبة:

- تبًا لكما! لماذا لم تخبراني بذلك؟

"رغم عتابي لهما، إلا أن الابتسامة لم تفارق شفتيهما وانتقلت كعدوى سريعة لتلون وجوه البقية، ليتكم تعلمون كم تمنيت أن تدوم هذه اللحظة أكثر، كنت لأغدوا أسعد إنسانة على وجه هذه الأرض لو أن الحكاية انتهت هنا، لكن، لا يزال هناك جزء من النص مفقود، الجزء الخاص بـ راين".

مد راين يده إلى كيتلين، لينطق اسمها:

- كيتي.

- ماذا؟

ابتسم لها ليقول:

"كانت اليد ذاتها التي لطالما امتدت لي، اليد التي لامست روحي قبل كل شيء".

- هيا يا كيت، لقد سبقنا الجميع.

- أنا آتيه.

أمسكت الفتاة بيده، تشبثت به كطوق نجاة لطالما انتظرته، شبكت أصابع يديها معه وقد غمرتها السعادة. لكنها، وكسحابة صيف عابرة، تلاشت سريعًا مع ظهور مايك، أحد رجال ماركوس، وقف الرجل أمامهم حيث كان يتقدم رفاقه بخطى واثقة، علت وجهه ابتسامةٌ باردة قبل أن يقول بصوتٍ رخيم:

- الخروج من هذا المكان ليس كسهولة دخوله.

رفعت هيلين صوتها بلهجة حازمة تحثه على الاستسلام:

- توقف يا مايك، فرجال الشرطة هنا بالفعل.

اتسعت ابتسامة المفزعة، هو يقول مشيرًا إلى المجموعة خلفه:

- أتعنين هؤلاء؟

تقدم من خلفه أحد عناصر الشرطة، وسادت ضحكات رجاله حين قال أحدهم ساخرًا:

- نحن نملك معظم رجال الشرطة يا آنستي.

تقدم راين بخطوات حذرة أمام رفاقه، ليهمس بخطة قصيرة:

- استعدوا للهرب.

كان لا يزال ممسكًا بيد كيتلين، فأرجع يده الأخرى خلف ظهره وأشار لرفاقه بالتفرق، وعلى مهل، تراجع إدوارد إلى الخلف معه أخته جيسيكا وأليكس، بالإضافة لـ إيما، بينما انزاح ريوتا إلى جهة اليسار مع ميغان، ويويميكو، وماثيو، ودانيال، والمجموعة الأخيرة التي شملت بوب وزوجته معهما هيلين فقد تحركوا ناحية اليمين. وفجأة، صرخ بهم راين حتى يهربوا، اندفع هو مع كيتلين إلى الأمام، متجاوزًا مايك بحركة مباغتة. أطاح برجلين بضربة سريعة، وواصل جريه مع كيتلين، فاشتعل غضب مايك ليصرخ بأعوانه:

تفرق الرجال في الجهات الأربع، وكان مايك مع ثلاثة منهم يطاردون راين وكيتلين بعزم لا يلين. بدأت المسافة تضيق بينهم شيئًا فشيئًا، خاصة مع تباطؤ خطوات الثنائي تحت وطأة الإرهاق. وصلا إلى نهاية الرواق، استدار راين يتفحص محيطه بسرعة مستذكرًا تفاصيل المكان، حتى وقعت عيناه على باب غرفة قريبة، فدفع بـ كيتلين إليها بحركة عاجلة، وأغلق الباب خلفها بإحكام، ليأمرها بصرامة:

- لا تخرجي حتى أفتح الباب بنفسي.

"لم أملك الجرأة لمعارضته في لحظةٍ كتلك، فلم أرغب بأن أكون عائقًا أمامه الآن. أسندت ظهري إلى الباب، مُستمعةً بصمتٍ إلى ضجيج المعركة من خلفه، أغمضت عيني برجاء أن ينتهي كل شيء بخروجه من المأزق سالمًا، ولم يتبادر إلى ذهني بأي شكلٍ من الأشكال، أنني كُنت في مأزقٍ أكبر".

فتحت كيتلين عينيها الزرقاوين، مُستقبلةً عتمة المكان حولها بعد أن لفت انتباهها صوتٌ صادرٌ من أحد الجوانب، أدارت رأسها نحو

الظلام هناك، فرأت بابًا آخر عن يمينها.

***

في هذه الأثناء تمكنت مجموعة ريوتا من مغادرة القصر بسلام بعد أن كسروا إحدى النوافذ وعبروا خلالها. لم تكد أقدامهم تلامس الأرض خارجًا حتى وجدوا أنفسهم أمام مجموعة من عناصر

الشرطة، رفع أحدهم سلاحه مصوبًا نحوهم وهو يصرخ بأمر صارم:

- توقفوا مكانكم!

رفع ريوتا يديه مع رفاقه، وقال مخاطبًا الشرطي:

- لسنا من تبحثون عنهم.

تقدم شرطي آخر نحو زميله، وبعد أن لاحظ دانيال بين المجموعة، قال:

- أتركهم، فهذا الشاب شقيق راين، وهو الشخص الذي مكّننا من اقتحام المكان.

بعد حل سوء الفهم، اقتادهم الشرطي بعيدًا عن موقع الخطر قائلاً:

- يمكنكم الانتظار هناك، سيكون هذا أكثر أمانًا للجميع.

***

في الجهة الشرقية للقصر، تمكن بوب وزوجته وهيلين من الخروج

بأمان مع مجموعة من الخدم عبر باب الخدمة الجانبي. وقف الثلاثة يتأملون المشهد الذي أحاط بهم؛ الخدم يفرون بفزع بكل الاتجاهات، فسألت هارو زوجها:

- أين وُضِعت أجهزتنا التي صادروها؟ علينا العثور عليها بسرعة للتواصل مع البقية.

أشار لها بوب نحو المكان الذي جمعت فيه أجهزة الضيوف، وقال بهدوء:

- من هناك.

***

من جانب آخر، لم يتمكن إدوارد ومن معه من استخدام الباب الرئيسي، وجدوه مقفلًا بإحكام. نظر أليكس حوله سريعًا قبل أن يقترح بصوت على إدوارد:

- ماذا عن باب الحديقة الجانبية؟

أومأ إدوارد دون تردد:

- وهو كذلك، هيا بنا.

جرى الأربعة، إدوارد وأخويه أليكس وجيسيكا، معهم وإيما نحو الباب الذي أشار إليه أليكس. كانت الطريق سالكة، إلا أن عقبة غير متوقعة اعترضتهم، عائق لم يكن أحد ليضعه في حساباته، خصوصًا إدوارد، الذي توقف في مكانه، اتسعت عيناه في ذهول غير مصدقٍ لما يراه.

إدموند بيتفورد، كان هناك يقف عند الباب الجانبي بوجهٍ لا يبشر بالخير، تعابيره متصلبة كالصخر، والغضب يشعّ من عينيه بطريقة لا يمكن تجاهلها. انتقلت نظراته الحادة إلى إدوارد، ثم قال بصوت ساخر مشبعٍ بالمرارة:

- مضى وقتٌ طويل منذ آخر لقاء لنا يا ابن أخي العزيز.

تحرّك إدموند على مهل دون أن يحيد بنظراته عن إدوارد، ثم سأله:

- كيف ومتى خططت لكل هذا؟

فأجابه إدوارد:

- عن أي مخطط تتحدث؟

لم يفهم الشاب تمامًا الغرض من سؤال عمه. ضغط إدموند على أسنانه، كانت صبره قد بلغ حدًا لا يسمح بالمراوغة، فغمغم بغضب مكتوم:

- لا تحاول أن تتذاكى معي، أيها الماكر ...

ثم، فجأة، تحولت نبرته إلى صرخة غاضبة وهو يلوّح بيده بعنف قائلاً:

لم يكن أحد يتوقع النتيجة التي وصلوا إليها. فقبل التصويت، كان بينجامين يناقش فكرة إسناد المهمة إلى ابنه إدموند، الذي كرّس حياته كلها بإخلاص للعائلة، وكان المرشح الطبيعي بلا منازع. لكن حين حانت لحظة اتخاذ القرار، جاء التصويت بما لم يتوقعه أحد.

ارتفعت الأيدي واحدة تلو الأخرى، مُطالبةً باسم إدوارد، حتى

أجمعت الغالبية العظمى على اختياره. لم يكن هذا الخيار مبنيًا على الثقة، بل على الخوف. علم الجميع أن إدوارد يملك الكثير من الأدلة ضدهم، وثقل الاحتمالات جعلهم ينحنون أمام تلك القوة، متجنبين أي مواجهة قد تقلب حياتهم رأسًا على عقب.

ضعق الشاب مما يقوله إدموند، التقت عيناه بعيني عمه، الذي بدا وكأن روحه قد تحولت إلى شيء آخر تمامًا. لم يكن الغضب وحده هو الذي احتل ملامح إدموند، بل خليط من الذهول والاحتقار المطلق. ارتجف فكّه للحظة قبل أن يتحدث، لكن صوته لم يكن واثقًا كما اعتادوا سماعه، بل محملًا بنبرة هازئة مشوبة بالمرارة:

- مضحك جدًا ...

ثم ضحك ضحكات فارغة ومشوشة، وكأنها من شخص على حافة الانهيار، ليقول:

- لا أخفيك سرًا، كنتُ محبطًا لحظة نهاية الاجتماع، واشتد الصخب في رأسي ...

تبدلت ملامح إدموند تدريجيًا، وبدأت إمارات الجنون تغزو وجهه، والغضب الحارق تحوّل إلى هدوء مرعب وهو يضيف:

- لكن بعد لقائك الآن ... يمكنني رؤية الأمور بوضوحٍ أكبر.. أنا الآن أعرف كيف أعيد الأمور إلى نصابها.

تحرّك إدوارد بخطوات مدروسة، دفع بـ أليكس خلفه، وهمس له بتحذير سريع:

- سأحاول إلهاءه، خذ الفتاتين وابتعد.

لكن أليكس، وبردّة فعل طبيعية، رفض قرار أخيه فورًا:

- لا.

فجأة، ضحك إدموند وهو يستل سلاحه، متأملًا إدوارد بنظراتٍ مفزعة:

تجمدت جيسيكا، ثم صرخت باعتراض على الموقف، لكن أليكس كان أسرع منها، قام بسحبها مرغمًا، وتبعته إيما بتردد.

***

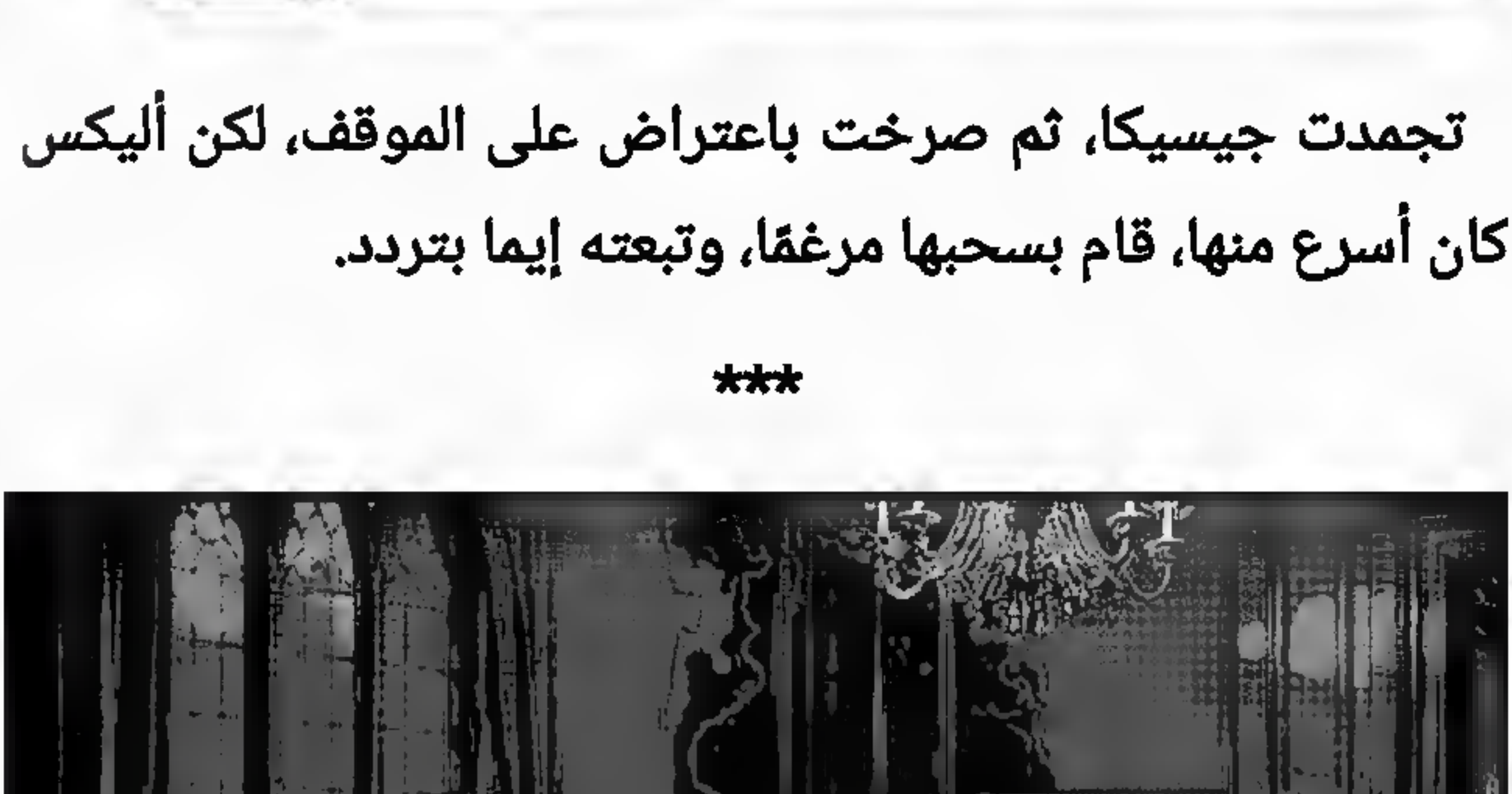

في تلك الغرفة المظلمة، تسلل صوتٌ خافت من الجهة الجانبية،

حيث كانت كيتلين تختبئ. توقفت للحظة، أنصتت جيدًا بعد أن بلغ أذنيها صوت عذب، كان اللحن مألوفًا، لكنه بشفافية ذكرى منسية، ومع هذا كان قويًا بما يكفي ليقودها كما تنقاد الفراشة إلى شذى الأزهار.

خطت الفتاة إلى الأمام ببطء، حتى وقفت عند حدود إطار الباب. مسحت بعينيها المكان الذي غُلِّف بأنغام صندوق الموسيقى المركون فوق الطاولة هناك.

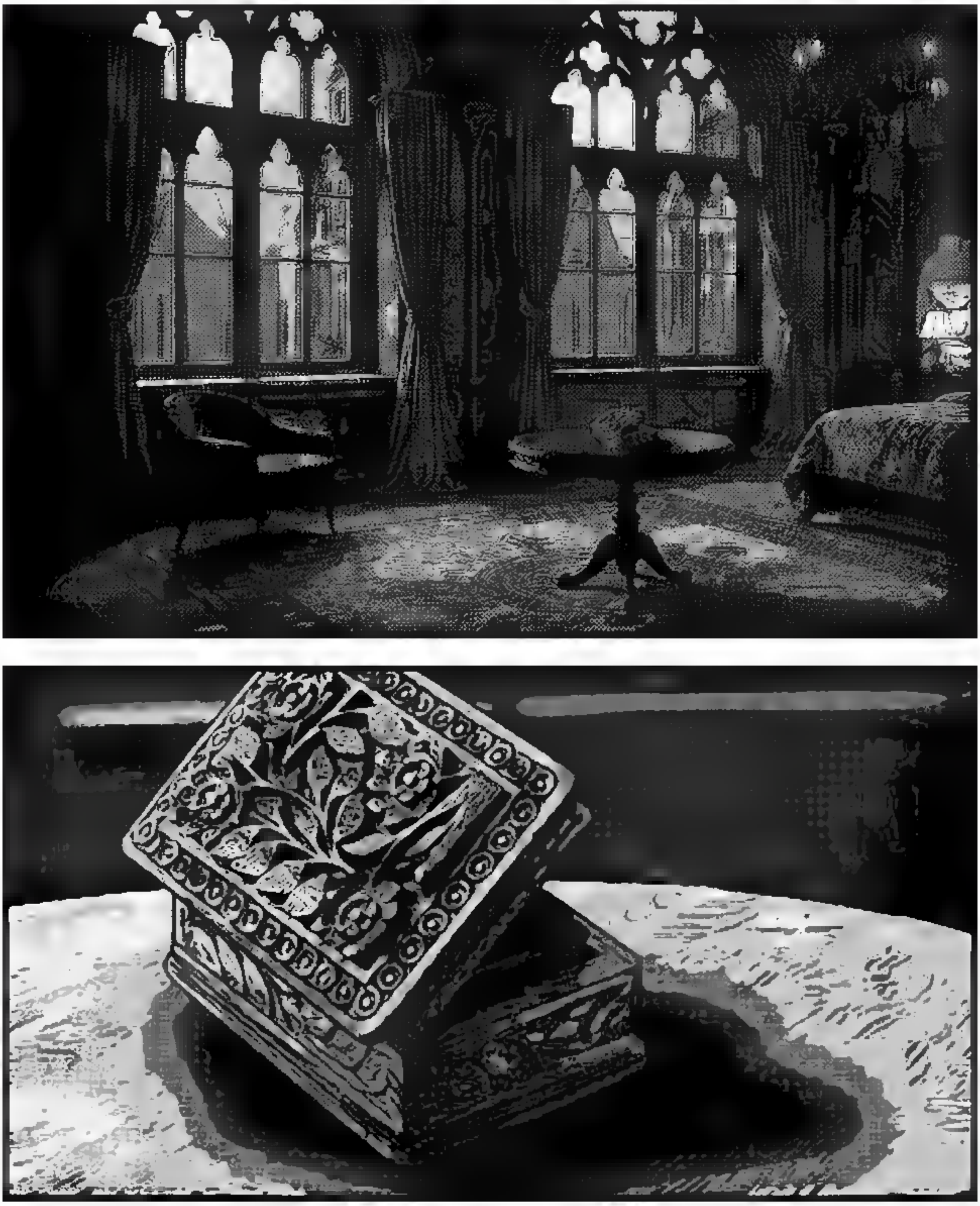

"لم يكن وهمًا أو سرابًا، ما رأيته أمامي كان صندوق موسيقى راين الذي كسرته وأنا طفلة ... أو على الأقل هذا ما بدا لي. ولكن حين مددتُ يدي لتلمسه، تجلّت لي الحقيقة المرة ... دمعت عيناي بعد أن وجدت القطعة الأخيرة للأحجية، كانت السطر الأول والأخير لحكاية ولدٍ كُتبت له التعاسة لحظة وصوله إلى هذه الحياة".

تسمرت كيتلين في مكانها، وعيناها سرحتا بتلك القابعة في ظلام

حزنها. شحبت تعابيرها، وكأنها أدركت فجأة أن هذا ليس مجرد لقاء عابر، بل لحظة مُحمّلة بكل الأجوبة التي لم تكن جاهزة لسماعها.

من خلف كيتلين، اقترب راين على مهل، كان قد تمكن من مارك ورفاقه، لكنه لم يظهر أي نشوة بالنصر. وقف الشاب خلف فتاته التي لم تحاول الالتفات إليه، سألت كيتلين بصوت خافت وهي تبتلع ريقها بحسرة، كأنها تخشى سماع الإجابة:

- إنها والدتك ... أم أنا مخطئة؟

"كنت قد عرفت الجواب عند تلك المرحلة، لكنني كنت بحاجة لسماعه منه".

دفعت مارثا ما كان بجانبها، نهضت من زاويتها المظلمة، واقتربت من الطاولة حيث كانت أشعة القمر تلقي بضوئها، مدّت الأرملة يدها ووضعت هاتفها المفتوح على محادثة قديمة:

(تفرحني رؤيتك، لكن خذ حذرك ولا تكررها... اهتم بنفسك جيدًا).

أغلقت مارثا صندوق الموسيقى. كان وجهها في مجال الضوء، وبكبرياء، أجابت ما عجز راين عن قوله:

- نعم، أنا والدته.

"كانت الإجابة أمامنا طوال الوقت..".

استحضرت كيتلين في ذهنها يوم جنازة كيليب. كيف سألت مارثا عن راين، وكيف أكد لها إبراهام حضوره. حينها، لم يُدرك أحد منهم صدق كلماتها:

"وعندما تدخل راين، مُتنازلاً عن كبريائه، قبّل يدها أمام الجميع

معتذرًا، لم نتمكن يومها من رؤية ما خلف ذلك المشهد، والذي لم يكن إلا تصرفًا طبيعيًا لابنٍ أراد إيقاف والدته".

"وكيف نسيت أمر الفيلم الذي صوره جوناثان، وشاهدناه جميعًا في منزل البحيرة، لماذا لم أنتبه لتصرف جوناثان وقتها؟ كان مجرّد شاب عاشق يُلاحق فتاته بكل سعادة".

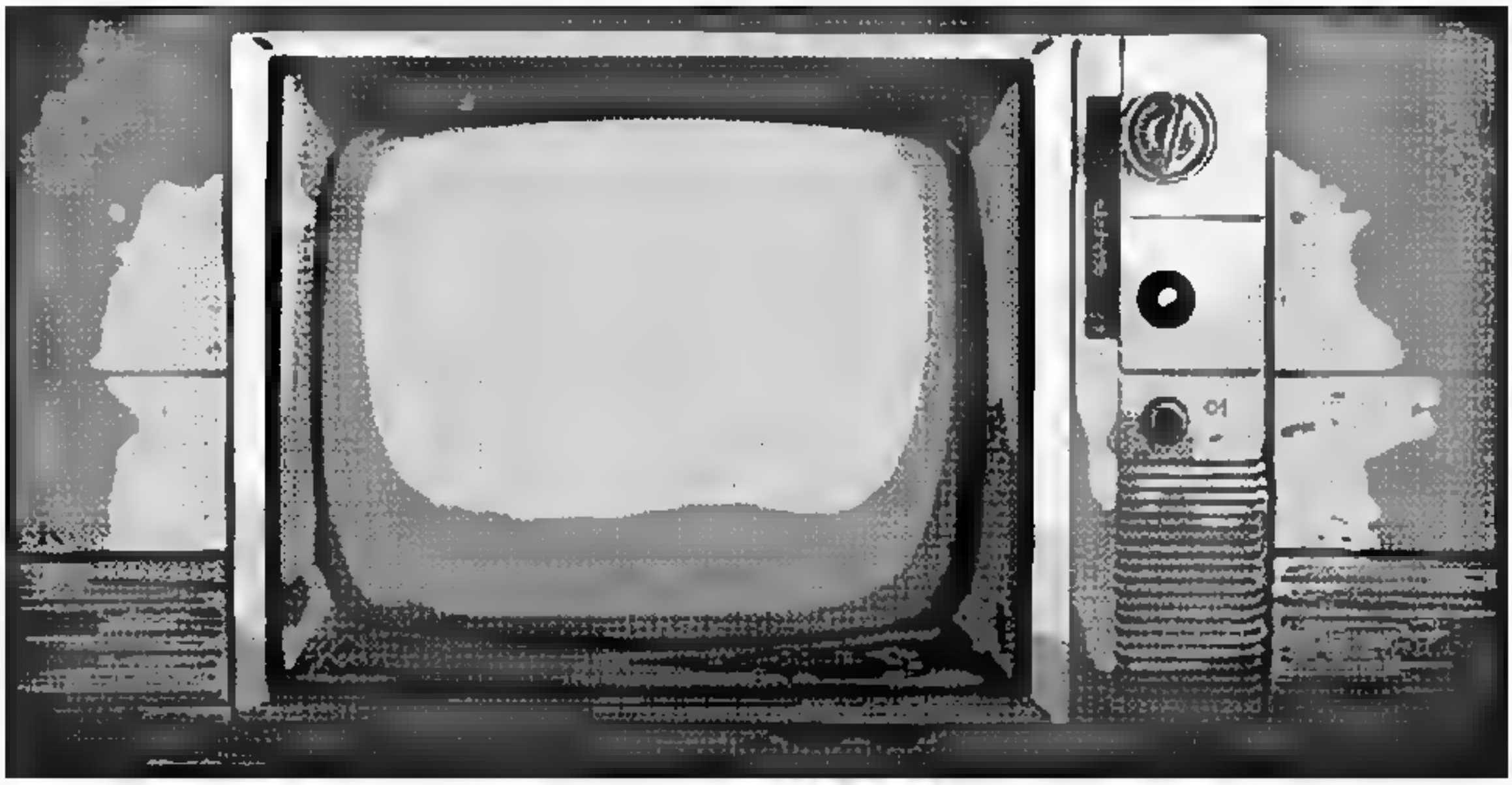

"كان وجه مارثا يشع بأمل في مستقبلٍ مشرق آنذاك".

- ما هو حلمكِ يا مارثا؟

"بالتفكير في الأمر الآن، أجد أن وجه مارثا قد أفصح بالفعل عما كان يختلج في صدرها".

"كما أن ما قاله توماس لي عن زواج والديه يؤكد لي أن حب مارثا

ما كان موجهًا لـ كيليب منذ البداية".

"وبالعودة إلى حوار أبي وراين، وتحديدًا في الليلة التي سبقت هذا الحفل".

- والدك يا راين راهن على قضية خاسرة، وتلك لم تكن غلطته الوحيدة، فخطأ جوناثان الثاني أنه أحبّ الفتاة الخطأ...

حب مارثا الحقيقي لم يكن إلا جوناثان، فقد عشق الاثنان بعضهما منذ البداية، زُرعت بذرة حبهما في بيئة قاسية حالت الظروف دون ازدهار تلك العلاقة، وفي ذلك اليوم عند البحيرة، حينما كان جوناثان يحاول تشغيل كاميرته، انفرد بـ مارثا ليمازحها قائلاً:

- مارثا، إذا لم تتوقفي الآن، قد أشغل الكاميرا.

استدارت مارثا نحوه:

- ما الذي تريده؟

تاركًا المزاح جانبًا، سألها جوناثان وقد بدت عليه إمارات القلق:

عقدت مارثا حاجبيها وتساءلت بجدية:

- من أين سمعت هذا الكلام؟

- سمعت كيليب يخبر إبراهام وماريا.

ضحكت مارثا فجأة، لتقول بثقة:

- لقد طرح والداي الفكرة، لكن لا تقلق، سأرفض الزواج منه.

فاجأته الإجابة وأعاد سؤالها بنبرة ملؤها الأمل:

- أحقًا ستفعلين ذلك؟

اقتربت منه، وأمسكت بيده خجلة. احمرت وجنتا مارثا لتعكس حرارة قلبها العاشق، ثم قالت بابتسامة كلها حياة:

إلا أن سفينة العاشقين انحرفت عن مسارها بعد أن لفظت العاصفة ما في جعبتها. جاء رفض والدي مارثا لعرض جوناثان بالزواج منها كصدى لهذا الانحراف؛ فقد كانت الضغوط التي مارسها بينجامين بيتفورد هي السبب. وسرعان ما اتخذ القرار بإرغام مارثا على الزواج من كيليب، تحقيقًا لرغبة بينجامين في ضم عائلة مارثا إلى صفهم. أما كيليب، فكان عاجزًا عن رفض رغبة والده، ليُجبر على السير في المسار الذي رسم له.

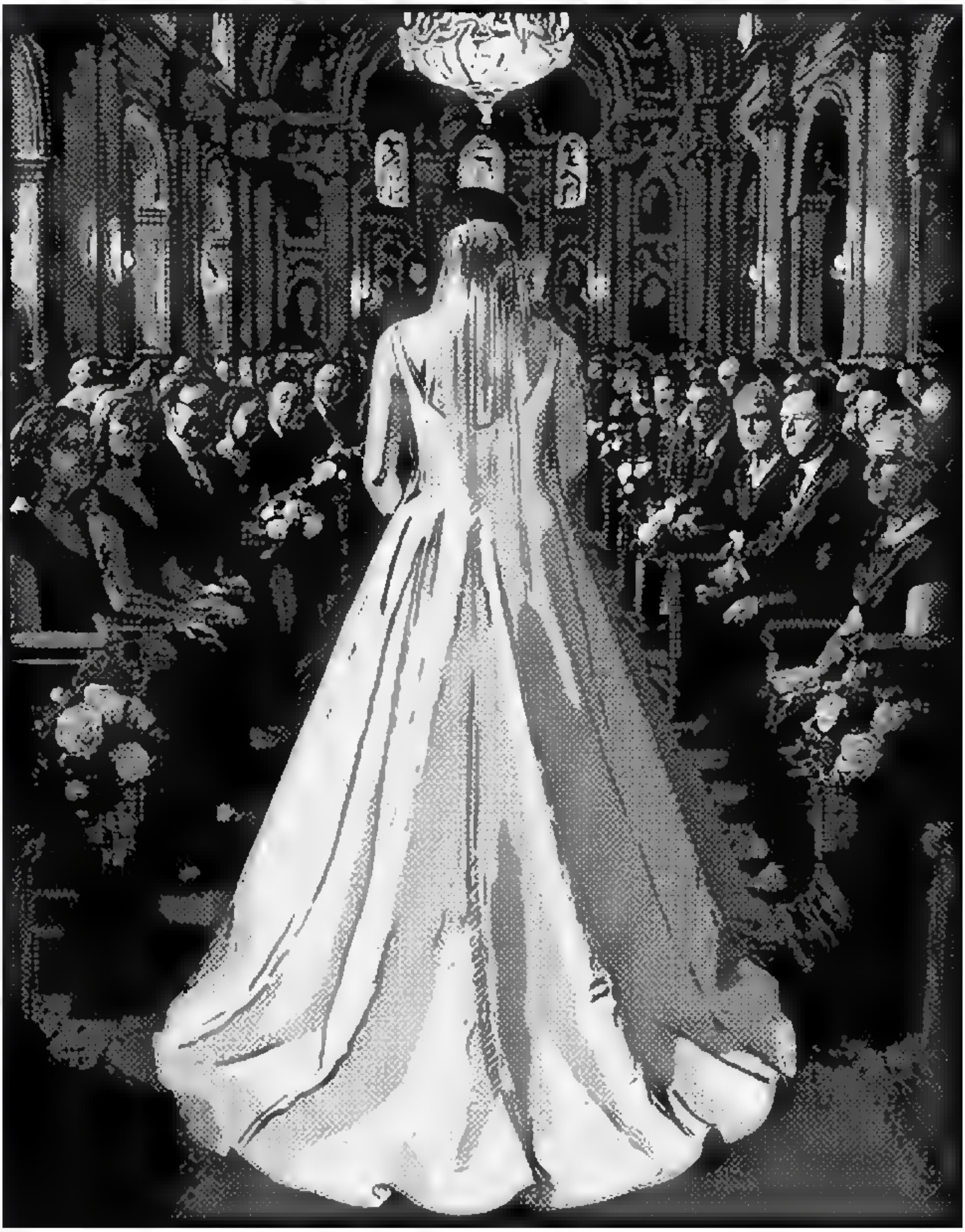

مرّت الأيام ثقيلة، وضغطت على الجميع بلا رحمة. وفي يومٍ ما، عاد بينجامين ليثير جراح ابنه مُجدّدًا، واضعًا الملح عليها دون أدنى اعتبار:

- *مرّت سنة على زواجكما ولم ترزقا بأي طفلٍ حتى الآن؟*

رد كيليب بإذعان، قائلاً:

- سأحاول إقناع مارثا مجددًا.

لكن مارثا ظلّت وفية لحبها الأول، وأبت الإنجاب من غيره، مما دفع كيليب إلى حافة الانهيار، ما بين أوامر والده التي لا تقبل الرفض، وعناد زوجته. وجد كيليب في العلاقات العابرة متنفسًا له؛ طريقة انتقامية ضد والده وضد مارثا نفسها. بعد سنوات من حياة مليئة بالبؤس، قررت مارثا الهرب مع جوناثان. واجهت كيليب بإرادة حديدية وقالت له:

- طلقني يا كيليب.

- أما زلتِ تحبينه؟

لم تجب مارثا احترامًا له. وكتقدير منه للصداقة التي كانت قد جمعت بينهما في يومٍ ما، قرر كيليب تنفيذ رغبتها وأعطاها صك حريتها. في اليوم الذي استلمت فيه أوراق الطلاق، اختفت مارثا مع جوناثان عن الأنظار إلى المجهول.

تزوج العاشقان، وتوّجت علاقتهما بحمل مارثا بمولودها الأول. كانا يعيشان أجمل لحظات حياتهما، فصل جديد لم يُكتب له الاستمرار إلا لبضعة أشهر قصيرة.

لكن الهدوء لم يدم طويلًا؛ فقد استطاع بينجامين العثور عليهما. ذلك الرجل الذي يتسلح بقسوةٍ متجذرة واجه مارثا، مستغلًا غياب زوجها:

- إن أردتِ أن يُكتب لطفلكِ الحياة، اقتلي جوناثان وعودي إلى كيليب.

ترجّته مارثا، التي كانت في شهرها السابع من الحمل، أمسكت ببطنها ونزلت على ركبتيها تبكي بحرقة:

- أرجوك، لا تجبرني على أمرٍ كهذا.

نظر إليها بينجامين بعينين باردتين، وقال دون أي تعاطف:

- اقتلي ذاك الحقير، وأعدكِ بأنني لن أمس طفلكِ بأي سوء مهما حدث.

تركها بين خيارين أفظع من أن يتحملهما قلبها، إما زوجها أو طفلها. تساءلت في حيرة يأسها: لماذا عليها دائمًا أن تختار؟ لماذا لا يمكنها أن تحظى بأمنيتها رغم بساطتها؟ استقر الاكتئاب على قلبها كصخرة ثقيلة، وتوالت عليها الأيام سوداء، قاتمةً بائسة.

في أحد الأيام، دخل جوناثان حاملاً باقة من أزهار الزنبق الأبيض، وضعها برفق في الزهرية بجانب الشرفة، ليقول بابتسامة مشرقة:

لم تجبه، فجلس جوناثان على مكتبه المقابل للشرفة المطلة على البحر، راح يكتب في مذكراته، بينما يروي لها تفاصيل يومه في العمل، حاول بيأس كسر كآبتها بمزاحه المعتاد. وبعد دقائق من الحديث، توقف فجأة، وضع قلمه جانبًا، وقال وهو لا يزال يوليها ظهره:

- افعليها يا مارثا.

أجفلها سماعها لجملته الأخيرة، فالتفتت ناحيته:

- ما الذي تتحدث عنه؟

كان جوناثان يتأمل الساحل من خلال الشرفة عندما أجابها بهدوء:

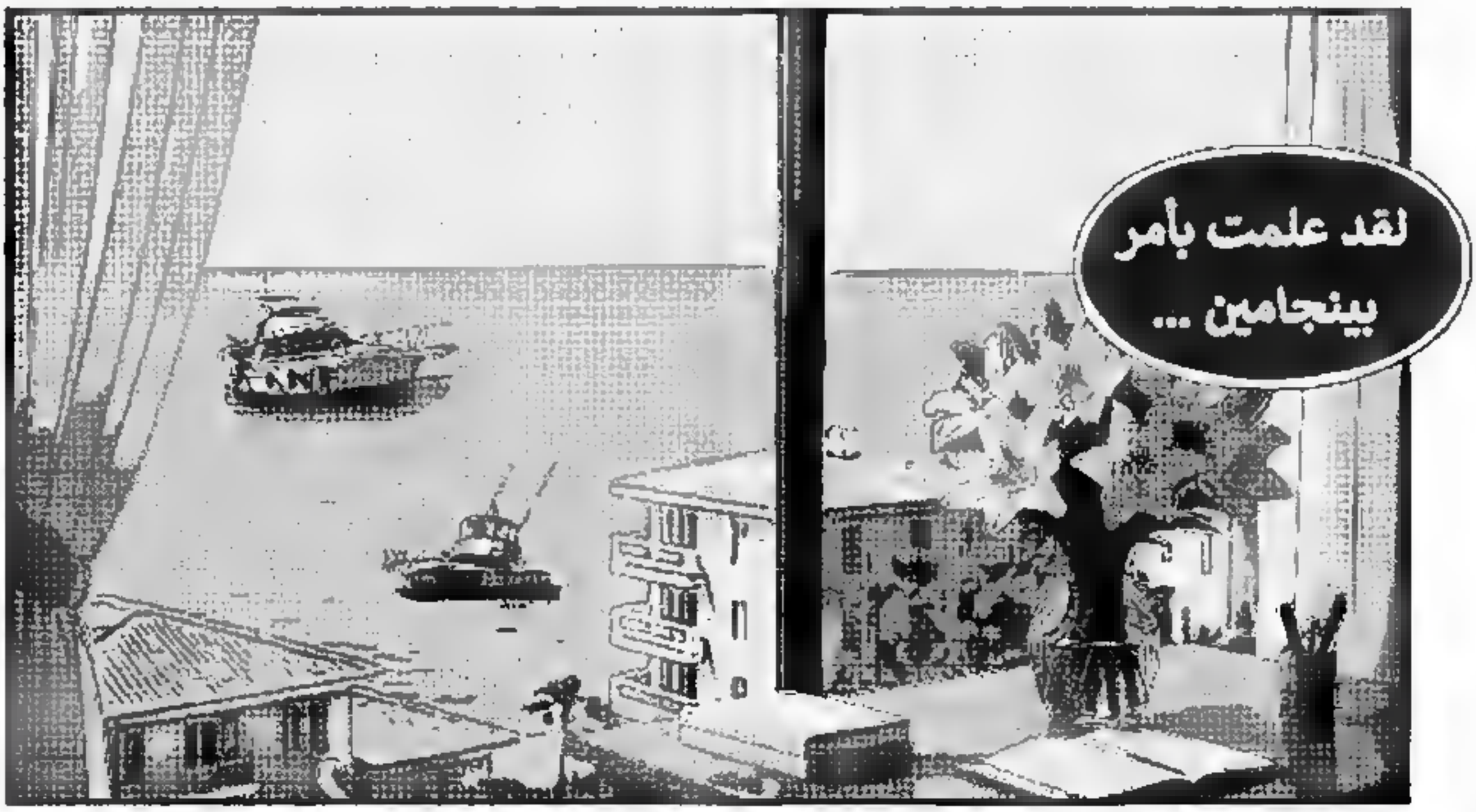

ضحك جوناثان بسخرية كانت أقرب للسذاجة، وكأنه يلقى على مسامعها إحدى نكاته السخيفة، ثم تابع بصوتٍ شاحب:

- *ليس من أجلنا نحن، افعليها من أجل ابننا.*

انفعلت مارثا لترد وهي تجهش بالبكاء:

- *لا يا جون، هل جننت؟ كيف تطلب مني قتلك؟*

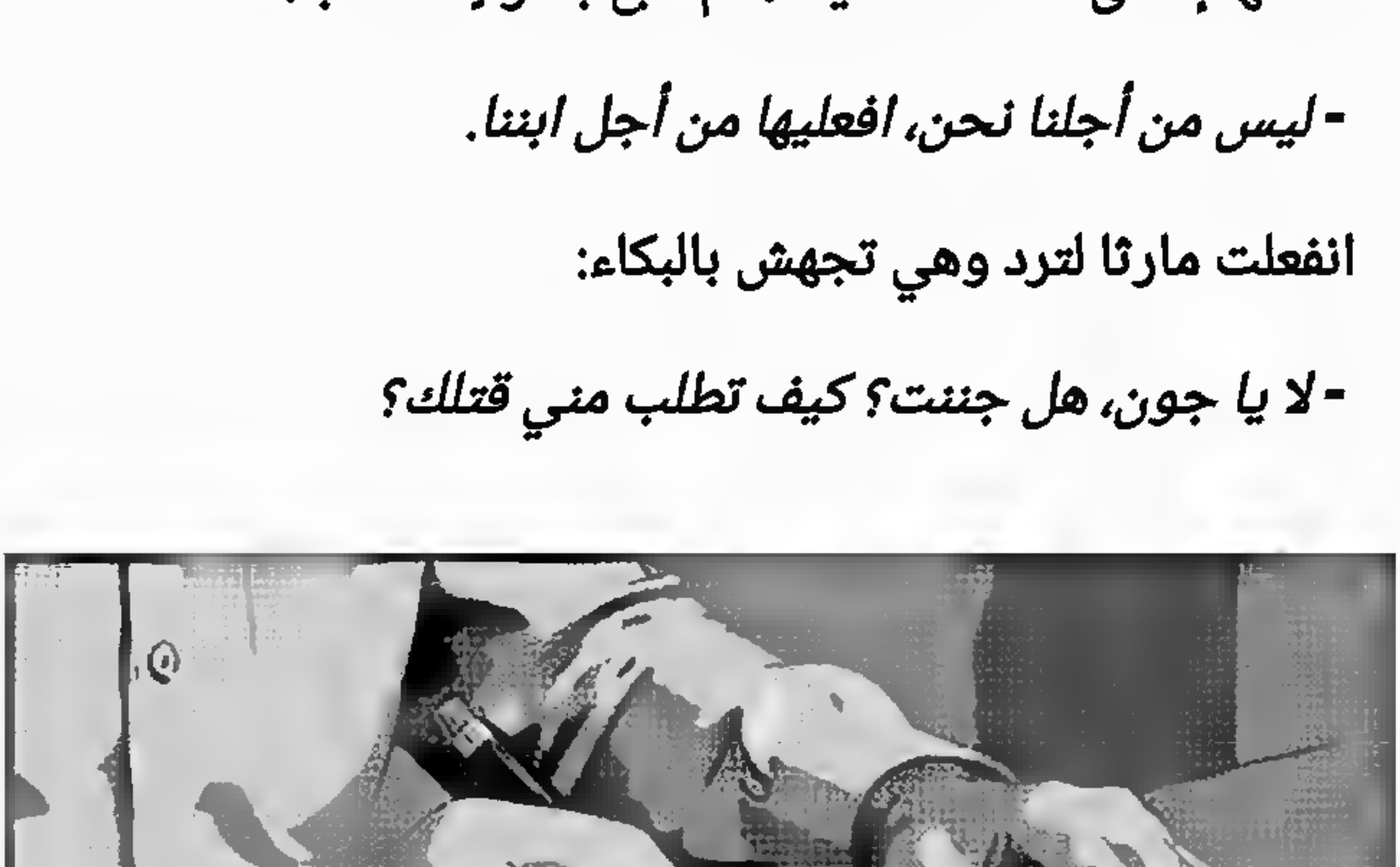

كان القلم لا يزال في يده، والحبر الذي خط به كلماته الأخيرة لم يجف بعد. أغلق دفتر مذكراته بهدوء، ثم استقام من مكانه وابتسم لها للمرة الأخيرة وهو يرجع بخطاه نحو الشرفة المفتوحة:

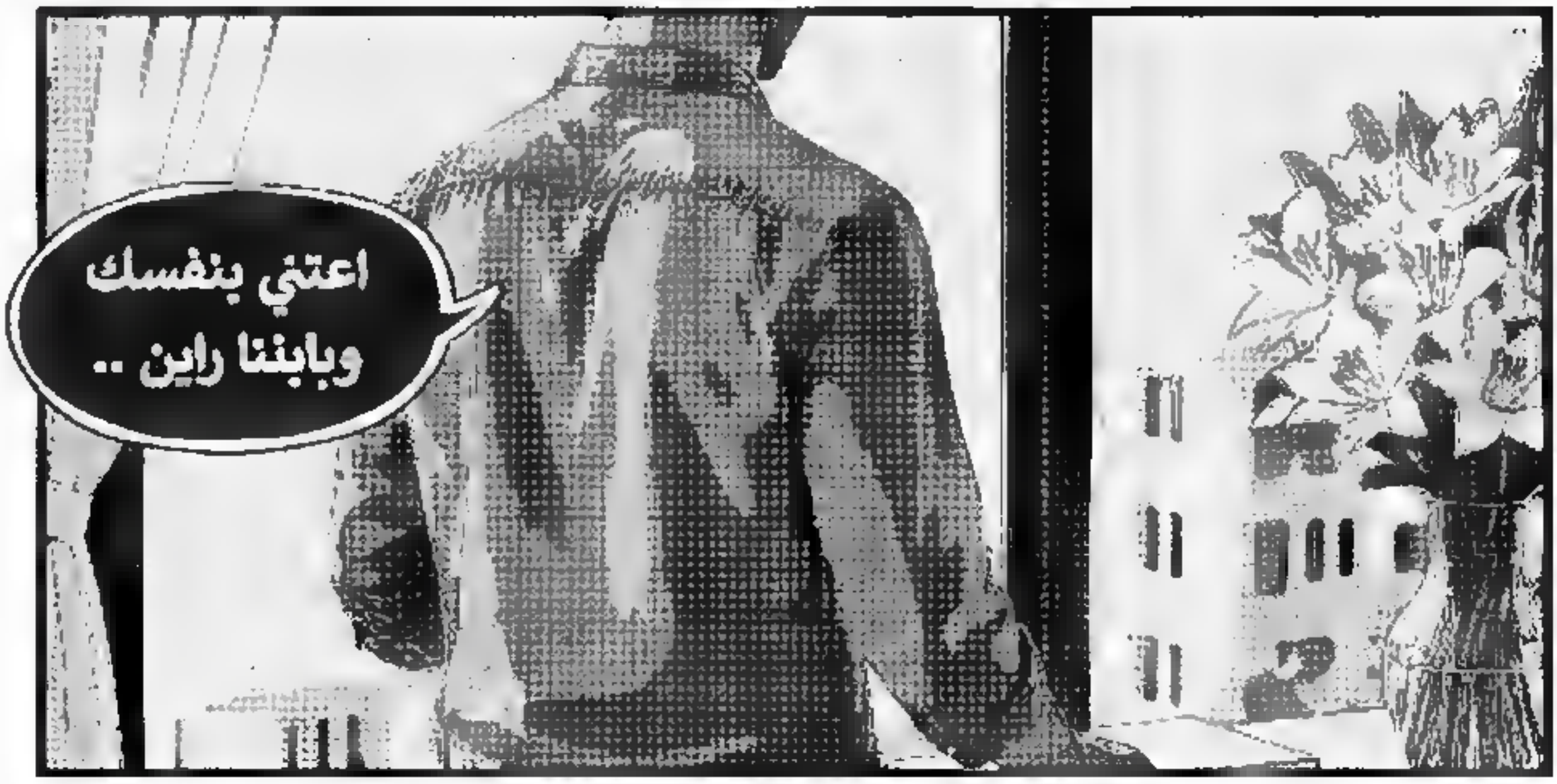

اندفعت مارثا نحوه بكل ما أوتيت من قوة، فاصطدمت بمكتبه في عجلتها، وذراعاها ممدودتان بمحاولة لإمساكه عبثًا. تحطمت

الزهرية، وتناثرت شظاياها مع أزهار الزنبق الأبيض على الأرض بجانب مارثا، لقد تهاوى جسد زوجها أمامها فامتزج بكائها بصرخاتها اللامتناهية، راحت تنادي عليه يائسة وهي تعتصر شظايا الزهرية بقهر، سالت دماء مارثا ولطخت أزهارها البيضاء وهدية زوجها الأخيرة، وسرعان ما تحول بكاؤها إلى شيء آخر، باغتها ألم المخاض، وهكذا، في وسط الألم والضياع، استقبلت الحياة ذلك الطفل.

كانت ماريا أول من علم بحادثة جوناثان، والوحيدة التي

زارت مارثا في المستشفى. هناك، رأت صديقتها وقد وصلت إلى الحضيض، بوجه شاحب يخلو من الحياة. دفعت مارثا ابنها الرضيع نحو ماريا، ثم قالت بصوت مبحوح:

- *خذيه... لا أريد رؤيته.*

- *لا تتخذي أي قرارٍ الآن، ما مررتِ به ليس بالأمر السهل.*

أشاحت الأرملة الحديثة بنظراتها، وهربت من عيني صديقتها، لتجيبها ببرود غير معهود:

- *سأعود إلى كيليب، لذلك لا يُمكنني أخذ هذا الطفل معي.*

بدهشة من قرارها، اعترضت ماريا:

- *ولكنه ابنكِ!*

عندها، انفجرت مارثا بغضبٍ وصرخت بها:

- *وهو ابن جوناثان أيضاً! ماذا سأقول لـ كيليب؟ "تفضل، هذا ابن زوجي الراحل، أتمنى أن تتخطى الأمر وتعتني به كابن لك!"*

ثم أمسكت بوسادتها ورمتها بعنف، وهي تصرخ في فورة غضب:

- *خذيه واغربي عن وجهي، وإلا قتلته كما قتلت والده.*

امتلأت عينا ماريا بالدموع، وهي تحمل الطفل وتغادر الغرفة، غير مصدقة الكلمات القاسية التي خرجت من فم صديقتها. تركت مارثا غارقةً في نحيبها، تبكي فراق ابنها ورحيل والده من قبله. أتى قرارها القاسي لضمان سلامة راين من قبضة بينجامين الذي لم تُصدّق يومًا أنه سيفي بوعده.

بعد المواجهة المحمومة مع صديقتها في المستشفى، عادت ماريا إلى منزل جوناثان ومارثا، تحمل الطفل بين ذراعيها بينما تزاحمت الأفكار الثقيلة في ذهنها كأمواج لا تهدأ. وقفت أمام الشرفة، تتأمل الفوضى التي تركتها المأساة خلفها. ذرفت دموعها بصمت. بدأت تنقل خطواتها ببطء وسط الفوضى، تجمع مستلزمات الطفل التي جهزها الزوجان باستعدادٍ كان يفيض بالأمل، قبل أن تحطمه المأساة. وبينما كانت تكنس بقايا الزهرية المحطمة، وقع نظرها على دفتر صغير فوق المكتب. كانت يوميات جوناثان. أخذت تُقلب صفحاتها بعناية، تتنقل بين كلماته التي عكست آخر أفكاره، وتستمع لصوته يتردد بين السطور. توقفت للحظات، وقد فهمت ما عليها عمله.

سلمت ماريا يوميات جوناثان إلى أخيها إبراهام، ثم، وهي تحاول كبح دموعها، أخبرته عن اعتراف مارثا بقتل جوناثان، وبالنهاية أعطته الطفل لتقول:

- *راين أمانة في عنقك يا أخي.*

عادت مارثا إلى كيليب، لتجد نفسها تحت رحمة بينجامين. كل قرار، كل خطوة، كانت مدفوعة بالخوف الذي استحوذ على قلبها من أن يُلحق الأذى بابنها. استسلمت لأوامره بلا اعتراض، وامتثلت لرغبته في الإنجاب من كيليب، لتحمل العبء الثقيل الذي أضافه كل طفل جديد على كاهلها. لكن وسط هذه السلسلة المتواصلة من الاستسلام، ظل قلبها متعلقًا بابنها الأول، ذلك الطفل الذي كان بعيدًا عنها، ولكنه لم يُفارق روحها يومًا.

كانت أيامها ثقيلة، مرة، اختنقت بحسراتها، حتى راحت تلقى بهمومها إلى جدران القصر الذي بات سجنها الأبدي، يحاصرها في عزلةٍ وصمتٍ لا يُحتمل. لكن في يومٍ غير متوقع، امتدت يد الأمل من بين قضبان هذا السجن المزخرفة.

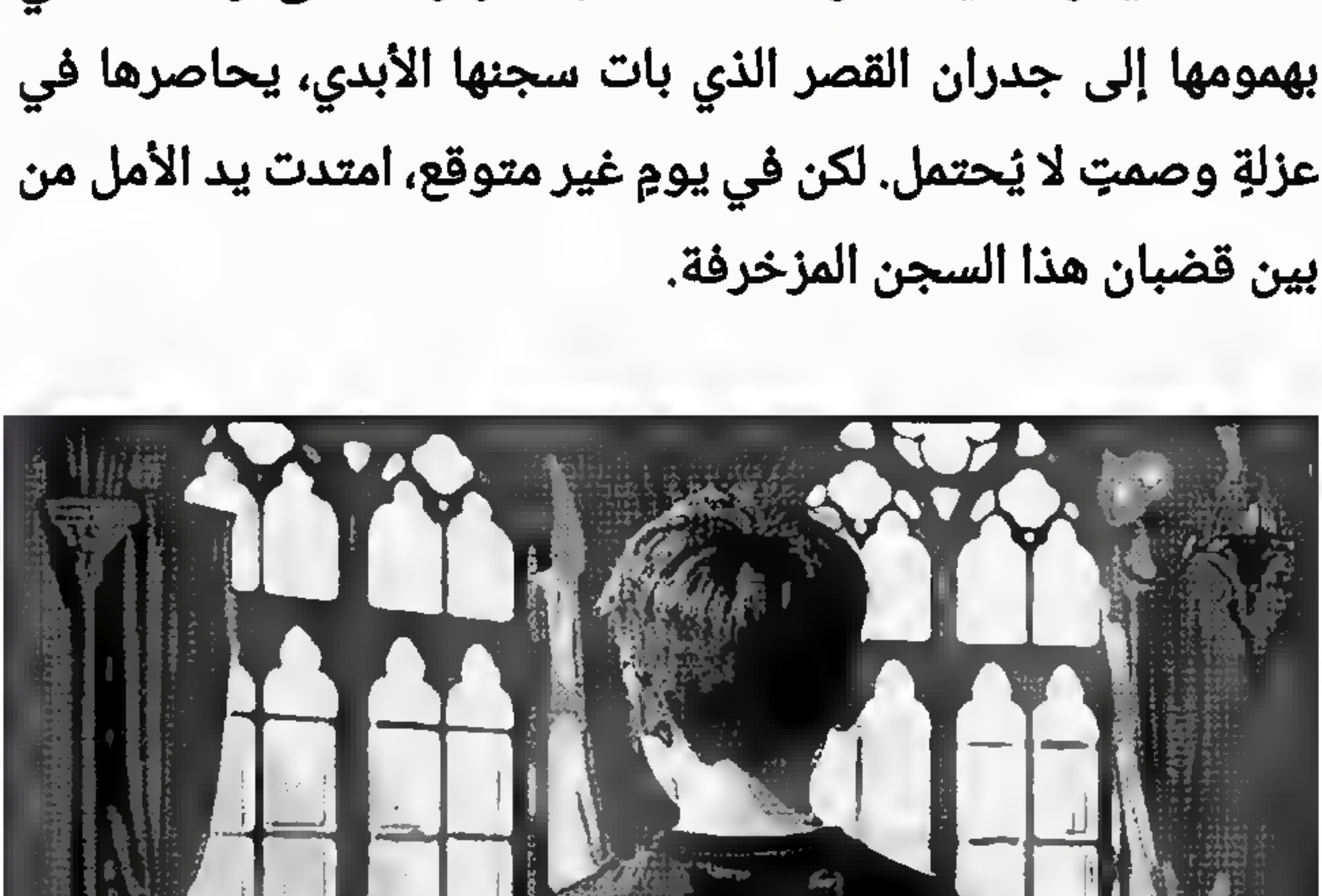

زارها ابنها البكر بغفلة من الجميع، بعد أن عرف الحقيقة عبر مذكرات والده. واجهها بكل جرأة. ومن دون تخطيط، أفضت له الأم بكل ما كان يثقل صدرها. انصهر حاجزها الجليدي في لحظة ضعف، وضمت ابنها إلى صدرها وهي تهمس له بصوتٍ يملؤه الحذر:

غير أن الصبي ما كان ليرضخ من دون قتال:

- لا، لن أتركك.

ابعدت مارثا ابنها عن حضنها وهي تتأمل وجهه كما لم تفعل من قبل، فرأت فيه ما ألقى الرعب في قلبها. هذا الصبي يحمل إرث والده؛ إصراره، قوته، تلك الصفات التي كانت سبب رحيله. أدركت حينها الخطر الذي يتربص به. فذهبت إلى خزانتها وأخرجت صندوقي موسيقى قديمين. أهدته أحدهما، ووضعت داخله ورقة تحمل رقم هاتفها، لتقول له:

وقبل أن يغادر، وقف أمامها بثباتٍ، وقال بعزمٍ لا يلين:

- أعدكِ بأنني لن أتوقف حتى أطيح برأس الأفعى.

مرت سنوات، وها هو راين يعود اليوم كرجل يتحدى كل الصعاب ليوفي وعده. مارثا، وهي تقاوم مشاعر الأمومة التي توقدت بعودته، ارتدت قناع الجفاء الذي طالما أخفى ضعفها لتنهره قائلة:

- أخرج من هنا.

لكن راين لم يكن لينصاع، شدّ من قبضته وهو يستمع إلى أصوات الاشتباكات بالخارج، ليقول بإصرار:

- ليس من دونك.

فقدت مارثا السيطرة على أعصابها، صرخت بغضبٍ مكتوم، دفعت الطاولة بقوة فتبعثر كل شيء:

"بسبب الظلام الذي هيمن على الغرفة، لم أتمكن من ملاحظة ملامح وجهها بكل تفاصيلها منذ البداية".

وبشكل مفاجئ، رفعت مارثا سلاحها بوجه كيتلين، ونظرت إلى ابنها بعينين يملؤهما الغضب والتهديد:

- إن لم تغادر الآن، فسأقتلها.

"لكنني لم أعر سلاحها أو تهديدها الفارغ أي اهتمام، وخاصة بعد أن لاحظت دموعها الجافة على وجنتيها، والتي تكشف عن ألمٍ أعمق مما يمكن أن تخفيه كلماتها، لقد رأيتها تبكي وحيدة في غرفتها فور دخولي... والفاجعة الحقيقية لم تكن في دموعها، بل في السبب الذي دفعها للبكاء".

تقدم راين ليقف أمام كيتلين، وبدأ يتجادل مع والدته. وسط تلك الفوضى، لم ينتبه أي منهما إلى ردة فعل كيتلين، فجأة، انهارت الفتاة في مكانها، ويدها ترتجف وهي تشير إلى الأريكة في الزاوية المظلمة، لتصيح باسمٍ محدد:

- توماس!

كانت جثة توماس الباردة مستلقية على الأريكة هناك، مضرجة بالدماء التي غطت المكان من حولها. انتبه راين للجثة، لكن صرخة مارثا قطعت أفكاره، وهي ترفع سلاحها مستعدة لإطلاق النار:

- تلك الفتاة هي السبب! قتلت أخاك توماس، وستقتلك أنت أيضًا.

***

في زاوية أخرى، وموقعٍ مختلف، وقف إدموند رافعًا سلاحه في وجه إدوارد، وعيناه تلمعان بسخرية، ليقول متهكمًا:

- لقد تبادلنا الأدوار، أليس كذلك؟ ههه، ألن تتوسل إليّ كي لا أطلق النار عليك؟

لكن فجأة، التفت إدموند عندما سمع صوت خطوات رجال الشرطة تقترب من خلفه، ارتسمت على وجهه ابتسامة مجنونة، وصرخ بصوتٍ يفيض بالجنون:

- آه، يبدو أن لدينا بعض الصحبة! هذا يجعل الأمور أكثر إثارة، أليس كذلك؟

***

بعد صراع محتدم، نجح القائد مورغان ورجاله في السيطرة على البوابة الرئيسية، مما أتاح لبعض الضيوف فرصة الهرب. في الوقت نفسه، ألقت الشرطة القبض على العديد من المشتبه بهم، ولم تتردد في إمساك كل من رفع السلاح في وجههم أو أظهر استعدادًا للمقاومة.

وقف الأصدقاء منتظرين خروج بقية رفاقهم، عندما اقتربت شرطية من مورغان لتعلمه بآخر المستجدات:

- لقد تمكن الصحفيان من الهروب، وهم الآن في مأمن.

- هذا جيد.

أحاط ماثيو يوميكو بذراعه، وقال لها بنبرة هادئة:

- هل سمعتِ ما قالته؟ أعتقد أنها تشير إلى أختكِ هارو وزوجها.

ثم أشار دانيال بذراعه، وابتسامة عريضة تعلو وجهه وهو يصرخ بفرح:

- انظروا، إنها إيمّا!

كانت إيمّا تجري نحوهم برفقة جيسيكا وأليكس، وقبل أن يتمكنوا من التقاط أنفاسهم، قال أليكس مخاطبًا القائد مورغان:

- أسرعوا إلى البوابة الخلفية! هناك من يهدد بقتل أخي.

قبل أن يتمكن مورغان من إصدار أوامره، اقترب منه أحد رجال الشرطة، طالبًا المزيد من الإمدادات:

- أيها القائد، نحن بحاجة إلى تعزيزات، حدث انقلابٌ بين رجالنا الذين حاولوا اقتحام المكان من البوابة الخلفية.

بلغت الفوضى ذروتها في ساعات الفجر الأخيرة. كانت المناوشات والمطاردات تملأ المكان، وانهارت خلالها الكثير من الأقنعة، ليؤدي ذلك إلى انقلاب بعض عناصر الشرطة على رفاقهم. كان الوضع خارج سيطرة مورغان تمامًا.

وسط هذا المشهد الفوضوي، لاحظت يوميكو أخاها ريوتا وهو يقف بعيدًا، يمسح المكان بنظراتٍ هادئة. اقتربت منه وسألته:

- ما الذي تخطط لفعله؟

نظر إليها دون أن يُجيب، لكن ميغان، التي كانت تعرف ما يجول في ذهنه، قالت بخفوت:

- اذهب.

ثم أمسكت بيد يوميكو وسحبتها إلى جانبها، مخاطبة ريوتا:

- اذهب... سننتظرك هنا.

فأومأ لها ولأخته قائلاً:

- سأعود سريعًا.

ودون إضاعة المزيد من الوقت، انطلق ريوتا ناحية البوابة الرئيسية بسرعة وخفة، وانزلق من بين الحشود، حتى أنه أفلت من

رجال الشرطة الذين حاولوا إيقافه.

في الوقت ذاته، تمكن شخصٌ آخر من التسلل من خلف الشرطة، ودخل القصر دون أن يلفت الانتباه.

من موقعها، سحبت يوميكو يدها لتفلتها من قبضة ميغان وهي تصرخ:

- أيتها المجنونة! لماذا شجعته على الذهاب؟

تأملت ميغان قصر عائلتها المتربع فوق التلة، وقد اعتلت وجهها نظرة بائسة قبل أن تقول:

- لأنه ما كان ليسامح نفسه لو ظل مُنتظرًا هنا.

***

كانت مارثا لا تزال تصوب سلاحها بثبات نحو كيتلين وراين، اللذين ما زالا غارقين في صدمة مقتل توماس، هول الحادثة كان قد أفقد راين تركيزه تمامًا، فلم ينتبه إلى الشخص الذي دخل الغرفة إلا عندما سمع صوته يقول:

- ما الأمر يا مارثا؟ هل تحتاجين المساعدة؟

دخل بينجامين الغرفة، وملأ السرور فؤاده وهو يتأمل المشهد أمامه. بخطوات واثقة، تقدم حتى وقف بجانب مارثا. مد يده ببطء، وسحب السلاح من يدها، ليقول مخاطبًا راين:

- لقد حظيت بالكثير من الفرص أيها الشاب، هل من كلماتٍ أخيرة؟

***

خلال تلك الدقائق المشحونة، وقف إدموند أمام إدوارد، وقال بصوتٍ بارد:

ومن بعيد صرخ به أحدهم:

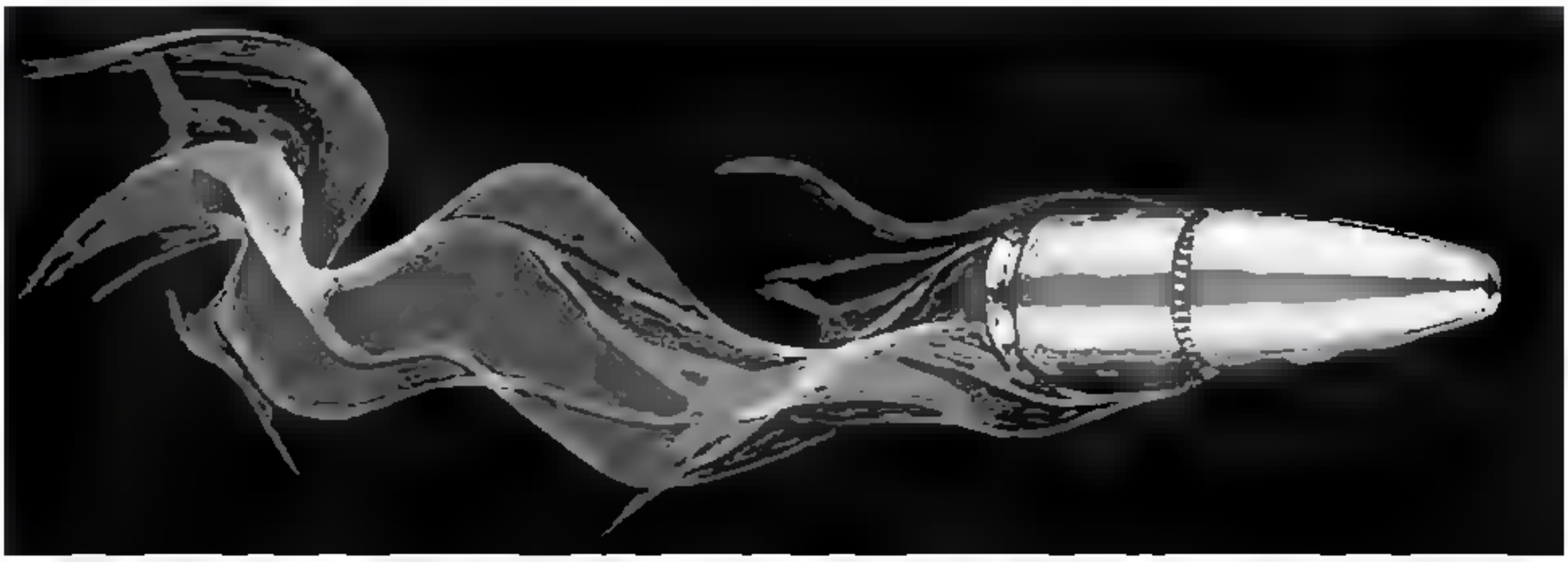

"صدر صوت الطلقات المتلاحقة في ذلك الممر، كما حدث هنا في غرفة مارثا. سقطت الأغلفة المعدنية للطلقات على الأرض، وعمّ الهدوء المكان. تشبثت بيده كما يتشبث الغريق بطوق النجاة، خشيت فتح عيني بعدما شممت رائحة الدماء التي ملأت الغرفة".

"لا تزال تلك الرائحة تلازمني، تسكن أنفي وتتغلغل في ذاكرتي، يصاحبها صدى كلمات الوداع الأخيرة".

لم يدم السكون طويلًا بعد أن قال:

- أنا آسف، أعذروني... وداعًا.

NOTES

DATE: S M T W T F S

الفصل الثامن والأخير

الباب الحديدي

(1)

ليست النهاية

It's not the end

في صيف عام 2018، تحديدًا في يوم الثامن والعشرين من يونيو، اجتمع الحاضرون في غرفة الاجتماعات المغلقة. أُسدلت الستائر لتحجب أشعة الشمس، بينما انصب تركيزهم على أوراق التقرير أمامهم. أُضيء جهاز العرض، وظهر محتواه على اللوح الأبيض، فانعكست الإنارة على وجوه الحاضرين الواجمة.

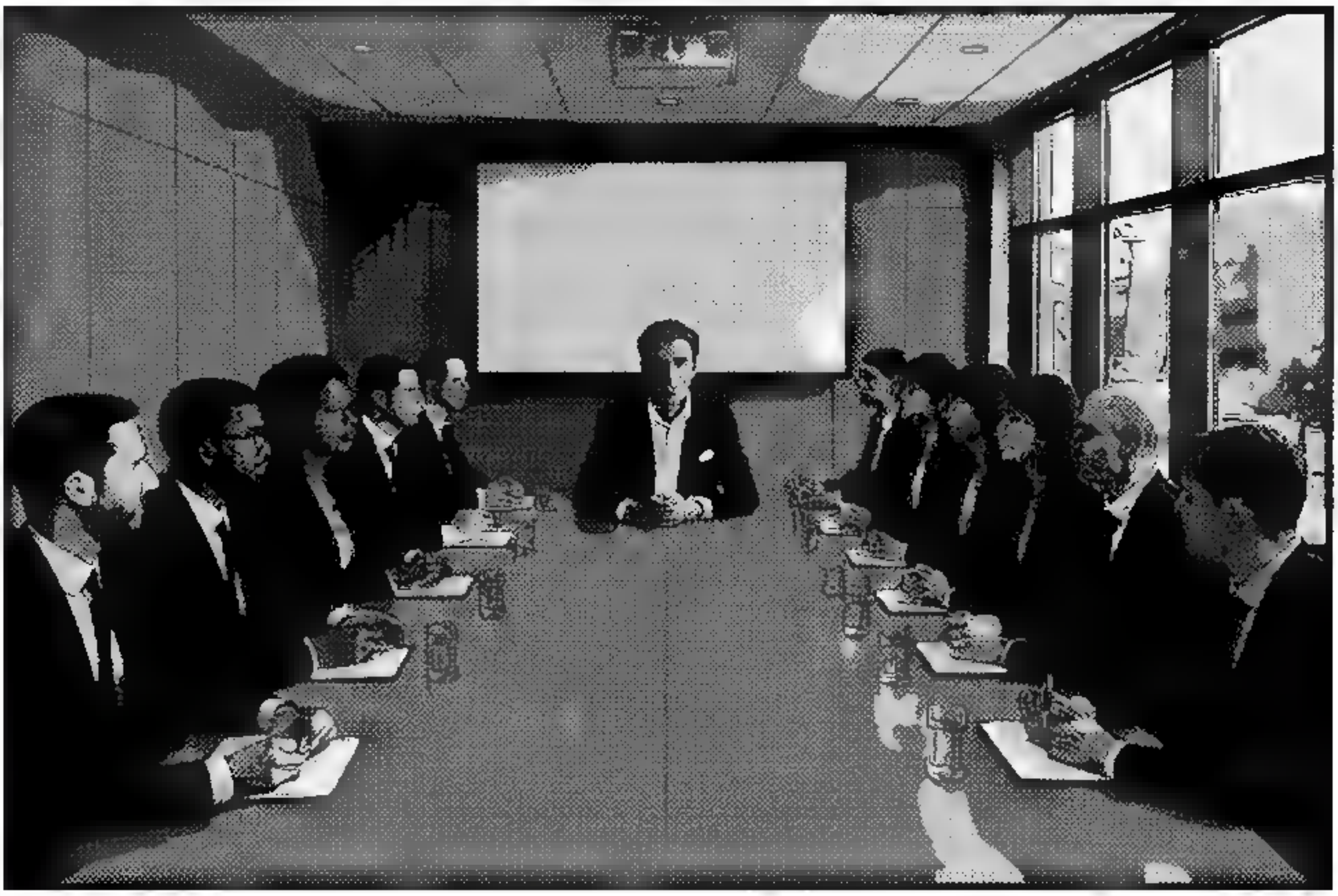

قال أحدهم مخاطبًا قصيرة الشعر ذات النظرات الحازمة التي دخلت القاعة متأخرة:

- يمكنكِ أن تتفضلي، أيتها العميلة بيانكا.

بشكلٍ آلي توجّهت أنظار الجميع إليها. التقطت جهاز التحكم وأشارت إلى شاشة العرض أمامهم:

- العملية رقم "SH286".. الهدف الرئيسي كشف العملاء المزدوجين الذي يعملون لصالح المدعو بينجامين بيتفورد..

ظهرت صورة بينجامين على اللوح خلفها، بينما تابعت لتضيف:

- والذي يُشتبه بأنه أحد أعضاء مجلس الوجهاء لجماعة الـ **Red Rose**.. تم ترتيب الأمر بدقة لضمان دخولي متخفية كعميلة في وحدة الاستخبارات المركزية، وهو ما تطلب مني التعامل بحذر مع كل خطوة لضمان عدم انكشاف هويتي. من ثم تم نقلي إلى وحدة الشرطة التابعة لبلدة هيل تاون.. بدأ التحقيق بعد انضمامي إلى الفريق الذي كان يحقق خلف قضية عائلة بيتفورد...

تابعت بيانكا شرحها لتفاصيل التحقيق حتى وصلت إلى يوم

الحفل. ظهرت على الشاشة قائمة طويلة بأسماء العملاء المزدوجين. تغيرت ملامح الحاضرين فور ظهور الأسماء، وكأن الصدمة تسري بين الجميع بصمت. توقفت بيانكا عند أحد الأسماء البارزة:

- هذه قائمة بأسماء العملاء المزدوجين، حيث يظهر اسم المحقق ستيف لوبيز كأبرز وجه من بينهم، والذي ينتظر الآن الحكم النهائي في قضيته...

صمتت بيانكا للحظة وهي تتأمل الأوراق أمامها، ثم قالت:

***

"انقضت الأيام بعد تلك الليلة المأساوية، انتهى الخريف الذي حمل معه وداعًا ثقيلًا وحل الشتاء الكئيب. كان الشتاء طويلًا وباردًا إلى حدٍ لا يُحتمل، لكنه انتهى، كحال كل شيء آخر، ليأتي الربيع الذي لم يُشبه أي ربيع سابق، بدا مختلفًا، وكأن به يشهد على صراع الطبيعة التي جاهدت لتعيد إلى الأرض بهاءها، رغم الندوب التي لم تندمل".

"وها هو الصيف الذي انتظرناه جميعًا. ذهبت خلاله إلى حفل تخرج طلاب ثانوية هيل تاون. جلست بين مقاعد الأهالي متأملةً

دفعة الطلبة، وفي اللحظة التي أعلنت بها المديرة تخرجهم، رُميت القبعات عاليًا في الهواء احتفالًا بنهاية فترة وبداية مرحلة جديدة. لكن وسط هذا المشهد المبهج، كانت هناك قبعات لم ترتفع، أسفلها وجوه نسيت كيف تبتسم".

"يُقال بأن الزمن كفيل بشفاء كل الجروح، لكن ماذا لو كان شفاؤنا يعتمد على أشخاص غادروا هذه الدنيا؟ ماذا لو تحولت لحظات الفرح إلى تذكير مرير بالفقد؟ كيف يمكن للجراح أن تلتئم حين يظل الغياب حاضرًا في كل لحظة؟".

***

احتضنت إيمَا الكوب أمامها، وعيناها تائهتان في ظلام قهوتها السوداء، قالت بصوت خافت:

ثم تنهدت بعمق، وكأنها تحمل ثقل العالم على كتفيها:

- بات الاتصال بها أشبه بالمهمة المستحيلة... ولا أعرف متى أصبحت مهووسة بالعمل هكذا.

تحول يأس إيمّا إلى تذمرٍ وعتاب، فرفعت عينيها لتتابع:

- أصبحت تقضي معظم وقتها خارجًا، وهي لا تعود إلى المنزل إلا نادرًا.

تحدث الشاب الذي كان يستمع إليها:

- ولكن لستُ أفهم... ما دخلي أنا بكل هذا؟

دفعت إيمّا بكوبها بعيدًا، وأجابته بانفعال:

- لأنك الوحيد القادر على التحدث إليها! أنت تتحدث مع الجميع من دون مشاكل!

- ولكنني مجرد نادل في هذا المقهى...

ربعت إيمّا ذراعيها بحركة حادة، تنظر إلى النادل المرتبك قبل أن

تعاتبه:

- أتسمي هذا عذرًا؟

- يا آنستي... أنتِ تُخيفين الزبائن.

وبينما كانت إيمًا على وشك الرد، امتدت يد أحدهم من فوق كتفها، وضعت تلك الفتاة النقود بهدوء على سطح الطاولة ناحية النادل لتقول:

- هذا الحساب.. هيا، يا إيمًا، أنتِ تُثيرين الفوضى هنا.

استدارت إيمًا بسرعة، والغضب يشتعل في عينيها، لكنها تجمدت للحظة وهي تنظر إلى الفتاة:

- كايلي بيتفورد!

حيّتها كايلي بابتسامة عريضة:

- مرحبًا يا إيمًا.

إلا أن إيمًا لم تسعد برؤيتها، عبست في وجهها الذي ذكرها بذلك اليوم المشؤوم، ومع هذا غادرت المقهى برفقتها لتسألها:

- ما الذي تريدينه؟

- وأنا التى اعتقدت أنكِ ستفرحين لرؤيتى.

مُظهرةً عدم اكتراثها، سارت إيمًا مبتعدة وهي تقول:

- وما المفرح برؤية وجهك المتغطرس؟

لكن كايلي تمكنت من إيقافها بإشارة بسيطة وهي تقول:

- ألا ترغبين بمعرفة مكان أليكس الآن؟

جمدت إيما في موقعها لحظة ذكر كايلي لاسم أليكس، إلا أن كبريائها كان أكبر من أن تنجرف أكثر، فقالت دون أن تستدير:

لم تتمكن كايلي من كتم ضحكتها، ارتسمت على وجهها ابتسامة واثقة، عاكسةً معرفتها بمدى عمق مشاعر إيما تجاه أليكس، لهذا اقتربت منها لتستفزها:

- حسنًا، إن كان هذا ما تريدينه، فهذا يعني بأنه عليّ التخلص من هذه.

أخرجت كايلى من حقيبتها مغلفًا ورمقته بنظرة عابرة قبل أن ترفعه قليلًا بيدها. استدارت إيما فجأة وقد تمكن الفضول منها بعد أن وقعت عيناها على المغلف، فانتزعته من يد كايلي، لتقول متذمرة:

- في أي عصر نعيش؟ ألم يسمع بالهاتف أو الرسائل النصية؟

عبست كايلي للحظة، رغم أنها حاولت إخفاء ذلك. قالت بصوت خافت:

- لقد أثر به كثيرًا مقتل توماس... ربما لهذا السبب حاول تجنب الجميع... حسنًا، وداعًا يا إيفا، آمل أن نلتقي مجددًا.

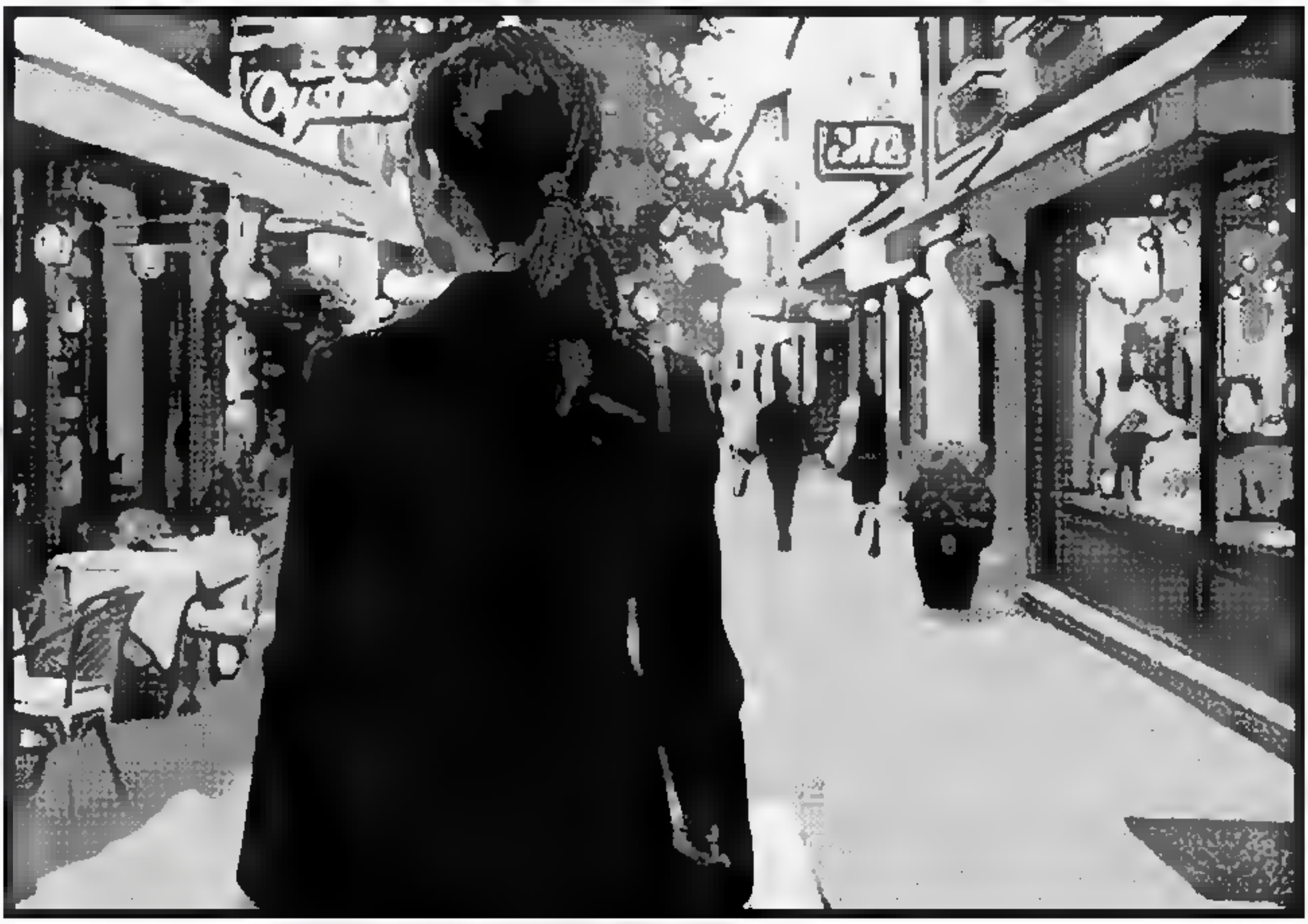

غادرت كايلي في حال سبيلها، تاركة إيفا وحيدة في خضم أفكارها المتناقضة. وقفت على الرصيف بلا حراك، تُحدق برسالة أليكس، حتى همست وهي تشعر بثقلٍ يجثم على صدرها:

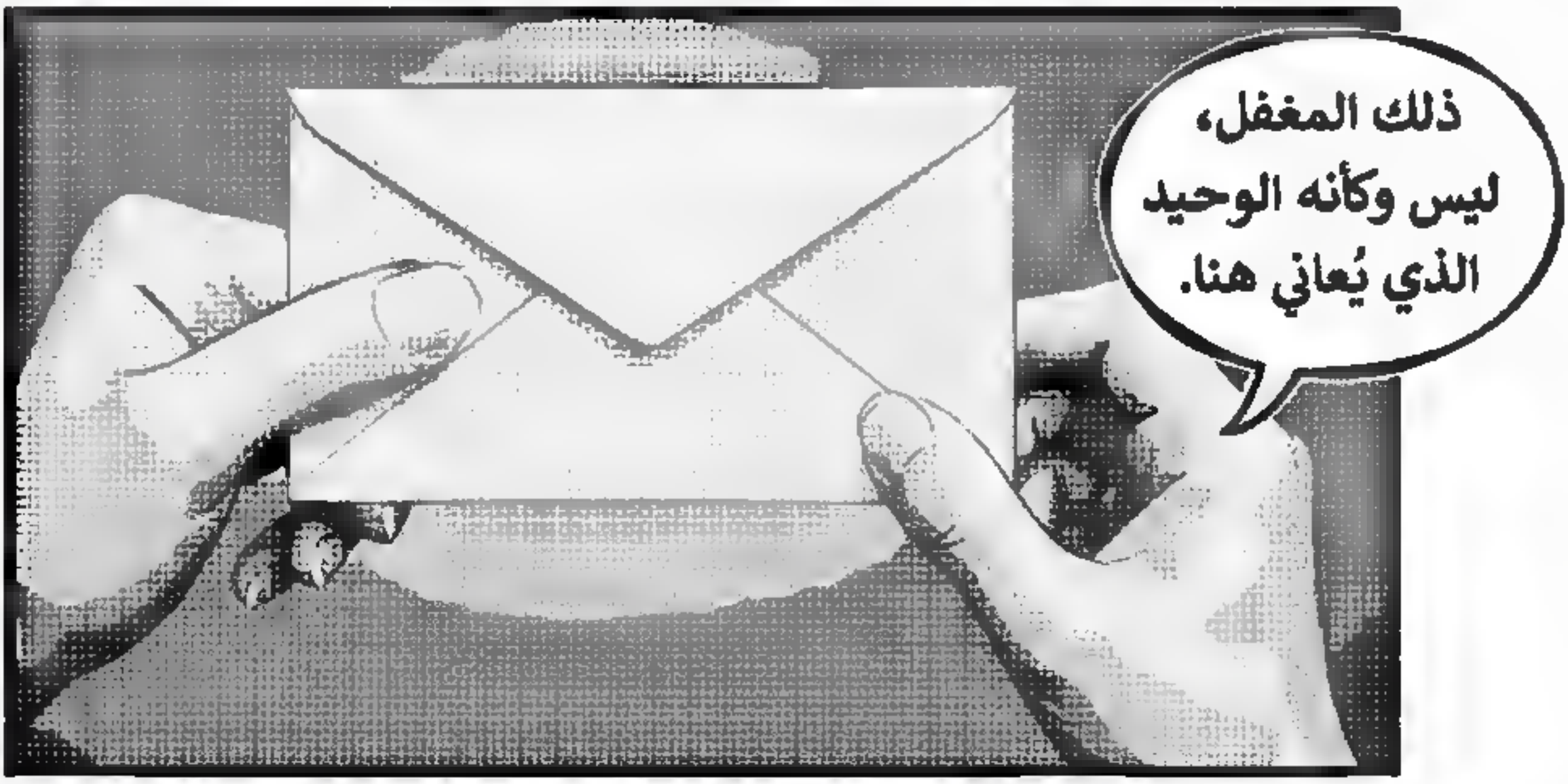

أمسكت المغلف بيدين مرتجفتين، كانت تستعد لتمزيقه. لكنها، في اللحظة الأخيرة، تراجعت فجأة لتصرخ في الهواء:

- تبًا لك يا أليكس! فلتذهب إلى الجحيم!

سأل طفلٌ صغير والدته وهو يُشير إلى إيما، فشدّت الأم على يد طفلها وابتعدت معه بسرعة، بدت إيما في نظر المارة كفتاة فقدت صوابها. وسط هذه الفوضى، رن هاتفها بصوت مزعج، فأجابت على المتصل بانفعال:

- ماذا؟

جاء صوت ماثيو مرتبكًا على الطرف الآخر للمكالمة:

- يبدو أن مزاجكِ سيئ جدًا.. ما الذي حدث؟

زفرت إيفا بشدة بعدما تذكرت سبب الاتصال، ثم قالت بصوت أقل حدة:

- أعتذر... لقد نسيت أمرك تمامًا، أنا في الطريق.

***

في مبنى الصحيفة، كان بوب قد قضى الليل بطوله يكتب المقالة التي لطالما حارب من أجل نشرها. لم يحصل على موافقة مديره إلا الآن، ولهذا لم يرغب في إضاعة المزيد من الوقت، فرك عينيه المجهدتين، بينما راح يحدّق بشاشة الجهاز المليئة بالسطور الطويلة.

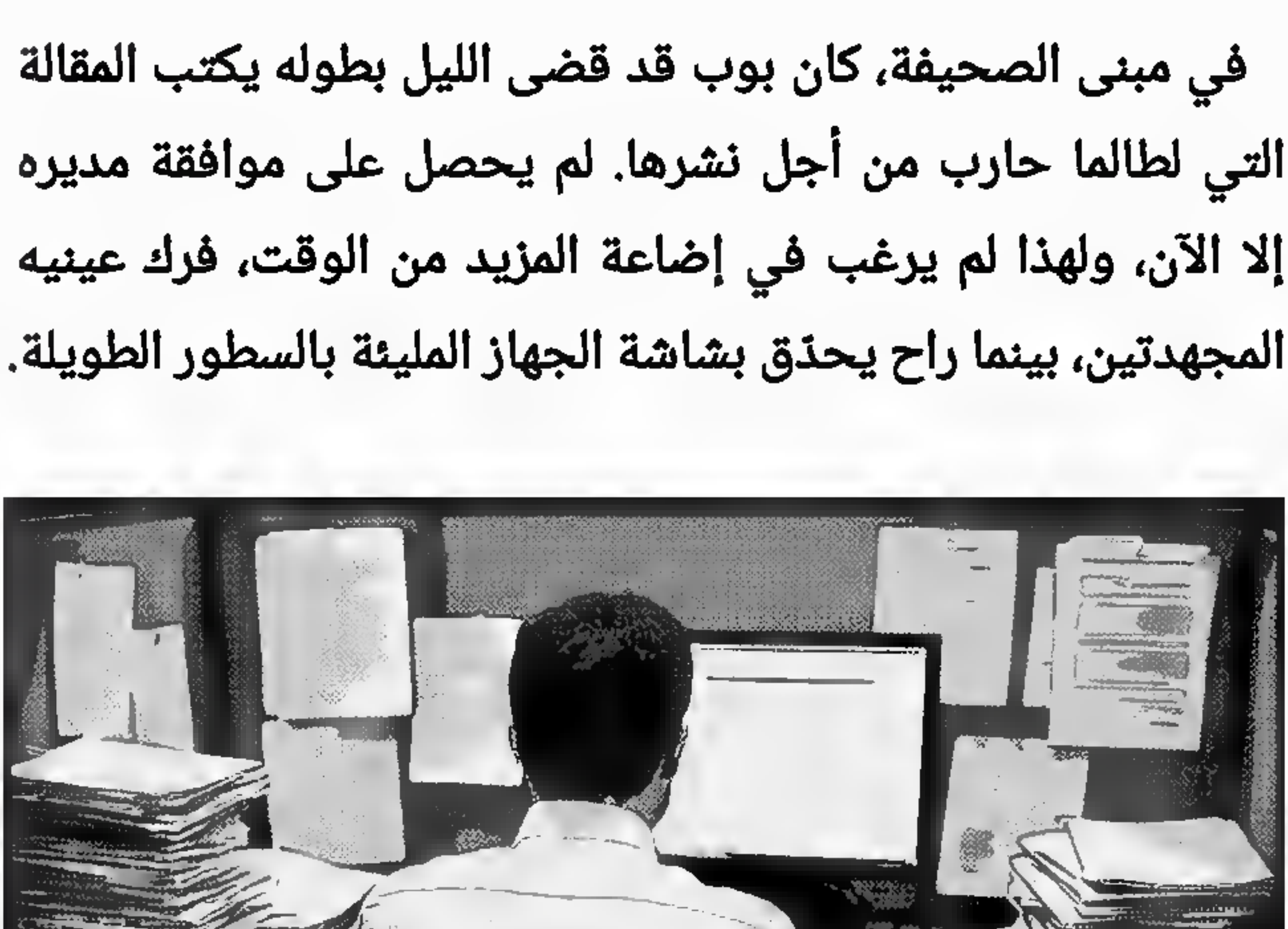

لاحظت هارو علامات الإرهاق واضحة على وجهه، اقتربت منه وسألت بنبرة ناعمة وهي تقف خلفه:

- أما زلت تعمل عليها؟

بدأت تدلك كتفيه بحركات خفيفة، مُحاولةً تخفيف التوتر المتراكم، فأجابها بوب وهو يُشير بيده إلى كومة الملفات المبعثرة على جانب مكتبه:

- أخذت الكتابة مني بعض الوقت لأنني لم أرغب أن أنسى أي تفصيل.

تغيرت ملامح هارو فجأة، وبدت الكآبة تملأ وجهها، فقالت بنبرة منخفضة:

***

بدأت إجازة الصيف، وخلت مدرسة هيل تاون الإعدادية من الطلاب والمعلمين، باستثناء تلك الفتاة، وجدت يوميكو في غرفة

الموسيقى الخاوية ملاذًا لها لتنفرد بنفسها، تبحث فيها عن عزلة تهرب بها من ضجيج أفكارها.

جلست أمام البيانو، وراحت تضغط على مفاتيحه بعشوائية، ألحان مشوشة كأنها انعكاش لما في داخلها، استمرت بالعزف حتى قاطعها صوت مألوف:

- اعتقدت أن طفلًا كان يلهو بالبيانو.

استدارت يوميكو نحو مصدر الصوت لتجد ماثيو يقف هناك:

- هذا أنت!

ثم عادت لتنظر إلى المفاتيح، فسألها ماثيو:

- هل أنتِ محبطة لرؤيتي؟

هزت رأسها بسرعة لتنفي، وقالت بصوت خافت:

- لا، ليس الأمر كذلك.. كنتُ فقط غارقةً في التفكير.

اقترب ماثيو، وسمح لنفسه بالجلوس بجوارها، ثم قال:

- ألهذا كان عزفك سيئًا قبل قليل؟

رفعت يوميكو حاجبيها ومدت شفتيها اعتراضًا:

- لا تسخر مني.

ضحك الشاب بخفة على تعبير وجهها الظريف، بينما يُخرج دفترًا صغيرًا للموسيقى ليضعه أمامها.

فتحت يوميكو الدفتر، وابتسمت بمكر:

- حسنًا، لنرى إن كان أداؤك في التأليف قد تحسن.

ثبتت الفتاة الدفتر أمامها وبدأت تعزف، رقصت أناملها بخفة مع أنغام مقطوعة ماثيو الجديدة، كان لحنًا بسيطًا ومعبرًا يحمل الكثير من الدفء بين طياته. استمرت يوميكو بتقليب الصفحات، حتى توقفت فجأة عند الصفحة الأخيرة، تجمدت وهي تقرأ الكلمات المكتوبة هناك بين النوتات: "هل تقبلين الزواج بي؟"

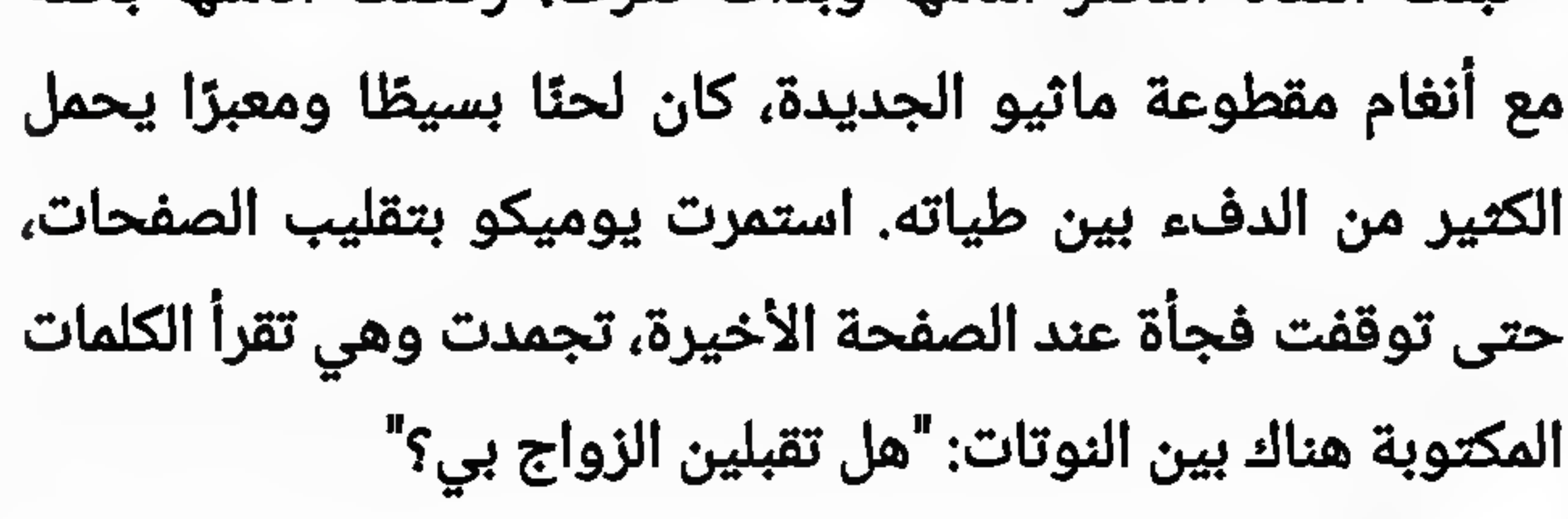

رفعت عينيها ببطء، ووجدت ماثيو قد نزل على إحدى ركبتيه، أخرج صندوقًا صغيرًا يحوي خاتمًا براقًا، وقد احمرت وجنتا الشاب وهو يُلقي بسؤاله:

- هل تقبلين الزواج بي، يا يوميكو؟

توقف الزمن عند يوميكو بعد أن تمكنت منها المفاجأة، نظرت إلى يدي ماثيو المرتجفتين وعينيه الممتلئتين بالتوتر، فخاطبها الشاب بقلق:

- يوميكو!.. لماذا لا تقولين شيئًا؟

التمعت عيناها بالدموع، ثم همست بصوت مرتجف:

- أنا حقًا اعتقدت...

هربت دمعة على خد يوميكو وهي تقول:

- اعتقدت أن الأمر سيأخذ منك سنوات لتفعلها.

ارتبك ماثيو من إجابتها، وخاصة عندما شاهد دموعها تتساقط بصمت. استقام بسرعة، وقال معتذرًا:

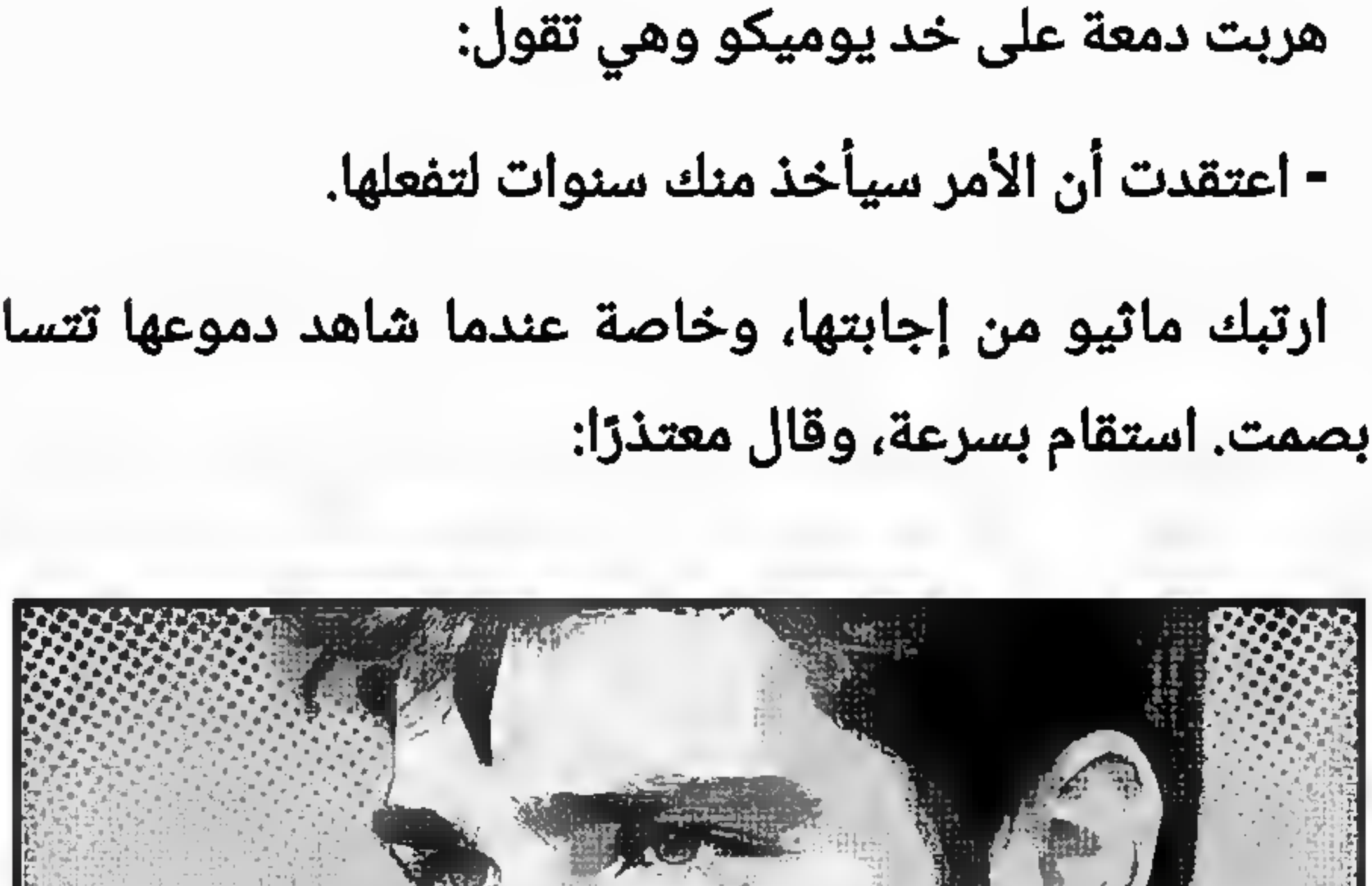

ولكنها أخرسته لتقول:

نظر إليها بذهول، وكأن الكلمات لم تصل إلى عقله بعد، فكررت يوميكو وهي تمسح دموعها بابتسامة مشرقة:

- أنا موافقة.

عند الباب، ظهرت إيمّا فجأة، قفزت بحماسة مفرطة وهي تصرخ:

- إنها موافقة أيها الغبي، لقد وافقت.

تقدمت نحو ماثيو، وأشارت إلى العلبة المفتوحة:

- ما خطبك؟ ألبسها الخاتم!

أفاق ماثيو من صدمته، فتح العلبة بيدين مرتجفتين، وأخرج الخاتم. وضعه برفق في يد فتاته التي قبلت به رغم كل ما حدث.

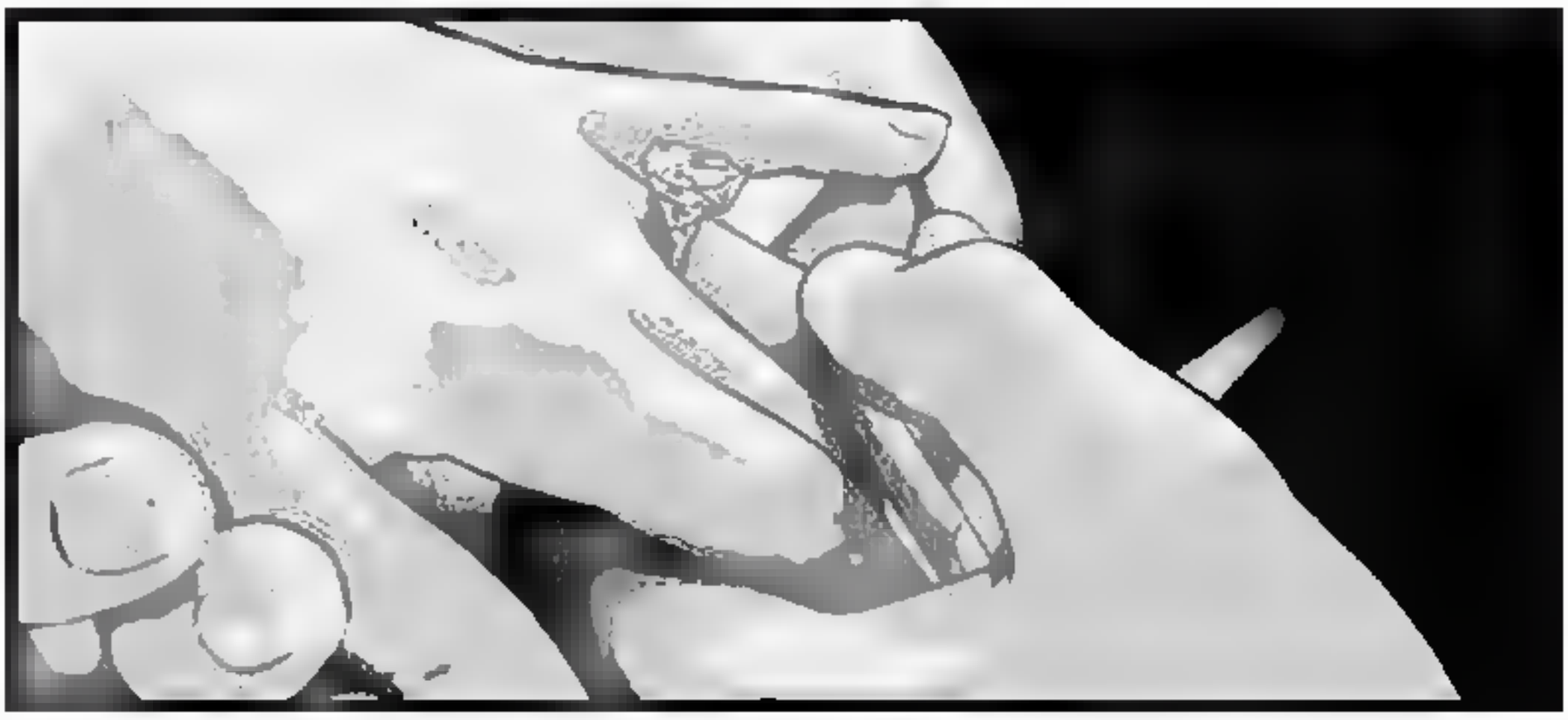

نظرت يوميكو إلى الخاتم في يدها، وأشرق وجهها للحظة، كأنها نسيت كل ما كان يُثقل كاهلها. لكن سرعان ما انتبهت إلى عقارب الساعة في يدها، وقالت:

- يا إلهي! أنظر إلى الوقت... سنتأخر!

***

في غرفته، كان دانيال يستعد للخروج عندما أتاه اتصال من أحدهم، حدق بالرقم على شاشة جهازه، زفر ببطء، وعقد حاجبيه قبل أن يجيب:

كانت محادثةً من طرف واحد، اقتصر رد دانيال على إيماءات خفيفة وهو يستمع مرغمًا لكلمات مدربه على الجهة الأخرى من دون أن يقاطعه، ثم، بعد لحظة صمت قصيرة، قال لمدربه:

- كما ترغب... حسنًا، لدي موعد مهم الآن.. لنتقابل حالما أنتهي.

***

في أحد أروقة شركة الشحن التابعة لمجموعة بيتفورد، اندفعت السكرتيرة الشقراء وهي تحمل بعض الملفات.

ازداد ارتباكها بسبب تأخرها عن الاجتماع، فتوقفت أمام الباب لتعيد تنظيم أفكارها، رتبت شعرها وهندمت ملابسها، ثم أخذت نفسًا عميقًا وزفرته ببطء، محاولةً طرد التوتر من صدرها، قبل أن تدفع الباب.

التفتت إليها الأنظار بسبب دخولها المفاجئ وغير المناسب، لكنها تجاهلت ذلك وتقدمت مباشرة نحو رأس الطاولة حيث يجلس المدير. وضعت الأوراق أمامه بحركة سريعة، وخاطبته بصوتٍ خافت:

- هذه الأوراق التي طلبتها، سيدي المدير.

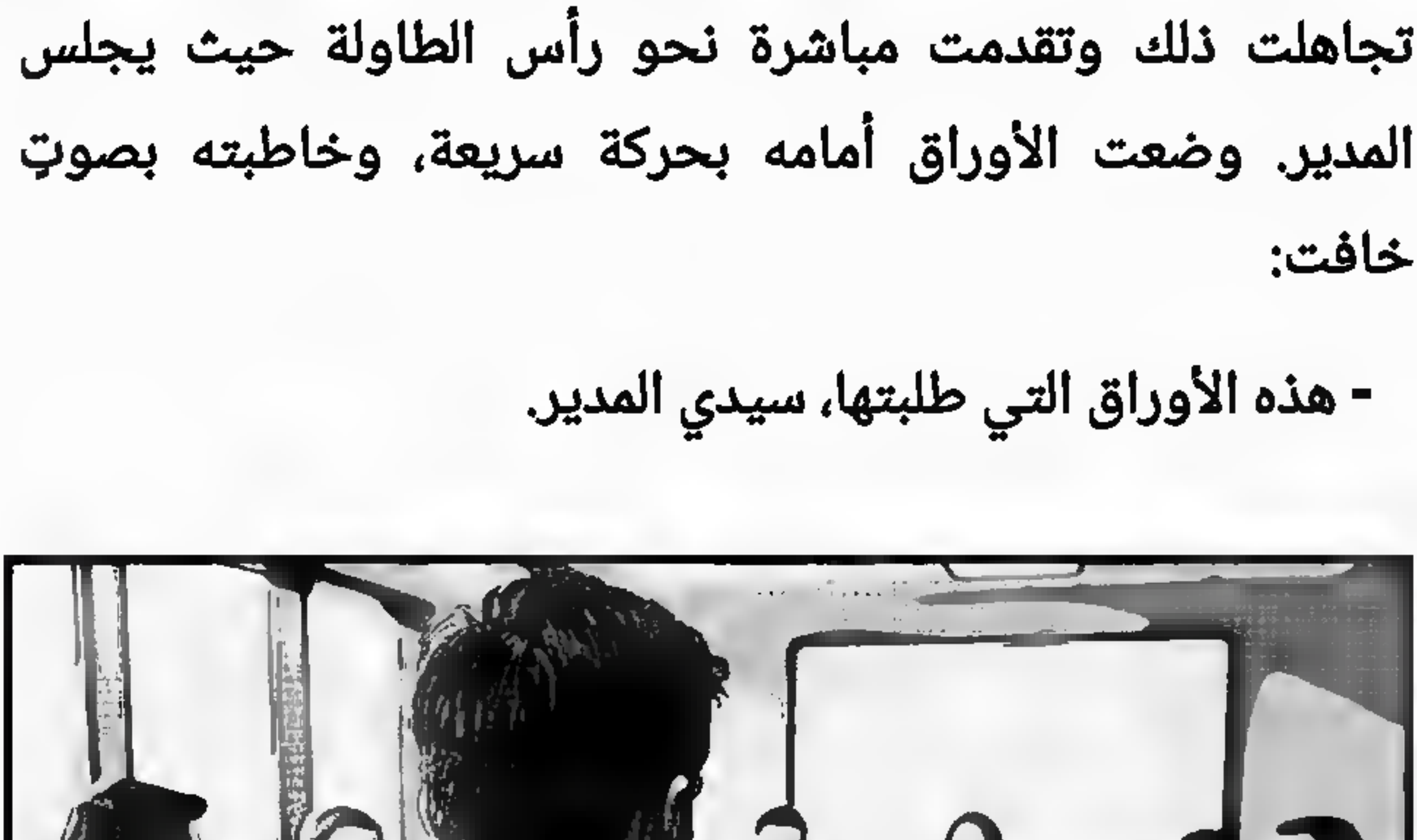

لم يلتفت إليها إدوارد بالكامل، اكتفى بإيماءة سريعة طالبًا منها أن

تضعها جانبًا بينما كان منصتًا لعرض أحد الموظفين. فعلت هي ما طُلِبَ منها، لكنها لم تتحرك من مكانها، مما جعله يلتفت إليها هامسًا باستفسار:

- هل من شيء آخر؟

أشارت مساعدته رايتشل إلى ساعة يدها بحركة مدروسة، ثم همست له:

- ألم تطلب مني بأن أذكرك... إنها الساعة الحادية عشرة والنصف.

- حقًا!

تجمد إدوارد لبرهة وقد نسي الموعد تمامًا، ثم سارع بالنظر إلى شاشة هاتفه ليتأكد، قبل أن يتجه إلى الشخص الجالس عن يمينه ويقول:

- هل يمكنك أن تتولى الأمور من هنا يا إريك؟ عليّ الذهاب لأمر طارئ.

رمى بطلبه أمام أخيه، وغلفه بابتسامة بريئة، فرمقه إريك بنظرة تدل على مدى انزعاجه قبل أن يقول هامسًا:

- ما هذا التسيب يا أخي؟ لقد وصلنا إلى الجزء المهم الآن فقط!

إدوارد، الذي كان قد نهض بالفعل، ألقى نظرة معتذرة على شقيقه، قائلاً بنبرة متأسفة:

وهكذا انسحب الشاب مع مساعدته من الاجتماع، توجها نحو المصاعد، ليقول إدوارد بينما يضغط على زر الطابق الأرضي:

- شكرًا يا رايتشل، لقد أنقذتني في الوقت المناسب.

استقل المصعد مع مساعدته نزولًا، ثم خرج من بوابة الشركة حيث كانت سيارته بانتظاره.

وقبل أن يصعد إليها، استدار إدوارد نحو رايتشل، التي بقيت واقفة لتودعه، وسألها:

- هل عرفتِ مكانها؟

- نعم، لقد أرسلته لك.

أجابته وهي تشير إلى هاتفها، فقال:

- جيد، إذًا أراكم غدًا.

لكن قبل أن يتحرك، استوقفته مساعدته بلطف:

- مهلًا...

ثم سلّمته كيسًا صغيرًا كانت تحمله، وقالت:

أخذ إدوارد الكيس وانطلق بسيارته. أمسك المقود بيد، بينما كان يتفقد العنوان الذي أرسلته مساعدته بيده الأخرى. كان الموقع قريبًا من طريقه، لذا قرر التوجه لتفقده. وجد نفسه أمام أحد المقاهي على أطراف البلدة، فأوقف السيارة ولم يترجل منها.

جلس هناك بهدوء يراقب المكان. مرّت بضع دقائق وكانت كفيلة بأن تعيد له ذكريات مشهد المواجهة بينه وعمه إدموند من ليلة الاحتفال:

- لقد تبادلنا الأدوار، أليس كذلك؟ ههه، ألن تتوسل إليّ كي لا أطلق النار عليك؟

لم يكن بمقدور إدموند أن ينحدر أكثر من ذلك، خاصة بعد قتله لعدد لا بأس به من رجال الشرطة.

لو لم يحضر ريوتا في الوقت المناسب، لكان موت إدوارد حتميًا، اعتقد إدموند وبعنجهية منه، أنه قد سيطر على الوضع، لكن الموازين قُلِبت عندما هجم ريوتا على إدموند بحركة جريئة لم يتوقعها، أطلق إدموند النار لكنه أخطأ الهدف، بعد أن وقع الاثنان يتصارعان على الأرض. تدخل إدوارد محاولًا انتزاع المسدس من يد إدموند، كان عنيدًا وتشبث بسلاحه بكل ما أوتي من قوة، لم يكترث وظل يضرب ويركل بجنون، إلى أن أطلق رصاصته الأخيرة، لكنها أصابته هو بعد أن تمكن إدوارد من إدارة يده في اللحظة الأخيرة.

انتهت تلك المعركة بإصابة إدموند وخروج الشابين بسلام. تمكنت الشرطة بعد ذلك من القبض عليه، الرجل الذي اعتقد الجميع أنه ميت أصبح الآن في قبضة العدالة بعد تلك الواقعة. تلك كانت النهاية التي احتاجها إدوارد، نهاية الوحش الذي كان يلهث خلف والدته

ماريا.

***

في غرفته، رمى ريوتا بهاتفه على الفراش بعد محاولات فاشلة للاتصال بميغان، أصابه اليأس أخيرًا، ثم توجه ليجلس أمام شاشة جهازه، المفتوحة على بريده الإلكتروني. فتح المستند المرفق بالرسالة الأخيرة ليتفقده مجددًا، رغم أنه كان قد اتخذ قراره بالفعل، إلا أن التردد سيطر عليه لسبب ما.

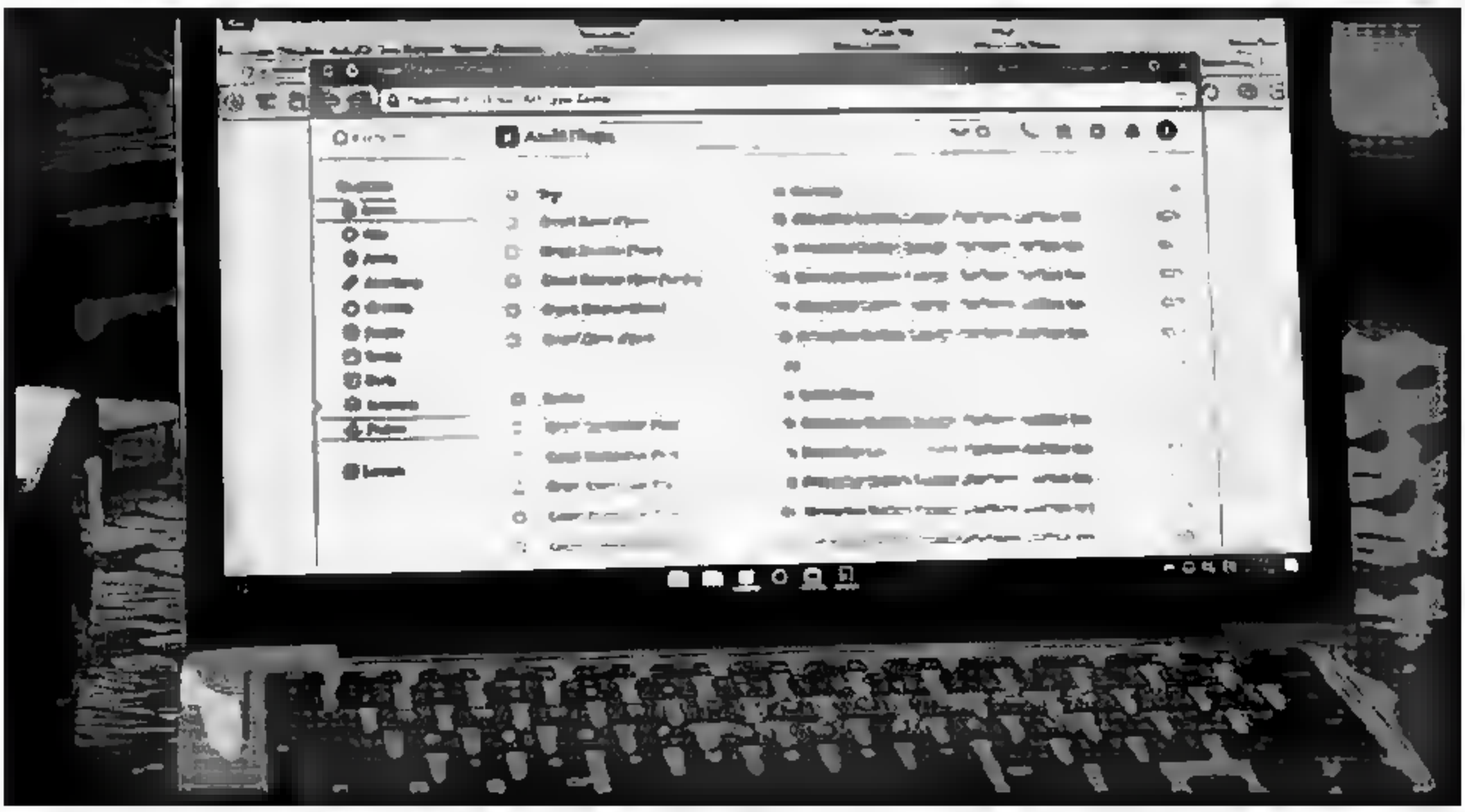

في تلك اللحظة، دوّى صوت رنين هاتفه، كان دانيال على الخط، وما إن أجاب ريوتا حتى صاح به صاحبه دون مقدمات:

- أين أنت؟ لا تقل لي بأنك لم تصل حتى الآن!

- ماذا!.. كم الساعة الآن؟

أدار ريوتا رأسه لينظر إلى الساعة على مكتبه، فأدرك بأنه قد تأخر كثيرًا:

- يا إلهي.

قفز الشاب مسرعًا من فوق كرسيه بعد أن أغلق الخط في وجه دانيال.

***

أمام ذلك المقهى أثمر انتظار إدوارد أخيرًا بعد أن شاهد كيتلين تغادر المكان.

"حاولت تجنب الجميع بقدر استطاعتي، كانت محاولة مني للهروب من حياتي".

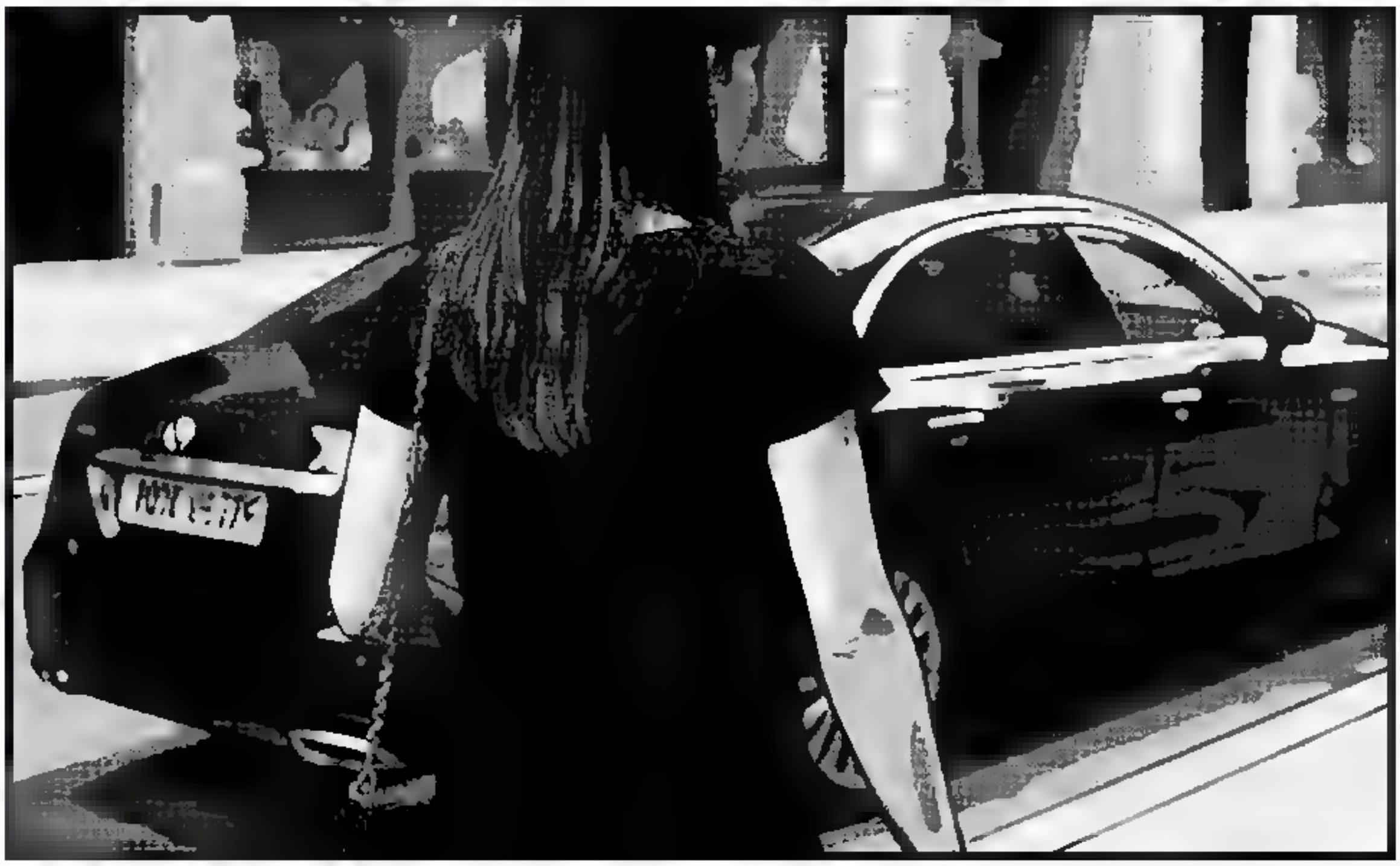

"وفي كل مرة أظن أنني ابتعدت بما يكفي، أجد تلك الوجوه تعود لمطاردتي".

- مرحبًا أيتها الغريبة.

استوقفها إدوارد قبل أن تهرب منه، فقالت وهي تشيح بنظرها:

- ما الذي تفعله هنا؟

ضرب الشاب على هيكل سيارته ليجيبها ببهجة:

- جئت لأصحبك معي.

أبعدت كيتلين نظرها محاولةً الهروب، لكنه تابع بحذر:

- لا يزال بإمكاننا الوصول إلى الموعد في الوقت المناسب.

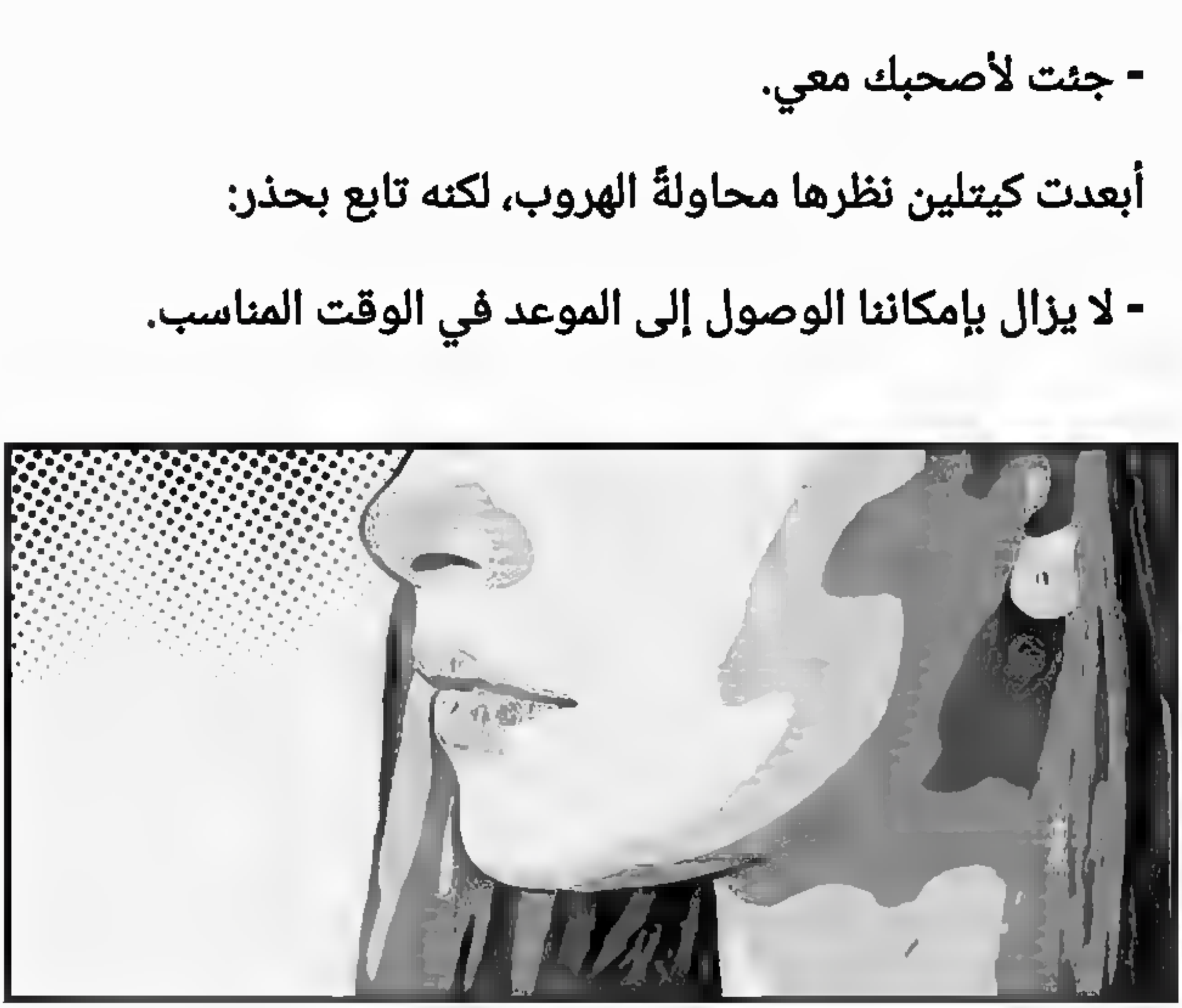

"لا فائدة من العناد، لأنه في قرارة نفسي كنت أرغب بالذهاب أيضًا".

***

اجتمع الأصدقاء دانيال وإيفا، ماثيو ويوميكو في منتصف قاعة المغادرين، يبحثون بين وجوه المسافرين من حولهم، حتى ظهر ريوتا وهو يجري مسرعًا ناحيتهم، وصل الشاب لاهثًا مع حقيبته، فقال له دانيال:

- لم يبقَ إلا القليل على موعد الطائرة، هل أنهيت جميع الإجراءات؟

رفع ريوتا جوازه مع تذكرة سفره، ليُجيب:

كان عليه أن يودعهم، فانتبه إلى يوميكو وماثيو، اللذَين يمسكان بيدي بعضهما، حيث التمع الخاتم في يد أخته. ارتبك ماثيو للحظة، ولم يجد فرصة للكلام، إذ سبقه ريوتا قائلاً:

- عليك أن تهتم بها جيدًا، أو ستجدني على أول طائرة عائدة إلى هنا.

حكّ ماثيو أرنبة أنفه، ليجيب بابتسامة:

- بالتأكيد سأفعل.

وبينما كانوا يباركون للثنائي، أشار دانيال إلى البوابة ببهجة:

- انظروا إلى من قرر المجيء!

وصل إدوارد ومعه كيتلين في الوقت المناسب، فانهالت إيمَا بعبارات العتاب على صديقتها:

- أين كنتِ يا فتاة؟ أنتِ لم تغيري رقم هاتفك، أليس كذلك؟

"كم اشتقتُ للسانها الفض، وحديثها الصاخب، لم أكن أعلم أن سماع صوتها وحده يعطيني هذا الاحساس بالأمان".

ثم، وبتغير في مزاجها، جرت إيمّا لتقف بحماسة بين يوميكو وماثيو، وضعت يديها على كتفيهما، لتزف الخبر السعيد:

- انظري، يا كيتي، إلى من قرر الارتباط أخيرًا!

- مبارك لكما...

"باركت لهما، وتمنيتُ لهما السعادة في حياتهما المقبلة، إلا أن جزءًا يسيرًا مني كان يغبطهما... لقد حسدتهما في سري من دون أن أفصح عن ذلك".

انتبهت كيتلين إلى أن ريوتا كان ينظر إليها، وعندما التفتت ناحيته، قال لها بصوته الهادئ المعتاد:

- هل يمكن أن نتحدث على انفراد؟

وافقت الفتاة، وسارت معه ليبتعدا عن المجموعة. ما إن أصبحا على بعد مناسب حتى أخرج ريوتا كرة من جيب حقيبته وناولها لـ كيتلين، ليقول:

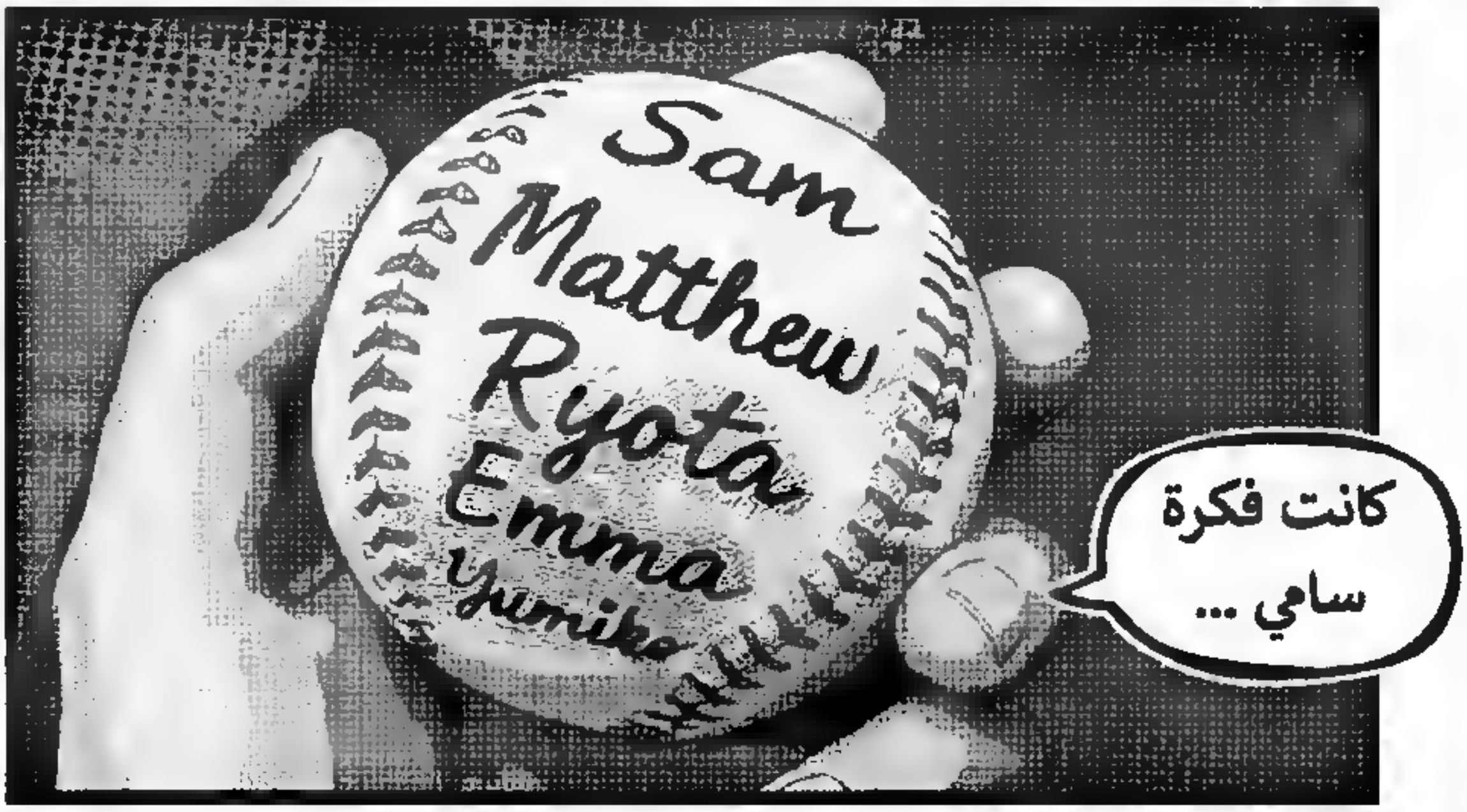

توقف قليلًا ثم أضاف، مشيرًا إلى التواقيع عليها:

- ينقصها بعض الأسماء، لهذا أيمكنك تولي المهمة من هنا؟

صمتت كيتلين وهي تحدق بالكرة بين يديها، أدارتها على مهل، فقال لها ريوتا:

- أنتِ لم تذهبِ إليه حتى الآن.

هزّت رأسها بخفوت وهي توطئه ناحية الأرض ببؤس:

- لا يُمكنني.. أنا فقط...

ولكنه قاطعها ليقول:

- أفهم ما تمرين به، لكن لا معنى لمعاقبة نفسك على شيء ليس بيدك.

في الخلفية، صدر النداء الأول لرحلة ريوتا:

رفع ريوتا رأسه نحو اللوحة التي تشير إلى رحلته:

- عليّ الذهاب الآن...

ثم عاد لينظر إليها بابتسامة:

- لذلك عديني بأنكِ ستحاولين على الأقل.

- أنا..

"لم أتمكن من قولها.. ولو كنت أعلم أنها المرة الأخيرة التي سأراه فيها، لكنت قلتها حتى لو لم أعنها، كنت سأكذب، حتى لو كان سيرى من خلال كذبتي".

احتضنها ريوتا كوداع أخير، ثم همس لها:

- سأفتقد محادثاتنا الصغيرة.

- وأنا أيضًا.

"أكره لحظات الوداع".

اقترب منهما إدوارد ليقاطعهما مازحًا:

- آمل بأن كل شيء على ما يرام؟

أفلت الصديقان بعضهما، لتومئ كيتلين وهي تمسح وجهها. من جهته أجاب ريوتا متفائلًا وهو ينظر إليها:

- نعم، أعتقد بأن كل شيء سيكون على ما يرام.

وقبل عودتهم، ناوله إدوارد الكيس الصغير الذي كان بيده:

- هذا لك، إنه من ميغان.

أخذ ريوتا الكيس، فتابع إدوارد مضيفًا:

- لا أعتقد بأن ميغان تقبّلت فكرة رحيلك هكذا، كُنت أتمنى لو تعيد التفكير في قرارك.

بهتت ابتسامة ريوتا قليلاً وهو يردّ:

- أنت تعرف جيدًا أن هذا القرار اتخذته لأجل والدي، وميغان تدرك ذلك... كما لا يمكنني رفض عرض الدراسة بعد الموافقة عليه.

في يوم الحفل، وجد والده هيروشي وأوليفيا نفسيهما في مواجهة محتدمة مع الدكتور لوغان داخل مكتبه. احتدم النقاش بين الثلاثة، وانحرفت الأمور عن السيطرة. زاد تدخل رجال مارثا الوضع سوءًا، وارتفعت أصوات الجدال، وانكشفت ألاعيب لوغان أمام زوجته وصديقها. لم تتحمل أوليفيا ذلك، فصرخت مهددةً بفضحه، عندها، تدخل أحد رجال مارثا وأخرج سكينًا من جيب معطفه ليهددها:

رغم عدائه مع زوجته، لم يستطع الدكتور لوغان تجاهل الخطر الذي يهددها، فوقف أمامها مُدافعًا، مما أغضب حامل السكين:

انقضّ الرجل عليه مهاجمًا، مُلوحًا بسكينه ببراعة ليترك جروحًا متفرقة في جسده. تدخل هيروشي لإنقاذ الموقف حينها، لتتحول المواجهة إلى معركة غير متكافئة بعد انضمام بقية رجال مارثا.

كانت النهاية مأساوية؛ حيث طُعن لوغان أمام زوجته وسقط هيروشي هو الآخر متأثرًا بجراحه، وصل صراخ أوليفيا إلى مسامع العاملين في المناوبة الليلية، الذين أسرعوا لطلب المساعدة.

خلال هذا الوقت تمكن رجال مارثا من الهرب، بينما تم إسعاف لوغان وهيروشي.

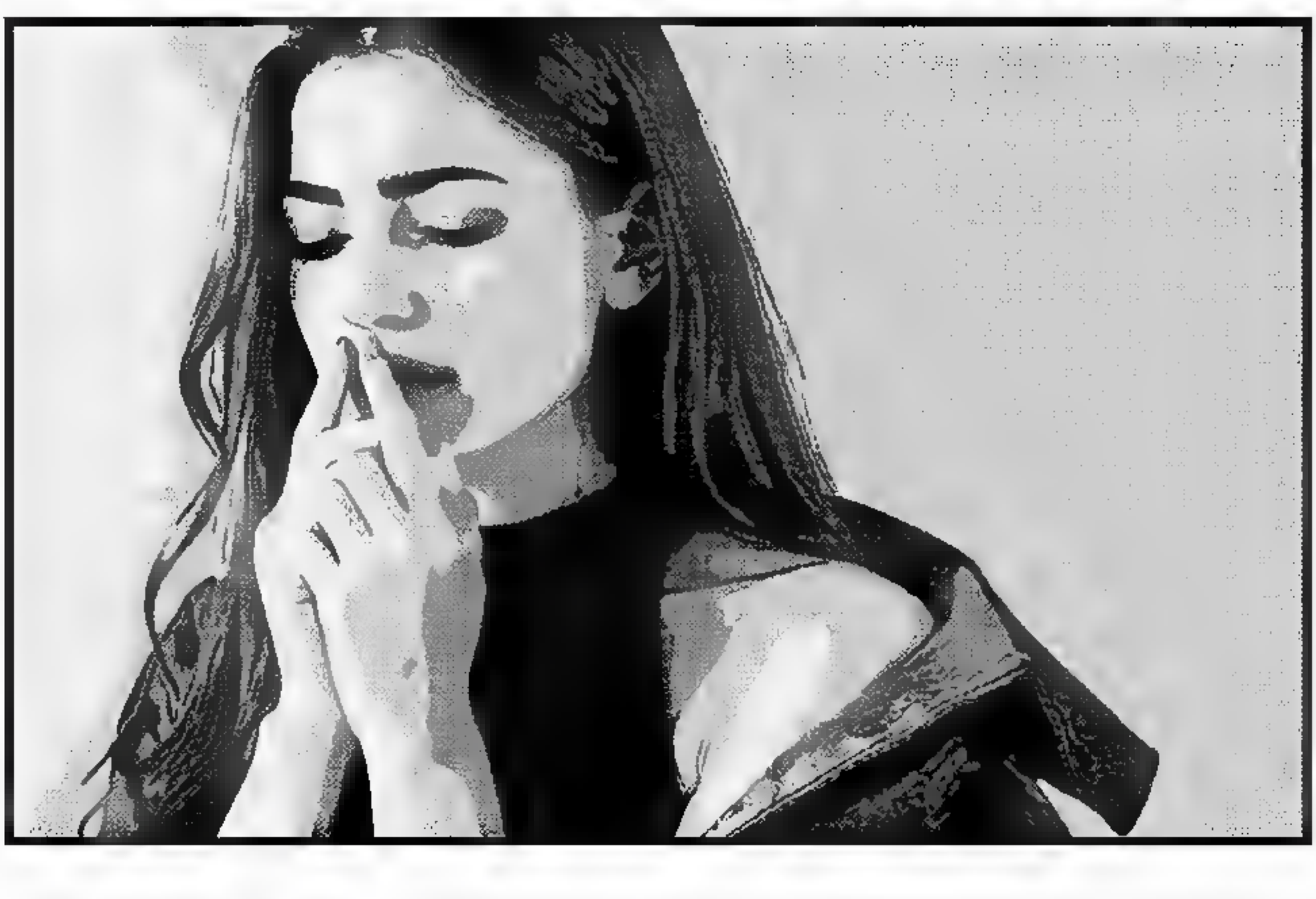

لم يُكتب للدكتور لوغان النجاة رغم المحاولات اليائسة لإنقاذه، أما هيروشي، فقد استطاع الأطباء السيطرة على حالته الحرجة وأُدخل العناية المركزة، وظل تحت الملاحظة لفترة طويلة.

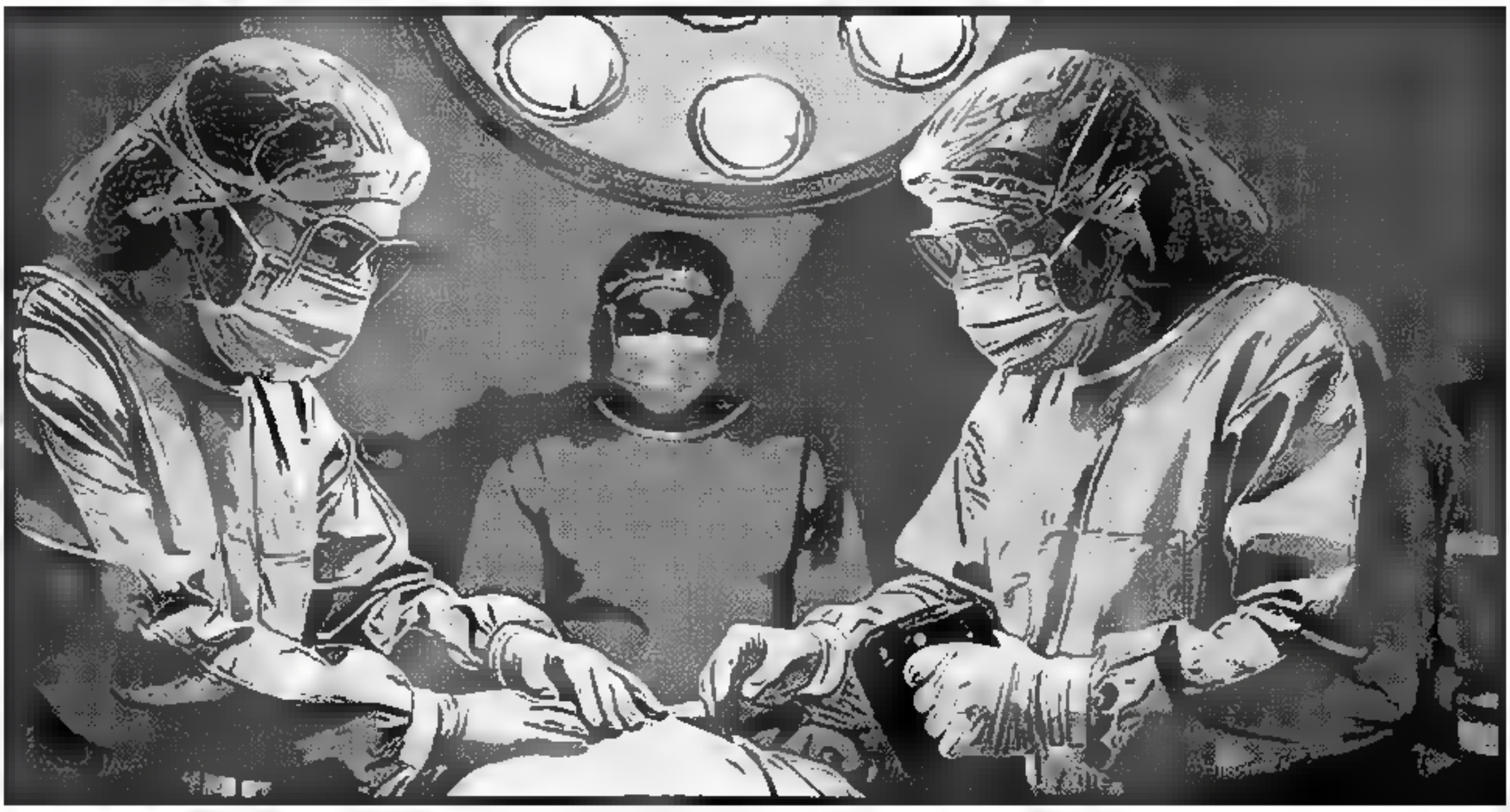

وقبل فترة قصيرة، تم اتخاذ قرار بإعادة هيروشي إلى عائلته في اليابان ليُكمل علاجه هناك. لهذا السبب، قرر ريوتا اللحاق بوالده ليكون قريبًا منه.

أدارت يوميكو خاتمها في إصبعها مخاطبةً ماثيو:

- ماثيو.

- ماذا؟

أنزلت يدها وقالت بخفوت:

- لا أريد إقامة حفل زفاف كبير.

لم يعجب اقتراحها إيمّا، فردت معترضة:

- ما الذي تتفوهين به يا فتاة؟ سنقيمُ حفلًا كبيرًا يليق بكما!

إلا أن ماثيو كان مع رأي يوميكو:

- يوميكو محقة، فلم يمضِ على وفاة والدنا الكثير، والعم هيروشي ليس بوضع جيد.

"أنا أرفع القبعة تحيةً لـ ماثيو وإيمّا على قوتهما، فهما لم يدعا ما حدث يحول دون المضي قدمًا في حياتهما".

عاد ريوتا مع كيتلين وإدوارد ليأخذ حقيبته، لكن إيمّا لم تتركه يفلت بسهولة. أمسكت به وقالت:

- لا تظن أنك ستفلت قبل التقاط بعض الصورا

اقترب الجميع بينما أعطت إيمّا هاتفها لأحد المارة ليلتقط لهم الصور. رفع الشاب هاتف إيما، وقال لهم:

ولكن، كما في لقائهم الأول، غرقوا في فوضاهم المعتادة. التفتت إيقا إلى يوميكو معترضة:

- عقلة الأصبع، أنتِ تدوسين على قدمي!

ردّت القصيرة بانزعاج وهي تُدقق في موقع قدمها:

- تلك القدم الكبيرة ليست لي.

ضحك دانيال، محاولًا كسر الإحراج:

- إنها قدمي، آسف.

على الجانب الآخر، كان إدوارد يحث ماثيو على الاقتراب، لاحظ ريوتا تردد الأخير، فنظر إليه بطرف عينه مازحًا:

- لا تقلق، لن أعضك.

ردّ ماثيو مُحرجًا:

- هه، ما الذي تتحدث عنه؟

"كانت تلك واحدة من اللحظات الثمينة التى سأعتز بها دائمًا. بالطبع، هناك وجوه تمنيت لو كانت في تلك الصور، لكنني أعلم أنه ليس بوسعي تغيير ذلك الآن".

بعد التقاطهم الصور، أمسك ريوتا بمقبض حقيبته وودّع شقيقته التي ابتسمت بحنان وقالت:

- اعتنِ بنفسك، واهتم بأبي جيدًا.

- بالتأكيد. لكن لا تنسِ إرسال صور الزفاف، وأمر آخر...

ثم أضاف باليابانية، بابتسامة خفيفة:

- 俺に似た赤ちゃんじゃないとダメだ

ضحكت يوميكو من طلب أخيها الذي ودع الجميع وذهب في طريقه إلى بوابة المغادرين، فسألها ماثيو بعد أن أصابه الفضول:

- ما المضحك؟ ما الذي قاله لكِ؟

- لن يُعجبك الأمر.

وكأن بها تحاول إغاظته عندما تابعت مضيفةً:

- طلب مني إنجاب طفلٍ يشبهه.

وبعفوية منه، اعترض ماثيو:

- ماذا! إياكِ يا يوميكو أن تلبي هذا الطلب.

انفجرت الفتاة والبقية ضحكًا على تعبيره المضطرب، فقالت يوميكو:

- ما الذي تهذي به يا ماثيو، وكأن الأمر بيدي!

إلى جانبهم، تلقى دانيال رسالة نصية من مدربه تذكره بموعد

اللقاء، فقال مخاطبًا الجميع:

- عليّ الذهاب...

ثم جرى الشاب مبتعدًا وهو يقول:

"أخي دانيال، ورغم تردده، كان يسير على دربه الخاص هو الآخر.. لهذا فقط..".

- إدوارد.

نادت عليه كيتلين وقد حسمت قرارها أخيرًا:

"شعرت بالخزي وأنا أنظر إليهم.. رغم كل الظروف رسم كل واحد منهم طريقه الخاص الذي سار فيه، بينما كنت وحدي من توقف بها الزمن".

التفت إليها إدوارد، فقالت له:

- أريد رؤيته، أيمكنك أخذي إليه؟

- بكل تأكيد.

- ولكن هل يمكننا المرور بمكان آخر قبل ذلك؟

غادر إدوارد مع كيتلين أرض المطار، وقاد السيارة بينما جلست هي إلى جانبه، تتأمل الطريق الخضراء والأجواء الصافية. لم تتحدث كيتلين كثيرًا طوال الطريق، بقيت صامتة معظم الوقت، بينما تسترجع كل ما حدث في تلك الليلة. كان إدوارد يدرك جيدًا ما يجول في ذهنها، لذا احترم خصوصيتها وواصل القيادة بصمت.

تمكن الاثنان من بلوغ البلدة بعد برهة، فأوقف إدوارد سيارته أمام أحد متاجر الزهور، وسألها:

- أهو مناسب؟

- سيفي بالغرض.

ترجلت كيتلين وحدها، وعادت تحمل بين يديها باقةً من الأزهار

البيضاء المختلفة.

ضمتها إلى صدرها بعد أن عادت لمقعدها، ليتحرك إدوارد من جديد.

كانت الوجهة المقبرة العامة. أوقف إدوارد السيارة، ثم قال لـ كيتلين التي همّت بالنزول:

- أنا آتٍ معكِ.

إلا أن كيتلين أوقفته:

- لا يا إدوارد، أريد الذهاب وحدي.

محترمًا رغبتها، تراجع إدوارد ليقول:

- كما تشائين.

"خلال الأشهر الماضية، حاول إدوارد بكل الطرق تعويضي عن الفراغ الذي حدث في حياتي. لكن مهما فعل، لم يكن ليملأه بالكامل،

أدركت ذلك بالطريقة الأصعب. لم يكن أحد ليشغل ذلك المكان سوى راين، ولا أحد غيره".

سارت كيتلين على مهل بين الشواهد المتفرقة، بينما نسمات الهواء الدافئ تداعب وجنتيها. أمسكت بباقة الزهور كما تحمل العروس باقتها في يوم زفافها، وسارت بها حتى وصلت إلى مبتغاها.

توجهت إلى شاهد القبر الحديث، والذي كان قريبًا من شاهد قبر جوناثان. وجدت هناك باقة من الزهور الجافة، فرفعتها ونظفت المكان قبل أن تضع الباقة الجديدة مكانها.

جلست الفتاة على ركبتيها دون اكتراث، ثم همست بابتسامة باهتة:

- هذه أنا، كيتلين... آسفة لأني لا أزورك غالبًا.

ارتجفت شفتيها، وامتلأت عيناها بالدموع، قبل أن تقول بصوت مختنق بحسرتها:

- نحن مشتاقون لك يا أبي...

"ما حدث تلك الليلة يتعدى الوصف".

بعد مغادرة الصغير سامي، وجد إبراهام نفسه وحيدًا في ذلك المنزل الفارغ. كان يعاتب روحه بصمت طوال تلك السنوات، يلومها على قراراتٍ اتخذها فخذل بها كل من أحب. تساءل الرجل في داخله إن كان الأوان قد فات، أم أن الفرصة ما تزال سانحة لإصلاح ما يمكن إصلاحه؟

اندفع مصحوبًا بتلك الخاطرة، وغادر المنزل في الساعات الأخيرة من فجر ذلك اليوم. وصل إبراهام إلى موقع الحفل، حيث بدا المكان أشبه بساحة معركة بين الشرطة وأتباع بينجامين. استغل الفوضى وانسلّ إلى الداخل، ولم يلاحظه سوى شرطي واحد لم يتمكن من إيقافه وسط الفوضى.

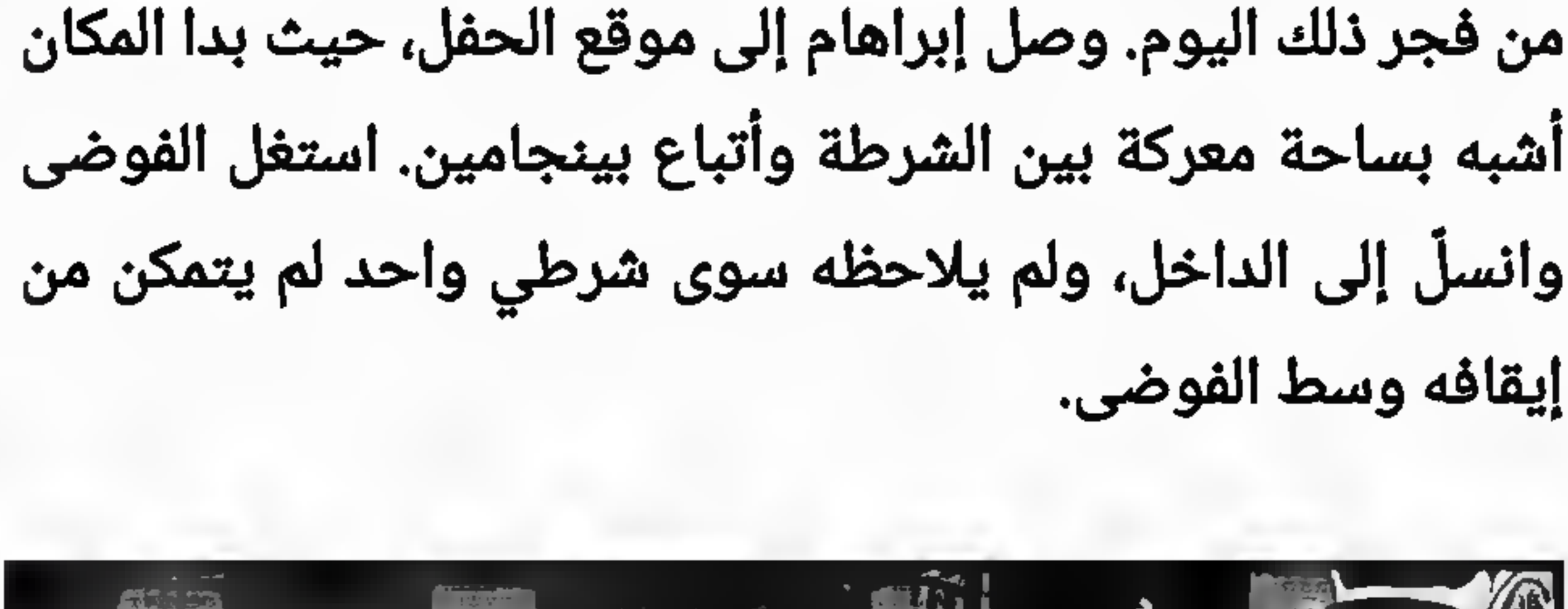

لم تكن المسألة تحتاج إلى تفكير عميق؛ فقد علم إبراهام أن راين سيقصد غرفة مارثا، فتوجه إليها مباشرة. دخل في اللحظة التي كان فيها بينجامين يوجه سلاحه نحو راين وكيتلين، ليلقي بجسده

أمامهما ويتلقى طلقات بينجامين.

تناثرت دماؤه على ابنته وابن صديقه، قبل أن يسقط إبراهام كخرقة بالية. التقفه راين الذي حاول استيعاب ما حدث سريعًا، بينما تشبثت إبراهام بـه، ليقول وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة:

- *على الأقل وصلت في الوقت المناسب.*

عضّ راين على شفتيه، وقال بقلب مضطرب وهو يضع يده على جراح والده:

إلا أن جرح إبراهام كان أعمق مما تبدو عليه. لقد شعر بقرب النهاية، مدّ يده الملطخة بدمائه وأمسك وجه راين للمرة الأخيرة، مسح دموعه التي غادرت عينيه العسليتين، ثم بذل ما تبقى من قوته ووضعها في كلماته الأخيرة، ليقول مبتسمًا:

- سـ... سامحني... سامحني يا بني لأنني لم... لم أتمكن من تلبية رغبة والدك جوناثان.

غير آبه بأي شيء، صرخ راين بـ كيتلين لتحضر المساعدة:

- أسرعي يا كيتي، أطلبي المساعدة!

"حينها، كان جسدي عاجزًا عن الاستجابة، كأنني انفصلت تمامًا عن الواقع.. عقلي، المغمور بالصدمة، لم يستطع استيعاب تسارع الأحداث. كيف لي أن أصدق أن والدي ظهر فجأة من العدم، فقط ليُنتزع مني في اللحظة ذاتها؟ تجمدت في مكاني، غير قادر على الحراك، لأكون مجرد شاهد صامت على لحظته الأخيرة... وعلى

الكلمات التي رافقتها".

- أنا آسف، أعذرونـي.. وداعًا.

هبّت ريح دافئة، محركةً غصن الشجرة فوق شاهد قبر إبراهام بنعومة، وتراقصت ظلال أوراقها الخضراء كأنها تنادي الفتاة لتُعيدها إلى حاضرها. نهضت كيتلين من مكانها وقالت مخاطبةً والدها:

- سأذهب لرؤية راين الآن... سأزورك مجددًا، إلى اللقاء.

عادت كيتلين إلى السيارة، حيث كان إدوارد بانتظارها، فقالت له:

- هيا بنا.

"أتذكر كيف بدأ كل شيء عندما فتحت باب غرفة مكتب والدي، وهناك، عثرت على كومة من المذكرات، ليكشف لي الزمن لاحقًا أنها تخص جوناثان وماريا".

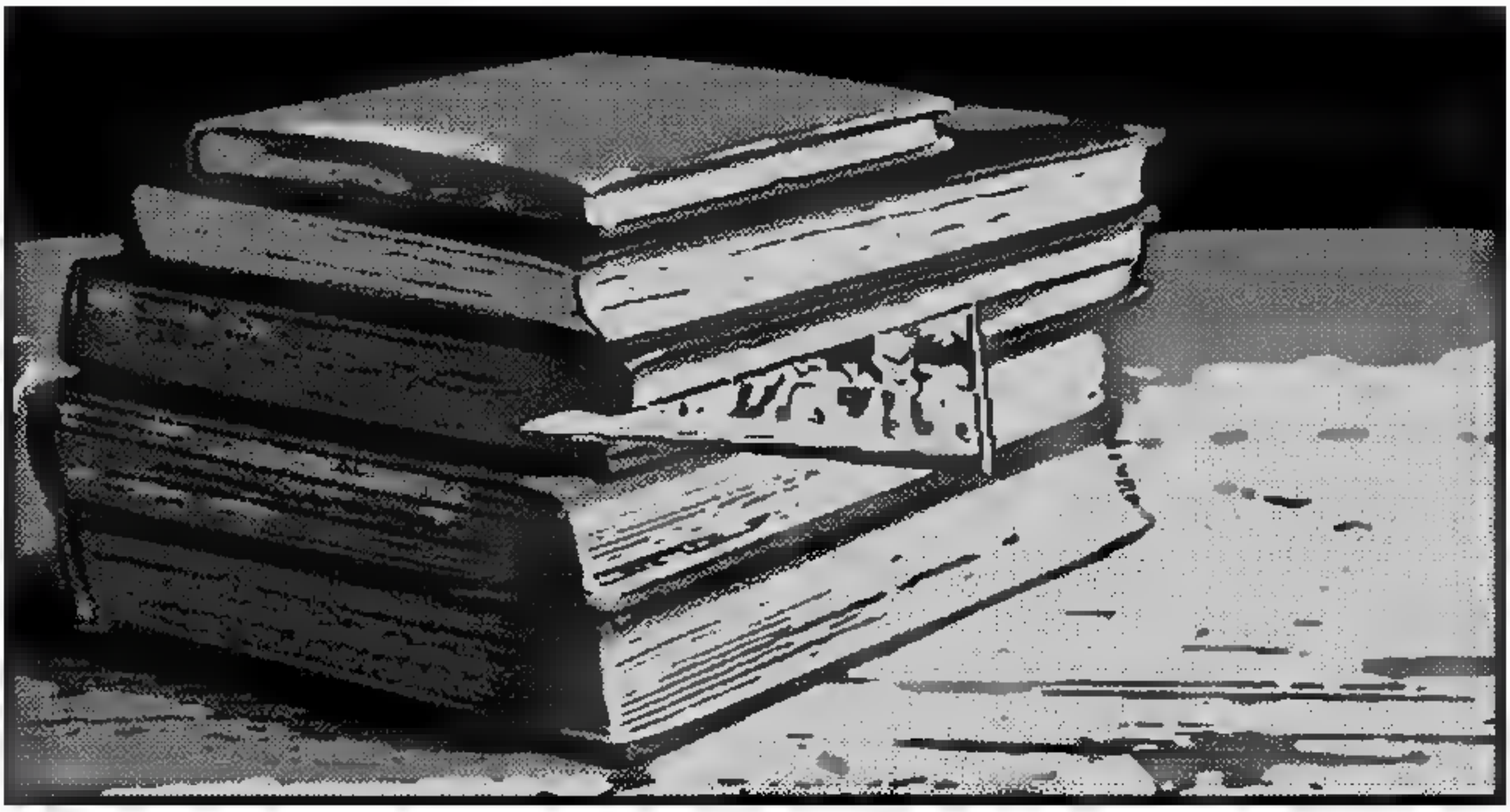

"أما لحظة وقوفي أمام ذلك الباب في قصر بيتفورد، والشعور المبهم وكأنني رأيته من قبل، فكان مردّه إلى رسمة له شاهدتها في مذكرات ماريا، والتي احتوت على العديد من الملاحظات حول تحقيقاتها المشتركة مع جوناثان، ظلّت الصورة عالقة في ذهني من دون أن أدرك".

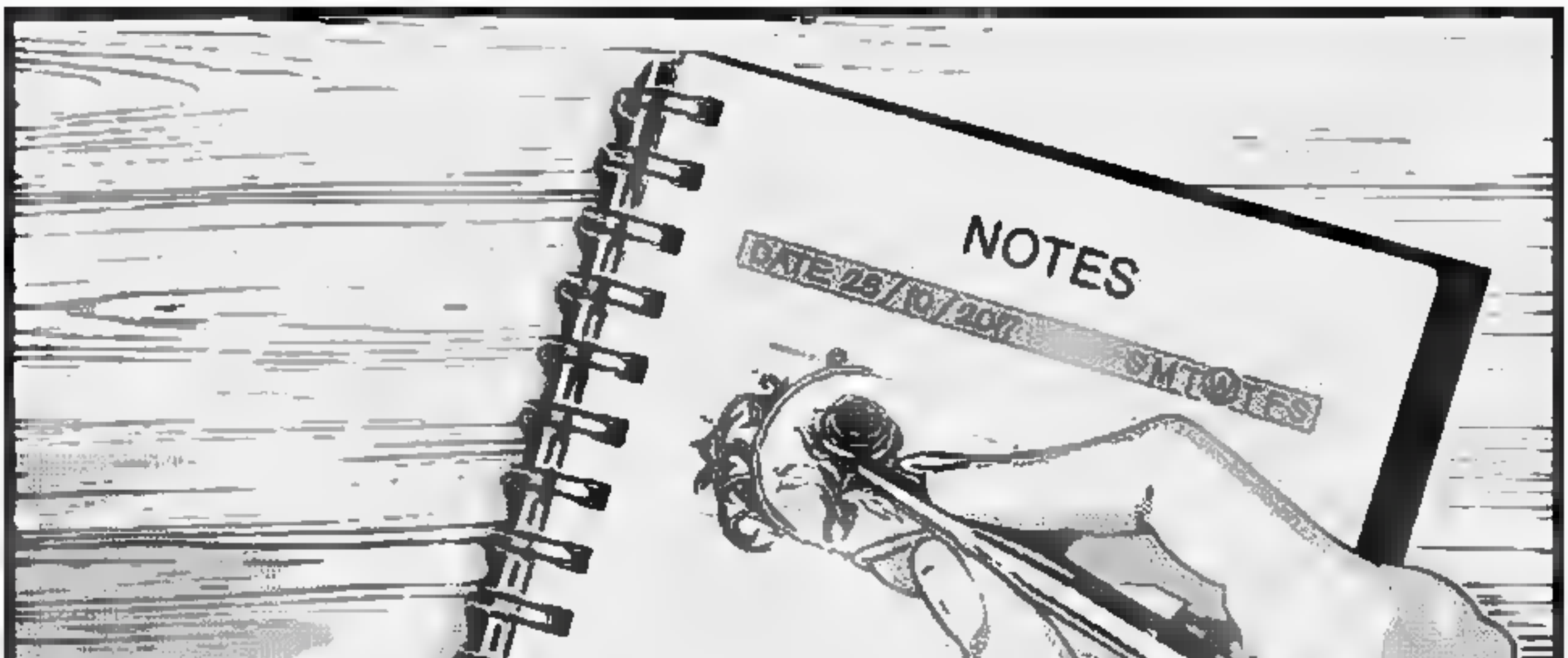

"كان الباب الثاني باب قبو منزل الخالة أوليفيا والدكتور لوغان،

حيث خبأت أوليفيا بيانو ماريا، مع جميع صورها ومقطوعاتها الموسيقية. لم تكن تكره صديقتها، لكن سعي ماريا الدؤوب وراء الحقيقة لطالما أفزع الخالة أوليفيا. ولهذا، حبست مشاعرها وذكرياتها خلف ذلك الباب".

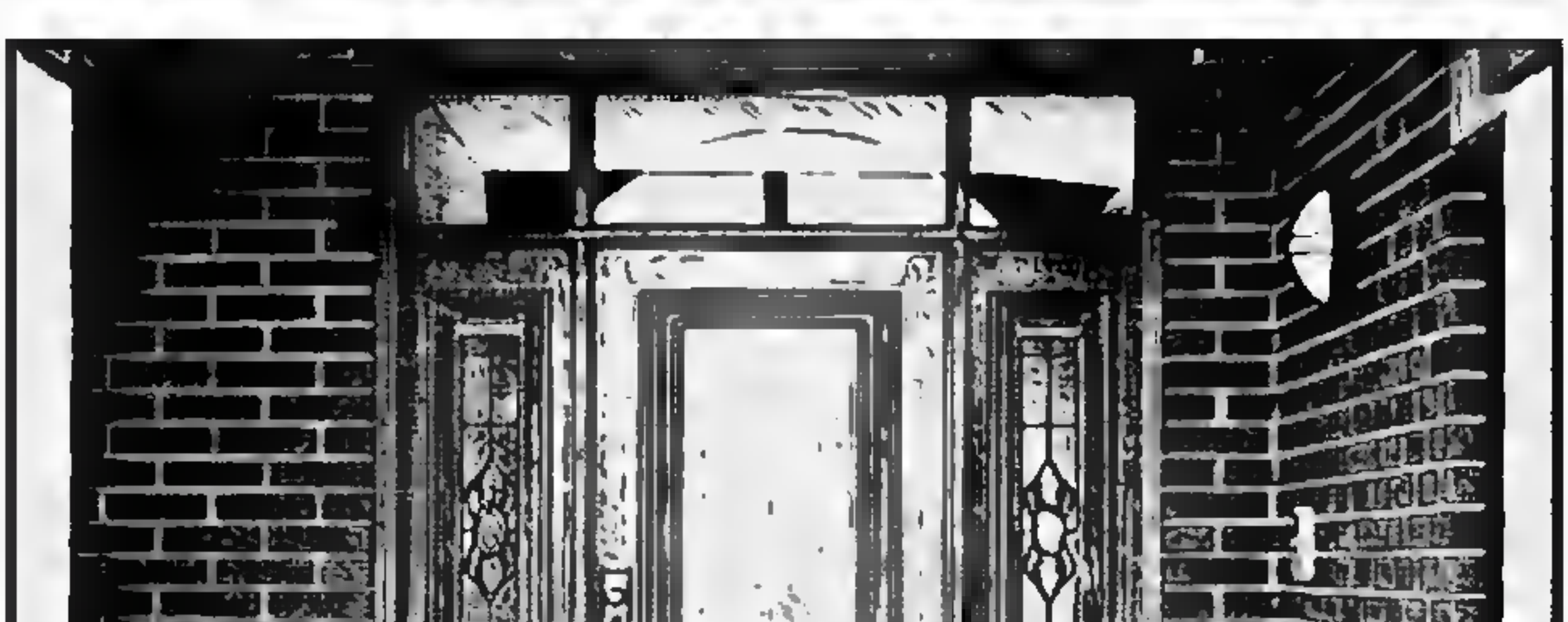

"الباب الثالث، هو باب منزل عائلة العم هيروشي القديم. في الليلة الماطرة، عندما ذهبت يوميكو لفتح الباب، فوجئت بثلاثة غرباء. واكتشفنا لاحقًا أن هؤلاء الدخلاء هم راين وإريك، وكانا يعقدان اتفاقًا مع أحد الموالين لبينجامين. كان الاثنان يسعيان للعثور على الغرض الذي سلمته ماريا لـ جاكلين قبل وفاتها. واستغل ذلك الرجل المخادع تلك الفرصة، وجد بها طريقة للهرب من عائلة بيتفورد، إلا أن ماركوس أمسك به، واقتاده إلى تايلور، الذي لم يتردد في تصفيته".

"كثيرة هي الأبواب التي قمنا بفتحها بعد ذلك".

أوقف إدوارد السيارة، ليقول وهو ينظر إلى البناء:

- لقد وصلنا.

"من بين كل تلك الأبواب، كان هناك باب واحد أردت فتحه بشدة".

عبرا البوابة، فاستقبلهما أحد الضباط مشيرًا إلى الطريق:

- من هنا.

"لكن مهما فعلت وبذلت من جهد، لم أجد القوة الكافية؛ ذلك الباب

اللعين أبى أن يفتح لي".

"كان ذلك الباب الحديدي الذي فصل بيننا".

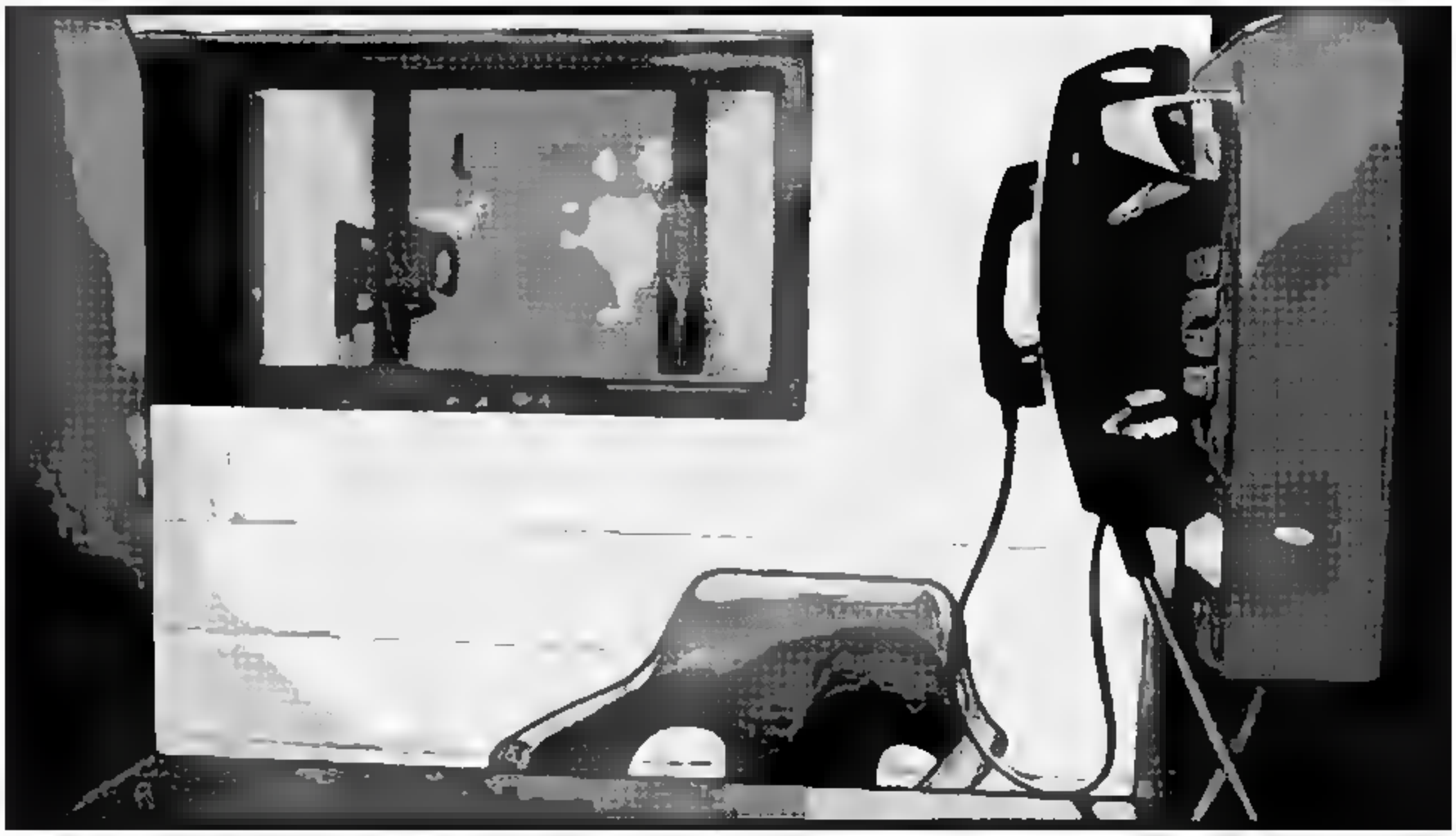

وقف إدوارد على مسافة مناسبة، بينما جلست كيتلين على الكرسي، تراقب الحراس وهم يقتادون راين إلى المكان المخصص أمامها. جلس الشاب ووجهه مملوء بالرضوض، لكنه أشرق حالما

رآها. التقطت كيتلين السماعة الجانبية وانتظرته حتى يفعل المثل، وما إن فعل حتى عاتبته رغمًا عنها:

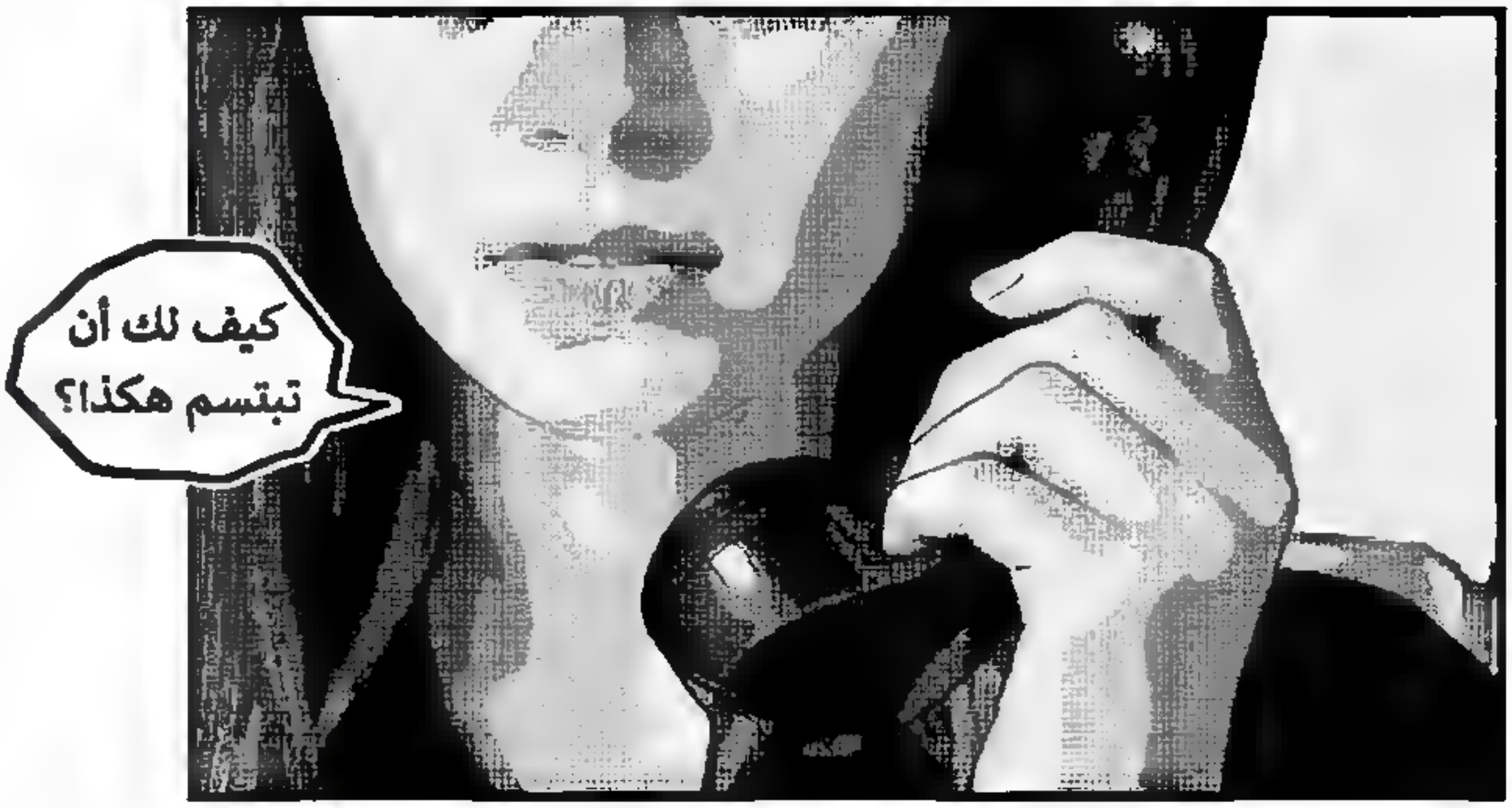

ابتسم صاحب الغمازة الطويلة وأجابها:

- لأنكِ هنا.

"لم أتمالك نفسي وأنا أرى وجهه المليء بالرضوض. رحت أتخيل مدى سوء الوضع خلف تلك القضبان، وأتساءل إن كان يتعرض للضرب يوميًا. إنه الآن في المكان ذاته الذي زجّ فيه بالكثيرين من قبل؛ المحقق السابق يتشارك موقعه مع من كان يحاربهم".

مدت كيتلين يدها وألصقت كفها على الزجاج، لتقول برجاء:

- أرجوك يا راين، أرجوك تراجع عن شهادتك، لا يمكنني تحمل رؤيتك هنا مهما كان السبب.

حين مات إبراهام بين يدي راين، لم يستطع الشاب كبح غضبه. اندفع نحو بينجامين، الذي أطلق النار مجددًا وأصابه، لكن غضب

راين الجارف حال دون شعوره بالألم. أمسك بياقة بينجامين وانهال عليه بالضرب، لكم وجهه بلا توقف، تطايرت أسنان بينجامين المختلطة بدمائه من موضعها، وأصبح الرجل بين يديه عاجزًا عن الدفاع عن نفسه.

رغم صراخ مارثا ومحاولات كيتلين لإيقافه، لم يشعر راين بهما، واستمر في توجيه ضرباته حتى هشّم وجه بينجامين بالكامل. سقط الرجل يكافح لأخذ نفس بأنفه المكسور، ويسعل دمًا مع كل ثانية. جلس راين فوق جسده، ومد يديه إلى عنق بينجامين، وقبض عليهما كالكماشة ليعتصره مفرغًا ما تبقى من غضبه.

تمكنت عناصر الشرطة من الوصول فى النهاية، واستطاعوا ابعاد راين بالقوة، لكن بعد فوات الأوان. مات بينجامين بين يديه، واضطر مورغان لاعتقاله. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد؛ فعندما تم التحقيق في مقتل توماس، عثرت الشرطة على سلاح الجريمة، وهو السكين ذاتها التي حملتها كيتلين في وجه إدموند عندما واجهته.

ولهذا، كانت السكين تحمل بصماتها. وقبل أن توجه الشرطة أصابع الاتهام إليها، تقدم راين ليُدلي بشهادته:

-أنا من قتلت توماس.

اعترف الشاب بارتكاب جريمة لا دخل له بها، وبما أن الاعتراف هو سيد الأدلة، تم اعتباره الجاني عوضًا عن كيتلين.

طرق راين على الزجاج الفاصل بينهما ليعيد انتباه كيتلين التي شردت بعيدًا، ثم قال لها:

- لن أتراجع عما قلته حتى يُعثر على الجاني الحقيقي...

ثم أشار إلى إدوارد وأضاف:

- إدوارد يفعل ما بوسعه للعثور على القاتل، لهذا أريدك أن تتحلي ببعض القوة حتى تُحل الأمور.

أخفضت كيتلين رأسها، فاختفت ملامحها خلف غرتها الطويلة:

- أيها الأحمق، من يجب أن يقلق على الآخر؟

في الوقت ذاته، تلقى إدوارد مكالمة هاتفية من المختبر الجنائي.

أطلعته من كانت على الطرف الآخر للمكالمة على آخر المستجدات، فاستدار إدوارد ناحية كيتلين وراين ليعيد ما قيل له:

- أتقولين بأنكِ عثرتِ على بصمة إضافية على سلاح الجريمة؟

فأجابته وهي تنظر إلى الدليل أمامها:

أجابها إدوارد:

- لا بأس، على الأقل نحن نملك بداية الخيط.

"يومٌ سيء يليه يومان جيدان، ثم أسبوع سيء آخر. الحياة أشبه بأفعوانية مليئة بالمرتفعات والمنعطفات، ولا أحد يعلم ما يُخبئه الغد من مفاجآت. كل ما باستطاعتنا فعله هو عيش كل يومٍ بيومه، مع التشبث بالأمل مهما كان ضئيلًا".

***

- ها قد وصل دانيال ميلر.

وقف مدرب فريق كرة القاعدة ثانوية هيل تاون ليرحب بدانيال، وإلى جانبه كان هناك شخص إضافي. توقف الشاب أمام الطاولة واعتذر عن تأخره، فطلب منه المدرب الجلوس:

- لا بأس، لم نصل إلا قبل فترة قصيرة.

ثم أشار المدرب إلى الرجل الجالس بقربه:

- أعرفك يا دانيال على السيد والاس، مدير فريق بوستن لكرة القاعدة.

مدّ السيد والاس يده ليصافح دانيال، الذي لم تكن لديه أدنى فكرة عما يجري:

- يسرني لقاؤك يا بني.. لقد طلبت لقاءك من أجل هذا.

ثم أخرج مجموعة من الأوراق من حقيبته ووضعها على الطاولة أمام دانيال. التقطها الشاب وبدأ يقرأها، فاجتاحه الذهول، أبعد الأوراق من أمامه ليسأل:

أجابه السيد والاس ببهجة:

- بكل تأكيد، أرغب حقًا في ضمك إلى فريقنا، فما رأيك؟

"لم يقبل دانيال العرض فورًا، لأن الموافقة تعني انتقاله إلى ولاية أخرى. اضطررت لاحقًا للجلوس معه والتحدث طويلًا حول الأمر".

"ولم يكن هناك أفضل من هدية سامي -الكرة التي حملت كل تواقيعنا- لتكون الحافز المثالي الذي دفعه ليخطو نحو حلمه دون تردد".

***

جلس ريوتا على مقعده في الطائرة، وألقى نظرة أخيرة عبر النافذة، مودّعًا الأرض التي عاش عليها معظم سنوات حياته، والتي احتضنت الكثير من ذكرياته الغالية. وهنا تذكر كيس ميغان الذى سلمه له إدوارد، فانتابه الفضول وفتح الكيس ليلقي نظرة على محتواه.

تجهّم وجه الشاب وهو يُخرج ما بداخله ليقول:

- أهذه مزحة؟! أنا لن أرتدي شيئًا كهذا.

رفع ريوتا غطاء العين الطفولي، ثم أخرج البطاقة التي كتبتها ميغان له:

(لنلتقي في أحلامك... ميغان).

متجاوزًا منظر هديته الغريبة، ارتدى ريوتا غطاء العين واستلقى على كرسيه حتى قبل أن تتحرك الطائرة، أغلق عينيه ومتجاهلًا المسافر الذي جلس إلى جانبه.

استمر الهدوء حتى قطعت سكون اللحظة همهمة خفيفة، أعقبها

صوت أنثوي ساخر:

- هناك بعض العادات التي لا يمكن تغييرها.

بصدمة، خلع ريوتا غطاء العين والتفت نحو الشخص الجالس بجانبه، ليجد ميغان!

- ميغان!

رفعت ميغان تذكرتها مع جواز سفرها وقالت:

- هل اعتقدت أنني سأدعك تفلت مني هذه المرة؟

تخطى ريوتا المفاجأة سريعًا وعاد ليستلقي على كرسيه، نظر إلى فتاته التي أبهره تصرفها المجنون، قبل أن يقول أخيرًا:

- だから、君のことが好きだよ.(5)

ابتسمت المضيفة التي مرت بجانبهما لدى سماع ما قاله ريوتا، مما دفع ميغان إلى التحديق به بقلق مفاجئ، قبل أن تنقض عليه غاضبة:

- ما الذي قلته لتوك؟ هل تلفظت بشيء بذيء؟

ضحك بسخرية قبل أن يجيبها، وكأنه يستمتع بهذه اللحظة أكثر مما ينبغي:

- أيتها الساذجة، تعلم اللغة هو أول خطوة عليك اتخاذها قبل أن تقرري السفر معي.

ربعت الفتاة ذراعيها وهي تعود للجلوس في مقعدها متذمرة:

- انتظر وسترى!..

ثم تابعت لتضيف:

***

وسط طرقات هيل تاون، كانت إيفا تسير ببطء، وبلا وجهة محددة، الهواء الصيفي يلفح وجهها بلطف، محمّلًا برائحة الطرقات. رفعت الفتاة رأسها نحو السماء.

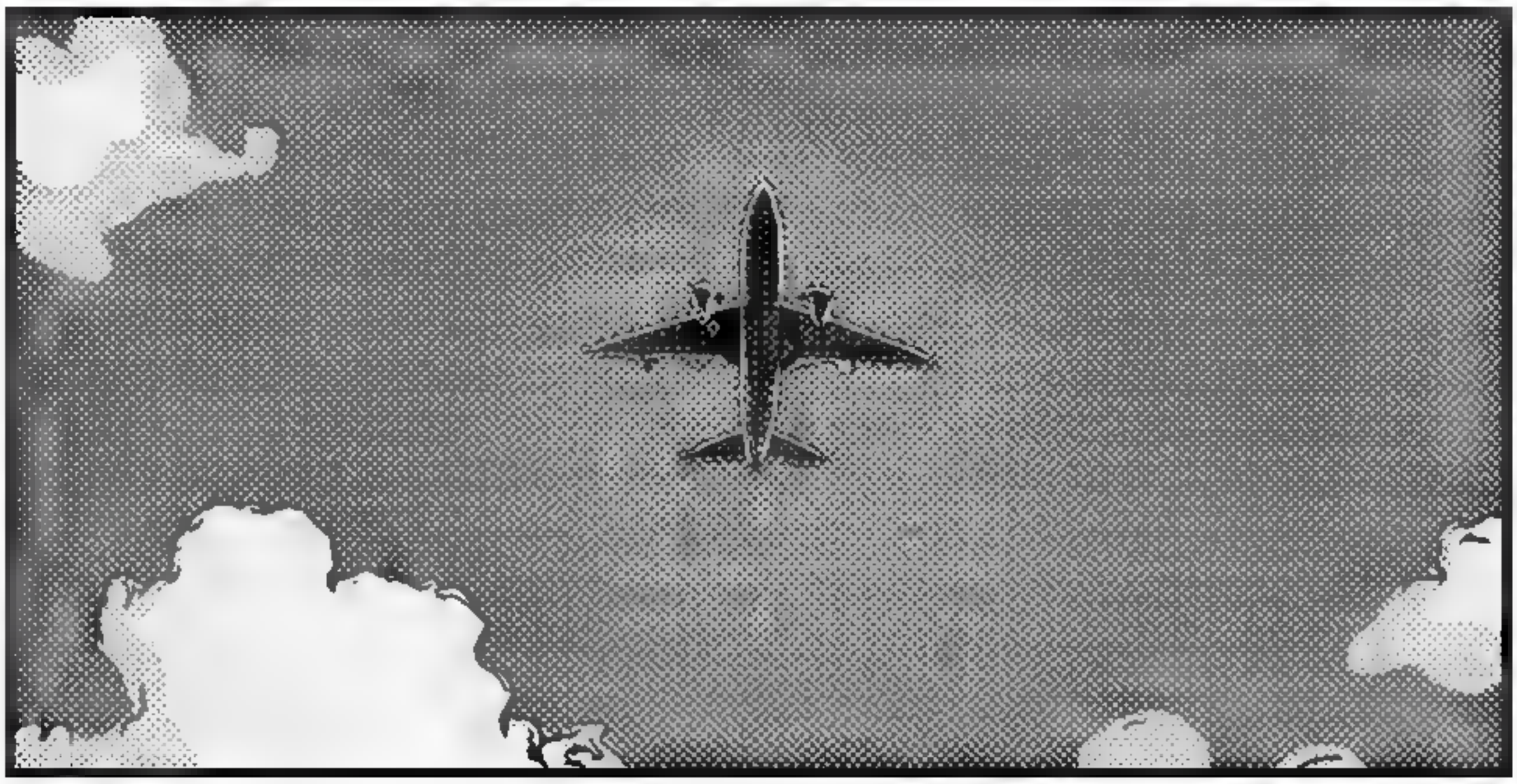

تأملت زرقة الفضاء حيث طائرة تشق طريقها بين السحب الباهتة، فتأملت تحليقها للحظات قبل أن تهمهم بصوت بالكاد تسمعه:

- ما الذي سأفعله الآن؟

جاء سؤالها انعكاسًا لمدى شعورها بالوحدة، لا سيما بعد أن تفرق رفاقها، كلٌ في طريقه، مخلفًا وراءه فراغًا يصعب ملؤه. غاصت عميقًا في هواجسها، فركلت حجرًا بلا اهتمام، بينما كانت أفكارها تقودها إلى أليكس، تتساءل عما يفعله الآن.

***

بمكانٍ ما في عرض المحيط، كان أليكس يسير وحيدًا على ظهر الباخرة. اكتسبت بشرته سمرة خفيفة من أشعة الشمس الساطعة، وقف الشاب عند حافة الحاجز، يتأمل امتداد المحيط بلا نهاية. غاص عميقًا في أفكاره، متخيلًا سيناريوهات مختلفة، قبل أن تقترب منه مجموعة من الفتيات، تحفها الرغبة في التقرب منه، التفت إليهن، وقال مرحبًا:

ضحكت إحداهن قبل أن تعرّف عن نفسها وصديقتيها:

- أنا سيدني، وهاتان صديقتاي ناتالي وسمانثا.

تقدمت ناتالي خطوة، بعينين واثقتين، وأضافت:

- سنقيم احتفالًا هذه الليلة، ونرغب بأن تنضم إلينا.

استنشق أليكس الهواء المنعش، كمن يتذوق اللحظة، ثم قال بحماس:

- أتعلمن، لا يمكنني رفض دعوة كهذه، لكن لدي شرط واحد.

ساد لحظة صمت، قبل أن يتغير وجه أليكس تدريجيًا ليصبح أكثر جدية. رفع يده أمامهن، فبرز خاتم بشع على إصبعه، ابتسم الشاب ابتسامة خفيفة وهو يقول:

- سنلهو معًا كأصدقاء، فكما ترين، أنا محجوز بالفعل.

"حتى لو لم تزَ إيمًا ذلك الجانب من أليكس، إلا أن الشاب اللعوب كان محافظًا على علاقته بها، وظل وفيًا لها رغم المسافات".

***

عاد إدوارد إلى مكتبه في وقتٍ متأخر. استدار في كرسيه، يتأمل اللوحة الفنية من خلفه، ثم ما لبث أن نهض ليزيحها، فكشف باب الخزينة الحديدية خلفها. فتح الباب ببطء، راح يراقب الملفات المتراصة هناك قبل أن يسحب أحدها بين يديه. تأمل الأوراق بصمت، فتذكر اللحظة التي سلمته فيها كيمبرلي هذا الملف. كان من

بين كومة الأدلة التي عثروا عليها، ومنذ قراءته لمحتواه، لم يتمكن من نسيانه أو تجاهله.

***

"مضت الأيام وتتابعت الأسابيع، وشهدت أحداثًا عديدة، لكن الحدث الأكبر كان حفل زفاف ماثيو ويوميكو، حيث أقيم احتفال بسيط كما أراد الزوجان، واقتصر الحضور على الأقارب والأصدقاء المقربين".

"لم يتمكن ريوتا وميغان من الحضور بسبب تدهور صحة العم هيروشي، لكنهما أرسلا العديد من الهدايا مع أحد الأقرباء".

"أما المفاجأة الثانية، فكانت حمل هارو بطفلها الثاني، ولا يمكنني أن أصف لكم مدى سعادة بوب حينها".

"بعد حفل الزفاف، وعدنا أخي دانيال، الذي قبل عرض الانضمام إلى فريق كرة القاعدة في بوسطن. استغرق الأمر بعض الإقناع، لكنه وافق في النهاية".

"بالنسبة لإدوارد، فقد أصبح كثير السفر والترحال. لم يكن من السهل حمل مسؤولية العائلة على عاتقه، لكنه كان حريصًا أيضًا على متابعة قضية راين، حيث تعاون مع عددٍ من المحققين المتخصصين في القضية".

"أما راين، فكان مؤمنًا بأن الحقيقة لابد أن تظهر يومًا ما".

في زنزانته الضيقة، كان راين يتأمل السقف بصمت حينما قاطعه صوت الحارس:

- لديك زائر.

فتح الحارس الباب واقتاده إلى غرفة اللقاء. جلس الشاب بكل هدوء أمام الزجاج الفاصل فقط ليتفاجأ بمن أتى لزيارته.

***

"في ذلك اليوم، قررت زيارة والدتي برفقة أخي سامي وإيّما. أخذنا جولة في تلك القرية الجبلية، ثم تسلقنا الجبل صعودًا إلى كوخ أمي".

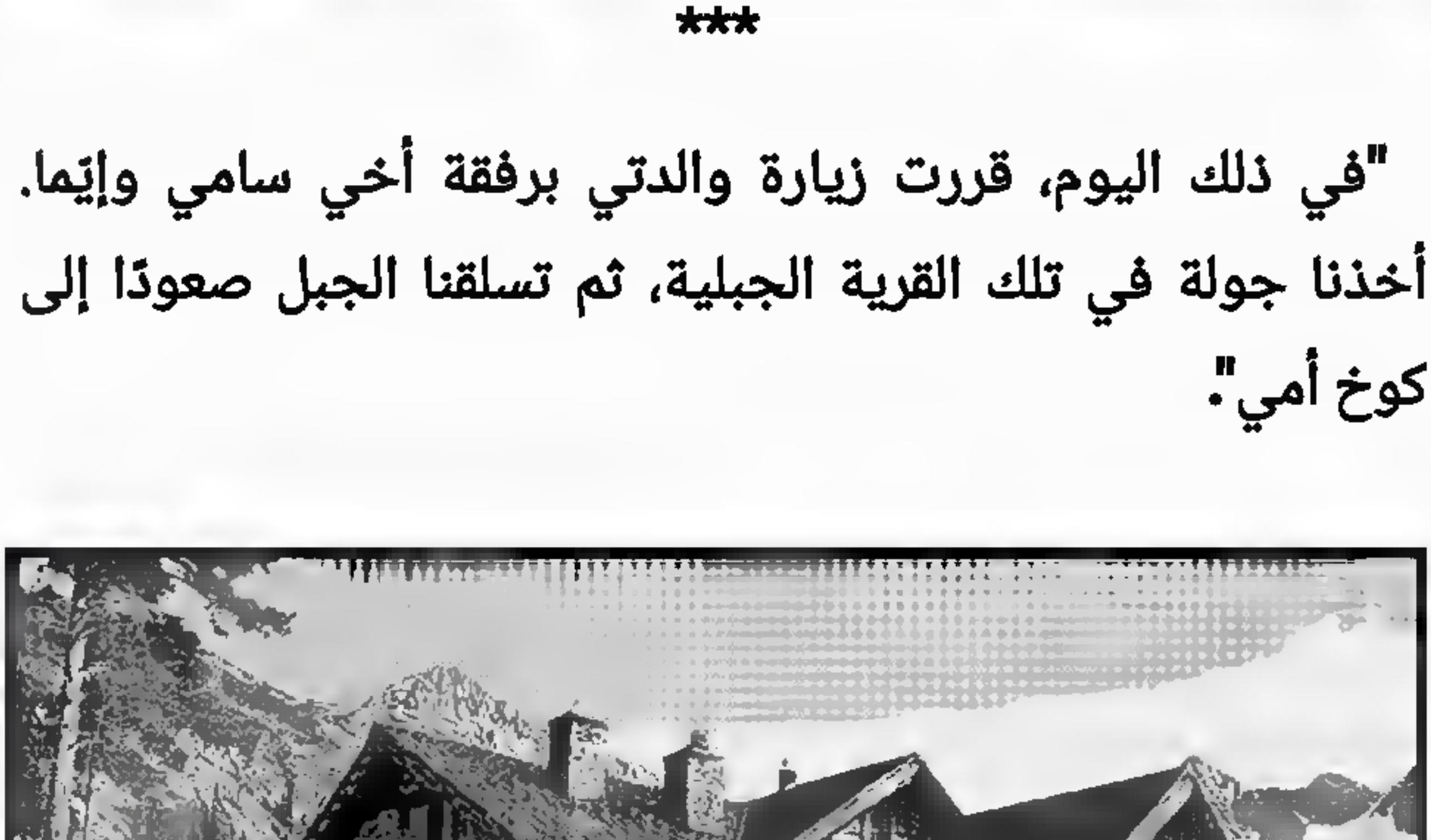

استقبلتهم كارمن بفرحة غامرة:

- يسعدني أنكم قررتم قضاء عطلة نهاية الأسبوع هنا.

إلى جانبها، هتفت كيمبرلي بفرح وهي تحمل صينية الكعك التي أخرجتها من الفرن لتوها:

غير أن الصغير سامى أبدى اعتراضه:

- وماذا عني؟

وقف أمامهم بملامح يملؤها الإحباط، فضحكت الفتيات من حوله، بينما حاولت والدته مواساته:

- لا بأس يا بنى، أنا وأنت سنسهر معًا.. لدى لعبة الأحاجى، تلك التي تتألف من ألفي قطعة!

- هذا ممل...

تجهم وجه الصبي، مما زاد ضحكات الفتيات. وسط هذا الجو

المرح، التفتت كيتلين إلى النافذة بلا وعي، وكأن شيئًا جذب انتباهها. حدّقت بالخارج قبل أن تسألها والدتها:

- ما الأمر يا ابنتي؟ هل هناك خطب؟

ردت بتردد وهي لا تزال تحدق عبر الزجاج:

وضعت كيمبرلي الصينية جانبًا وقالت بلهجة غاضبة:

- لابد أنه ذلك الثعلب المشاغب! دائمًا ما يلهو بالجوار بحثًا عن بقايا الطعام.

***

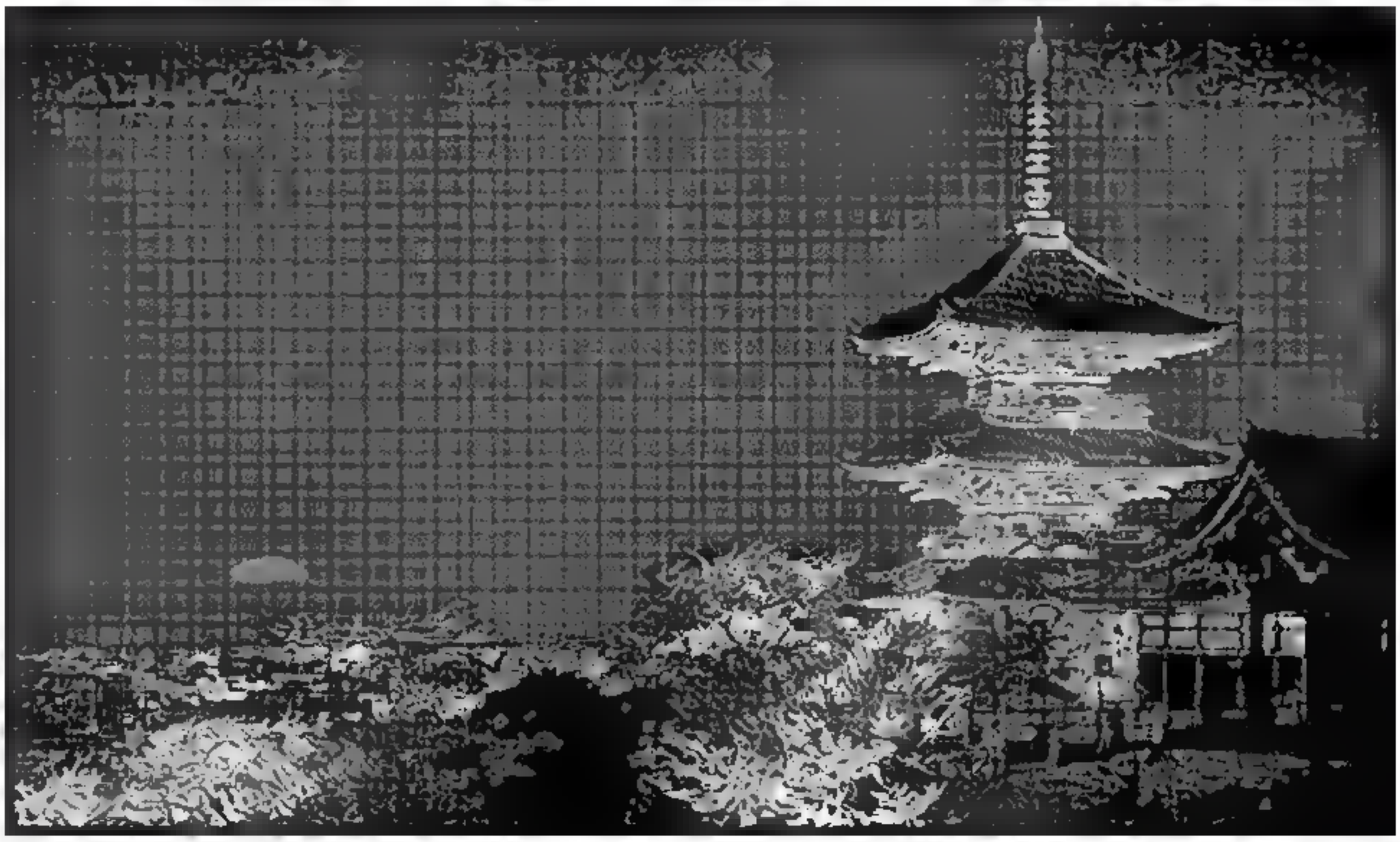

في أحد أحياء كيوتو الهادئة، بعيدًا عن صخب المدينة، وصل ريوتا إلى منزل جده بعد يوم طويل في المستشفى قضاه مع والده.

دفع البوابة ودخل، ليجد ميغان جالسة على الدكة الخشبية في الحديقة الجانبية، تنتظر عودته، فقال لها:

- من الواضح أنكِ مستعدة.

وقفت سريعًا، وانطلقت نحوه بكل حيوية:

- بالتأكيد، هيا لنذهب!

منذ وصول ميغان إلى هذه البلاد، كانت تعيش مؤقتًا مع ريوتا في منزل جده. ورغم ترحيب الجد تاكاهيرو بها وعدم اعتراضه على مكوثها، إلا أنها كانت مُصرّة على إيجاد مكانٍ خاص بها، ولهذا تكفّل ريوتا بالبحث عن مسكن قريب من منزل جده.

- هذا الصباح تحدثت مع صاحبة أحد الوحدات السكنية في حيٍّ قريب، وأخبرتني بأن لديها مكانًا للإيجار.

وأشار إلى أحد الأحياء أمامهما:

- أنظري، إنه خلف ذلك الشارع.

- هذا رائع! إنه قريب جدًا من منزل جدك!

لكن فجأة، وبمنتصف حديثهما توقف ريوتا، وألقى نظرة خلفه.

كأن شيئًا أثار انتباهه، فسألته ميغان:

- ما بك؟

نظر إلى الشارع المظلم والخاوي من المارة ليسأل ميغان:

- ألم تسمعي شيئًا للتو؟

- يا إلهي، أنظر هناك!

أشارت ميغان بفرح ناحية عامود الإنارة، لتجري باتجاهه بسعادة:

- إنه قط صغيرا

لكن القط تراجع للخلف مذعورًا، مختفيًا خلف العمود، وكأن صوت ميغان قد أخافه، فضحكت الفتاة وهي تستدير إلى ريوتا:

- كف عن التشكيك بكل شيء، استرخي فقط!

ابتسم ريوتا محرجًا وهو يتابع سيره:

- أعتقد بأنها أصبحت عادة لدي.

لحقت به ميغان، ثم أوقفت خطواته، ممسكة بذراعه لتديره نحوها. نظرت إليه بعينين واثقتين:

- أنظر إليّ... الأيام السيئة أصبحت خلفنا، وأضف إلى ذلك أننا في النصف الآخر من الكرة الأرضية، فمن سيتكبد عناء اللحاق بنا إلى هنا؟

نظر إليها للحظة، ثم ابتسم بلطف، ومسح على شعرها وهو يرى التفاؤل يشعّ من وجهها، فتنهد مستسلمًا قبل أن يقول:

- ربما تكونين محقة.

***

انتهت تدريبات فريق كرة القاعدة، وعاد جميع اللاعبين والمدربين إلى منازلهم، باستثناء دانيال الذي قرر مواصلة التدريب لزيادة لياقته البدنية. كان عليه أن يدفع نفسه بقوة إن أراد مجاراة بقية لاعبي الفريق، ولهذا واصل الجري حول الملعب، مضيفًا بضع دورات أخرى إلى تدريبه.

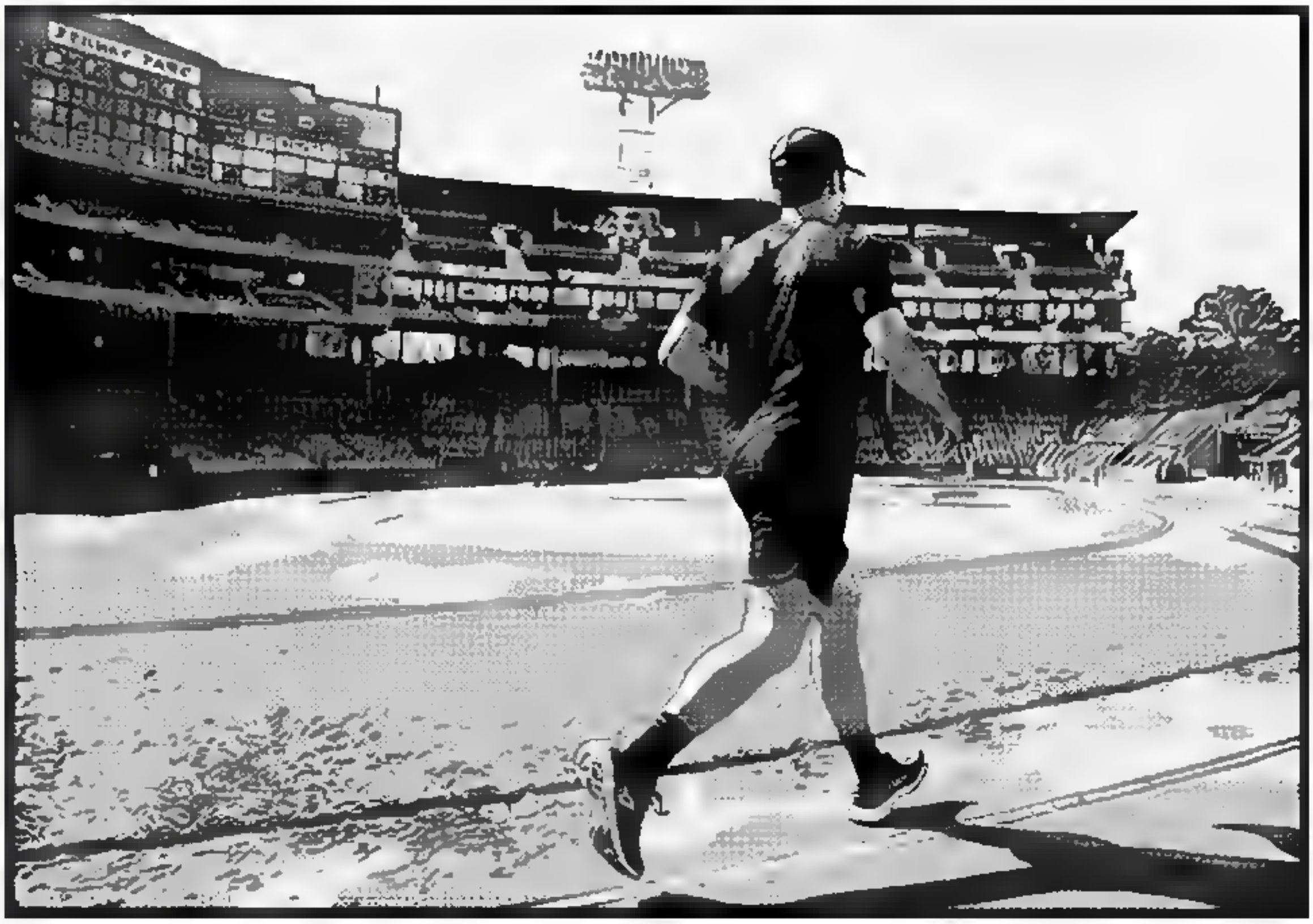

وفي دورته ما قبل الأخيرة، لمح شخصًا مجهولًا يجلس وحيدًا على أحد مقاعد المدرجات. توقف دانيال للحظة، يلتقط أنفاسه، منهكًا من الركض. رفع رأسه، يمسح العرق عن جبينه، محاولًا تبيّن ملامح ذلك الشخص، لكنه كان بعيدًا جدًا لرؤيته بوضوح.

فقد الشاب اهتمامه سريعًا، وهزّ رأسه متجاهلًا الأمر، ثم عاد ليُكمل جريه.

بعد أن أنهى دانيال تدريبه، رفع رأسه ونظر إلى المدرجات حيث كان يجلس ذلك الشخص، لكنه لم يجده. زفر ببطء، ثم توجه إلى غرفة الاستراحة ليأخذ حمامًا باردًا قبل المغادرة.

***

في مقر الجريدة حيث يعمل الزوجان، وردت لـ بوب مكالمة هاتفية غير متوقعة. أجاب الصحفي بينما كانت زوجته هارو تراقبه من مقعدها، تلاحظ تعابيره وهو ينهي المكالمة وينهض على عجالة، سألته بفضول وهي تراقب ملامحه:

- أهو أحد المخبرين؟

التقط بوب دفتر ملاحظاته، ووضع قلمه في جيبه قبل أن يجيبها:

- قد يكون كذلك، طلبني بالاسم وقال إنه ينتظرني في الخارج.. قال بأنه يملك معلومات تتعلق بقاتل توماس.

- انتظرني، سأرافقك.

نزل الزوجان إلى موقف السيارات شبه الفارغ. التفت بوب، ولاحظ سيارة تقف بعيدًا، زجاج نافذتها الأمامية منخفض قليلاً. حدّق فيها للحظة، قبل أن يدرك أنها السيارة المطلوبة. تبادل نظرة سريعة مع هارو، ثم تقدما نحو السيارة معًا.

***

حدّق راين في الزجاج الفاصل، ينظر إلى من تجلس خلفه، قطعت مارثا الصمت الطويل بينهما، وبصوت مشوب بالحدة:

- ما الذي تفعله هنا يا راين؟ هذا المكان ليس لك.

تأمل وجهها، مدركًا أنها تلمّح إلى موقفه مع كيتلين، فقال بإصرار:

- كما فعلتِ المستحيل لحمايتي، سأفعل المثل لحمايتها.

قهقهت مارثا، ضحكة مشوبة بشيء من الجنون، وكأنها تسخر منه، ثم قالت:

- وهل تعتقد أنك ستحميها بوجودك هنا؟

وبالسرعة ذاتها، تلاشت ضحكتها الغريبة وانحسرت، كاشفةً عن وجهها الأكثر صرامة. راحت تتفحص زوايا المكان من حولها لتقول:

- ألم تصلك الأخبار، يا بُني؟ الأمر لم ينتهِ... بل لم يبدأ بعد.

كان بمقدور راين رؤية ما وراء ذلك الوجه الصلب، لم يكن الأمر

مجرد صرامة، بل خوف حقيقي يتسلل من أعماقها.

***

في أحد الفنادق المتواضعة في باريس، كان الزوجان الحديثان يخوضان جدالهما الأول.

- لو أنك انتبهت للحجز لما انتهى بنا الحال في هذا الفندق.

بعثر ماثيو شعره بيده، غاضبًا من نفسه، وقال متذمرًا:

- إنها المرة الأولى التي أجرب فيها حجز غرفة في فندق ما... أعتقد أنني لم أتمكن من التواصل معهم بالشكل الصحيح.

بسبب جهله بمثل هذه الأمور، لم يتمكن ماثيو من تثبيت الحجز في الفندق المطلوب، وانتهى بهما الحال في فندق متواضع وقذر.

لاحظ ماثيو إحباط زوجته، فجلس إلى جانبها على السرير المهترئ، الذي أصدر صريرًا مزعجًا. ضحكت يوميكو بخفة وقالت:

- لا يمكنني حتى تخيل كيف سننام على سرير يعزف لنا طوال الليل!

ضم ماثيو زوجته إليه بلطف، وهمس لها:

- أمهليني حتى المساء، سأجد مكانًا آخر بكل تأكيد. لا أريد أن يُفسد شهر عسلنا بهذه الطريقة.

تأملت يوميكو الغرفة المتهالكة، ثم قالت بهدوء:

- أثق بأنك ستجد مكانًا آخر، لكن دعنا نستريح هنا لهذه الليلة.

- أما زلتِ غاضبة؟

أغمضت يوميكو عينيها، وأسندت رأسها على كتف زوجها وحبيبها مُجيبة إياه:

لكن فجأة، دوّى صوت انفجار بعيد، اهتزت معه نوافذ الغرفة. انتفضت يوميكو من موضعها لتسأل:

- ما كان ذلك؟!

توجه ماثيو فورًا إلى النافذة، حيث لاحظ تصاعد الدخان بين المباني البعيدة. انضمت إليه يوميكو، غير مصدقة لما تراه. لم يمضِ الكثير حتى أدرك ماثيو الأمر، وأشار بإصبعه نحو الدخان:

- يوميكو! أليس هذا...؟

وضعت يوميكو يديها على فمها بصدمة، ثم تمتمت بصوت مرتجف:

- يا إلهي، إنه الفندق الذي كان من المفترض أن نكون فيه!

اندفعت يوميكو نحو التلفاز، شغّلته على الفور. كانت القنوات المحلية جميعها قد قطعت بثها لتعرض مشاهد مباشرة من موقع الكارثة. كما توقع الزوجان، الانفجار وقع في الفندق الذي كان من المفترض أن يحجزا فيه، لولا خطأ ماثيو.

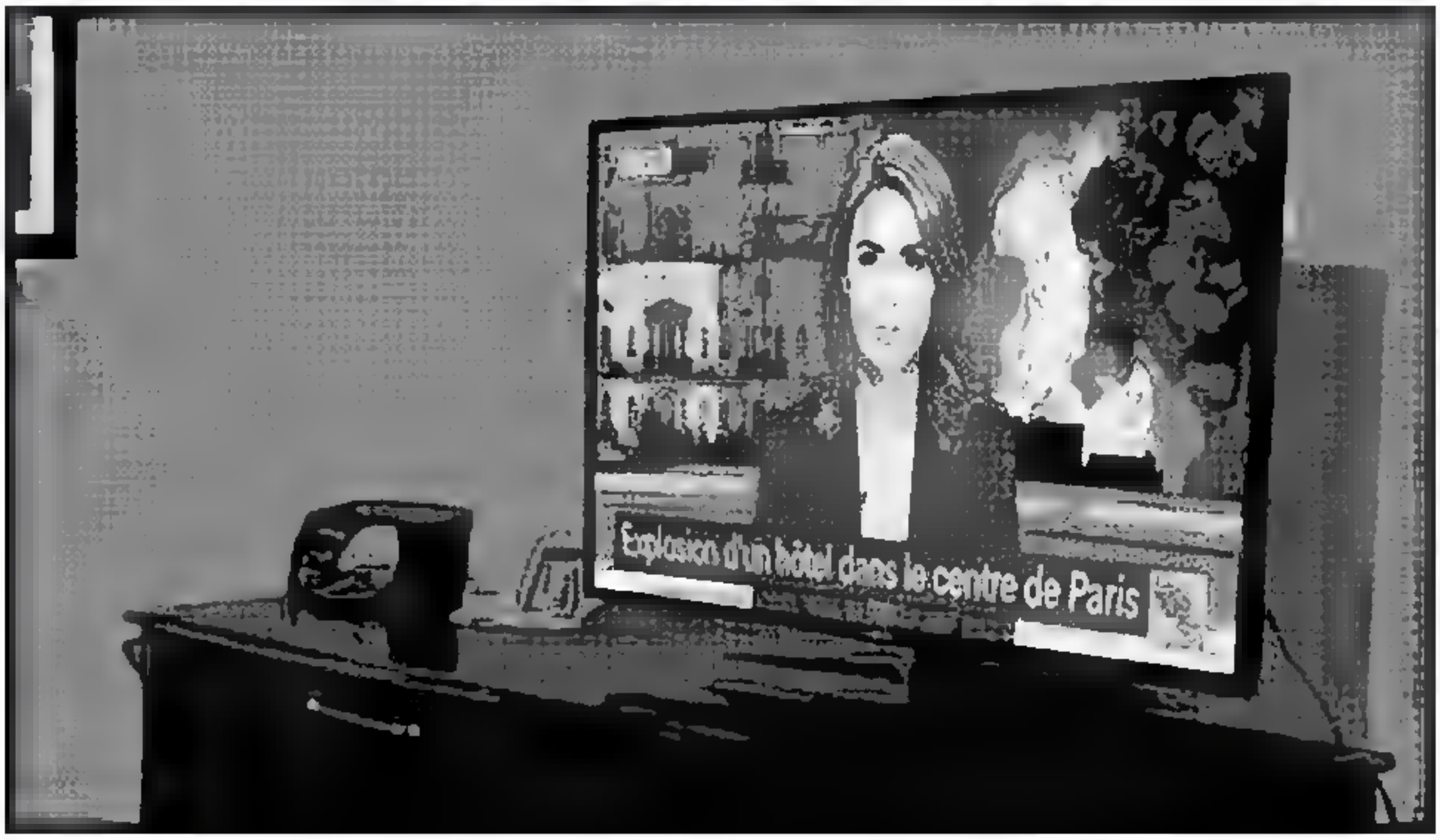

ارتجفت يد يوميكو وهي تمسك بجهاز التحكم، فتمتم ماثيو بذهول:

- يا لها من مصادفة...

لكن يوميكو لم تشاركه شعوره، إذ تسلل الشك إلى قلبها، وقالت بصوت خافت:

- أهي حقًا مجرد مصادفة؟

- أعطني جهاز التحكم.

أخذ ماثيو جهاز التحكم منها، وبدأ يقلب المحطات بسرعة، عندها سألته يوميكو:

- ما الذي تبحث عنه؟

انعكست إضاءة شاشة التلفاز على حدقتي ماثيو، الذي أجاب بتوتر:

- إنهم يتحدثون بالفرنسية، لا يمكنني فهم ما يقولونه.

- توقـــــــــف!

صرخت به يوميكو، فتوقف ماثيو عند إحدى المحطات التي كانت تنقل خبزًا مختلفًا. وهنا كانت الفاجعة الحقيقية.انهارت يوميكو على الأرض بعد أن عجزت قدماها عن حملها، وهمست بصوتٍ مرتجف:

***

إدوارد، العائد لتوه من إحدى رحلاته، قاد سيارته بنفسه من المطار باتجاه المنزل. أثناء طريقه، تلقى اتصالًا من أخته جيسيكا، فأجابها ببهجة وهو لا يزال في منتصف الطريق.

- مرحبًا يا جيسي.

- إدوارد، أين أنت الآن؟

قطب إدوارد حاجبيه ليقول:

- أنا في طريقي إليكم، ما الأمر يا جيسي؟ لا تُعجبني نبرة صوتك.

جاءه صوتها مرتجفًا يملؤه الفزع:

- إدوارد، هنالك شيء ما يحصل هنا...

وانقطع الاتصال فجأة. راح الشاب ينادي عليها عبثًا:

- جيسي... جيسي!

حاول إدوارد معاودة الاتصال بها، لكن دون جدوى، فألقى هاتفه جانبًا وضغط على دواسة الوقود، ليزيد من سرعته.

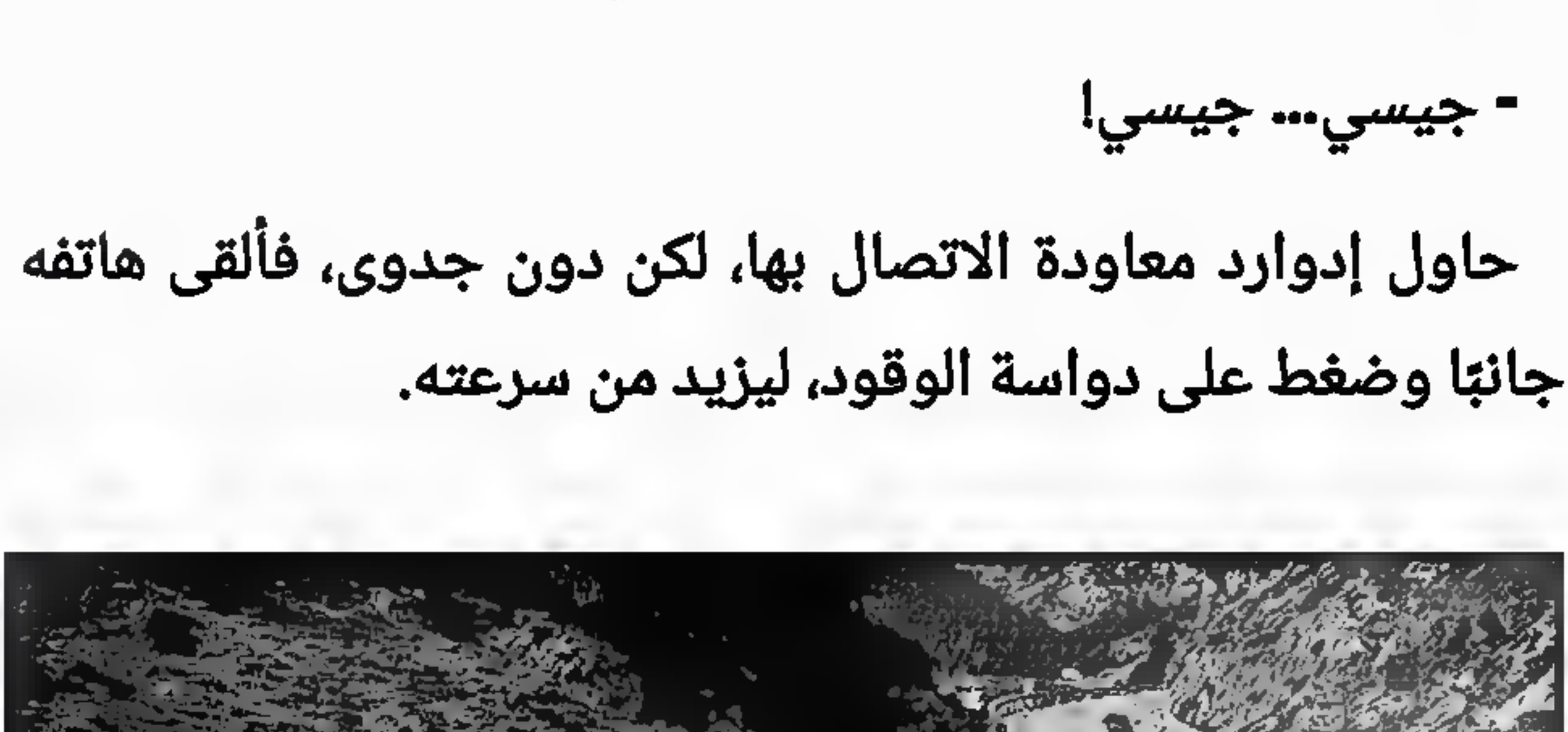

بعد وقتٍ قصير، لاحظ سيارتين خلفه تقتربان منه بشكلٍ مثير للريبة. تقدمت إحداهما بتهور، متجاوزة إياه على الطريق الضيقة

حتى أصبحت أمامه، بينما ظلّت الأخرى خلفه تمامًا.

***

اقترب راين من الزجاج الفاصل، وقد أثارته كلمات مارثا، فسألها بقلق:

- ما الذي تقصدينه بأن الأمر لم ينتهِ بعد؟

تنهدت مارثا وهي تسند ظهرها إلى الكرسي بإحباط، وحدّقت في الفراغ، ثم أجابت ابنها بصوت خافت:

- بينجامين كان يلعب لعبةً خطيرة وخسرها... ونتيجة لِفعلته تلك أيقظ الوحش الحقيقي...

رفعت رأسها لتلتقي نظرات راين مباشرة:

نهض راين من موقعة بغتةً، ليوقع الكرسي الذي كان يجلس عليه:

- أنتِ تهذين.

لم تكن تلك المرة الأولى التي يسمع فيها بهذا اللقب، فانتفض جسده بالكامل. في المقابل، انحنت مارثا قليلًا، تركت السماعة جانبًا ورفعت حقيبتها إلى حجرها، وأخذت تتأمل محتوياتها بصمت غريب، قبل أن تتمتم:

***

"لم تكن مارثا لتمزح في أمر كهذا، لقد اختيرت المكونات بالفعل، وأُوقد الموقد الذي خفق بنار الكراهية، وعلى مهلٍ، تقدم الجزار نحو الكبش الغافل".

وضعت كارمن القدر على نار الموقد، بينما تراقب من موقعها الفتيات الثلاث وهنّ يجهزن مائدة الطعام، ترددت ضحكاتهن في الأجواء، لتمنح المكان دفئًا اشتاقت له.

لكن كيتلين توقفت فجأة، التفتت الفتاة نحو النافذة للمرة الثانية، وهذه المرة اقتربت بخطوات حذرة، وضعت يدها على الزجاج البارد، تنظر إلى الخارج بعينين متسعتين، قبل أن تهمس بصوت خافت، بالكاد يكسر ضجيج الضحكات خلفها:

لاحظت كيتلين آثار الأقدام المنتشرة حول المكان، فتجمدت في مكانها للحظات قبل أن تهمس بقلق:

- هناك أحد بالخارج.

عندها توقفت كارمن عن عملها، وضعت الملعقة جانبًا بسرعة، ونادت بحزم على كيمبرلي:

- كيم..

فهمت كيمبرلي فورًا، دون الحاجة إلى تفسير. أومأت برأسها، ثم قالت بثبات:

- سأحضر البندقية.

نظرت إيما حولها بقلق، غافلة عن سبب التوتر الذي بدأ يتسلل إلى

الجميع، ثم سألت:

- ما الذي يحدث؟ لماذا أنتم قلقون؟

لم تحصل على أجابتها. وعوضًا عن ذلك التفتت كارمن نحو غرفة الجلوس، حيث كان سامي غارقًا في قراءة كتاب ما، نادت عليه بلهجة لا تحتمل التأخير:

- سامي، تعال إلى هنا حالًا.

***

فتح ريوتا باب الشقة بعد أن أخذ الإذن من مالكتها ليريها لـ ميغان.

تراجع الشاب قليلًا ليسألها وهو يراقب رد فعلها:

- ما رأيكِ، هل يناسبكِ هذا المكان؟

تألقت عينا الفتاة بحماسة، فأجابت دون تردد:

- بكل تأكيد.

ثم انطلقت كطفلة مبتهجة، دارت وسط المكان الفارغ، تتخيله وقد امتلأ بالأثاث، وأشارت إلى إحدى الزوايا وهي تقول بحماسة:

ضحك ريوتا من اندفاعها المفاجئ، ثم قال بمزاح خفيف:

- تمهلي قليلًا! علينا تأكيد الموافقة مع المالكة أولًا، ثم أخذ قياسات المكان.

- بكل تأكيد..

وافقته ثم صفقت يديها معًا لتضيف:

- يجب أن ألتقط بعض الصور حتى أتخيل ترتيب الأثاث.

وضعت يدها في جيبها، ثم تجمدت للحظة قبل أن تصرخ بخيبة:

- يا لي من حمقاء! نسيت هاتفي موصولًا بالشاحن في المنزل.

أخرج ريوتا هاتفه ومدّه لها:

لكنها تجاوزته بسرعة وهي تقول بحماس:

- لا! سأحضر هاتفي، فالمنزل قريب على أي حال.. سأعود سريعًا!

- ميغان!

خرجت الفتاة مُسرعةً من فرط الحماسة. وبسرعة قياسية كانت قد وصلت إلى منزل الجد، أخذت هاتفها لتعود بنفس السرعة، غير أن أمرًا ما أجبرها على التوقف في منتصف الطريق:

- يا إلهي.

ثنت ميغان ركبتيها لتنحني ناحية القط الصغير الذي صادفته سابقًا، كان قد لحق بهما دون أن يعلما، لاحظت إصابته، وكأن شيئًا ما قد صدمه. لم تستطع تجاهله، فحملته برفق بين ذراعيها وهمست له بلطف:

في هذه الأثناء، كان ريوتا ينتظر عودتها عندما رن هاتفه فجأة. ظهر اسم أخته يوميكو على الشاشة، فابتسم بارتياح وأجابها بسعادة، لكن سرعان ما تبدّل شعوره بسماعه لبكائها المختنق، فخاطبها قائلاً:

- يوميكو! اهدئي، لا يمكنني فهم ما تحاولين قوله!

حاولت أخته التقاط أنفاسها بين الكلمات، ثم قالت بصوت متحشرج:

- هـ.. هارو وبوب.. لقد وقع انفجارٌ في مقر عملهما.

تجمد ريوتا في موضعه، وشحب وجهه كما لو أن الدماء انسحبت منه، فتابعت يوميكو بصوت مرتجف:

- ليس هذا فقط.. حدث انفجارٌ آخر في الفندق الذي كان من المفترض أن نذهب إليه أنا وماثيو.. أخي.. هناك من يستهدفنا.

بينما كان ريوتا يستمع إلى أخته، لم يتمكن من تجاهل أمرٍ آخر.

ركز نظره على الباب، حيث بدأت أصواتٌ خافتة تقترب شيئًا فشيئًا. أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يعود ليخاطب يوميكو بكل هدوء:

- لا بأس يا أختي، ربما لم يكونا هناك وقت الانفجار.

مسحت يوميكو دموعها بذراعها، وقد احمر وجهها من شدة بكائها. رغم ارتجاف أنفاسها، أجابت بأمل صغير:

- معك حق، هذا ممكن..

ثم سألها ريوتا سريعًا:

- هل ماثيو قربك؟ أرغب بالتحدث معه.

- نعم إنه هنا بقربي.

انتقل الهاتف إلى ماثيو، فخاطبه ريوتا ولا يزال محافظًا على نبرته الهادئة:

- ماثيو.. أعلم أنني طلبت منك هذا من قبل، لكن أرجوك، اهتم بيوميكو جيدًا.. أختي أمانة لديك.

انتفضت شفتا ماثيو، وقد فهم ما يرمي إليه ريوتا، فقال بانفعال:

كان ريوتا لا يزال ينظر إلى الباب، وتحديدًا إلى الفتحة أسفله عندما مستسلمًا لمصيره:

ما كان منه إلا أن يغلق عينيه ويشيح بوجهه بعيدًا، مستعدًا لاستقبال الهجوم، فلم يكن بمقدوره فعل أي شيء عند تلك النقطة، ثم همس راجيًا بعد أن أغلق الخط:

- اهربي يا ميغ.. اهربي فقط.

في اللحظة التالية، اقتحم الباب بعنف، فتدفقت مجموعة مقنعة إلى الداخل.

بينما كانت ميغان تحتضن القط بين ذراعيها أسفل الشارع، باغتها صوت تحطم زجاج الشقة من الأعلى. انفجرت النوافذ أمام عينيها تحت وابل من طلقات الأسلحة الرشاشة، فأمطرت الشارع بشظايا الزجاج الممتزجة بالدماء والأشلاء المتناثرة.

***

حاول إدوارد مراوغة السيارتين اللتين حاصرتاه، لكن مناوراته لم تجد نفعًا بسبب ضيق الشارع. في محاولة يائسة، ضغط على

المكابح فجأة، مما أدى إلى اصطدام سيارته بتلك التي كانت خلفه، فانحرفت المركبتان بعنف. دارت سيارة إدوارد عدة مرات قبل أن ترتطم في النهاية بالحاجز الإسمنتي على كتف الطريق الأيمن.

داخل مركبته، مدّ إدوارد يده بصعوبة إلى حزام الأمان، فقد أفقدته الصدمة توازنه تمامًا. أراد فكه بسرعة، وكان عليه أن يتغلب سريعًا على دوار رأسه. السيارة الثانية كانت تقترب بسرعة بعد أن فقد سائقها السيطرة عليها، وأصبح ارتطامها به مسألة لحظات فقط.

***

في هذا الوقت كان دانيال قد أنهى استحمامه وارتدى ملابسه، ثم رفع هاتفه واتصل بأحد رفاقه من أعضاء الفريق:

- لقد انتهيت لتوي من التدريب يا براندون، ألم تقل بأنك تريد تناول الغداء في ذلك المطعم؟

بعد أن اتفق مع صديقه على أن يأتي لاصطحابه، أنهى دانيال المكالمة ووضع هاتفه في جيب بنطاله الخلفي.

بدأ بجمع ملابسه في حقيبته، حملها واستدار ليغلق باب خزانته، لكن كرته الموقعة قررت السقوط أرضًا فجأة، تدحرجت مبتعدة، فلحق بها الشاب. وما إن انحنى لالتقاطها حتى شعر بوجود أحدهم. رفع رأسه ببطء، لتتراءى أمامه جزمة سوداء لرجل مجهول.

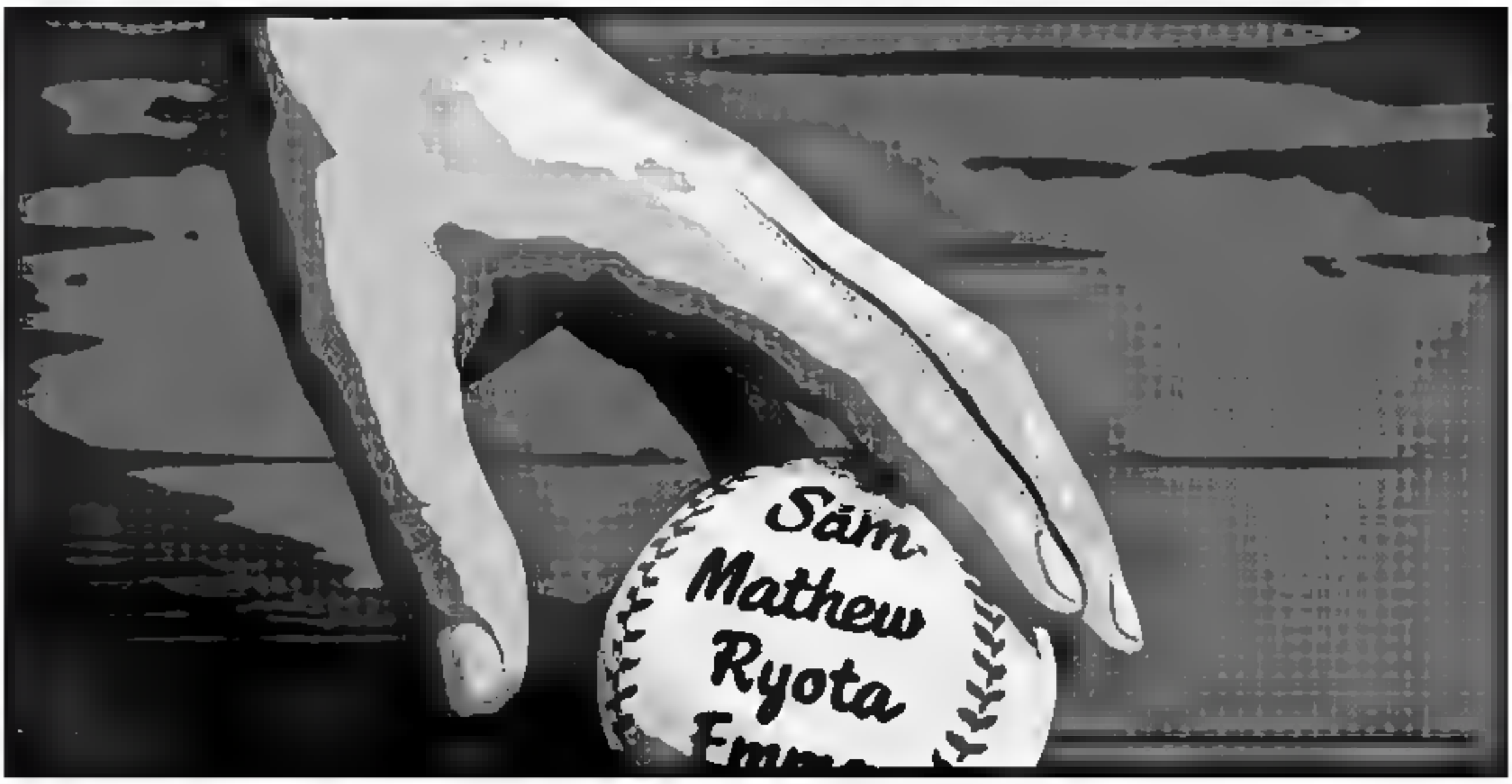

بعد دقائق قليلة، كان براندون قد وصل لاصطحاب دانيال كما اتفقا، أخذ ينادي عليه متفقدًا غرفة التبديل بما أنه لا يُجيب عن هاتفه، مستغربًا من عدم استجابة صاحبه، صاح به:

- دانيال، أين أنت يا رجل؟ لن نجد طاولةً فارغة إن وصلنا متأخرين!

تتبع براندون صوت رنين هاتف دانيال حتى اصطدمت جزمته بالكرة على الأرض. انحنى لالتقاطها ثم استقام بقلق، ولا يزال صوت رنين الهاتف يصدح في المكان، ولكن ما أثار جزعه أكثر هو أن خزانة دانيال، كانت مفتوحة وهناك بعيدًا استقرت حقيبة ملابسه.

تراجع الشاب خطوة للخلف لتقع عيناه على الهاتف، الذي كان ملقى على الأرض إلى جانب بركة دماء، وآثار أقدام تدلّ على حدوث عراك عنيف ترك خلفه آثارًا دموية تنذر بحدث مأساوي.

***

جرت كيتلين إلى الشرفة العلوية حتى تتمكن من إلقاء نظرة أفضل.

بينما أخرجت كيمبرلي بندقيتها من الصندوق الخشبي وتوجهت بها سريعًا نحو الباب الرئيسي.

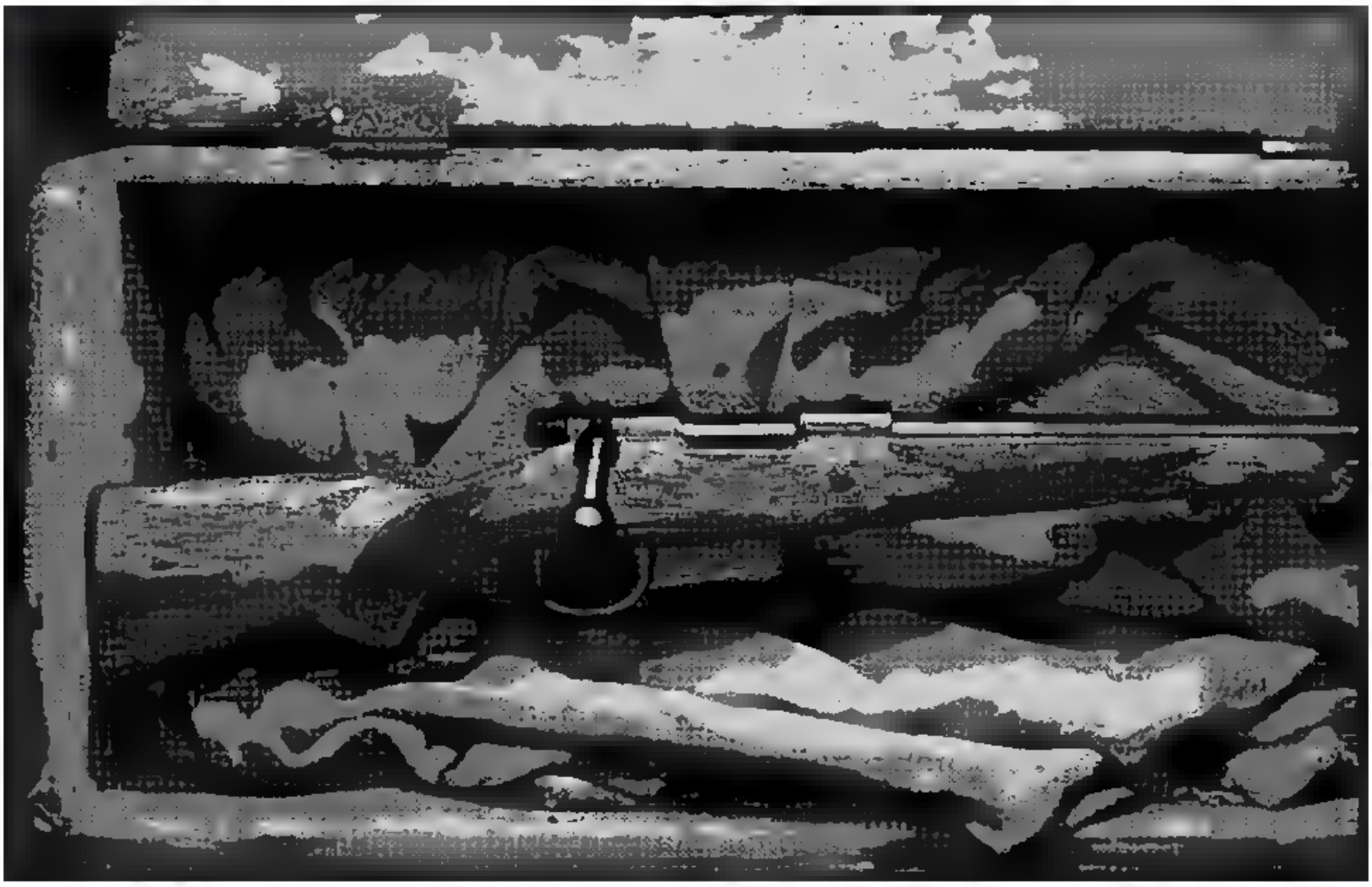

بعد أن تأكدت من بقاء سامي مع إيمّا، ذهبت كارمن إلى غرفتها وأخرجت بندقية أخرى من صندوق ملابسها القديم، تأكدت من سلامتها قبل حشوها بالطلقات.

وسط السكون الثقيل الذي يخيم على المكان، اخترق صوت خطوات كيتلين صمت الدرج، هبطت الفتاة بسرعة، لتقول بأنفاس متسارعة:

- هنالك خمسة رجال مسلحين في الخارج، اثنان منهم ذهبا إلى الباب الخلفي.

"كنا قد بدأنا بسماع صوت اقتحامهم للباب الخلفي، فنظرت إليّ والدتي كما لم تفعل من قبل. احتضنت وجهي بين كفيها وقالت لي برجاء محزن".

- عليكم بالهرب.

أمسكت كارمن بيد ابنها ودفعته ناحية أخته، ثم نادت على إيمّا وكيمبرلي. وقفت الأخيرة بصدمة وقد فهمت نظرات خالتها:

- خالتي!

بينما اعترضت كيتلين، رافضةً الفكرة بشكلٍ قاطع:

- ما الذي تقولينه يا أمي؟ بإمكاننا صدّهم معًا!

نظرت كارمن إلى الصغير سامي بينما تُجيب ابنتها:

"أستطيع أن أفهم موقف والدتي وأرى الأمور من زاويتها... يمكنني ذلك، لكن كيف لي أن أتقبّل الأمر؟ لقد فقدت والدي للتو، ولم أكن مستعدةً لخسارتها هي أيضًا".

بعزيمة حديدية، رفعت كيمبرلي سلاحها وقالت راجيةً كارمن:

- أرجوكِ يا خالتي، لا يمكنكِ التصدي لخمسة رجال إن كنتِ لوحدك!

إلا أن موقف كارمن كان أصلب من أن يثنيه رجاؤهن.

تراجعت إلى الخلف وهي تحكم قبضتها على بندقيتها، ثم غمزت لابنة أختها، لتقول بشيء من المزاح:

توجهت كارمن إلى باب المرآب، فتحته وأشارت لهم:

- استخدموا هذا الباب للهرب، واذهبوا مباشرةً إلى جيمي وسارة.

"بصدرٍ يختنقه الألم، قبضت على يد أخي سامي، أجرّه معي رغم صرخاته وتشبثه اليائس بالمكان. انهمرت دموعه، بينما يمزق

صوته المرتجف آخر ما تبقى من صلابتي، ولم يكن هناك أي خيار آخر. اجتاحني الغضب، وغرس الإحباط مخالبه في روحي، في ذلك اليوم، تم انتزاعي من عالمٍ كُنتُ قد بدأت أرى فيه بصيصًا من الأمل".

"في تلك المرحلة من حياتي، أدركت أخيرًا معنى مشاعر راين، واستوعبت الحقد الذي أثقل قلبه لسنوات. شعرت بطعمه المر يتسلل إلى أعماقي، وكأنني أتذوق مرارة الغضب المكبوت لأول مرة".

***

أوقع راين السماعة من يده غير مصدق لما يراه، لمح أرقام مؤقت القنبلة في حقيبة مارثا، والذي لم يتبقَّ منه الكثير، فألقى بسؤاله:

- لماذا؟!

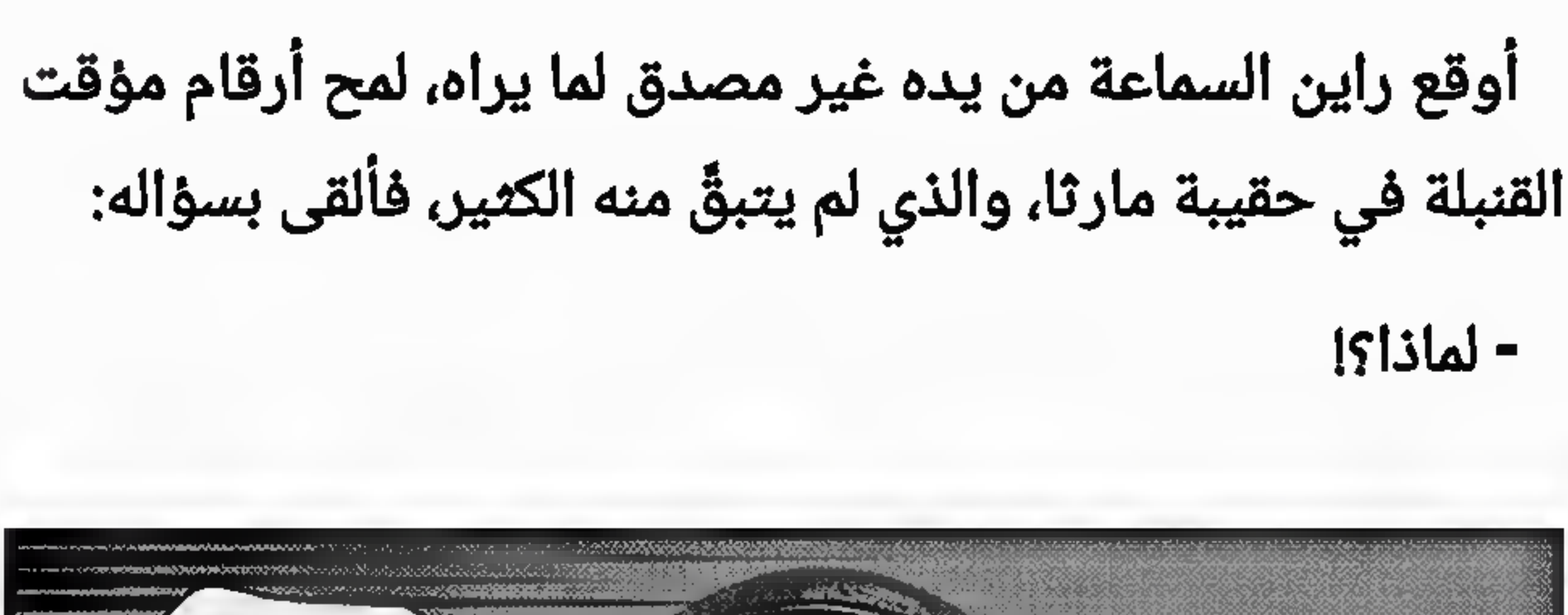

حادت عين مارثا إلى الحارس الذي يقف جانبًا، من ثم إلى ألفريد من خلفه، لتقول مخاطبةً ابنها:

- كما أخبرتك، ذلك الرجل قد ظهر من جديد، وأنا لن أقف متفرجة لأنتظر ما سيفعله بنا.

مررت مارثا يدها فوق حقيبتها برفق، كما تداعب الأم طفلها الرضيع في حجرها وهي تقول:

- لا يوجد أسوأ من شعور أن تفقد ابنًا ...

وبلحظة غضب، عقدت حاجبيها، رفعت رأسها، وضربت براحة يدها على الزجاج، لتقول:

- أنت أول شخصٍ سيُفكر باستغلاله حتى يوقع بي ... لذلك، سيكون هذا أفضل حل للجميع.

محبطًا من جوابها، هزّ راين رأسه ليقول:

- بعد كل الذي مررنا به ... أتستسلمين هكذا؟!

انزلقت دمعة من عين مارثا، كوداعٍ أخير لشيء لا سبيل لاستعادته. حلت السكينة على قلبها الممتلئ بالندوب، بينما حاول راين يائسًا ثنيها عما تفعله. صرخ مستنجدًا بالحراس، لتتفجر الفوضى في المكان خلال لحظات قصيرة.

***

محاطةً بالحطام، صرخت ميغان باسم ريوتا حتى بحّ صوتها:

أوقعت ميغان القط الصغير الذي كانت تحمله، وراحت تجري باتجاه البناء، لكن فجأة شدّها أحدهم من الخلف، بصوتٍ حاد قال لها:

تعثرت ميغان في صراعها معه، ولم تستطع رؤية ملامحه وسط الاضطراب، حاصرها الشاب الغريب بقبضته القاسية، وامتدت يده إلى فمها ليخرس صراخها، فاختنق صوتها في صدرها، وفي اللحظة الأخيرة التقطت عيناها الوشم الغريب على معصمه، فصرخت به:

- من أنت؟!

لم تتوقف، وقاتلته بشراسة، ضربته وركلته، لكن مقاومتها لم تؤتِ ثمارها، بالمقابل ما كان منه إلا أن يلجأ إلى العنف معها:

- تبًا، أنتِ لا تتركين لي خيارًا آخر.

رفع مرفقه، ثم ضربها بقوة على مؤخرة رأسها. شعرت ميغان بوهج الألم يخترق وعيها، ثم تلاشى كل شيء تدريجيًا، لتسقط فاقدة الوعي بين ذراعيه.

أسندها الشاب إلى ذراعه، بينما ضغط بيده الأخرى على سماعة أذنه، متحدثًا مع من كان على الطرف الآخر:

- هذا أكيرا ... لقد وصلت إلى الفتاة ...

ثم رفع رأسه، وعيناه تجولان في المشهد أمامه، تتفحصان حطام الزجاج الممتزج بالدماء. زفر ببطء قبل أن ينطق، وكأنه يحاول استيعاب الفوضى حوله:

- لكن ... هل يمكن لأحدكم أن يشرح لي ما الذي يحدث هنا؟

***

رأى إدوارد الموت يقترب منه، يزحف بلا رحمة نحوه. لم تفصله سوى أمتار قليلة عن أن تسحقه السيارة الثانية، لكن فجأة، انطلقت شاحنة مسرعة من العدم، لتصطدم بعنف مع السيارة المتجهة نحوه، دافعة إياها بعيدًا وسط دهشته.

ابتعدت الشاحنة واستدارت إلى الجهة المقابلة قبل أن يُفتح بابها، وتظهر بيانكا خلفه، مدّت ذراعها نحوه وصرخت:

- أسرع! أدخل إلى الشاحنة قبل أن يستعيد السائق وعيه!

لم يكن هناك وقت للتفكير، ولا خيار أمامه سوى الوثوق بها، حتى لو كان ذلك مؤقتًا. وسط هذا الجنون، انتزع حزامه بلا تردد، واندفع نحوها بأقصى سرعته. قبضت على يده بقوة، وجذبته إلى الداخل قبل أن تنطلق الشاحنة بسرعة، تاركة خلفها موقع الحادثة غارقًا في

الفوضى.

***

وقف سكوت مذهولًا أمام بقايا الانفجار، الذي أودى بحياة هارو وزوجها. تابع من بعيد حركة الشرطة وسيارات الإسعاف، بينما كان الإطفائيون يكافحون ما تبقى من ألسنة اللهب التي التهمت السيارة المنفجرة.

تملكه الغضب حين وصلته التعليمات متأخرة جدًا. كان أحدهم يتحدث إليه عبر سماعة الأذن، طالبًا منه تأكيد عدد الضحايا، لكن سكوت قاطعه بغضب:

- كانوا ثلاثة.

لم يفهم زميله ما قصد سكوت، فأعاد الأخير توضيحه، بنبرة أكثر حدة:

- كانوا ثلاثة... الصحفية كانت حامل.

***

"تمكنت مع سامي والفتاتين من الفرار دون أن تتم ملاحظتنا، والثمن كان أمي".

"حتى مع ابتعادنا، كنا لا نزال نسمع صوت تبادل إطلاق النار، ملأ الصوت البائس سفح الجبل، وملأ معه روحي بالسواد والعتمة".

"لقد سقطنا جميعًا في الحفرة ذاتها. باغتنا الهجوم فجأة، تمامًا حين ظننا أننا قد قضينا على بؤرة المشاكل".

***

وقف الرجل أمام زجاج نافذة مكتبه، يحدق في المدينة المتألقة تحت سماء الليل الآسر، يغمرها وهج الأضواء المتراقصة. كان غارقًا في أفكاره، بينما تتهادى ألحان سمفونية "ضوء القمر"(6) عبر جهاز الموسيقى الكلاسيكي، تُغلف الأجواء بهالة من السحر والرهافة.

"ولم نكن نعلم أن هناك من سيفتح أبواب الجحيم ليحرقنا بها".

دخلت الفتاة إلى المكتب بخطوات واثقة، تحمل في مشيتها غنجًا ملفتًا، تقدمت حتى أصبحت إلى جانبه. لم يحرّك الرجل ساكنًا، بوجه جامد كأنما نُحت من صخر، كان ينصت إلى الصوت القادم عبر سماعة أذنه، والذي يوافيه بآخر المستجدات. لكن بمجرد أن لمح الفتاة بقربه، تبدل شيء في ملامحه، تلاشت الصرامة تدريجيًا، ليأخذ وجهه طابعًا أكثر لينًا، ثم ابتسم لها بلطافة، ليقول:

- ها هي صغيرتي..كيف هو الوضع في هيل تاون؟ هل سأل عني أحد؟

لفّت الفتاة خصلة من شعرها حول إصبعها بتلقائية، بينما ارتسمت على وجهها ابتسامة خفيفة، وأجابت:

استدار الرجل نحوها قليلاً، نظر إليها باهتمام أكبر، ليقول:

- لقد وصلتني الأخبار بالفعل، لكنني أرغب بالتفاصيل.

ضحكت كايلي برقة، بينما التمعت عيناها بحماس وهي تجيبه:

- بالتأكيد يا أبي، سأخبرك بكل شيء.

***

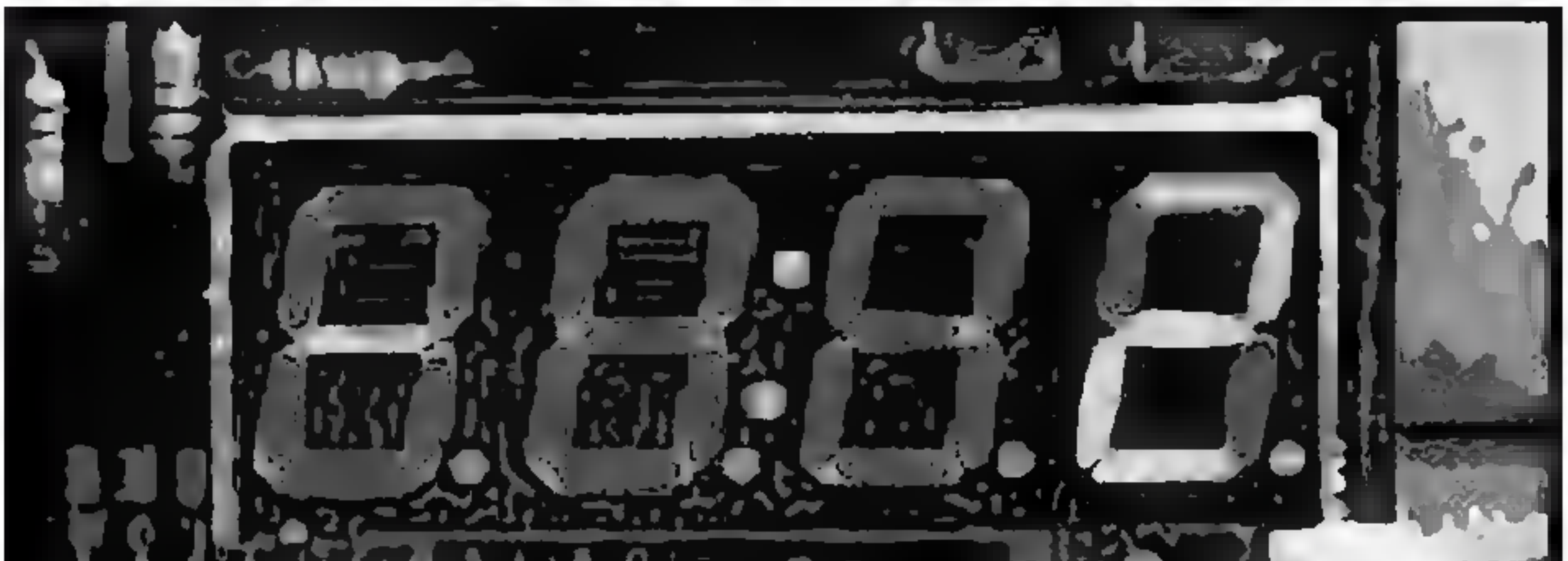

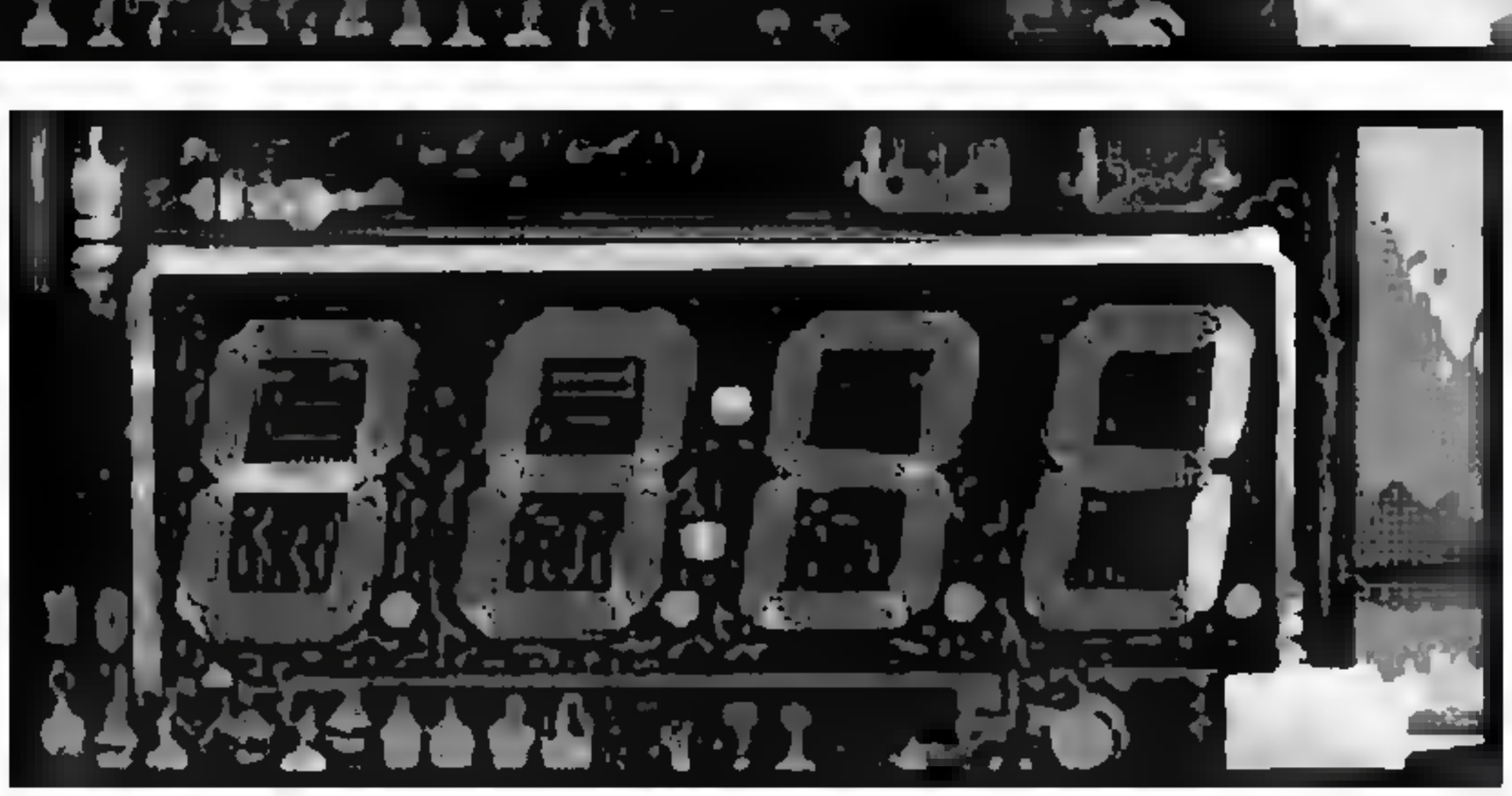

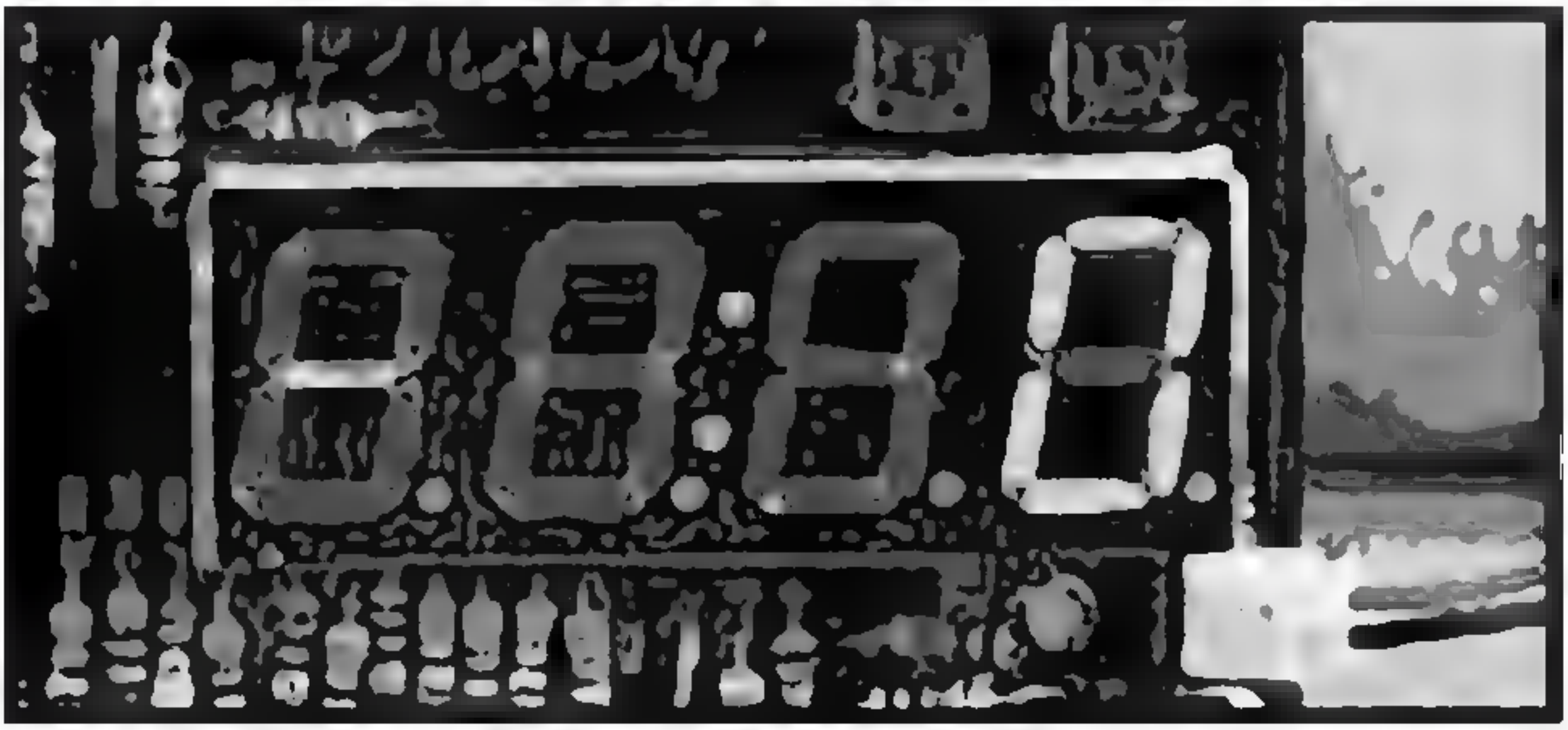

هزّ الانفجار مبنى السجن بكامله، ارتفع عمودٌ من اللهب والدخان، متوهجًا كلهيب الشمس. تحطّمت الجدران، وباتت كالورق الهش أمام العصف الهائل، تساقطت قطع الإسمنت كأمطار قاتلة، وشقّت موجات الصدمة طريقها عبر الأروقة، تدفع الهواء والأتربة بقوة لا يمكن التصدي لها.وداخل الفوضى، تعالت أصوات الصرخات المبعثرة من بين سحب الغبار التي حجبت كل شيء. في لحظةٍ واحدة، تحوّل السجن من حصنٍ صارمٍ إلى أطلالٍ تغصّ باللهب والركام.

"الانفجار الأخير لم يكن مجرد ضربة أخرى، بل كان القشة الأخيرة التي قسمت ظهري. في أعماقي كان القرار قد اتُّخذ بالفعل، ومن هنا فقط، تبدأ قصة الانتقام الحقيقي".

***

أكتوبر 2022

October 2022
Sun Mon Tue Wed Thu Fri Sat
1
2 3 4 5 6 7 8
9 10 11 12 13 14 15
16 17 18 19 20 21 22
23 24 25 26 27 28 29
30 31

ضربت صاعقة قريبة، فملأت الغرفة المظلمة بوميض مفاجئ، ارتد على بشرة كيتلين الشاحبة. رمشت الفتاة ببرود، وأدارت رأسها نحو النافذة، ثم دفعت لوحة المفاتيح بعيدًا. كانت قد اكتفت من الكتابة عند تلك المرحلة.

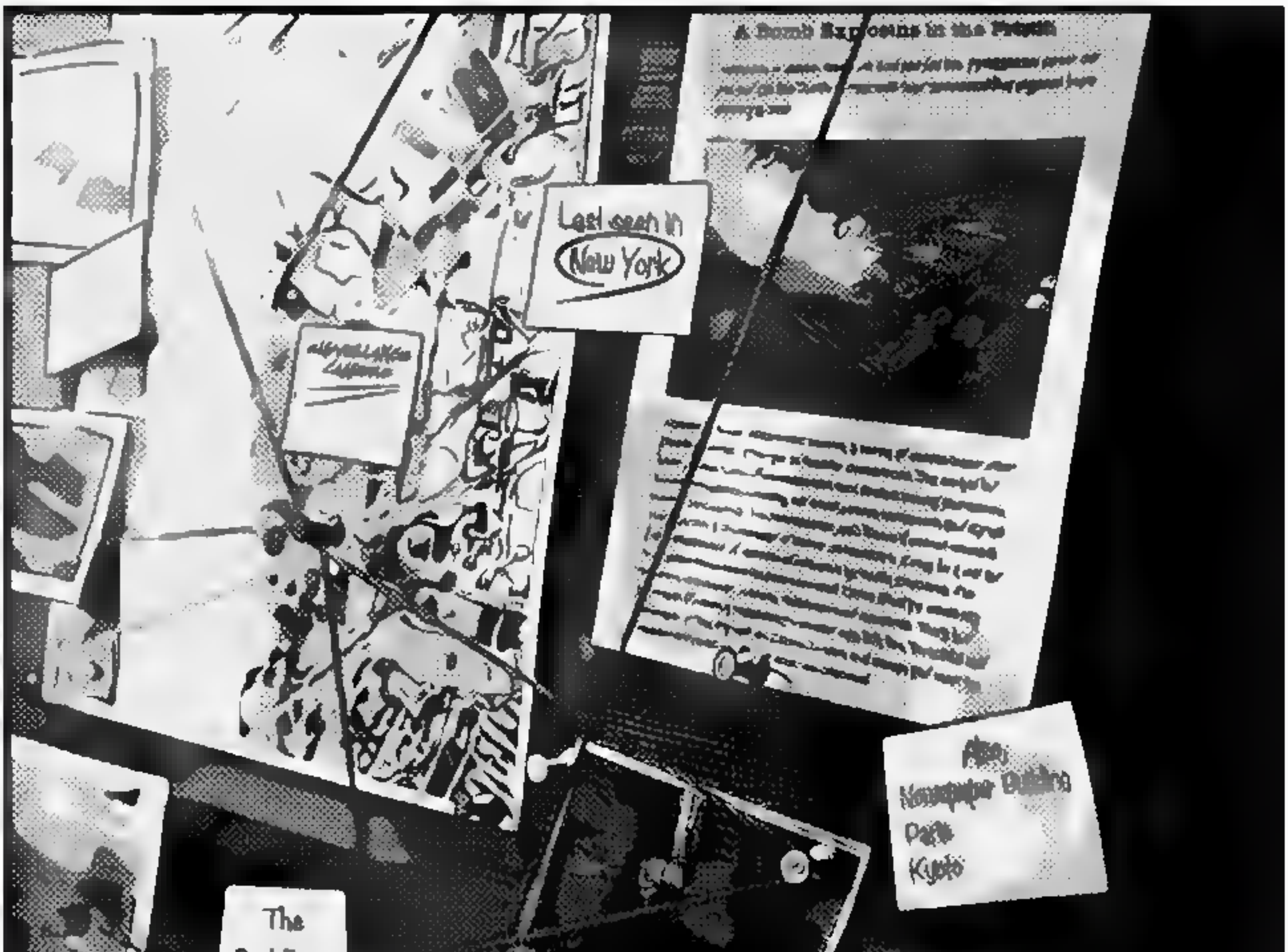

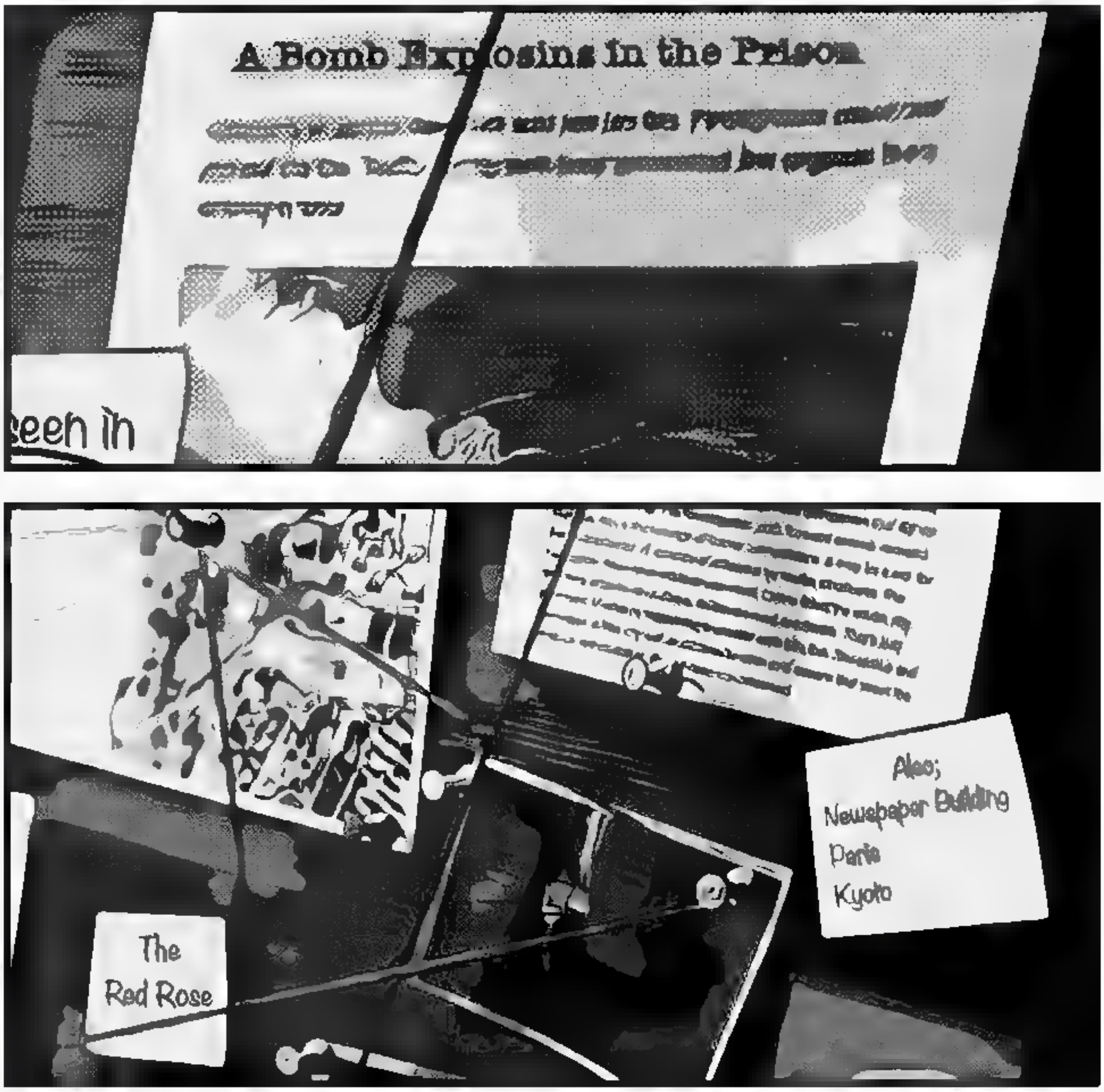

لقد اكتفت من الجلوس والحديث إلى الورق.

نهضت من مكانها، حيث كان عليها الذهاب إلى ذلك المكان. لم تكترث للجو العاصف في الخارج، ارتدت معطفًا خفيفًا، وعبرت الغرفة حيث كان هاتفها يضج بصمتٍ بتنبيهات متتالية، يتوسل إليها أن تلقي عليه نظرة. تجاهلته، كما تجاهلت كل شيء آخر، قبل أن تدفع الباب.

خرجت إلى الشارع تحت زخات المطر، رفعت يدها لتوقف سيارة

أجرة حتى عثرت على واحدة. وما إن دخلت إليها، حتى بدأ السائق يقود بصمت، عيناه تتفحصان وجهها عبر المرآة العلوية. شيء ما في نظراتها جعله يتجنب الحديث معها، استشعر أن الصمت هو الخيار الوحيد الآمن.

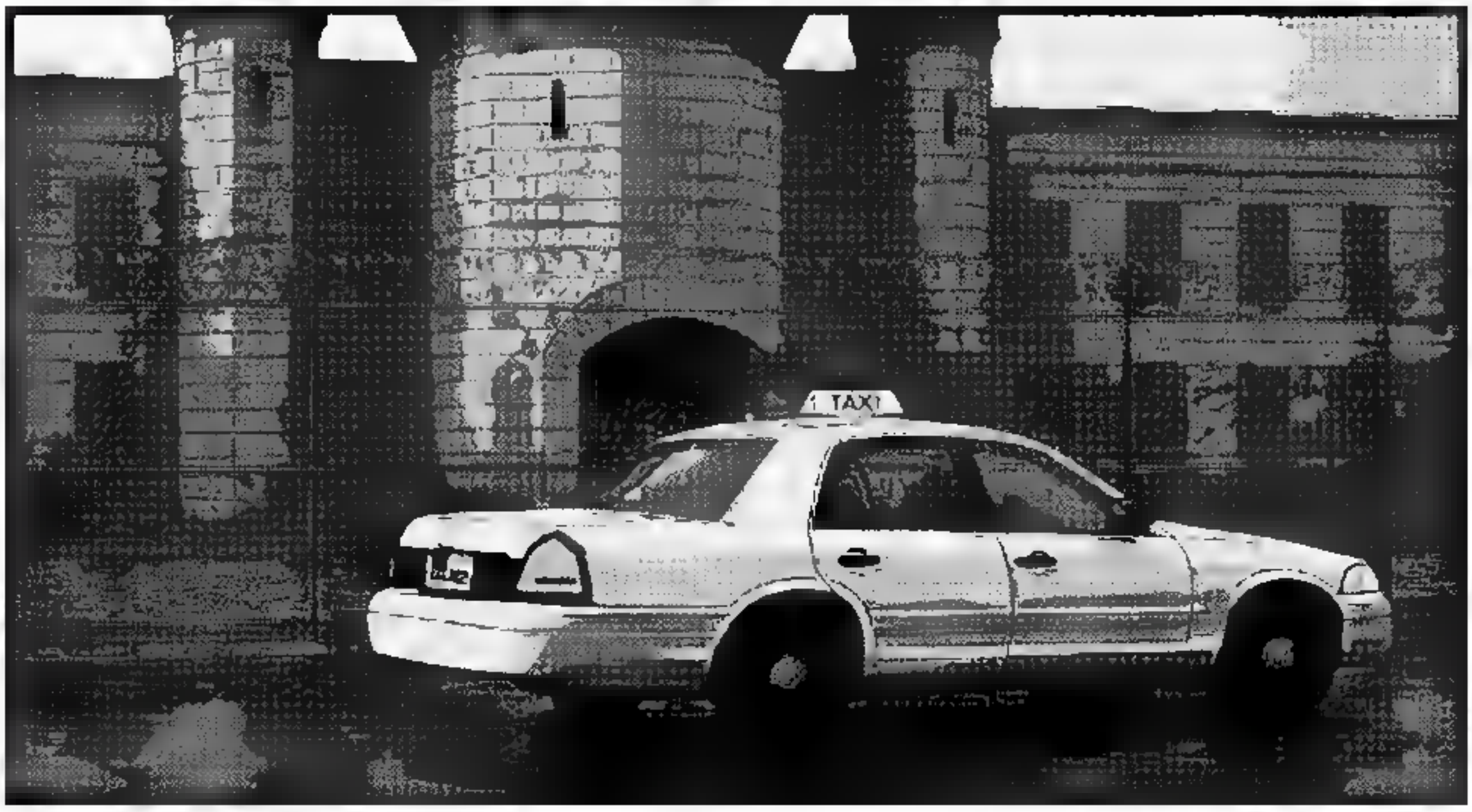

ترجلت كيتلين من السيارة حالما وصلت، لم تتردد. تقدمت بخطوات واثقة نحو المكان. الحراس سمحوا لها بالمرور كما لو كانوا معتادين على حضورها المستمر. بعد أن عبرت الممر الرمادي المظلم دخلت غرفة اللقاء الخاصة بالسجن الانفرادي المشدد، وجلست أمام الزجاج العازل. ضغطت على الزر الجانبي دون أن تتفوه بكلمة وهي تنظر بجمودٍ إلى القابع أمامها.

وسط الصمت المخيم، انساب صوته الخبيث منخفضًا بنبرة مسرحية، مُحطماً به هدوء المكان:

ارتسمت ابتسامة واسعة على وجه إدموند بيتفورد، لتكشف عن صفّ أسنانه العلوية وسط جنون هادئ، ثم تابع ليسأل بلهفة:

- ما الذي سنتحدث بشأنه اليوم؟

انحنت كيتلين بجسدها إلى الأمام مقتربةً أكثر من الزجاج، ولا تزال تلك النظرة الجامدة على وجهها عندما قالت:

وللقصّة تتمة...

To Be Continued ...

؟؟؟

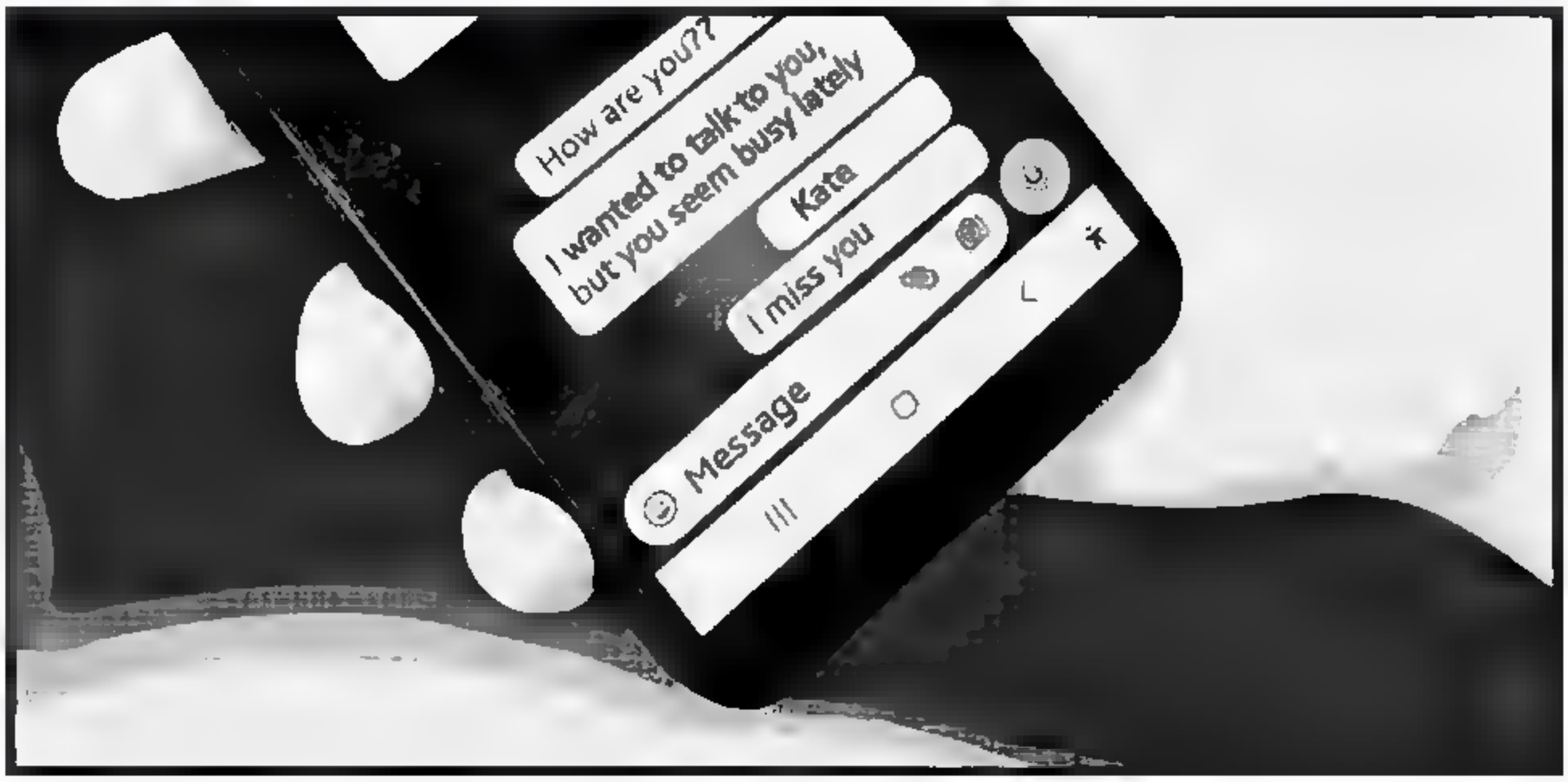

في الطرف الآخر من تلك المحادثة، جلس الشاب وحيدًا في غرفته، تحدق عيناه في شاشة جهازه بصمت مثقل بالانتظار، لم يكن يعلم إن كانت كيتلين تقرأ رسائله، أو أنها اكتفت بالصمت كإجابة. ومن خلف الباب، جاء صوت رفيقه ليكسر عزلته اللحظة:

- شون! هل ستأتي أم لا؟

رفع الشاب رأسه ببطء، وكأن الصوت أعاده إلى الواقع. ارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة لا تشبه ما بداخله، وقال بنبرة حاول أن يجعلها مرحة:

- أنا قادم... فقط أمهلني بضع دقائق.

وإلى لقاء قادم مع بداية المرحلة الثانية من

سلسلة سر مذكرات الجورية الحمراء

المرحلة الثانية تحت عنوان: أبواب الجحيم

Until we meet again with the beginning of the second phase of

The Mystery of the Red Rose Diaries Series

The second phase is titled: Gates of Hell

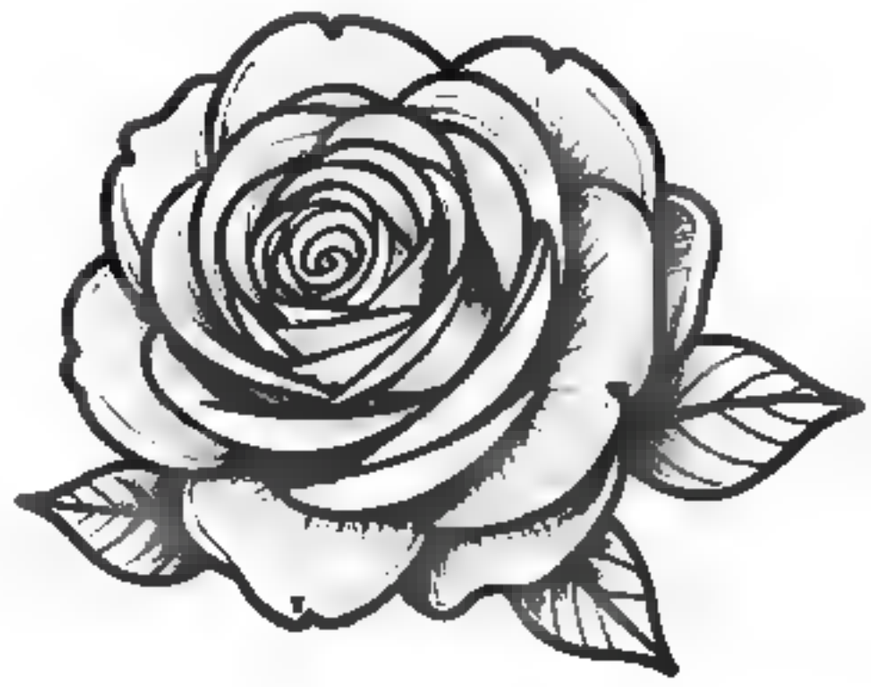

Dark Angel

FAJER

Email: darkangel-fw@hotmail.com

Instagram: dark.angel.286

TikTok: dark.angel.286

X: @dark_angel_286

(1) اللَازَوَرد، أو العَوهَق، هو معدن أزرق سماوي يُستخدم في الزينة ويُعتبر من الأحجار الكريمة. تُعدّ أجود أنواع اللازورد تلك التي تتميز بزرقتها الصافية والمائلة إلى الحمرة أو الخضرة. يُقدّر تاريخ استخراج حجر اللازورد بحوالي ٦٥٠٠ عام، حيث كان يُستخرج من منطقة بدخشان في أفغانستان. وقد وُجدت آثار لهذا الحجر في مواقع أثرية تعود إلى حقبة مصر ما قبل الأسر. بالإضافة إلى ذلك، يُمكن العثور على اللازورد في مناطق أخرى، مثل القوقاز وموريتانيا.

(2) ما الذي يحدث يا أخي؟ من معك؟ وأين أنت؟

(3) الكلمات مقتبسة من النسخة الإنجليزية لأغنية Inuyasha's Lullaby.

(4) أرجوك يا أخي، دعنا نتحدث!

(5) لهذا السبب أنا معجب بكِ.

(6) ضوء القمر Clair de Lune من تأليف الموسيقي الفرنسي Claude Debussy.